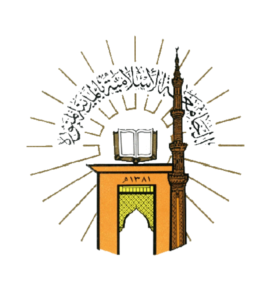


المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة
البرنامج المسائي

أصفى الموارد في الرد على غلوّ المطريين لرسول اللّه ﷺ وأهل الموالد

تأليف

العلامة أبي زيد عبدالرحمن بن محمد بن إبراهيم النتيفيّ الجعفريّ

المتوفى سنة (١٣٨٥هـ)

دراسةً وتحقيقاً

مشروع رسالة علمية مقدم لنيل درجة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب

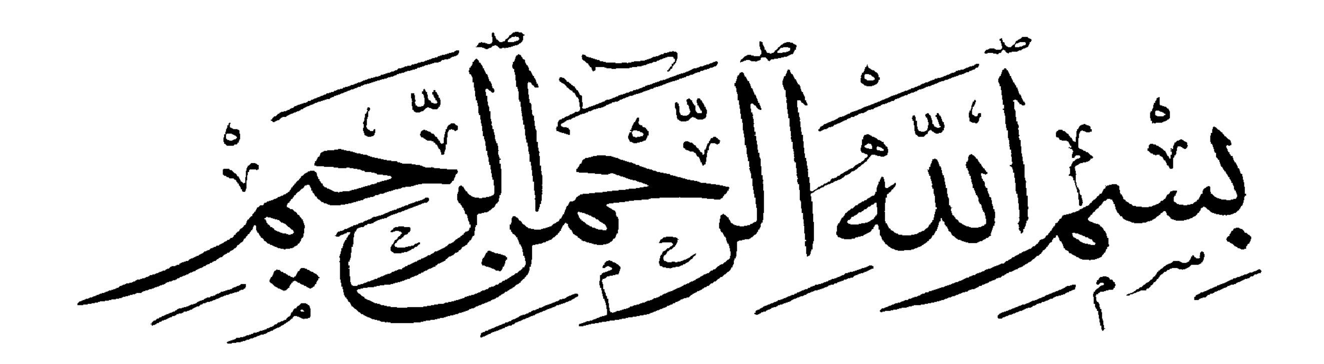
محمد بن سعيد بن عبدالله الجندبي

إشراف الدكتور

ذياب بن مدحل العلوي

العام الجامعي

١٤٣٥ - ١٤٣٦هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إنّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أمّا بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة[(١)]، وكل بدعة ضلالة[(٢)]، وكل ضلالة في النار[(٣)].

أمّا بعد: فقد بعث الله نبيه محمداً ﷺ بالهُدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وبيّن شرائع الإسلام، والحلال والحرام، وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فوجب بذلك عبادة الله بما شرع، واتباعه فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وهذا تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ، ووجب بذلك أيضاً عدم الانصراف عن هديه، وعدم الالتفات إلى غيره، لأن الله ﷻ أكمل به الدّين، وختم به الرسالة، وأتمّ به النعمة، ورضي لنا شريعته، فحماها وحفظها لنا بجهود من أخلصوا دينهم لله، ولم يريدوا ملذات الدنيا وشهواتها، ولم يركنوا إليها، فقيض الله لهذا الدّين علماء يعملون بدينه، ويقيمون حدوده، ويذبون عن سننه وحروفه، ويبينون أحكامه وأموره، ويردون عنه كل مبتدع ناعق ناهق لهتك ستره وعقيدته، يريد تلويث صفائه ومنهله ومورده، ومن أولئك العلماء الأجلاء الذين قيضهم الله لهذا الدّين العظيم، وحمى بهم سنة نبيه الكريم ﷺ، الشيخ العلامة المحدث الفقيه الأصوليّ السلفيّ المجاهد الشريف أبي زيد عبدالرحمن بن محمد بن إبراهيم النتيفيّ الجعفريّ البيضاويّ المغربيّ، المتوفى سنة (١٣٨٥هـ) - رحمه الله تعالى وغفر له - فقد كان غُصّةً في نحور أهل البدع والزيغ والضلال في البلاد المغربيّة، التي كثرت فيها الأهواء والملل والنحل والفرق الضالة

(١) خطبة الحاجة للنبي ﷺ. انظر: صحيح مسلم (ص: ٣٤٨/ح٨٦٨).
(٢) هذه الزيادة عند الإمام أحمد (٢٢/٢٣٧/ح١٤٣٣٤). وقال محققوا المسند: (صحيحة).
(٣) وهذه الزيادة عند الإمام النسائي (ص:٢٦٠/ح١٥٧٨). وصحّحها العلامة الألبانيّ.

المضلة، من صوفيّة، وأشعرية، ومعتزلة، وجهميّة، ورافضة، وغيرهم من أهل الفلسفة والكلام والزيغ.

وقد ألّفَ الشيخ -رحمه الله تعالى- كُتباً كثيرةً تفوق السبعين كتاباً أغلبها في الرد على المبتدعة وأهل الأهواء وفضحهم، وتبيين عَوَرِهم وخطئهم، وخللهم وضلالهم، ونصرةً للسنة النبويّة الشريفة المطهرة، وعقيدة أهل السنة والجماعة، ومن تلك الكتب هذا الكتاب الكبير القدر الذي رُمنا وقصدنا تحقيقه، وإخراجه لطلاب العلم وللمكتبة الإسلاميّة، ليسهل على طالبه الرجوع إليه، ومريده الحصول عليه، ألا وهو كتاب "**أصفى الموارد في الرد على غلوّ المطريّين لرسول الله ﷺ وأهل الموالد**"، الذي بيّن فيه الشيخ ضلال من أحدث في الدّين بإحياء الموالد بلا دليل، وكشف بدعته وردّ عليه وفضحه، وعلى من غلا في إطراء ومحبة النبي ﷺ وبالغ فيهما حتى أوصله ذلك إلى حد الكفر، وأبواب الشرك، ومدارك البدع - عياذاً بالله من ذلك-، وأوجب عليه الاكتفاء بهدي النبي ﷺ عما سواه، والاستغناء به عمن عداه، وترك البدع والمحدثات والموبقات والمهلكات.

وإنِّي لأعجب من كثرة مؤلفات الشيخ وأهميتها ، ومع ذلك لم تلْقَ الاعتناء والاهتمام اللائق بها.

والسبب والله أعلم أنه كان قليل ذات اليد، ولم يجد من يعينه على طبع كتبه، كما أن تلاميذه لم يُولُوه العناية التي تنبغي في التعريف بشيخهم والاهتمام بعلمه، وقد تفرقوا في أنحاء المملكة المغربيّة ولم يُؤبَه بهم ولا بشيخهم.

ولو لم يترك لنا الشيخ العلامة أبو زيد عبدالرحمن النتيفيّ -رحمه الله تعالى- هذه المؤلفات والكتب الدَّالة على غزارة علمه وفوائده، لأصبح نكرة في طيّ النسيان[1].

ولعل أيضاً من الأسباب التي دعت الناس لترك أمثال هؤلاء العلماء وعدم الاهتمام بهم، هو اعتقادهم السلفيّ الصحيح والدفاع عنه، والذي حاربهم عليه أهل البدع والضلال في المغرب، وحذروا ونفروا الناس منهم ومن معتقدهم، الذي ذموه

(١) ذكر ذلك د. حميد العقرة في مقدمة تحقيقه لكتاب "حكم السنة والكتاب" (ص: ٩-١٠).

ووصفوه بالوهابيّ[١] الصِّرف، كما سيأتي معنا بيان ذلك -إن شاء الله تعالى- في الحالة الدينيّة[٢].

فالله ﷻ أسأل الإعانة والتوفيق والسداد، والإخلاص والقبول في عملنا هذا، وسائر أعمالنا، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

أهميَّة الكتاب وأسباب اختياره

ترجع أهميَّة الكتاب وأسباب اختياره لأمور منها:

١- ابتغاء الأجر والثواب من الله تعالى بتحقيق هذا الكتاب، وإخراجه للناس لكي يسهل لطالبه الوصول إليه.

٢- مؤلف الكتاب عالم جليل القدر كبير المنزلة عند أهل العلم، وخصوصاً في المغرب، لاسيما وأنه نَاصَرَ عقيدة السلف الصالح في زمانه الذي كان يعج بالفتن، والمذاهب الضالة، وآراء أهل الجهل والزيغ، والفرق المبتدعة.

٣- الكتاب مدعَّم بالأدلة من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة.

٤- أورد مؤلفه الكثير من أقوال أهل العلم من السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

٥- انتشار البدع والضلالات وأهلها، وتأثر كثير من الناس وتعلقهم بها، مما يوجب على طلبة العلم والدعاة إلى الله تعالى أن يسهموا في نشر العقيدة الصحيحة، وتعليمها للناس بشتى الطرق وقدر المستطاع، وبذلك تموت البدع في جحورها.

---

(١) والوهابية : نسبة إلى الإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي مُجدد دعوة التوحيد في القرن الثاني عشر الهجري ، وهي نسبة ذم عند أعداء التوحيد يذمون بها أهله وينفِّرون الناس عنهم ، وأما حقيقة مبنى الكلمة : فهي نسبة إلى الوهاب سبحانه وتعالى ، وأما حقيقة المعنى : فهي نسبة إلى رجل دعا إلى توحيد الله ونبذ الشرك ، وهذه هو عين دعوة الأنبياء والمصلحين .

ومجرد الاتهام والافتراء = يستطيعه كل أحد ! والدعاوى ما لم تقم عليها بينات = أصحابها أدعياء

(٢) انظر: (ص:١٥).

٦- عالج الكتاب أمراً مهماً جداً منتشراً بين أوساط جهلة المسلمين وعامتهم، وهو الغلوّ والابتداع والإحداث والإطراء في محبة النبي ﷺ ، وإقامة الموالد والاحتفالات مما لم يأذن الله به ولا رسوله ﷺ.

٧- الكتاب احتوى على مسائل عقديّة مهمة جداً في الرد على أهل البدع والضلال، لاسيما منهم الصوفيّة المطريِّين لرسول الله ﷺ، وأهل الغلوّ والموالد.

٨- الرد على المبتدع وفضحه، وذكر بدعته والتحذير منه من أنواع الجهاد.

٩- الإسهام في تقرير العقيدة السلفيَّة، والرد على أهل الانحراف والبدع والضلال في مسائل الاعتقاد من خلال تحقيقي للكتاب.

١٠- الدفاع عن أحد أبرز أئمة أهل السنة والجماعة، والردّ على ما يُرمى به من دعاوى، إنما هو دفاع عن المعتقد والمنهج الصحيح الذي يحمله ذلك الإمام، والدفاع عن المعتقد والمنهج تتعدد صوره، منها: الدفاع عن أعلام ذلك المنهج بما يثار حولهم من شُبُهَات.

١١- رأيت من بعض المعاصرين الشغف بإخراج تراث بعض الفرق الضالة والدعوة إليها، وهذا تهديد لحصوننا من داخلها، وزيادة لجراحنا النازفة، على ما يلحق ذلك من تبعات وتأثرات من شبه أهل البدع والكلام، فلعل تحقيق وإخراج كتب أهل السنة والجماعة الذين تصدوا لتلك الفرق والضلالات مما يدفع ويرفع الله به عنا الفساد، والله ﷻ يقول في كتابه العزيز: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

الدراسات السابقة

لم أقف على أيّ دراسة سابقة للكتاب، ولا تحقيق له حسب بحثي، سواء كان هنا في المملكة العربية السعودية أو في المملكة المغربيّة أو في غيرهما من بلدان العالم الإسلامي، والله تعالى أعلم وأحكم وأجل وأكرم.

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٥١).

خطة البحث:

- البحث يتكون من مقدمة، وقسمين، على النحو الآتي:

- المقدمة وفيها:

١- أهمية الكتاب وأسباب اختياره.

٢- خطة البحث.

٣- منهج التحقيق.

- **القسم الأول: قسم الدراسة**، وفيه فصلان:

- الفصل الأول: دراسة المؤلِّف، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: عصر المؤلف

المبحث الثاني: حياة المؤلف

المبحث الثالث: نشأته العلمية

المبحث الرابع: شيوخه وتلاميذه

المبحث الخامس: عقيدته ومذهبه الفقهي

المبحث السادس: مكانته العلمية

المبحث السابع: مؤلفاته

- الفصل الثاني: دراسة الكتاب، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: اسم الكتاب وتوثيق نسبته للمؤلِّف

المبحث الثاني: موضوع الكتاب وسبب تأليفه

المبحث الثالث: مصادر الكتاب

المبحث الرابع: منهج المؤلِّف في الكتاب

المبحث الخامس: قيمة الكتاب العلمية

المبحث السادس: المآخذ على الكتاب

المبحث السابع: وصف النسخة الخطية للكتاب، ونماذج منها

- **القسم الثاني: قسم التحقيق** (وقد قمت بتحقيق الكتاب كاملاً).

- الفهارس العلميّة التفصيليّة المتنوعة، وإليك بيانها:

١- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

٢- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

٣- فهرس الآثار.

٤- فهرس الأديان والفِرق.

٥- فهرس الأعلام.

٦- فهرس الأبيات الشعرية.

٧- فهرس البلدان

٨- فهرس المصادر والمراجع.

٩- فهرس المحتويات.

منهج تحقيق النص:

منهجي في التحقيق وفق النقاط التالية:

- **منهجي في ضبط النص:**

- الاعتماد على النسخة الخطية للكتاب في تحقيقي.

- نسخ المخطوط مراعياً قواعد الإملاء الحديث، مع تصحيح ما في النص من أخطاء نحوية وإملائية وغيرها مما يعرض للناسخ والإشارة إلى ذلك في الحاشية.

- مقابلة ومقارنة النسخة الخطية بالمصادر التي نقل منها المؤلف، وإثبات الفروق بينها.

– ما كان ساقطاً من المخطوط (الأصل) أضعه بين معقوفتين [ ]، وأثبته في المتن، مع
الإشارة في الحاشية إلى المصدر الذي أثبته منه.

• منهجي في خدمة النص:

– كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني بين قوسين مزهرين ﴿ ﴾، وعزوها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

– تخريج الأحاديث، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإلا خرّجتها من مصادرها، مع ذكر كلام أهل العلم في بيان درجتها.

– عزو الآثار إلى مظانها.

– التعليق على المسائل العقدية التي تحتاج إلى توضيح.

– توثيق النقول بنسبتها إلى قائلها، وذكر مصادرها حسب الإمكان.

– الترجمة للأعلام الواردة أسماؤهم في البحث ترجمة موجزة.

– شرح الكلمات الغريبة التي ترد في البحث والمصطلحات العلمية.

– التعريف بالفرق والأديان والأماكن الوارد ذكرها في الكتاب.

– الالتزام بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

تقدير وشكر

الحمد لله ظاهراً وباطناً، والشكر له سبحانه وتعالى أولاً وآخراً، فهو ﷻ صاحب المنِّ والعطاء، أشكره ﷻ على نعمة الإسلام والسنة، وعلى ما يسر من إتمام هذا البحث والتحقيق.

والشكر موصول لوالدي الكريمين، اللذين ربياني وعلَّماني وحرصا على استمراري في التعليم، فأسأل الله ﷻ أن يجزيهما عني خير الجزاء، وأن يبارك في أعمارهما وأعمالهما، وأن يعيننا على برهما.

وأثني بالشكر للقائمين على الجامعة الإسلاميّة، وعلى رأسهم معالي مدير الجامعة الشيخ الأستاذ الدكتور/ عبدالرحمن بن عبدالله السند، فلهم جزيل شكري، وعظيم عرفاني على ما يقدمونه من تيسير سبل العلم لطلابه في شتى البقاع.

كما أشكر القائمين على كلية الدعوة وأصول الدين، وأخص بالشكر القائمين على قسم العقيدة على ما يقدمونه من جهود عظيمة لطلاب العلم، فجزاهم الله خير الجزاء.

والشكر موصول لشيخي الفاضل الدكتور/ ذياب بن مدحل العلوي، الذي تولى الإشراف على هذه الرسالة، وأعطاها اهتمامًا كبيرًا حتى خرجت في هذا السفر، وقد كان لملحوظاته وتصويباته كبير الأثر على البحث والباحث فجزاه الله عني خيرًا.

كما أشكر فضيلة المناقشين الكريمين –حفظهما الله تعالى– على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة وتقويمها.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

القسم الأول: قسم الدراسة

وفيه فصلان:

الفصل الأول: دراسة المؤلِّف

الفصل الثاني: دراسة الكتاب

الفصل الأول: دراسة المؤلِّف

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: عصر المؤلِّف.

المبحث الثاني: حياة المؤلِّف.

المبحث الثالث: نشأته العلميّة.

المبحث الرابع: شيوخه وتلاميذه.

المبحث الخامس: عقيدته ومذهبه الفقهي.

المبحث السادس: مكانته العلميّة.

المبحث السابع: مؤلفاته.

المبحث الأول: عصر المؤلِّف:

لقد كان عصر المؤلِّف –رحمه الله تعالى– آنذاك يعجّ بالبدع والمنكرات والشركيات التي استحوذت على العالم الإسلامي عموماً، ولا يكاد يسلم منها قطر من أقطار المسلمين، ففي العصر الحاضر الذي عاش فيه المؤلِّف كان الناس على طبقات مختلفة، وحالات عدة، مما دعى المؤلِّف وقتها إلى السعي في إصلاح المجتمع، وقلع جذور الشر، وغرس الخير في قلوب الناس، واستصلاحها للعقيدة السلفيّة الصحيحة الصافية المنهل، والذي سوف نتكلم عنه في المباحث الآتية:

١– الحالة الدينيّة.

٢– الحالة السياسيّة.

٣– الحالة العلميّة.

أولاً: الحالة الدينيّة:

ابتليت الأمة الإسلاميّة بتخلف ديني شديد، ووثنية سخيفة لا مثيل لها، وانحرافات خُلُقِيّة، واجتماعيّة، وفوضى سياسيّة، وتشريعيّة، ومن ثم قَلّ شأنهم وصاروا يعيشون على هامش التاريخ، وفي وطأة وذلّ الاستعمار، ولا يتعدون في أحسن الأحوال أن يكونوا تابعين للدول الإفرنجيّة، وقد امتلأت قلوبهم بتعظيم تراث الآباء والأجداد، واتباع ما كانوا عليه مهما يكن فيه من الزيغ والانحراف والضلال، إلا النَّزر القليل ممن رحم ربك ﷻ، وكانت دولة المغرب العربي آنذاك – في زمن المؤلف رحمه الله– ممن اجتاحها الاستعمار الغربي، فكانت مستعمرة من قبل الفرنسيين – قاتلهم الله – فأعثوا فيها فساداً وخراباً[1]، لا سيما وأن المغرب وقتئذ كان يعج ببعض الفرق الضالة المحاربة للإسلام وأهله، الذين مكنوا لهم من اجتياح البلاد مقابل أغراض ماديّة بحتة لا غير، ولعل من أهم تلك الفرق الضالة المضلة التي استحوذت وانتشرت في بلاد المغرب أولئك القوم الذين يصفون أنفسهم بأهل الطقوس الدينيّة، والعلم الباطن، والرفض، والحقيقة، والكشف، والفيض، والحضرة، والشطح، والفتوحات الربانيّة، التي لا تعدوا أن تكون

---

(١) انظر: "الهدية الهادية" (ص: ١٢).

شيطانيّة فحسب، فأفسدوا عقائد الناس، وعباداتهم، ومعاملاتهم، وأكلوا أموالهم كذباً وظلماً وزوراً، بحجة قرابين الأولياء والأصفياء الأموات منهم والأحياء، وفرية القطبانيّة العالميّة، والغوث والمدد، ولازالت بعض الفرق موجودة إلى يومنا هذا، وصدق الله عز من قائل سبحانه حيث قال في محكم التنزيل: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[1][2].

وعلى الرغم من هذه الحالة الوضيعة المتدنية في الأحوال الدينيّة، إلاّ أن الله تعالى – جلّت قدرته – اختص بعض الناس فضلاً منه ورحمة بالتمسك بالعقيدة الصحيحة الصافية، واتباع نهج النبي ﷺ في جميع شؤون حياته، بل كان يدعوا لذلك وينصره ويؤازره، ومن أولئك القليل والعلماء العاملين الذين مَنَّ الله عليهم بالتوحيد والسنة واتباع سلف الأمة، الشيخ العلامة مؤلِّف هذا الكتاب أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن إبراهيم النتيفيّ الجعفريّ البيضاويّ –رحمه الله تعالى– فكان ممن يدافع عن التوحيد وعقيدة أهل السنة والجماعة، والسنة النبويّة، محيياً لها ومميتاً للبدعة، حتى وصفوه بالوهابيّ الصِّرف، ونقموا عليه وحذروا منه أيَّما تحذير، وكان صوفيّة المغرب آنذاك ممن تولوا التدريس والتعليم، وانتشر باطلهم على الناس وراج[3]، خاصة فرق التِّيجانيّة، والشاذليّة، وما تفرع منها، ومن ينتسبون إليها، وبعض الفرق المعاصرة للمؤلف كالقاسميّة، والعيساويّة، والكتانيّة، وغيرها من فرق التصوّف المذموم، والطريق المحموم، والنهج المخالف للحق المستقيم المعلوم[4]، فجاهد الشيخ بسنانه ولسانه وبنانه تلك الفرق المخالفة الضالة وردّ عليها، وفنّد شبهها، وناظر كبرائها، وألّف فيها المؤلفات، ودحرها في عقر دارها، وكان ممن جاهد في الله حق جهاده، فهدى الله على يديه من شاء من عباده، فرحم الله الشيخ وأجزل له المثوبة، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة.

---

(١) سورة الكهف، الآية (٥).

(٢) انظر: "فرق معاصرة تنتسب للإسلام" (١/٦١-٨٣).

(٣) انظر: "الاستقصا" (٨/١١٩-١٢٠)، "علماء المغرب ومقاومتهم للبدع " (ص: ١٥٧-١٦٩).

(٤) انظر: "الهدية الهادية" (ص: ٧-٨)، "علماء المغرب ومقاومتهم للبدع" (ص: ٥١-٩٦).

ثانياً: الحالة السياسيّة:

كان حال البلاد المغربية كغيرها من البلدان الإسلاميّة تعيش في وضع صراع سياسي، وقتال على السلطة والحكم، وضعف ديني، وتخلف عقدي، تسلط بسببه الأعداء على الأمة الإسلاميّة، ومزقوها أيما تمزيق، ونهبوا خيراتها، وسرقوا ثرواتها، وأعثوا فيها فساداً وقتالاً، وأشعلوا نار الفتنة والفرقة والعصبية والحروب بين أفرادها، كي يسودوا على البلاد، ويمسكوا بأعناق العباد[١]، فقد عاش المؤلِّف -رحمه الله تعالى- في زمن الاستعمار الأجنبي للمغرب، وجاهد الفرنسيين وكان له سبق قدم في ذلك، وشارك في قتالهم بمواقع عديدة، ووقعات شهيرة شديدة، منها: وقعة "أرغوس" الشهيرة بين المسلمين والفرنسيين بخنيفرة، وشارك أيضاً في وقعة "أفود أحمري" التي كان الرصاص يتساقط عليه واحترق ثيابه ونجاه الله تعالى فيها .

فمن هذا العرض الموجز للحالة السياسيّة نجد أن حياة المسلمين في الفترة التي عاش فيها المؤلف مضطربة، وقد أدى تلاحق الحروب والحوادث إلى عدم استقرارها، فكان حال المسلمين يزخر بالفتن والقلاقل والاغتيالات والمؤامرات، فما أن تهدأ الأمور وتستقر وتسير في صالح سلطان وحاكم ما حتى يتطاول عليه أمراء عصره محاولين اغتصاب السلطة من يده بالقوة والعنف والقتل والاغتيال . . . وهكذا، فالقوة كانت إحدى مميزات هذه العصور مما جعل السلاطين والحكام يعيشون في وضع غير مستقر، لما يلاقونه من القتل والعزل والإذلال.

وهذا الوضع المضطرب الفوضوي له الأثر السلبي البالغ على العلماء المعاصرين له الذين أخذوا العهد والميثاق على أنفسهم بتوجيه الناس، ونصحهم، وتقويمهم على الصراط المستقيم، وبيان الحق والعقيدة الصحيحة لهم، فكانوا ينكرون على كل من حاول إثارة الشغب والفتن بين البلاد الإسلامية سواء كان من داخلها أو من خارجها،

---

(١) انظر: "علماء المغرب ومقاومتهم للبدع" (ص: ١٦٩)، "مجلة الفرقان" (العدد: ١٥/ص: ٢٣-٢٦).

وكانوا يحذرون من البدع والضلال والمحدثات وأهلها، حريصون على مصالح الراعي والرعية، وإشاعة العدل، وإفشاء السلام والاستقرار بينهم[١].

ولكنّ المؤلِّف -رحمه الله تعالى- لم يعكس لنا شيئاً من الوضع السياسي الذي عاصره، فقد كان منكباً على العلم مشتغلاً به عن غير تعلماً وتعليماً وتصنيفاً، كما كان مهتماً مشتغلاً بالردِّ على أهل البدع والزيغ والضلال، وتفنيد شبههم وأباطيلهم، ويصنف في الردِّ عليهم.

(١) مقتبس من مقدمة "التسعينية" (١/٣٥).

ثالثاً: الحالة العلميّة:

على الرغم من الأحول والظروف والأوضاع السياسية الحرجة الصعبة التي عاصرها المؤلِّف ومر بها ومرت به، حيث وافق الاستعمار الفرنسي الغاشم للمغرب(١)، وقيام الدويلات المتحاربة المتنازعة، وقوة شوكة الصوفية والرافضة والباطنية وازدياد نفوذها، فإن الحركة العلميّة قد شهدت في تلك الفترة والحقبة نشاطاً ملحوظاً، وانتشاراً واسعاً للعلم وأهله، فبنيت المدارس والدور، والمعاهد، والجامعات، والكليات.

وبعد احتلال خنيفرة من طرف الفرنسيين خرج إلى قبائل "آيت حموا عيسى" يتابع دراسته العلمية تارة بين الشعاب، وتارة في الخيام، وتارة فوق ظهور الجياد، يقرأ الأصول والفقه، والنحو، والمعقول والمنقول.

وفي عام (١٣٣٦هـ) غادر خنيفرة إلى مدينة فاس فمكث فيها سنتين، ثم خرج منها عام (١٣٣٩هـ) قاصداً الدار البيضاء، وفي أثناء طريقه وصل إلى أبي الجعد فدرّس بالجامع السليمانيّ، ومكث فيها مدة سنة، ثم بعد ذلك توجه إلى الدار البيضاء في عام (١٣٤١هـ) فاستوطنها واتخذ مدرسة بالمدينة القديمة إزاء داره، ثم انتقل إلى المدينة الجديدة بالبيضاء وأنشأ مدرسة بها(٢)

وعاصر المؤلِّف كثيراً من العلماء والأدباء المشهورين، وألفوا كثيراً من الكتب والشروحات، وحققوا كثيراً من المخطوطات والمؤلفات، مما ساعد في نشر العلم ونهضته.

وممن عاصر المؤلِّف من العلماء الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية، والعلامة محمد الأمين الشنقيطيّ، والعلامة تقي الدّين الهلاليّ أبو شكيب المغربيّ، والعلامة عبدالله بن محمد بن حميد، والعلامة حماد بن محمد الأنصاريّ، والعلامة محمد خليل هرّاس، والعلامة مقبل بن هادي الوادعيّ، والعلامة محمد ناصر

---

(١) انظر: "مختصر ترجمة العلامة النتيفي" (ص: ٦-٨)، "مجلة الفرقان" (العدد: ١٥/ص: ٢٤-٢٦)، و(العدد: ١٦/ص: ١٠-١١).

(٢) انظر: "مختصر ترجمة العلامة النتيفي" (ص: ٦-٨)
"مجلة الفرقان" (العدد: ١٦/ص: ١٠-١١).

الدين الألبانيّ، والعلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، والعلامة محمد بن صالح العثيمين، وغيرهم الكثير الكثير، رحمهم الله تعالى وغفر لهم وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

فبهذا فقد عايش المؤلِّف نهضة علميّة حيّة في شتى الفنون والمعارف المختلفة، ولم يخل عصره من نزاع قد يقوى أحياناً ويضعف أُخرى بين أهل السنة وغيرهم من أرباب البدع والتصوّف والرفض والمحدثات، مما كان له الأثر البالغ على كتابة المؤلف وتصانيفه، لا سيما وأن المؤلف ممن ينهج منهج السلف الصالح في العقيدة والعبادة مقابل كل أهل البدع والزيغ من صوفيّة، وأشعرية، ومعتزلة، وجهمية، ورافضة، وغيرهم[١].

(١) مقتبس من مقدمة "الحجَّة في بيان المحجَّة" (١/٢٦-٢٧).

المبحث الثاني: حياة المؤلِّف(١):

ويشتمل على:

أولاً: اسمه ونسبه:

هو شيخ الإسلام، العلامة الإمام، الفقيه الذي لا يلحق له غبار، ولا يجارى في مضمار، الحافظ المحدث المجتهد المحقق، محيي السنة الغراء، وقامع البدعة وأهل الأهواء، الحاج أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن إبراهيم النتيفيّ الجعفريّ الزَّيَّانيّ البيضاويّ ينتهي نسبه الشريف إلى محمد الجواد بن علي الزينبيّ بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وعلي الزينبيّ هو ابن زينب بنت فاطمة الزهراء – رضي الله عنها – بنت نبيّنا محمد ﷺ.

ثانياً: مولده:

ولد الشيخ العلامة النتيفيّ بقرية المقاديد بقبيلة هنتيفة سنة (١٣٠٣هـ).

ثالثاً: أسرته:

كانت أسرة المؤلِّف من أهل الدِّين والعبادة والصلاح، فكان والد الشيخ من الصلحاء العبَّاد، فحينما بلغ عمر ابنه أربع سنوات أدخله الكتاب القرآني، فحفظ الشيخ القرآن في صغره، ورزق بعدة أبناء كانوا من علماء عصرهم ومصرهم، وهم:

١- الشيخ العلامة أبو العباس أحمد بن عبدالرحمن بن محمد النتيفيّ الجعفريّ:

أخذ العلم عن والده، وامتاز بعلمه وأدبه وذكاءه ونبوغه وشعره، له مؤلفات عديدة منها: "الحكم بالسيف والنطع بعد الصفح على من أنكر أو كره الوضع والرفع"، و"نظم الشمائل"، وله ديوان شعر، تصدّر للتدريس والوعظ والإرشاد وهو صغير السن إلى أن أصيب بمرض قضى عليه.

---

(١) للمؤلِّف ترجمة مطوَّلة باسم "جواهر الحسان وقلائد العقيان في ترجمة الإمام العلامة الوالد أبي زيد الحاج عبدالرحمن"، لابنه الشيخ العلامة الفقيه حسن بن عبد الرحمن النتيفي، وهي مخطوطة في الخزانة المغربيّة بالرباط، وقد اختصرها وسماها: "مختصر ترجمة شيخ الإسلام – رحمه الله – أبي زيد الحاج عبد الرحمن النتيفي الجعفري"، وهي مطبوعة.

٢- الشيخ الفقيه الحاج حسن بن عبدالرحمن النتيفيّ الجعفريّ:

صاحب الترجمة، ولد سنة (١٣٣٧هـ) بفاس قرأ القرآن على الفقيه السيّد الماحي الحريزيّ، وتلقى دراسته الأوليّة على يد أخيه أحمد، وأكمل دراسته الثانوية والنهائية على يد الشيخ، فدرس وتعلم التوحيد، والفقه، والنحو، والعروض، والبيان المعاني، والأصول، والتفسير، والآداب، وغيرها من العلوم، وكان يقوم بالنيابة عن أبيه في إلقاء الدروس والإمامة في الجامع اليوسفي بالبيضاء، وله تلاميذ عديدين.

وألّف هذه الترجمة، و"تحفة الرسائل في أنواع من المسائل"، و"تنبيه أهل الغفلة من أهل الإيمان لبعض أخبار النبي ﷺ عن هذا الزمان"، وله ديوان شعر، ومؤلَّف عن "فلسفة التشريع الإسلامي"، توفي سنة (١٣٩٨هـ) رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته.

٣- الأستاذ محمد بن عبدالرحمن النتيفيّ الجعفريّ:

ولد سنة (١٣٥٠هـ) نال دراسته الابتدائية بمدرسة السنة - التي أسسها والده بالدار البيضاء عند وصوله لها - على بعض أساتذتها إلى أن حصل على الشهادة الابتدائية، فتتلمذ على يد أبيه وعلى يد أخيه، وصار يُدرس عليه في المسجد المحمدي، ويقرأ القرآن أمامه في أيام تفسير القرآن لحسن صوته، وله ذكاء بارع.

٤- الأستاذ عبدالغني بن عبدالرحمن النتيفيّ الجعفريّ:

نابغة، نال دراسته الابتدائية بمدرسة السنة على يد إخوته الحاج حسن والسيد محمد وبعض أساتذتها، وعمل بميدان التعليم كأستاذ، وعمل فترة بميدان المحاماة إلى أن توفاه الله إثر حادث سير سنة (١٩٦٨م).

٥- الأستاذ الأديب عبدالرحيم بن عبدالرحمن النتيفيّ الجعفريّ:

أخذ العلم عن والده وإخوته، وتلقى دراسته الابتدائية بمدرسة السنة، وأتم جزء

من دراسته بالقاهرة والرباط، كان مشهوراً بالكرم والعطف، وسعة دراسته ودرايته بفنون الآداب والثقافة العامة.

٦- الأستاذ عبدالواحد بن عبدالرحمن النتيفيّ الجعفريّ:

تتلمذ على يد والده بمدرسة "السنة"، وأخذ عن إخوته، كما نال بعض دراسته بسوريا، ويعمل بسلك المحاماة بسطات.

٧- الأستاذ عبدالله بن عبدالرحمن النتيفيّ الجعفريّ.

تتلمذ على يد والده وإخوته بمدرسة السنة، ثم بمدرسة الأزهر، انخرط في سلك القضاء سنة (١٩٦٨م)، وعمل قاضياً للبروج، والجديدة، وسطات، والجبهة، وسوق أربعاء الغرب، وورززات.

٨- الأستاذ مصطفى بن عبدالرحمن النتيفيّ الجعفريّ:

تتلمذ على يد إخوته بمدرسة السنة، ويعمل محامياً بالدار البيضاء.

رابعاً: وفاته -رحمه الله تعالى-:

توفي الشيخ ليلة الثلاثاء (٢٣) ذي القعدة سنة (١٣٨٥هـ)، الموافق (١٥) مارس (١٩٦٦م) بعد مرض عضال ألمَّ به دام سنوات، وقبل وفاته أوصى بعدم البناء على قبره، كما أوصى بعدم تأبينه[1]، قدس الله روحه وأسكننا وإياه الفردوس الأعلى من الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً[2].

---

(١) وهو الاجتماع لرثاء الميت، والثناء عليه. انظر: حكم السنة والكتاب (ص: ٢٤).

(٢) انظر لجميع ما تقدم في: "مختصر ترجمة العلامة النتيفي" (ص: ٦، ٢٠-٢٢، ٣٦)، "مجلة الفرقان" (العدد: ١٥/ص: ٢٢-٢٤)، و(العدد: ١٦/ص: ١٤).

المبحث الثالث: نشأته العلميّة:

نشأ الشيخ -رحمه الله تعالى- نشأةً علميّة صالحة مباركة، فلمَّا أكمل السنة الرابعة من عمره أدخله أبوه الكُتّاب، فحفظ القرآن الكريم، ثم مرّت بعائلته ظروف صعبة اضطرتها للرحيل لطلب الرزق والعيش عبر البلدان والقبائل، حتى استقر بهم المقام في مدينة سطات التي تابع فيها الشيخ حفظ القرآن الكريم بالروايات، فأتمّ بها قراءة الكسائي وحمزة، ثم صرف اهتمامه إلى طلب العلوم الشرعيّة واللغويّة.

فتتلمذ على الشيخ الفقيه سديد أبي شعيب البهلولي، الذي توسم فيه الخير ولاحظ فيه مخايل النجابة، وقوة الاستعداد للتلقي، فأولاه عناية كبرى، وتشجيعاً متميزاً، ولكن لم يمكث في سطات إلا ست سنوات، لأن الأوضاع في المغرب وقتئذٍ كانت شديدة الاضطراب في جُلّ المناطق تقريباً، وكان منطق النهب والتسيب هو السائد، فتوجه الشيخ شطر فاس لاستكمال الدراسة وطلب العلم، والتتلمذ على مشايخها الأفذاذ، وكان رفيق الشيخ في هذه الرحلة صديقه وتلميذه فيما بعد الشيخ الفقيه الحاج عبدالرحمن بن الدريوش، وقد حفت هذه الرحلة مخاطر جسيمة ما كانا ليسلما منها لولا عناية الله بهم ولطفه ورحمته، ولما وصلا إلى فاس سكنا بالمدرسة المصباحية المجاورة للقرويين، ولازما الجامع الأعظم.

وفي عام (١٣٢٥هـ) غادر الشيخ مدينة فاس ووجهته مراكش، ولكنه عرّج في طريقه على الدار البيضاء التي أقام فيها مدة عشرين يوماً، ثم واصل الشيخ رحلته العلميّة مولياً وجهه نحو سطات التي لم ينس أن يزور بها شيخه الفاضل أبا شعيب البهلولي الذي رحب به كثيراً واصطحبه معه إلى مدينة مراكش، وكان البهلولي في هذا الوقت مقرباً من السلطان المولى عبدالحفيظ يؤم به في الصلوات بمدينة مراكش، وأقام الشيخ بمراكش مدة تناهز العشرين يوماً أيضاً كان ملازماً فيها لشيخه البهلولي[1].

---

(١) انظر: "مختصر ترجمة العلامة التيفي" (ص: ٦-٩)، "مجلة الفرقان" " (العدد: ١٥/ص: ٢٣-٢٤).

بعد ذلك واصل الشيخ مسيره عائداً إلى فاس، وكان ذلك في أواسط شهر رجب المحرم عام (١٣٢٥هـ) إلا أن أحوال البلاد وقتها كان مضطرباً فغيّر الشيخ وجهته وثنى عنانه عن فاس ليسافر إلى بلاد زيَّان وصولاً لقبائل "آيت حموا عيسى" حيث شارطوا الشيخ على أن يعلم أبناءهم، وكان الشيخ على لعاعة من الزاد يسيرة، فقنع بها ورضيها لأن الهدف أسمى وهو تعليم الناس العقيدة، وانتشالهم من الخرافة والجهل، ولم يلبث القوم أن أدركوا منزلة الشيخ فأحبوه وأكرموه، وصار وجيهاً فيهم لا يقطعون أمراً دونه، فأقبل الشيخ على الدعوة ونشر العلم لا يضيِّع وقتاً ولا يفوِّت فرصة، وتناقل الناس في الأطلس المتوسط كله أخبار الشيخ ونبوغه ونبوغ تلامذته، فرغب الكثيرون في الأخذ عنه فكثر الوافدون عليه بقصد الطلب حتى ضاقت بهم المدرسة.

ولما ازدحمت المدرسة بالمقيمين والآفاقيين، أشار على الشيخ كبار الطلبة بالانتقال إلى مدينة خنيفرة لعله يجد سعة من المكان، وأعواناً على الخير، وأنصاراً للسنة، وبما أن خنيفرة هي عاصمة زايان ومحط رحالهم فإن الشيخ أنشأ بها مدرسة اتخذها منهلاً للعلم، وقاعدة حصينة للسنة.

ولما أحست معاقل الشعوذة والشرك بالخطر يدهمها من دروس الشيخ، شنّت عليه حرباً شعواء لا هواد فيها، وهيجت عليه السفلة والرعاع، وأذناب الاستعمار من كهنة الطرقيّة وسدنة الزوايا[1] ممن يأكلون أموال الناس بالباطل سحتاً باسم الدين، ويمهّدون

---

١) أصل السدانة : هو الخدمة والعناية بما يُسدن ، وكانت تستخدم في الكعبة ، فسدانتها : خدمتها وتولي أمرها وفتح بابها وإغلاقه ، وكانت لبني عبد الدار في الجاهلية فأقرها النبي صلى الله عليه وسلم لهم في الإسلام . انظر لسان العرب (٢٠٧/١٣)

وأما سَدَنة الزوايا : فهم خدَمَتها ، والزوايا : مكان خاص يتخذه المتصوفة ينزوون فيه مع مريديهم لتلقي أورادهم المحدثة ، وغالبا ما تكون الزاوية في مقبرة أو قريبا منها ، أو مدفون فيها صاحب الطريقة أو من تلقاها عنه ... وذلك لكونهم يعتقدون بالأموات من جلب المنافع ودفع المضار ... ما لا يعتقدون بالله سبحانه وتعالى عياذا بالله !

للاحتلال ويدعمون سلطانه، حتى كان الشيخ وطلابه لا يستطيعون الخروج إلا مسلحين خوفاً على أنفسهم من الدهماء ومن يستفزونهم، ولكنّ الله حمى الشيخ بنصره وبالمؤمنين من أتباعه، مما كان له الأثر الطيب في نشر السنة بتلك الربوع[١].

وبعد احتلال خنيفرة من قبل الفرنسيين والسطو عليها خرج الشيخ إلى قبائل "آيت حموا عيسى" يتابع دراسته وتدريسه تارة بين الشعاب، وتارة في الخيام، وتارة فوق ظهور الجياد، حتى عام (١٣٣٦هـ) غادر الشيخ خنيفرة إلى مدينة فاس فمكث فيها سنتين، وكان يقوم بالتدريس للقرويين إلى عام (١٣٣٩هـ) بعدها فارق فاس.

وفي عام (١٣٤٠هـ) وصل الشيخ إلى أبي الجعد فدرَّس بالجامع السليماني، ومكث بها مدة سنة تخرج على يده جماعات من أهل العلم.

وفي عام (١٣٤١هـ) قصد الشيخ الدار البيضاء فاستوطنها، واتخذ مدرسة بالمدينة القديمة قريباً من داره، وقصده أفواج الطلبة من أنحاء المغرب للقراءة عليه، والإقامة بمنزله وتحت نفقته، ثم انتقل إلى المدينة الجديدة بالبيضاء، وأنشأ مدرسة بها أطلق عليها اسم "مدرسة السنة" لتمييز منهجها ودروسها وتعليمها، فتخرَّج على يديه المئات من أهل العلم والفضل[٢].

---

(١) انظر: "مجلة الفرقان" " (العدد: ١٥/ ص: ٢٥-٢٦).

(٢) انظر: "مختصر ترجمة العلامة النتيفي" (ص: ٨).

المبحث الرابع: شيوخه وتلاميذه:

أولاً: شيوخه:

دَرَسَ وتتلمذ الشيخ وطلب العلم على عدد كثير من علماء عصره ومصره الذين كان لهم الأثر البالغ الواضح في حياة الشيخ وعلمه ونبوغه، فمنهم على سبيل الإيجاز:

١- الفقيه الشيخ سديد أبو شعيب البهلوليّ.

٢- الشيخ السيّد الفاطمي الشرادي.

٣- الشيخ السيّد محمد التهامي كنّون.

٤- الشيخ محمد بن جعفر الكتاني.

٥- الشيخ أبي عبدالله محمد بن أحمد بن الحاج السلمي.

٦- الشيخ أبو العباس أحمد بن الخيّاط.

٧- الشيخ أبو شعيب الدكالي.

٨- الشيخ أبو محمد عبدالله الفضيلي الفاسي.

٩- الشيخ أبو محمد عبدالكبير الكتاني.

١٠- الشيخ علي الدمناتيّ.

١١- الشيخ القاضي عبدالسلام السرغينيّ[1].

---

(١) انظر: "مختصر ترجمة العلامة النتيفي" (ص: ٦، ٩-١٠).

ثانياً: تلاميذه:

تخرج من مدرسة الشيخ المباركة السُّنيّة السلفيّة عدد لا يُحصى من طلبة العلم، والدعاة إلى الله، والعلماء العاملين، وقد أرسى الشيخ – رحمه الله تعالى – على يديه دعائم العقيدة الصحيحة الصافية من منهلها الرويّ في قلوب طلابه ومحبيه، فمنهم على سبيل الإيجاز:

١– ابنه الشيخ العلامة أبو العباس أحمد بن عبدالرحمن بن محمد النتيفيّ الجعفريّ.

٢– ابنه الفقيه الشيخ الحاج حسن بن عبدالرحمن بن محمد النتيفيّ الجعفريّ. (صاحب الترجمة).

٣– الشيخ الحاج عبّاس التادليّ.

٤– العلامة المؤرخ الشيخ محمد العبديّ الكانونيّ.

٥– العلامة القاضي أبو العباس أحمد بن قاسم المنصوريّ.

٦– الشيخ الفقيه الحاج علال التادليّ.

٧– الشيخ الفقيه السيّد محمد بن ناصر الزيانيّ.

٨– أخو الشيخ الفقيه السيّد الجيلاني بن محمد النتيفيّ الجعفريّ.

٩– أخو الشيخ العلامة قاضي مراكش جعفر بن محمد النتيفيّ الجعفريّ.

١٠– أخو الشيخ الفقيه الأديب القاضي محمد بن محمد النتيفيّ الجعفريّ.

١١– الشيخ الفقيه محمد بن علي بن حمّاد حمدال الروادنيّ. (ناسخ المخطوط).

١٢– الشيخ السيّد محمد العتابيّ.

١٣– الشيخ السيّد عبدالمالك الشرقاويّ.

١٤– الشيخ الفقيه محمد السمونيّ.

١٥– الشيخ الفقيه الجنيد.

١٦– الشيخ الفقيه بويعزي الرواضيّ.

١٧– الشيخ الحاج صالح التادليّ.

١٨– العلامة الشيخ القاضي السيّد هاشم المعروفيّ.

١٩– الشيخ القاضي محمد بن سعيد الزيانيّ.

٢٠– الشيخ الزعيم محمد بن عبود التطوانيّ.

٢١– الشيخ الشاعر الأديب محمد بن عبدالقادر الدكاليّ.

٢٢– الشيخ الفقيه المكي السرغينيّ.

٢٣– الشيخ الفقيه محمد الضربانيّ.

٢٤– الشيخ الفقيه المدني الحمراويّ.

٢٥– الشيخ الأديب السيّد عبدالرحمن العياشيّ.

٢٦– الشيخ الفقيه محمد حجي.

٢٧– الشيخ الفقيه عابد السوسيّ.

٢٨– الشيخ الفقيه محمد الزيراويّ.

٢٩– الشيخ الفقيه محمد بن قانية.

٣٠– الشيخ الفقيه محمد السمعليّ.

٣١– الشيخ الفقيه صالح التادليّ.

٣٢– الشيخ الفقيه أحمد السعيديّ.

٣٣– الشيخ الفقيه محمد الشاتيّ.

٣٤– الشيخ الفقيه الحاج بو بكر الحريزيّ.

٣٥– الشيخ الفقيه السيّد بلقزيز عبد الجليل المراكشيّ.

٣٦– الشيخ الفقيه الحاج عبدالرحمن الدريوش[1].

---

(١) انظر: "مختصر ترجمة العلامة النتيفي" (ص: ١٢–٢٠).

المبحث الخامس: عقيدته ومذهبه الفقهي:

للشيخ باع طويل في العلم، فكان متضلعاً منه، وحافظاً لحديث رسول الله ﷺ، ودرس على مشايخ كثر، ورحل إلى الحجاز فأفاد واستفاد، ومنَّ الله عليه ووفقه لسلوك منهج السلف الصالح في العقيدة فعض عليه بالنواجذ، ودعى إليه الناس، وحارب أهل البدع والزيع، والمنكرات والمحدثات أشد المحاربة، وألّف في ذلك كُتباً عدة، وهذا المخطوط الذي بين أيدينا "أصفى الموارد في الردِّ على غلو المطريِّين لرسول الله ﷺ وأهل الموالد" من ذلك النتاج العلميّ السَّلفيّ، وخير شاهد على معتقد الشيخ، وسلامة عقيدته ونقائها وصفائها من شوائب البدع والضلال، فقد أصّل الشيخ -رحمه الله تعالى- في هذا الكتاب عقيدة السلف الصالح في الأسماء والصفات، وفي الأنبياء والأولياء والصالحين، وحذّر من البدع والمنكرات والضلالات التي ما أنزل الله بها من سلطان، وبيّن وجه الحق في الموالد النبويّة والرقص والهزّ، والاحتفالات المنسوبة للدين كذباً وزوراً، كليلة الإسراء والمعراج، والنصف من شعبان، وغيرها، كلّ ذلك بالدليل والبرهان والحجة الدّامغة، كما سيأتي معنا ذلك ويتضح جليًّا أثناء التحقيق -إن شاء الله تبارك وتعالى- وإليك نماذج من عقيدته:

١- قال في معرض ردّه على أهل البدع: (فإذا أفتى علماء الإسلام من السلف والخلف كعمر، وابن مسعود - رضي الله عنهم - ومالك، وأشهب، وابن نافع، والحارث بن مسكين، ... وعياض، وابن عرفة، والشاطبي، وابن القيم، وابن عقيل الحنبلي، ... وغير من ذكرنا ممن تركنا ذكرهم دفعاً للتطويل أو لم نقف على ما قالوا ككثير من علماء المذاهب، وبالخاصة الحنابلة، والمالكية، فبأي حديث يؤمن المنصف، وبأي فتوى يقنع المتعسّف)[١].

٢- وقال: (يؤخذ منه أن هذا القول هو الحق، وهو الظاهر للدلائل الآتية عنه، ولأنه من أقدم أهل العلم، وأبرزهم في هذا الشأن، وأعلمهم بما يقول السلف، وما أصح علم من تقدّم)[٢].

(١) انظر: "حكم السنة والكتاب" (ص: ٤٨).

(٢) انظر: النص المحقق (ص: ٦٨).

٣- وقال: (إن كان يريد بالجمهور جمهور المتصوفة، أو هم والدّهماء فلا حجة في فعلهم وقولهم، وقد عارضهم السلف وجمهور الخلف من أعلم الأمة والمجتهدين، وناهيك بابن الجوزيّ، والقرطبيّ، والمزنيّ، وابن الحاج، وابن القيم وأضرابهم، فكل أنكر ذلك الرقص، وذلك السماع بما لا مزيد عليه من البيان والوضوح، وبيّنوا مفاسده، وأنه لا يماثل ما سمعه رسول الله من الغناء، ولا ما أباحه منه في الأعراس، ومثلها من ضرب الدُّفّ، وبعض الغناء، ولولا خيفة التطويل لكتبنا نصوصهم التي لا يرتاب فيها مرتاب من أنها الحق والصواب)(١).

وأصيب الشيخ بفقد بصره، ولكنّ الله عوضه بنور بصيرته، وذكائه الخارق، وقوة حفظه، فكانت تسرد عليه مئات الأحاديث بأسانيدها فيحفظها عن ظهر قلب ويسردها، وكان مذهبه في الفقه الاجتهاد في موافقة النص الشرعيّ دون تعصب لرأي أو مذهب، ولم يكن الشيخ من المقلدة الجهلة، فقد جمع بين فنون العلم من عقيدة، وتفسير، وحديث، وفقه، ولغة، مما جعله في مصاف المجتهدين، وكان يدور مع الدليل حيث دار ولا يفتي إلا بالراجح، وفي دروسه الفقهية يبحث مع الفقهاء الأكابر، وفي التفسير يعرض آراء المفسرين ويصوب الصواب، ويعترض غيره، داوم طيلة خمس عشرة سنة يفسر آيات القرآن الكريم، وكذلك شأنه في كل علم منقول ومعقول.

وأمّا الجدال والمناظرة فهو من أربابها، ناقش وجادل وناظر وأفحم علماء وفقهاء مغاربة، وأربيون أذعنوا لعلمه، وسلَّموا لرأيه ورشده(٢).

---

(١) انظر: النص المحقق (ص: ٢٦٩-٢٧٠).

(٢) انظر: "مختصر ترجمة العلامة النتيفي" (ص: ٨-٩).

المبحث السادس: مكانته العلميّة:

لقد منّ الله تعالى على الشيخ العلامة الربّانيّ عبدالرحمن النتيفيّ بالعلم الواسع، والاعتقاد الحسن، والتدين العميق، حتى نال إعجاب العلماء المعاصرين له، ومن أتى بعدهم، فلا تجد إلا الثناء العاطر الماطر بالطيب والخير عليه.

فممن أثنى عليه ثناءً جميلاً حسناً شيخه العلامة أحمد بن الخيّاط فقال: (أجزت الفقيه الأجل المدرس المحقق النفاعة المبارك الأمثل سيدي عبدالرحمن بن محمد النتيفيّ فيما يجوز لي وعني روايته، وتنسب إليّ درايته من منقول ومعقول وفروع وأصول إجازة تامة شاملة مطلقة عامة).

وأثنى عليه شيخه العلامة القاضي شعيب الدكاليّ حافظ وقته، ووزير العدليّة سابقاً فقال: (قد استجازني أخونا في الله الألمعي الذكي الحافظ اللودعي الفقيه السيّد عبدالرحمن ابن محمد النتيفيّ في كل ما يجوز عني روايته من معقول ومنقول وفروع وأصول).

وكان الشيخ شعيب يذكر الشيخ النتيفيّ في مجامعه بالعلم والفضل وصرّح مراراً بأنه ياقوتة فريدة، وقال لحاجبه: (لا تحجب عني الحاج عبدالرحمن مهما جاء يستأذن ليلاً أو نهاراً).

وأثنى عليه شيخه العلامة القاضي علي الدمناتيّ فقال: (استجازني الفقيه العلامة النجيب الذي بزغ بين أقرانه، فهم وحفظ عجيب أبا زيد سيدي عبدالرحمن بن محمد النتيفيّ).

وقد أثنى عليه الكثير من العلماء، ومن التلاميذ، وإنما أوردت أسماء هؤلاء العلماء اختصاراً لبيان علمه وفضله ومكانته المتينة العلميّة التي كان عليها، وإلا فعلمه وتأليفه هما أعظم حجة على وفور علمه وذكائه ونبله وفضله ومكانته[1].

---

(١) انظر: "مختصر ترجمة العلامة النتيفي" (ص: ٩–١٠).

المبحث السابع: مؤلفاته:

ألّف الشيخ - رحمه الله تعالى - ما يزيد على السبعين كتاباً فيها الرد على المبتدعة وأهل الضلال والملاحدة، فقد سخّر جُلّ وقته في ذلك، كما أن فيها أبحاثاً فقهيّة وعلميّة لم يسعدها الحظ حتى الآن لكي تطبع وتنشر، وإليك ما وقفت عليه من أسماءها :

١- الحكم المشهور في طهارة العطور، وطهوريّة الماء المخلوط بالملح المسمّى بالكافور.

٢- الاختصار في جواز الشكوى والانتصار.

٣- حل إبرام النقض في الرد على من طعن بالمحلول أو سنة القبض.

٤- الاستفاضة في أن النبي ﷺ لا يرى بعد وفاته يقظة.

٥- تنبيه الرجال في نفي القطب والغوث والابدال.

٦- لطف الله مع هبته في الرد على قاضي أمزاب وشنيعته.

٧- اللمعة في أن كل مكان تصلى فيه الجمعة.

٨- الالمام في ردّ ما الحقه مبتدعة زايان من العار بالامام.

٩- الذكر الملحوظ في نفي رؤية اللوح المحفوظ.

١٠- الارشاد والسداد في فضل ليلة القدر على ليلة الميلاد.

١١- توشيح تزيين الارائك في إرسال النبي ﷺ للملائك.

١٢- القول الفائز في نفي التهليل وراء الجنائز.

١٣- القول المعلوم في إباحة النظر في النجوم.

١٤- كشف الخدر في ما وقع من الهرج في زكاة الفطر.

١٥- التهاني في أجوبة الفقيه العثماني.

١٦- السيف المسلول في الرد على من حكم بتضليل من ترك السيادة في صلاة الرسول ﷺ.

١٧- المستغنم في بقاء الجنة وفناء جهنم.

١٨- المستغنم في رفع الجناح على المستخدم.

١٩- الاعلام في الرد على من حقر بعض شعائر الإسلام.

٢٠- المختار عند الاعلام في الحكم على السيكرو بالحرام.

٢١- الأجوبة الشافية على الأسئلة العباسيّة.

٢٢- القول الصائب في جواز طلب الجماعة بعد الراتب.

٢٣- القول الجلي في الرد على من قال بتطور الولي.

٢٤- المسائل البديعة في البحث مع أهل الهيئة والطبيعة.

٢٥- الأبحاث البيضاء مع الشيخين عبده ورشيد رضا.

٢٦- حكم السنة والكتاب في وجوب هدم الزوايا والقباب.

٢٧- نظر الأكياس في الرد على جهمية البيضاء وفاس.

٢٨- الدرة الوهاجة في نفي صحبة بني أدغوغ ورجراجة وصنهاجة.

٢٩- الفائدة المسموعة في لزوم الواحدة في الثلاث المجموعة.

٣٠- شفاء الصدور في أن الشمس سائرة والأرض ساكنة لا تدور.

٣١- الإرشاد والسداد في رخصة الإفطار للدراس والحصاد.

٣٢- العور والقذى في عين من رخص الإفطار ولو بقليل من الأذى.

٣٣- إظهار الحق والانتصار في البحث مع صاحب توجيه الأنظار لتوحيد المسلمين في الصوم والمفطار.

٣٤- مدلول السنة في السلام عليكم ورحمة الله.

٣٥- الميزان العزيز في البحث مع أهل الديوان المذكور في كتاب الإبريز للشيخ الدّباغ عبدالعزيز.

٣٦- النصر والتمكين في وجوب الدفاع عن فلسطين.

٣٧- الفضل والمنة بالبحث في حديث "لن يُدخل أحدكم عمله الجنة".

٣٨- التقاييد المحتملة في بيان الدلائل المجملة.

٣٩- خير المتاع في بيان أخطاء فقيه بني السباع.

٤٠- كشف النقاب في الرد على من خصص أزواج النبي ﷺ بآية الحجاب.

٤١- سيف النكال والزجر، في الرد على من قال: لكي لا تحرثوا في البحر.

٤٢- إرشاد الحيارى في تحريم زي النصارى.

٤٣- الإرشاد والتبيين في البحث مع شراح المرشد المعين.

٤٤- الأبحاث البينات فيما قاله عبده ورشيد رضا في تعدد الزوجات.

٤٥- رد طعن الطاعنين في سحر اليهود لسيد المرسلين.

٤٦- العارفون والأبرار يعبدون الله طمعاً في الجنة وخوفاً من النار.

٤٧- بحث الحق وأهله مع صاحب الحكم وشيعته.

٤٨- مناهج الرجال في الرد على الشيخ رحّال.

٤٩- التبشير بالجنة لا يختص بالعشرة.

٥٠- المثاني والمثالث في مناقشة صاحب الخطبة وما فيها من مباحث.

٥١- فهرسته التي تشتمل على أسانيده ومروياته وإجازة العلماء له.

٥٢- تحفة الرسائل في أنواع من المسائل.

٥٣- أوثق العرى في الأحكام المتعلقة بالشورى.

٥٤- تحفة الأصحاب.

٥٥- كتاب التذكرة في جواب النكرة.

٥٦- الرسالة الشاقة في قمع شنقيط آية واقة.

٥٧- تحفة الأماني في الرد على أصحاب التجاني.

(وهذه المؤلفات الثلاثة أعلاه من (٥٥ - ٥٧) فقدت وضاعت في زمن الشيخ بالأطلس المتوسط).

٥٨- القول المؤيد في أن التيمم يرفع الحدث الرفع المقيد.

٥٩- إيقاض الهمم في أن عهود المشايخ لا تلزم.

٦٠- تكملة كشف الصدور.

٦١- البراهين البينات في أن الأنساب ظنيات لا قطعيات.

٦٢- حكم السنة والكتاب في طعام أهل الكتاب.

٦٣- البراهين العلميّة في ما في الصلاة المشيشية.

٦٤- القول الفائز في التحليل الجائز.

٦٥- أصفى الموارد في الرد على غلو المطريّين لرسول الله ﷺ وأهل الموالد. (الكتاب الذي بين أيدينا).

٦٦- كتاب الزهرة في الرد على غلو البردة.

٦٧- الحجج العلميّة في رد غلو الهمزيّة.

٦٨- أحسن ما تنظر إليه الأبصار وتصغي إليه الأسماع في نقد ما اشتمل عليه ممتع الأسماع في الجزولي وأصحابه والتباع.

٦٩- الدلائل البينات في البحث في دلائل الخيرات وشرحه مطالع المسرات.

٧٠- الحياة والقوت فيما هو الحق في تمني الموت[1].

هذا ما وقفت عليه من أسماء مؤلفات الشيخ - رحمه الله تعالى - وجميع هذه المؤلفات لم يُطبع منها إلا القليل، فمنها ما هو موجود عند ورثة الشيخ وطلابه، ومنها ما هو في الخزانة المغربيّة بالرباط، ومنها ما هو في حكم المفقود. والله أعلم.

(١) انظر لجميع مؤلفات الشيخ: "مختصر ترجمة العلامة النتيفي" (ص: ٢٤-٣٦).

الفصل الثاني: دراسة الكتاب

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: اسم الكتاب وتوثيق نسبته للمؤلِّف

المبحث الثاني: موضوع الكتاب وسبب تأليفه

المبحث الثالث: مصادر الكتاب

المبحث الرابع: منهج المؤلِّف في الكتاب

المبحث الخامس: قيمة الكتاب العلمية

المبحث السادس: المآخذ على الكتاب

المبحث السابع: وصف النسخة الخطية للكتاب، ونماذج منها

المبحث الأول: اسم الكتاب وتوثيق نسبته للمؤلِّف:

لا مجال للتشكيك في نسبة كتاب "أصفى الموارد في الرد على غلوّ المطريِّين لرسول الله ﷺ وأهل الموالد" للمؤلِّف العلامة أبي زيد عبدالرحمن النتيفيّ، فقد نص على اسمه ضمن الكتاب، فقال في عنوان الكتاب في أوّل صفحة منه: (أصفى الموارد في الرد على غلو المطريِّين لرسول الله ﷺ وأهل الموالد)، وقال أيضاً في آخر الكتاب: (تمّ كتاب "أصفى الموارد في الرد على غلو المطريِّين لرسول الله ﷺ وأهل الموالد"، في أوائل سنة (١٣٨٠هـ).

وقد أثبت نسبته للمؤلِّف كل من ترجم له وعدَّه من مؤلفاته، وعلى رأسهم ابنه الشيخ العلامة الفقيه حسن بن عبد الرحمن النتيفيّ، ذكره من مؤلفات الشيخ وكتبه، والشيخ محمد زحل المغربيّ، في ترجمته للعلامة النتيفيّ ذكره ضمن مؤلفاته.

المبحث الثاني: موضوع الكتاب، وسبب تأليفه:

موضوع الكتاب:

يبحث المؤلِّف في الكتاب المسائل الاعتقادية على منهج أهل السنة والجماعة، وهو ما عرف "بمنهج السلف الصالح في العقيدة" ويبيّن الحق في ذلك، ويردّ على أهل البدع والزيغ والضلال والغلو والموالد والاحتفالات والتصوّف فيما أحدثوه وابتدعوه في الدين بغير علم ولا هدىً من الله ولا سلطان منير.

يقول المؤلف: (. . . قد ألّفنا كتباً في ذم تلك البدع، وفي مسائل من العلم على قدر الطاقة ... فشرعنا في هذا الكتاب، طالبين من الله القبول منه، والعون منه على التمام، مفصّلينه فصولاً يرتبط بعضها ببعض في الجملة . . .)[1].

١) ورد في بعض التراجم التي نُشرت عن الشيخ تسمية الكتاب بـ "أصفى الموارد في الرد على غلو المطربين لرسول الله ▪ وأهل الموالد"، وبعضها: "أصفى الموارد في الرد على غلو المطربين المادحين لرسول الله ▪ وأهل الموالد"، وبعضها: "أصفى الموارد في الرد على غلو المطريّين لرسول الله ▪ وأهل المواليد"

وهو خطأ، والصواب ما أثبته كما في النسخة الخطيّة للكتاب، وقد نبّه على ذلك أيضاً د. حميد العقرة في تحقيقه لكتاب "حكم السنة والكتاب" (ص: ١٩).

سبب تأليف الكتاب:

ذكر المؤلف في المقدمة عدة أسباب لتأليف الكتاب وهي:

١- كثرة البدع وفشوها وانتشارها بين بلدان العالم الإسلامي.

٢- كثرة الفرق والطوائف والأوراد والصلوات المحدثات على رسول الله ﷺ.

٣- اتباع الناس سنن من كان قبلهم، وترك شرائع الإسلام.

٤- موت أهل العلم وقلتهم، وعدم سماع الناس للحق منهم، والزهد في أقوالهم.

٥- إعراض الناس عن اتباع عقيدة السلف الصالح، وانتقاصهم لأهل السنة.

٦- الغلو في مسائل الدين خاصة في حق الرسول ﷺ حتى أوصل بعضهم لدركة الشرك بالله.

٧- الغلو في الأولياء والصالحين ورفعهم فوق منزلتهم حتى أوصل بعضهم لصرف بعض الأمور التي لا تكون إلا لله لهم من دون الله.

المبحث الثالث: مصادر الكتاب:

اعتمد المؤلف – رحمه الله تعالى – في كتابه على مجموعة من مصادر العلماء المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين له، والتي بعضها ليس موجوداً اليوم فهو في حكم المفقود، لا سيما وبحثه في أمر مُحدث كالموالد والاحتفالات وغيرها، فقد اعتمد بعد القرآن الكريم، على بعض كتب التفسير كتفسير ابن كثير، وعلى الكتب الستة الحديثيّة، وعلى "العقيدة الطحاويّة"، و"الملل والنحل" لابن حزم، و"الشمائل المحمديّة" للترمذيّ، و"دلائل النبوة" للبيهقيّ، و"دلائل النبوة" لأبي نعيم الأصبهانيّ، و"المواهب اللدنيّة" للقسطلانيّ، وشرحها للزرقانيّ، و"الخصائص الكبرى" للسيوطيّ، و"الرسائل الكبرى" لمحمد بن عبّاد الرنديّ الفاسيّ، كما اعتمد على بعض الكتب المؤلَّفة في التاريخ وسيرة النبي ﷺ وشمائله، ومولده الشريف، ككتاب "مرآة الزمان في تاريخ الأعيان" لسبط ابن الجوزيّ، و"عرف التعريف بالمولد الشريف" لابن الجزريّ، و"حسن المقصد في عمل المولد" للسيوطيّ، و"الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ" للقاضي عياض، و"السيرة الحلبيّة" لبرهان الدِّين الحلبيّ، و"السيرة الشاميّة" لمحمد بن يوسف الصالحيّ الشاميّ، و"القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع" للسخاويّ، كما اعتمد أيضاً على كتب القوم الصوفية في النقل عنهم، والرد عليهم، لا سيما الكتب المؤلَّفة في الموالد وأحكامها، ككتاب "المولد النبويّ" للحجوجيّ، و"المولد النبويّ" لبنِّيس، و"اليمن والاسعاد بمولد خير العباد" لمحمد بن جعفر الكتانيّ، و"الإبريز من كلام سيدي عبدالعزيز" لأحمد بن المبارك السجلماسيّ المالكيّ، وغيرها من المصادر التي اعتمد عليها المؤلِّف.

المبحث الرابع: منهج المؤلِّف في الكتاب:

أشار المؤلف – رحمه الله تعالى – في مقدمة كتابه على شيء من منهجه فقال: (مفصّلينه فصولاً يرتبط بعضها ببعض في الجملة)، ولم يزد على هذا.

ومن خلال تحقيقي للكتاب واستقرائي لموضوعه تبيّن لي أن منهج المؤلِّف الذي اتبعه في كتابه على النحو الآتي:

١- فصّل الكتاب لفصول عديدة يرتبط بعضها ببعض حسب مواضيعها.

٢- يسرد النقل الذي يريد الرد عليه سرداً كاملاً من مصدره، ويحيل إليه.

٣- بعد سرده للنص يقوم بالرد عليه ردّاً مفصلاً.

٤- يقوم أحياناً بالرد على المخالفين من الصوفية ونحوهم من الفرق المبتدعة بضرب كلام بعضهم ببعض ومخالفتهم له واختلافهم فيه.

٥- اعتنى كثيراً بالرد على القائلين بجواز المولد النبويّ وما يتعلق بذلك، فأكثر فيه الفصول وكررها.

٦- كما اعتنى بالرد على الغالين في حق الرسول ﷺ وما يتعلق به من مسائل.

٧- استوعب في كتابه جميع المباحث العقديّة المتعلقة بغلو الصوفية في حق النبي ﷺ وإحياء الموالد والليالي المبتدعة.

٨- يعتني في بعض المباحث والردود بمعاني اللغة العربيّة وتصاريفها.

المبحث الخامس: قيمة الكتاب العلمية:

يُعَدّ الكتاب من أفضل الكتب المؤلفة في بابه لبيان عقيدة السلف الصالح في الغلوّ والموالد والاحتفالات البدعيّة لا سيما في الوقت الحاضر والمعاصر، الذي كثرت فيه مثل هذه الأمور المحدثة المبتدعة، وفشت بين الناس حتى اعتقد بعضهم سُنِّيَّتها وورودها عن النبي ﷺ وأصحابه الكرام، كما أن مؤلِّفه عاصر تلك البدع وعرفها، وردّ عليها في عقر دارها، وحذّر منها، كما حاز المؤلِّف ثقة العلماء المعاصرين له، وإعجابهم بعلمه، وحفظه، وورعه، وصدقه، وإخلاصه، كما تقدّم معنا في ذكر ثناء العلماء عليه، مما جعل لكتبه قيمة علميّة رفيعة.

المبحث السادس: المآخذ على الكتاب:

ليس لمثلي أن ينتقد كتاب إمام ربّانيّ عظيم القدر، وجهبذ جليل، كالعلامة أبي زيد عبد الرحمن بن محمد النتيفيّ - رحمه الله تعالى - فالكتاب عظيم القدر، كثير الفائدة، وليس هناك شيء يذكر اللهم إلا في مواضع قليلة مثل تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾[1] قال: ينبغي أن تُقرأ بالرفع يُقال: (علمه)، ففسر المجيء هنا لله تعالى بعلمه، وقد نبهت عليه في موضعه في التحقيق[2] من أنّ صفة الإتيان ثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة على الوجه الذي يليق بجلاله وكماله ﷾ من غير تشبيه ولا تأويل ولا تحريف ولا تعطيل، فالمعصوم من عصم الله، ولله تعالى وحده الكمال المطلق، وما عدا ذلك فآراء، وترجيحات، واختيارات المؤلِّف لا غضاضة فيها، وهناك بعض المآخذ منصبّة على الناحية الشكلية في الكتاب فحسب، منها:

١- تكرار البحث والكلام عن موضوع واحد في أماكن متعددة، وخاصة مبحث "المولد النبويّ" فقد كرره كثيراً.

٢- لا يُخَرِّج المؤلِّف الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب إلا نادراً خاصة تلك التي ينقلها عن الصوفيّة.

٣- أورد المؤلِّف أحاديث شديدة الضعف، بل موضوعة مكذوبة، ولم يشر إلى ضعفها ووضعها، وهي بالنسبة للكتاب قليلة جداً.

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢١٠).

(٢) انظر: النص المحقق (ص: ٦٩).

المبحث السابع: وصف النسخة الخطيّة للكتاب، ونماذج منها:

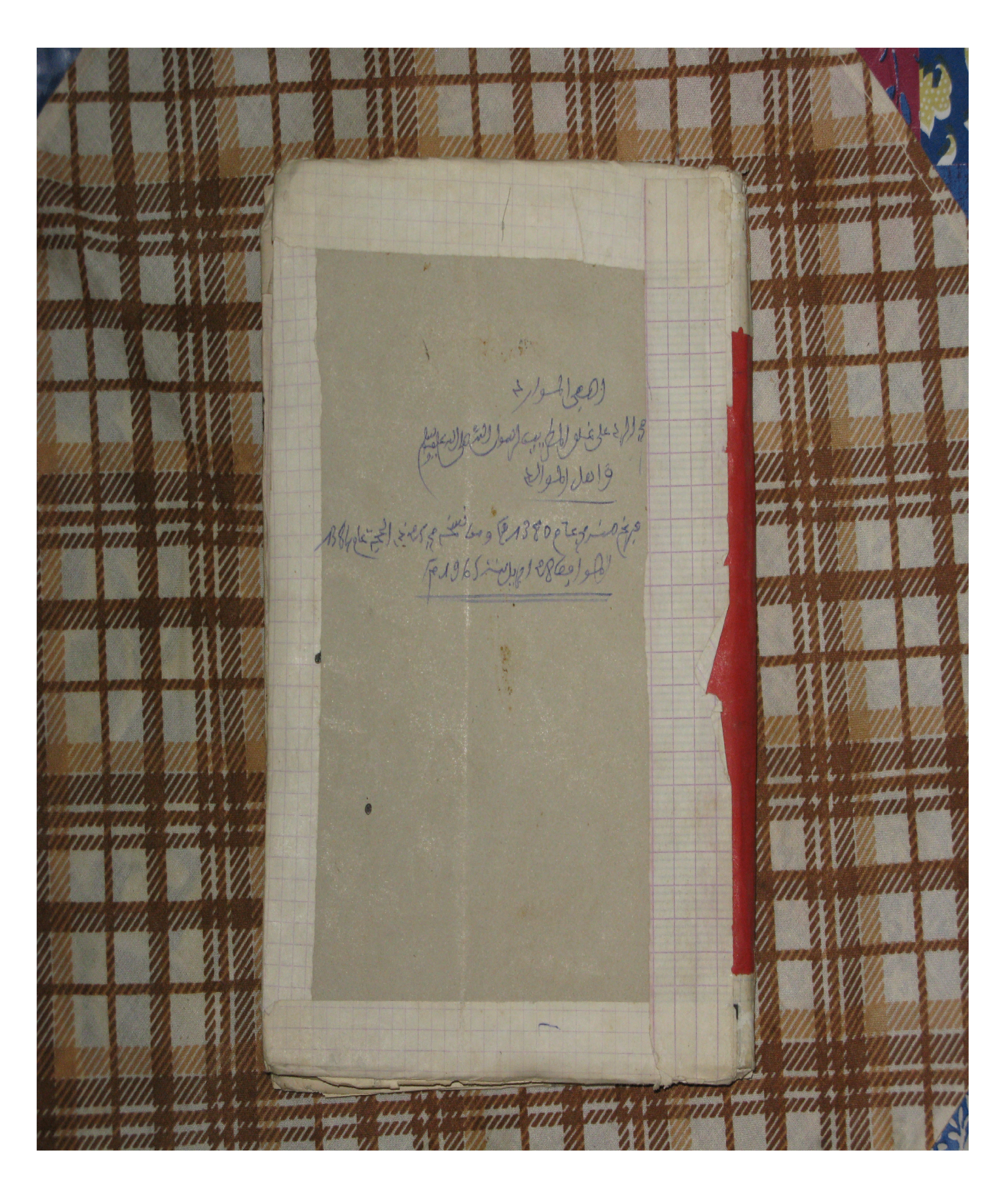
اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة على نسخة مخطوطة فريدة ونادرة للكتاب كُتِبَت في حياة المؤلف بخط تلميذه الشيخ الفقيه أبي عبدالله محمد بن علي الروداني المتوفى سنة (١٤٢٥هـ) – رحمه الله – بالدار البيضاء[1]، وهي في خزانته بالمغرب، عن النسخة الأصل التي بخط ابن الشيخ العلامة الفقيه حسن بن عبدالرحمن النتيفيّ – رحمه الله – والتي فرغ منها في أوائل سنة (١٣٨٠هـ) كما هو مبين في أوّل وآخر المخطوط، ولا يُعلم عنها ولا عن مكانها شيئاً، وهي في حكم المفقود، وتاريخ نسخ هذا المخطوط الذي بين أيدينا هو عشية يوم الأربعاء، الخامس والعشرين من ذي الحجة عام (١٣٨٤هـ)، الموافق للثامن والعشرين من أبريل سنة (١٩٦٥م)، حسبما هو مبين في أوّل وآخر المخطوط أيضاً، وهو في (٩٧) لوحة، وعدد الأسطر في بعض الألواح (٢١)، وبعضها (٢٣)، وبعضها (٢٧)، وعدد متوسط الكلمات في السطر الواحد هو (١٣) كلمة، ومبيَّن ومكتوب في آخر كل لوحة كلمة تدل على الكلمة التي بعدها في أوّل اللوحة التي تليها، وكُتبت بالخط المغربيّ بخطٍ مقروء وواضح.

وأمّا بالنسبة لنسخ الكتاب الأُخرى، فلا أعلم للكتاب نُسَخَاً خطيّة أُخرى غير التي بأيدينا، والله تعالى أجل وأعلم.

---

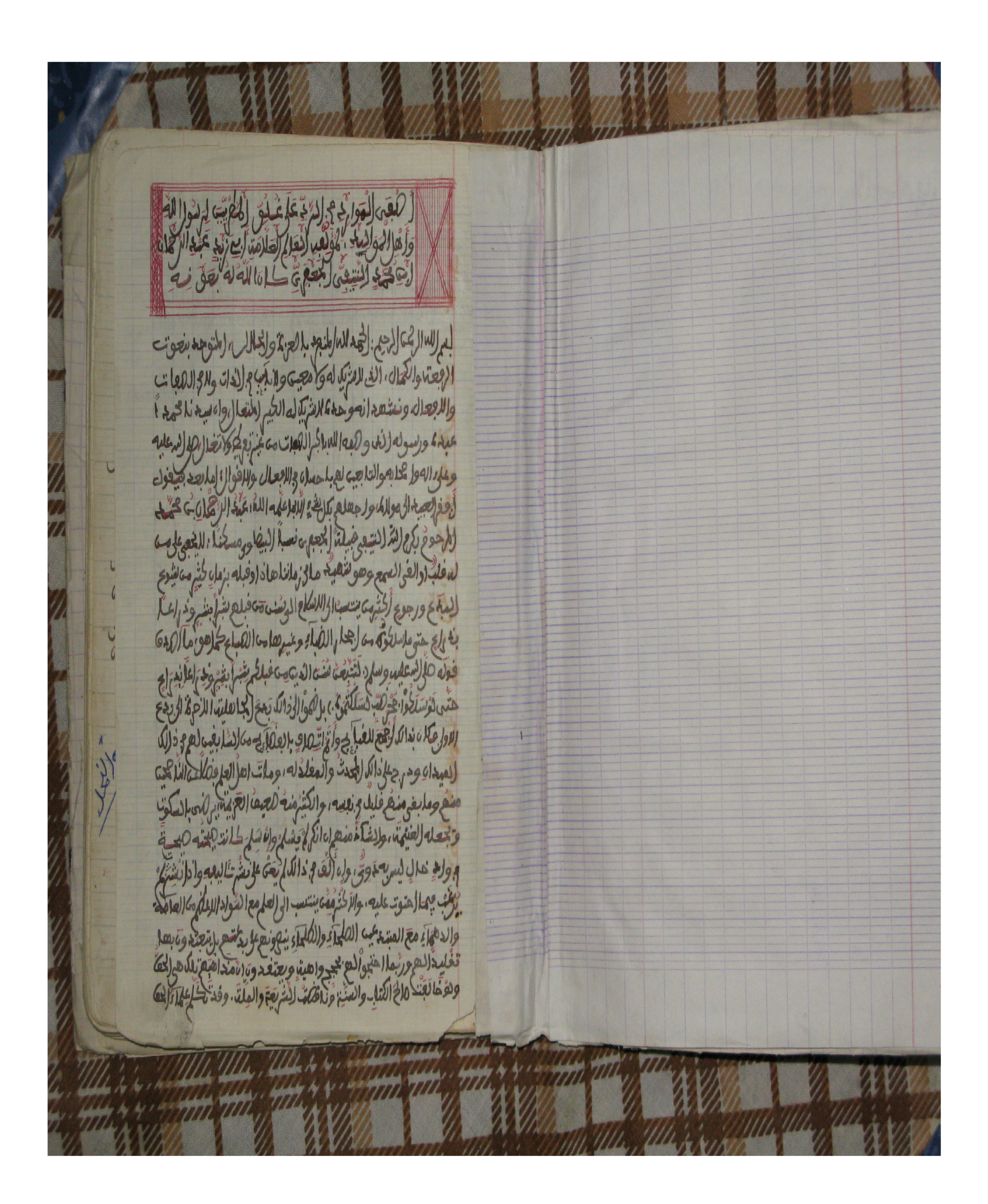
(١) هو الشيخ الفقيه أبو عبدالله محمد بن علي بن حمّاد حمدال الروداني، من تلاميذ المؤلِّف، رحل إليه ولازمه في الدار البيضاء، وعكف على نَسْخِ مؤلفات الشيخ وكتبه، وكان ورَّاقاً ماهراً، كتب (٥٥) مؤلفاً للعلامة النتيفيّ بخط يده، توفي سنة (١٤٢٥هـ) بالمغرب، وكان إذا أعجبه كتاب وكان نادر الوجود نسخه بيده. انظر: حكم السنة والكتاب (ص: ٢٥).

نماذج من المخطوط



اصفى الموارد
في الرد على غلو المطريين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
واهل الموالد

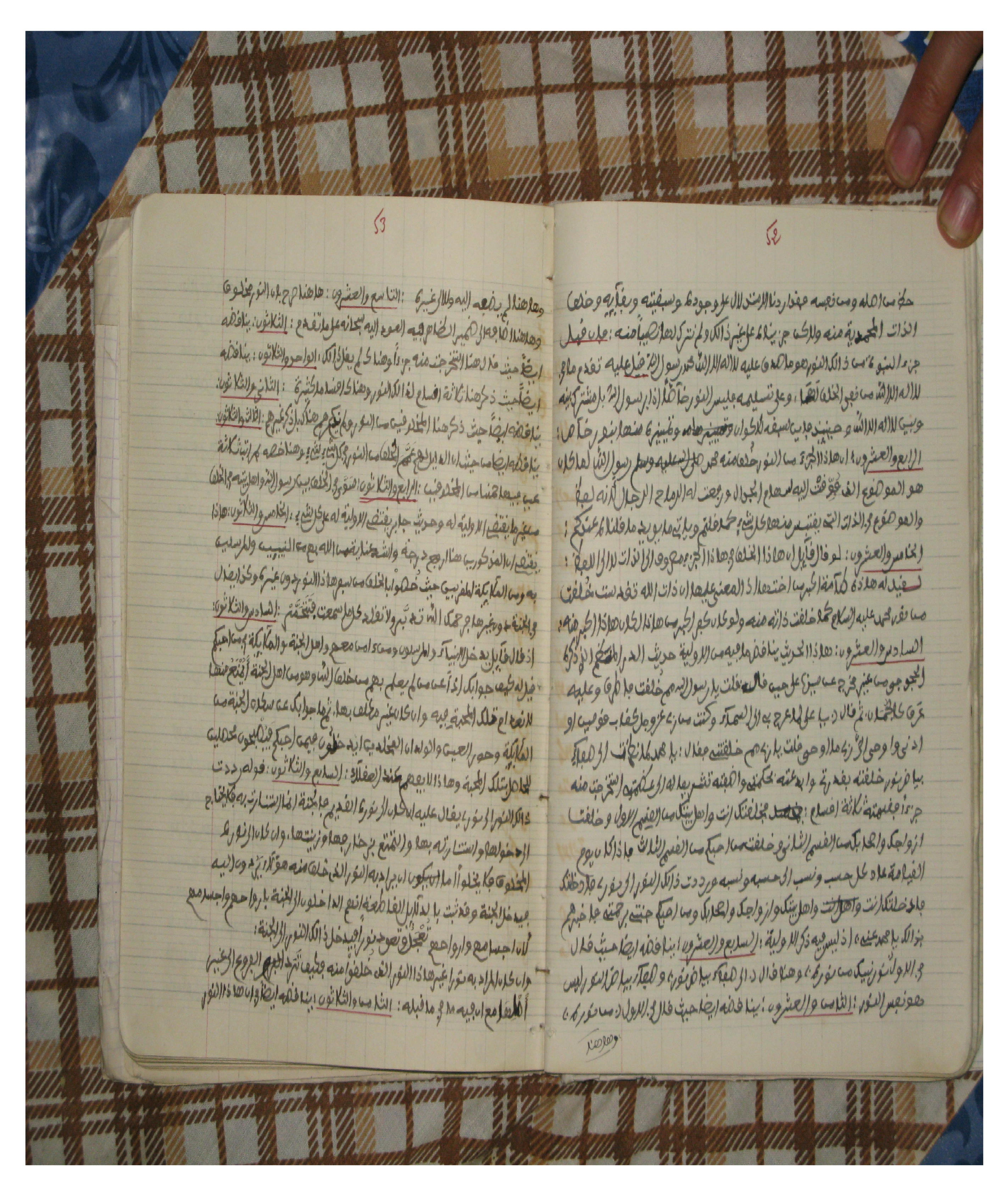
اللوحة الأولى من المخطوط



اللوحة الثالثة من المخطوط



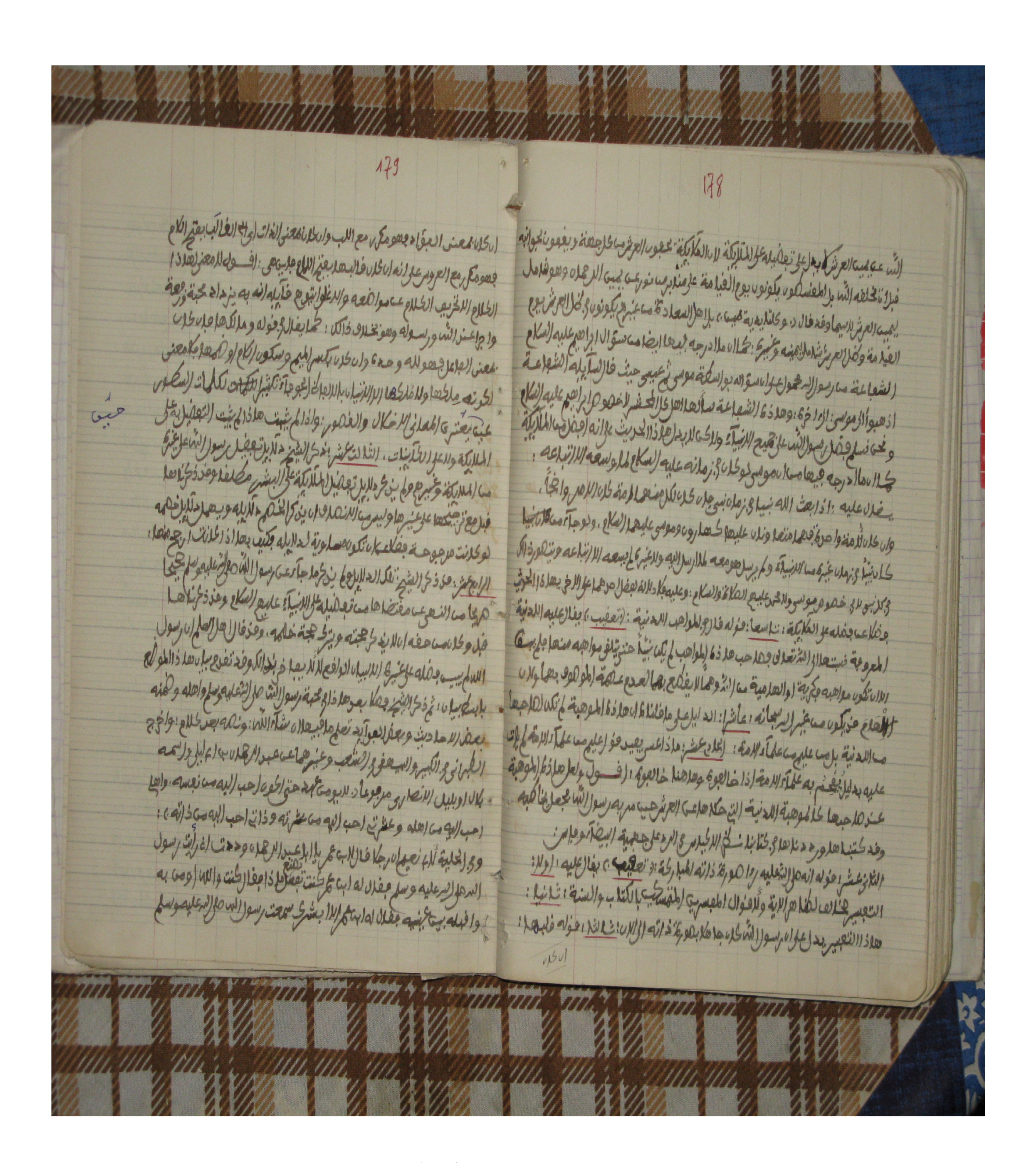
من وسط المخطوط



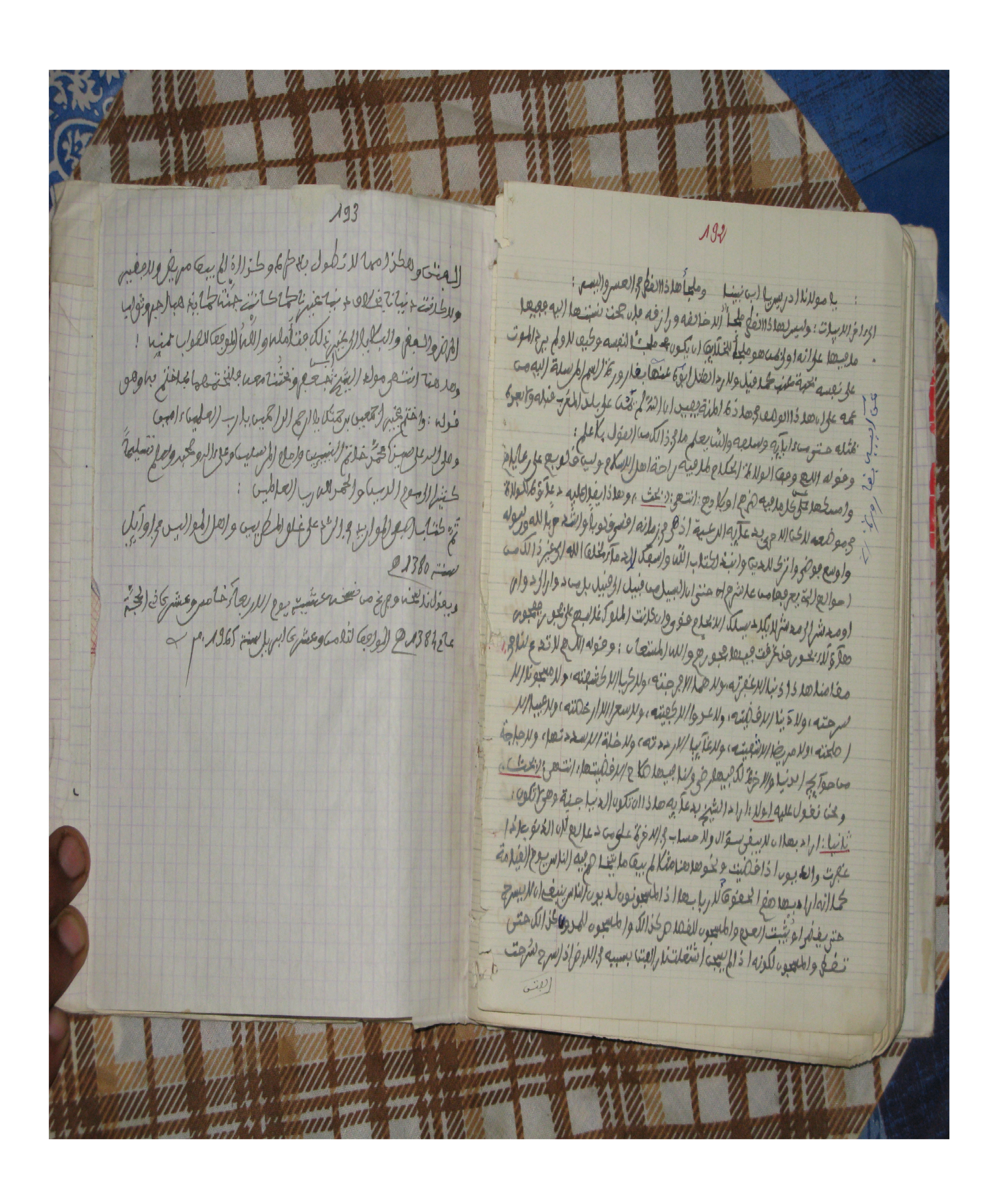
من وسط المخطوط



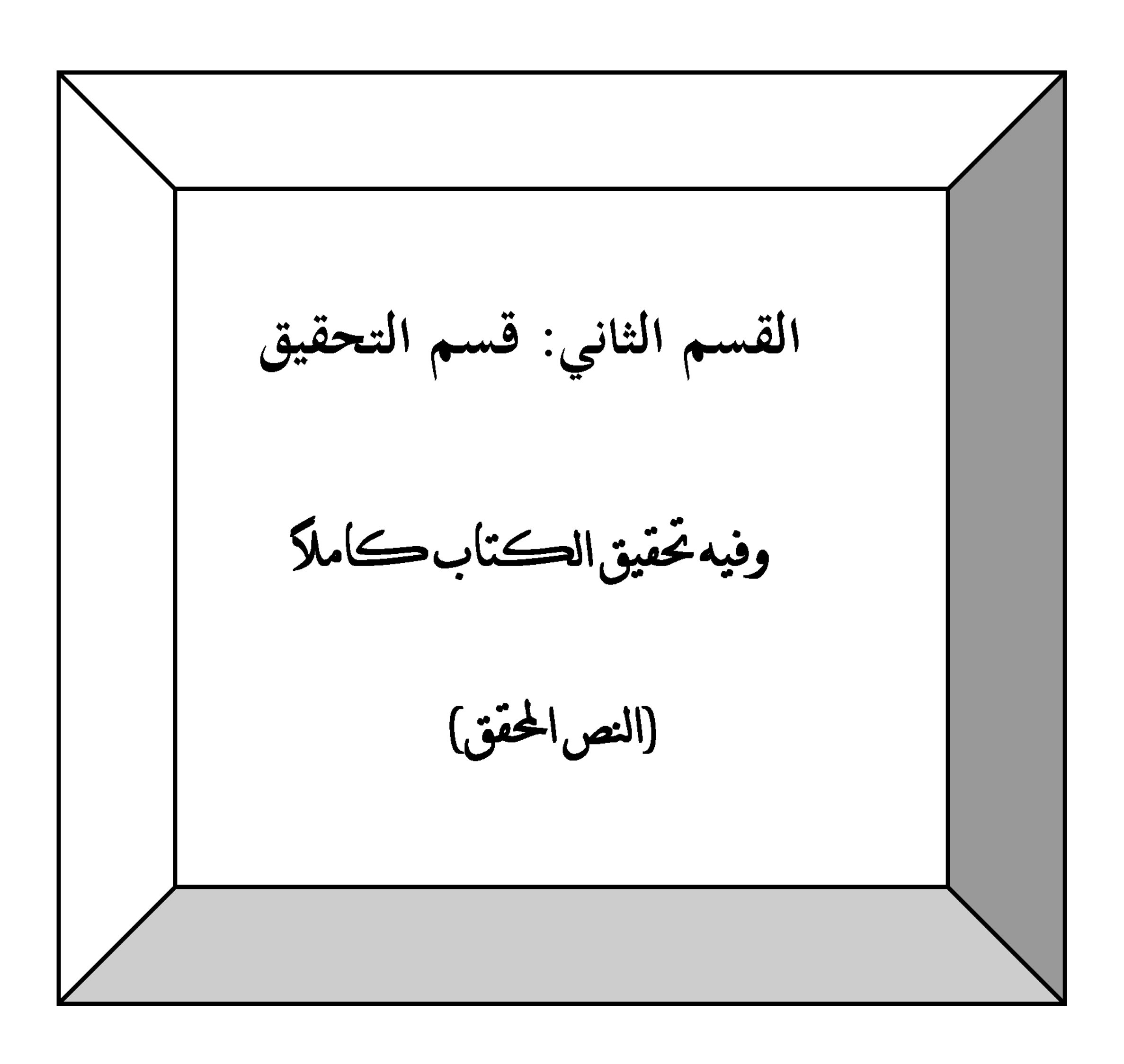
من وسط المخطوط



من وسط المخطوط



اللوحة الأخيرة من المخطوط


القسم الثاني: قسم التحقيق
وفيه تحقيق الكتاب كاملاً
(النص المحقق)

"أصفى الموارد في الرد على غلوّ المطريِّين لرسول الله ﷺ وأهل الموالد"
لمؤلفه العالم العلامة أبي زيد عبد الرحمن بن محمد النتيفيّ الجعفريّ كان الله له بعونه، فرغ منه في عام (١٣٨٠هـ)، ومن نسخه في شهر ذي الحجة عام (١٣٨٤هـ)، الموافق (٢٨) أبريل سنة (١٩٦٥م)

وليلٍ كموجِ البحرِ أرخى سُدولَهُ ... عليَّ بأنواعِ الهموم ليبتلي[1]

---

(١) هذا البيت من معلقة امرؤ القيس بن حجر الكنديّ. انظر: شرح المعلقات السبع (ص: ١١).
والسبب الذي جعل المؤلف يفتتح كتابه بهذا البيت – والعلم عند الله – هو ما كان عليه المؤلِّف من قلّة ذات اليد، ومن صبر وجلد في نصر عقيدة السلف الصالح، وإحياء السنة ونشرها على رغم ما كان يعجّ به زمانه من بدع وضلالات، وزيغ وجهل بأمور الدين، والعقيدة الصحيحة، ومع ذلك فهو ثابت لا يعبأ بها، ولا تثني إرادته عن نشر الحق والسنة للناس وتعليمهم إياها مهما كلّفه الأمر من عناء ومشقة في سبيل ذلك، وهذا واضح للقارئ الكريم من خلال قراءة سيرته وكتبه، فرحمه الله تعالى رحمةً واسعة، وأجزل له المثوبة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.
وقد يكون ذَكَرَ هذا البيت ولد المؤلِّف أو الناسخ للمخطوط، فقد كانا مُهتَمَّين بكتب الشيخ ونسخها. والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالعزة والجلال، المتوحد بنعوت الرفعة والكمال، الذي لا شريك له ولا معين ولا نائب في الذات ولا في الصفات والأفعال، ونشهد أنه وحده لا شريك له الكبير المتعال، وأن سيّدنا محمداً عبده ورسوله، الذي وصفه الله بأكبر الصفات[1] من غير تفريط ولا تغال، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان في الأفعال والأقوال، أمّا بعد: فيقول أفقر العبيد إلى مولاه، وأجهلهم بكل شيء إلا بما علمه الله، عبدالرحمن بن محمد - المرحوم بكرم الله - النَّتِيفِيّ قبيلةً، الجعفريّ نسباً، البيضاويّ مسكناً، لا يخفى على من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ما في زماننا هذا وقبله بزمان كثير من شيوع البدع، ورجوع أكثر من ينتسب إلى الإسلام إلى سنن من قبلهم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع حتى ما سلكوه من جحور الضباء مصداقا لقوله ﷺ: "لتتبعنّ سنن الذين من قبلكم شبراً بشبرٍ، وذراعاً بذراعٍ حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه"[2]، بل ضموا إلى ذلك بدع الجاهلية الآخرة إلى بدع الأولى، فكان بذلك أجمع للقبائح وأتم اتصاف بالفضائح من السابقين لهم في ذلك الميدان، ودرج على ذلك المحدث والمقلد له، ومات أهل العلم فضلاً عن الناصحين منهم، وما بقي منهم قليل في نفسه، والكثير منه ضعيف العزيمة، يرضى بالسكوت ويجعله الغنيمة[3]، والشاذ منهم إن أنكر لم يسلم، وإن سلم كانت صيحته صيحة في وادٍ خالٍ ليس به دوي، وإن ألّف في ذلك لم يعن على نشر تأليفه، وإذا نشر لم يرغب فيما احتوت عليه، والأكثر ممن ينتسب إلى العلم مع السواد الأعظم من العامة والدهماء مع المبتدعين الصُلَحاء والطُلَحاء، ينصرونهم على بدعتهم، بل يتعبدون بها تقليداً لهم، وربما احتجوا لهم بحجج واهية، ويعتقدون أن مذاهبهم تلك هي الحق، ولو خالفت صالح الكتاب والسنة، وناقضت الشريعة والملة .

---

١) كما وصفه الله تعالى بقوله : { وإنَّك لَعَلى خُلُق عظيم }

(٢) صحيح البخاري (ص: ٥٨٢/ح٣٤٥٦)، ومسلم (ص: ١١٦٢/ح٢٦٦٩).

٣) ولا شك أن السكوت عن الباطل مع القدرة على رده = من المداهنة المحرمة شرعًا .

وقد تكلم علماء الحق في كل زمان مع قلتهم، والزهد في أقوالهم، حتى كأنها لم تقع منهم، وإن وجدت كانت مذمة ومسبة في حقهم، ونحن والحمد لله مع قلة علمنا، وضعف جاهنا، وانعدام المعين لنا من وجود كتب تقوينا، وثروة نحصّل بها مقصودنا، قد ألّفنا كُتُباً في ذم تلك البدع، وفي مسائل من العلم على قدر الطاقة لم تزل مخبوءةً في زوايا الإهمال لما ذكرناه من قبل، ولكن نسأل الله أن تكون الحركة لله يختار فيها مختاره، ويمضي فيها ما أمضاه، وكنا مهما نزل بنا سبب لكتب كتاب منها، شرعنا في كتبه وتوكلنا على الله لا على غيره، وقد أتم الله ذلك جعله لأجله برحمته وفضله، ولأجل ذلك السبب وقفنا المرة بعد المرة، في أكثر عمرنا الذي يناهز الثمانين على غلوّ اتفق عليه ما ذكر فيما قدمناه، وبنى عليه العلماء علومهم، وألفوا فيه كتبهم، وصار بحيث من ناقش في ذلك أو جاء بحجة إلى رده كان عندهم من المارقين، وإن كان هذا الوصف أليق بأولئك الغالين في حق رسول الله ﷺ بل وفي حق بعض معتقديهم حتى جعلوهم شركاء مع الله في صفته، وفي أفعاله الخاصة به، وذلك موجود عند النوريَّة[(١)]، والقاسميّة[(٢)]، والاتحاديّة[(٣)]، والشكليّة[(١)]، وغيرهم مما ألَّفنا فيه بعض التآليف وإن لم

---

(١) النُّوريَّة هي: فرقة من الصوفيّة المعاصرة، يزعمون أن النبي ﷺ خلق من نور الله تعالى، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وهذا من إفك الصوفية قديماً وحديثاً، كما زعموا أن النبي ﷺ أصل الموجودات كلها، ومنه تفرعت، وهو مُمِدُّها، وقد عقد المؤلِّف في الرد عليهم فصلاً كاملاً كما سيأتي معنا (ص: ١٢٠).

(٢) القاسميّة هي: من فرق الصوفيّة المعاصرة، ويزعمون أن النبي ﷺ هو القاسم لخزائن الله تعالى، ولأمداد الخزائن الإلهية على أجناد الدوائر الملكية من الكثائف واللطائف، وسيأتي معنا الردّ عليهم في أكثر من موضع.

(٣) الاتحاديّة: هم الذين يقولون بأن الوجود واحد لا اثنان وهو الله وحده، فليس هاهنا وجودان خالق ومخلوق ولا رب ولا عبد، بل الوجود واحد وهو حقيقة الرب، وإمام الاتحادية هو ابن عربي. انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/١٥١، ٢/٤١-٤٧، ١٦٨-١٧١).

نستوعب الكلام على ذلك ككتاب "الذكر الملحوظ في نفي رؤية اللوح المحفوظ"، وعند المادحين كالبوصيريّ[٢] وغيره، والطوائف وأهل الأوراد والصلوات المحدثات على رسول الله ﷺ وكنا نقدم رِجلاً ونؤخر أُخرى، وننتظر تيسير الله في الكتب على ذلك، حتى انشرح صدرنا الآن ونطلب أن نكون ممن قال فيهم رسول الله: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المضلين وتأويل الجاهلين"[٣] أو كما قال ﷺ. فشرعنا في هذا الكتاب، طالبين من الله القبول منه، والعون منه على التمام، مفصّلينه فصولاً يرتبط بعضها ببعض في الجملة ذاكرين الفصل الأوّل في فضل رسول الله ﷺ على غيره ممن فضله الله عليه، مستوعبين في ذلك ما قال أهل العلم غالباً في ذلك فقلنا:

---

(١) الشكليّة هي: إحدى الفرق الصوفيّة التي تهتم بالأشكال والمظاهر، وهم قوم منتهى أمرهم وغايتهم تزيين الظاهر كلبس الخرقة، وتسوية السجادة، ونحو ذلك. انظر: اعتقادات فرق المسلمين (ص: ٧٢).

(٢) البوصيريّ هو: أبو عبدالله شرف الدين محمد بن سعيد بن حمّاد البوصيريّ المصريّ، صاحب قصيدة "البردة" و"الهمزيّة" وغيرها، توفي سنة (٦٩٦هـ). انظر: الوافي بالوفيات (٨٨/٣). وهو صوفي ضال وفي قصيدته البردة غلو قبيح في محد رسولنا عليه الصلاة والسلام حتى بلغ فيه أن يصف النبي ﷺ بصفات هي خاصة بالله تعالى وحده ! حيث قال :

وإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم ! (تعالى الله عما قال)

(٣) رواه البزار (٢٤٧/١٦/ح٩٤٢٣) والطبراني في "مسند الشاميين" (٣٤٤/١/ح٥٩٩). وصحّحه العلامة الألباني في "مشكاة المصابيح" (٨٢/١/ح٢٤٨).

الفصل الأول

في فضل رسول الله على غيره وما جاء فيه، وإن كان بعض العلوم لا يكلف الله بها خلقه بحيث يؤاخذهم على جهلها، كتفضيل الملائكة على البشر، وكتفضيل الرسل على بعضهم بعضا، وإن كان ذلك محبوباً لمن قدَّم الأهم عليه، وهو في الثاني أشد محبوبية لذكر الله عز وجل تفضيل بعضهم على بعض، بقوله: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾[١]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[٢].

أقول: قد فضل أهل العلم رسول الله على جميع الرسل اللازم منه تفضيله على الإنس والجن غيرهم بل بعضهم عبر بالإجماع، والدلائل الدالة على ذلك تكون مستندة لذلك الإجماع، وهي شهادة الله بأعظم خلق في ذاته وصفاته وأفعاله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٣]، وإخباره بأن رسالته رحمة للعالمين وللناس كافة[٤]، دون إخباره بذلك عن غيره وإخباره عن شريعته بأنها اليسرى بقوله: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾[٥]، وبإخباره عن معجزة كتابه بدوامها وبصفة لم تكن لغيرها، وبكون أمته خير أمة أخرجت للناس، وأنها شهداء يوم القيامة، وغير ذلك مما هو معلوم لا يحتاج إلى التطويل به هنا، كالشفاعة يوم القيامة واللواء والإسراء.

أقول: وقد حمل بعض المفسرين قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ على عموم البعض لا على خصوص رسول الله، فيكون التفضيل على الغير مأخوذًا من دلائل أخر كهذه، وخص بعضهم ذلك برسول الله مستدلاً بما يقتضيه الأسلوب والسياق[٦]،

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٥٣).

(٢) سورة الإسراء، الآية (٥٥).

(٣) سورة القلم، الآية (٤).

(٤) يشير إلى قول الله تعالى عن نبيه ﷺ : { وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين }
وقوله تعالى : { وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرًا }

(٥) سورة الأعلى، الآية (٨).

(٦) انظر: تفسير الطبريّ (٥/٣٧٨)، والقرطبيّ (٤/٢٥٣)، وابن كثير (٢/٤٢٨).

وتعيّن البعض كموسى وعيسى – عليهما السلام –، وردّ قول من قال: إنّ التخصيص ها هنا من التفسير بالرأي.

والحق أن يقال: إن ما تقدّم لا يفيد التخصيص، والتخصيص بالفضل عن دلائل أُخر كما تقدم، والتفسير بالرأي المذموم هو مخالفة الصحيح أو الراجح دون من خصص منهما باجتهاده فإن هذا ليس بمذموم، وإن كان المعمم أظهر منه وأحق بأن ينسبه إلى الرأي، وأما تفضيل الرسول على الملائكة وغيرهم، فيؤخذ مما يذكر عن أهل العلم من الخلاف في ذلك وذكر الملاحظات بعده في كلامهم والخلاصة بخلافهم.

فصلٌ: في كلام ابن حزم[1]: وها نحن نذكر كلام بعض ما استحضرنا كتابه فنقول: قال أبو محمد ابن حزم في كتابه "الملل والنحل" في الجزء الخامس منه صفحة (١٤) ما نصه: (الكلام في أي الخلقة أفضل، قال أبو محمد: ذهب قوم إلى أن الأنبياء عليهم السلام أفضل من الملائكة، وذهب طائفة تنتسب إلى الإسلام أن الصالحين غير النبيين أفضل من الملائكة، وذهب بعضهم إلى أن الولي[2] أفضل من النبي وأن يكون في هذه الأمة من هو أفضل من عيسى بن مريم، ورأيت الباقلانيّ[3] يقول: (جائز أن يكون في هذه الأمة من هو أفضل من رسول الله ﷺ من حيث بعث إلى أن مات). ورأيت

---

(١) ابن حزم هو: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسيّ الأصل، ثم الأندلسيّ القرطبيّ، الفقيه الحافظ، المتكلم، الأديب، الوزير الظاهريّ، صاحب التصانيف، توفي سنة (٤٥٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/١٨٤/ترجمة: ٩٩).

٢) المقصود بالولي هنا : هو الصوفي الذي سار على إحدى طرقهم المبتدعة !

وأما مفهوم الولاية عند أهل السنة والجماعة فهو : ما جمع أمرين وهما الإيمان والتقوى كما قال تعالى : { ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون }

فالأنبياء هم أولى الناس بولاية الله جل وعلا .

وعليه يكون البحث في هذا التفضيل باطل من أصله !

(٣) الباقلانيّ هو: أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصريّ، ثم البغداديّ، ابن الباقلانيّ الأشعريّ، توفي سنة (٤٠٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/١٩٠/ترجمة: ١١٠).

لأبي هاشم الجُبّائيّ[١]: (أنه لو طال عمر إنسان من المسلمين في الأعمال الصالحة لأمكنه أن يوازي عمل النبي ﷺ)[٢]، كذب لعنه الله.

(قال أبو محمد: ولولا أنه استحيا قليلاً مما لم يستحي من نظيره الباقلانيّ لقال ما يوجبه هذا القول من أنه كان يزيد فضلاً على رسول الله ﷺ.

قال أبو محمد: وهذه الأقوال كفر مجرد لا تردد فيه، وحاشا لله تعالى من أن يكون أحد ولو عُمِّرَ عُمرَ الدهر يلحق فضل صحابي، فكيف فضل رسول الله ﷺ هذا ما لا تقبله نفس مسلم كأنهم ما سمعوا قول الله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾[٣]. وقول النبي ﷺ: "دعوا لي أصحابي، فلو كان لأحدكم مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله، ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه"[٤].

قال أبو محمد: فكيف يلحق أبداً من إن تصدق بمثل جبل أحد ذهباً، وتصدق الصاحب بنصف مُدٍّ من شعير كان نصف مد الشعير لا يلحقه في الفضل جبل الذهب، فكيف برسول الله ﷺ، قال أهل الحق[٥]: إن الملائكة

---

(١) أبو هاشم الجُبّائيّ هو: عبدالسلام بن محمد بن عبدالوهاب بن سلام بن خالد بن حمران، المتكلم، شيخ المعتزلة، ومصنف الكتب على مذاهبهم، سكن بغداد، وتوفي بها سنة (٣٢١هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/٦٣/ترجمة: ٣٢).

(٢) انظر: "الفصل في الملل والأهواء" (٥/١٢٥).

(٣) سورة الحديد، الآية (١٠).

(٤) صحيح البخاري (ص: ٦١٧/ح٣٦٧٣)، ومسلم (ص: ١١١٣/ح٢٥٤٠).

(٥) الخلاف بين أهل السنة والجماعة في هذا الباب معروف مشهور ، قال ابن كثير كما في البداية والنهاية (١/٥٤) : وقد اختلف الناس في تفضيل الملائكة على البشر . أهـ

وجاء في تاريخ دمشق لابن عساكر (٩/٣٠٣) عن محمد بن كعب قال : كنا بخناصرة في مجلس فيه أمية بن عمرو بن سعيد وعراك بن مالك وعمر بن عبد العزيز ؛ فقال عمر بن عبد العزيز : ما أحد أكرم على الله عز وجل { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية }وقال أمية بن عمرو مثل قول عمر بن عبد العزيز ؛ فقال عراك بن مالك : ما أحد أكرم على الله من ملائكته ، هم خدمة داريه ، ورسله إلى أنبيائه ، وما خدع إبليس آدم إلا أنه قال { ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من

=

الخالدين * وقاسمهما إني لكما من الناصحين } قال فقال عمر بن عبد العزيز : ما رأيك يا أبا حمزة (يعني محمد بن كعب) فيما امترينا فيه ؟ قال قلت : قد أكرم الله آدم ، خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة أن يسجدوا له ، وجعل من ذريته من تزوره الملائكة ، وجعل من ذريته الأنبياء والرسل . أهـ

ومن أهل العلم من ذكر تفصيلا في المسألة كما قال ابن تيمية عن تفضل الملائكة على صالحي بني آدم كما في مجموع الفتاوى (٣٤٣/٤) : صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية ، والملائكة أفضل باعتبار البداية . أهـ

ومن أهل العلم من توقف في التفضيل بينهما : قال القرطبي كما في تفسيره (٢٨٩/١) : وقال بعض العلماء: ولا طريق إلى القطع بأن الأنبياء أفضل من الملائكة، ولا القطع بأن الملائكة خير منهم، لأن طريق ذلك خبر الله تعالى وخبر رسوله أو إجماع الامة، وليس ها هنا شي من ذلك . أهـ

وذكر ابن أبي العز كما في شرحه على الطحاوية (٣٠٢) عن أبي حنيفة رحمهما الله أنه لم يقطع فيها بجواب، ثم قال : وهذا هو الحق، فإن الواجب علينا الإيمان بالملائكة والنبيين، وليس علينا أن نعتقد أي الفريقين أفضل، فإن هذا لو كان من الواجب لبين لنا نصا . أهـ

ثم ختم كلامه قائلا (٣١١) : وحاصل الكلام: أن هذه المسألة من فضول المسائل، ولهذا لم يتعرض لها كثير من أهل الأصول، وتوقف أبو حنيفة رضي الله عنه في الجواب عنها، كما تقدم. والله أعلم بالصواب .أهـ

والراجح – والله أعلم — أن صالحي البشر أفضل من الملائكة لما ثبت من أحاديث وآثار أذكر منها باختصار :

١- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : "إن الملائكة قالت: يا ربنا، أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون، ونحن نسبح بحمدك، ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو، فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة؟ قال: لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كن فكان " [رواه البهقي في الشعب (١٤٧) وغيره]

قال الإمام الألباني كما في تخريجه على الطحاوية (٣٠٦) : الحديث : رواه الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرد على المريسي (ص٣٤) بإسناد صحيح . أهـ

٢- وعن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال : "هل تدرون من أول من يدخل الجنة من خلق الله؟ " قالوا: الله ورسوله أعلم قال: " أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء المهاجرون الذين يسد بهم الثغور ، وتتقى بهم المكاره ، ويموت أحدهم وحاجته في صدره =

أفضل من كل خلق خلقه الله تعالى بعدهم الرسل من النبيين – عليهم السلام – ثم بعدهم الأنبياء غير الرسل – عليهم السلام – ثم أصحاب رسول الله ﷺ على ما رتّبنا قبل)[(١)].

(قال أبو محمد: ومن صحب رسول الله من الجن له من الفضل ما لسائر الصحابة بعموم قوله ﷺ: "دعوا لي أصحابي"، وأفضل الرسل محمد ﷺ، أمّا فضل الملائكة على الرسل من غير الملائكة، فللبراهين من قول الله ﷻ آمِراً للرسول ﷺ أن يقول: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ ﴾[(٢)]، فلو كان الرسول أرفع من الملك أو مثله ما أمر الله رسوله ﷺ أن يقول لهم

لا يستطيع لها قضاء ؛ فيقول الله لمن يشاء من ملائكته: ائتوهم فحيوهم فيقول الملائكة: ربنا نحن سكان سماواتك ، وخيرتك من خلقك ، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم؟ قال: إنهم كانوا عبادا يعبدوني لا يشركون بي شيئا ، وتسد بهم الثغور ، وتتقى بهم المكاره ، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء ، قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب: {سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار}

[رواه ابن حبان في صحيحه (٧٣٧٨) وصححه الألباني انظر التعليقات الحسان (١٠/٤٠٥)]

قال الإمام أحمد كما في لوامع الأنوار للسفاريني (٢/٣٩٩) : يخطئ من فضل الملائكة .

ثم نقل السفاريني عن أبي بكر الخلال قوله : من كان خيره أكثر من شره فهو خير من الملائكة، ومن كان شره أكثر من خيره فالبهائم خير منه . أهـ

وقال ابن تيمية بعد ذكره لبعض هذه الآثار وغيرها كما في مجموع الفتاوى (٤/٣٦٩-٣٧٠) : وأقل ما في هذه الآثار أن السلف الأولين كانوا يتناقلون بينهم: أن صالحي البشر أفضل من الملائكة من غير نكير منهم لذلك ولم يخالف أحد منهم في ذلك إنما ظهر الخلاف بعد تشتت الأهواء بأهلها وتفرق الآراء فقد كان ذلك كالمستقر عندهم . أهـ

وقال الحافظ ابن حجر كما في فتح الباري (١٣/٣٨٦) : المعروف عن جمهور أهل السنة أن صالحي بني آدم أفضل من سائر الأجناس والذين ذهبوا إلى تفضيل الملائكة الفلاسفة ثم المعتزلة وقليل من أهل السنة من أهل التصوف وبعض أهل الظاهر . أهـ

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء (٥/١٢٦-١٢٧).

(٢) سورة الأنعام، الآية (٥٠).

هذا القول الذي إنما قاله منحطاً على الترفع، بأن يظن أنه عنده خزائن الله أو أنه يعلم الغيب، أو أنه ملك منزل لنفسه المقدسة في مرتبته التي هي دون هذه المراتب بلا شك، إذ لا يمكن البتة أن يقول هذا عن مراتب هو أرفع منها، وأيضاً فإن الله ﷻ ذكر محمداً الذي هو أفضل الرسل بعد الملائكة، وذكر جبريل – عليهما السلام – وكان التباين من الله ﷻ بينهما تبايناً بعيداً، وهو أنه ﷻ قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾[1]، فهذه صفة جبريل عليه السلام ثم ذكر محمداً ﷺ فقال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾[2]، ثم زاد تعالى بياناً رافِعاً للإشكال جملة فقال: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾[3]، فعظّم الله تعالى من شأن أكرم الأنبياء والرسل بأن رأى جبريل عليه السلام ثم قال: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[4] فامتن الله تعالى كما ترى على محمد ﷺ بأن أراه جبريل مرتين، وإنما يتفاضل الناس كما قدمنا بوجهين فقط، أحدهما: الاختصاص المجرد، وأعظم الاختصاص الرسالة والتعظيم، فقد حصل ذلك للملائكة قال تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾[5] فهم كلهم رسل الله[6] ثم اختصهم تعالى بأن ابتدأهم في الجنة وحوالي عرشه في المكان الذي وعد رسله ومن اتبعهم بأن نهاية كرامتهم مصيرهم إليه، وهو موضع خلق الملائكة ومحلهم بلا نهاية منذ خلقوا[7]، وذكرهم ﷻ في غير موضعهم في كتابه فأثنى على جميعهم ووصفهم بأنهم: ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾[8] و﴿لَا يَسْـَٔمُونَ﴾[1] و﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ﴾[2] فنفى عنهم الزلل والفترة

---

(١) سورة التكوير، الآيات (١٩-٢١).

(٢) سورة التكوير، الآية (٢٢).

(٣) سورة التكوير، الآية (٢٣).

(٤) سورة النجم، الآيات (١٣-١٨).

(٥) سورة فاطر، الآية (١).

(٦) يريد أنهم رسل إلى من يشاء من عباده ، وفيما شاء من أمره ونهيه .
انظر تفسير الطبري (٢٠/٤٣٤)

(٧) لا أعلم دليلا على هذه الجمل من كلام ابن حزم رحمه الله .

(٨) سورة الأنبياء، الآية (٢٠).

والسآمة والسهو، وهذا أمر لم ينفه عز وجل عن الرسل صلوات الله عليهم بل السهو جائز عليهم، وبالضرورة نعلم من عُصِم من السهو أفضل ممن لم يعصم منه، وأن من عُصِم من العمد كالأنبياء – عليهم السلام – أفضل ممن لم يعصم ممن سواهم، فإن اعترض معترض بقول الله عز وجل: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ [٣]. قيل له: ليس هذا معارضاً لقوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾[٤]، فإن كل آية فإنما تحمل على مقتضاها وموجب لفظها، ففي هذه الآية أن بعض الملائكة رسل وهذا حق لاشك فيه، وليس إخباراً عن سائرهم بشيءٍ لا أنهم رسل ولا بأنهم ليسوا رسلاً، فلا يحل لأحد أن يزيد في الآية ما ليس فيها، ثم في الآية الأخرى زيادة على ما في هذه الآية، والإخبار بأن جميع الملائكة رسل، ففي تلك الآية بعض ما في هذه الآية، وفي هذه الآية كل ما في تلك وزيادة، ففرض قبول كل ذلك، كما أن الله ﷻ إذ ذكر في: ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾[٥]، من ذكر من النبيين فقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ ﴾[٧]، أفترى الرسل الذين لم يقصصهم الله تعالى عليه جملة، أو في هذه السورة خاصة لم ينعم عليهم، معاذ الله من هذا فما يقوله مسلم.

والوجه الثاني من أوجه الفضل: هو تفاضل العاملين بتفاضل منازلهم في أعمال الطاعة والعصمة من المعاصي والدنيات، وقد نص الله تعالى على أن الملائكة ﴿لَا يَفۡتُرُونَ ﴾[٨] من الطاعة، و﴿لَا يَسۡـَٔمُونَ ﴾[٩] فيها، و﴿لَّا يَعۡصُونَ ﴾[١] البتة في شيء

(١) سورة فصلت، الآية (٣٨).

(٢) سورة التحريم، الآية (٦).

(٣) سورة الحج، الآية (٧٥).

(٤) سورة فاطر، الآية (١).

(٥) سورة مريم، الآية (١).

(٦) سورة مريم، الآية (٥٨).

(٧) سورة النساء، الآية (١٦٤).

(٨) سورة الأنبياء، الآية (٢٠).

(٩) سورة فصلت، الآية (٣٨).

أُمروا به، فقد صَحّ أن الله ﷻ عصمهم من الطبائع الناقصة الداعية إلى الفتور والكسل، كالطعام والتغوط، وشهوة الجماع والنوم، فصح يقيناً أنهم أفضل من الرسل الذين لم يعصموا من الفتور والكسل ودواعيهما)[٢].

(قال أبو محمد: واحتج بعض المخالفين في هذا بأن قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٣] قالوا فدخل في العالمين الملائكة وغيرهم.

قال أبو محمد: وهذه الآية قد صح البرهان بأنها ليست على عمومها لأنه تعالى لم يذكر فيها محمداً ﷺ ولا خلاف في أنه أفضل الناس قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٤]. فإن قال: إن آل إبراهيم هم آل محمد، قيل له: فنحن إذاً أفضل من جميع الأنبياء حاشا، وآل عمران، وآدم ونوحاً فقط، وهذا لا يقوله مسلم، فصح يقيناً أن هذه الآية ليست على عمومها فإذ لاشك في ذلك، فقد صح أن الله عز وجل إنما أراد بها عالمي زمانهم من الناس لا من الرسل ولا من النبيين، نعم ولا من عالمي غير زمانهم لأننا بلا شك أفضل من آل عمران فبطل تعلقهم بهذه الآية جملة، وبالله تعالى التوفيق. وصح أنها مثل قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾[٥]، ولا شك أنهم لم يفضلوا على الرسل والنبيين، ولا على أمتنا، ولا على الصالحين من غيرهم، فكيف على الملائكة؟ ونحن لا ننكر إزالة النص عن ظاهره وعمومه ببرهان من نص آخر، أو إجماع متيقن، أو ضرورة حس وإنما شكر وتمنع من إزالة النص عن ظاهره وعمومه بالدعوى، فهذا هو الباطل الذي لا يحل في دين ولا يصح في إمكان العقل، وبالله تعالى التوفيق.

---

(١) سورة التحريم، الآية (٦).

(٢) انظر: "الفصل في الملل والأهواء" (٥/١٢٧).

(٣) سورة آل عمران، الآية (٣٣).

(٤) سورة آل عمران، الآية (١١٠).

(٥) سورة البقرة، الآية (٤٧).

قال أبو محمد: وذكر بعضهم قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾[(١)].

قال أبو محمد: وهذا مما لا حجة لهم فيه أصلا، لأن هذه الصفة تعم كل مؤمن صالح من الإنس والجن، وتعم جميع الملائكة عموما مستويا، فإنما هذه الآية تفضيل الملائكة والصالحين من الإنس والجن على سائر البريئة، وبالله تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: واحتجوا بأمر الله ﷻ الملائكة بالسجود لآدم على جميعهم السلام.

قال أبو محمد: وهذا أعظم حجة عليهم لأن سجود المأمور به لا يخلو من أن يكون سجود عبادة، وهذا كفر ممن قاله ولا يجوز أن يكون الله ﷻ يأمر أحداً من خلقه بعبادة غيره، وإمّا أن يكون سجود تحية وكرامة، وهو كذلك بلا خلاف من أحد من الناس فإذ هو كذلك فلا دليل أدّل على فضل الملائكة على آدم من أن يكون الله تعالى بلغ الغاية في إعظامه وكرامته، بأن تحييه الملائكة لأنهم لو كانوا دونه لم يكن له كرامة ولا مزية في تحيتهم له، وقد أخبر الله ﷻ عن يوسف عليه السلام فقال: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ ﴾[(٢)]، وكانت رؤياه هي التي ذكر الله ﷻ عنه أن يقول: ﴿ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ﴾[(٣)])[(٤)].

(قال أبو محمد: وليس في سجود يعقوب عليه السلام ليوسف ما يوجب أن يوسف أفضل من يعقوب، واحتجوا أيضاً: بأن الملائكة لم يعلموا أسماء الأشياء حتى أنبأهم بها آدم على جميعهم السلام بتعليم الله ﷻ آدم إياها.

---

(١) سورة البينة، الآية (٧).

(٢) سورة يوسف، الآية (١٠٠).

(٣) سورة يوسف، الآية (٤).

(٤) انظر: "الفصل في الملل والأهواء" (٥/١٢٨-١٢٩).
وقد سبق ذكر الخلاف القديم في مسألة تفضيل الملائكة على صالحي البشر . انظر تعليق رقم (٣) صـ (٦٠) ثم أفادني أحد المشايخ الفضلاء بأثر عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال كما في كتاب الزهد لوكيع بن الجراح (٨٤) : المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده . أهـ

قال أبو محمد: وهذا لا حجة لهم فيه لأن الله ﷻ يعلم من هو أنقص فضلاً وعلماً في الجملة أشياء لا يعلمها من هو أفضل منه وأعلم منه بما عدا تلك الأشياء، فعلّم الملائكة ما لا يعلمه آدم، وعلّم آدم أسماء الأشياء ثم أمره بأن يعلمها الملائكة، كما خص الخضر عليه السلام بعلم لم يعلمه موسى عليه السلام حتى اتبعه موسى عليه السلام ليتعلم منه، وعلّم أيضاً موسى عليه السلام علوماً لم يعلمها الخضر، وهكذا صح عن النبي ﷺ أن الخضر قال لموسى عليه السلام: "إني على علم من علم الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله لا أعلمه أنا"[١].

قال أبو محمد: وليس في هذا أن الخضر أفضل من موسى عليه السلام.

قال أبو محمد: وقد قال بعض الجُهال[٢]: إن الله تعالى جعل الملائكة خدام أهل الجنة يأتونهم بالتحف من عند ربهم ﷻ قال تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[٤].

---

(١) صحيح البخاري (ص: ٢٦/ح١٢٢)، ومسلم (ص: ١٠٤٥/ح٢٣٨٠).

(٢) يذكر بعضهم أن من حرص ابن حزم على السنة ظهرت منه هذه الحدة على المخالف ، لكن مما يجب على أهل العلم قاطبة التأدب مع مخالفيهم في المسائل التي هي محل اجتهاد ويسع فيها الخلاف ، ولا يزال أهل العلم يختلفون ويرد بعضهم على بعض بعلم وأدب .

وعلى كل حال فلا أعلم دليلا على أن الملائكة تأتي للمؤمنين بالتحف من عند ربهم اللهم إلا إن كان المقصود بالتحف هي البشارات وكل ما أمرهم الله بتبليغه فهذا مما لا شك فيه

ولقد قال قريبا من هذا القول بعض أفاضل أهل السنة والجماعة

فعن بشر بن شغاف عن عبد الله بن سلام، قال: وكنا جلوسا في المسجد يوم الجمعة، فقال: إن أعظم أيام الدنيا يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة، وإن أكرم خليقة الله على الله أبو القاسم ﷺ قال: قلت: يرحمك الله فأين الملائكة؟ قال: فنظر إلي وضحك وقال: " يا ابن أخي هل تدري ما الملائكة؟ إنما الملائكة خلق كخلق السماء والأرض والرياح والسحاب وسائر الخلق الذي لا يعصي الله شيئا .أهـ

[رواه الحاكم في مستدركه (٨٦٩٦) وصححه ووافقه الذهبي]

(٣) سورة الأنبياء، الآية (١٠٣).

(٤) سورة الرعد، الآيات (٢٣-٢٤).

قال أبو محمد: أما خدمة الملائكة لأهل الجنة وإقبالهم إليهم بالتحف فشيء ما علمناه قط ولا سمعناه إلا من القصاص بالخرافات والتكاذيب، وإنما الحق من ذلك ما ذكره الله عز وجل في النص الذي أوردنا، وهو ولله الحمد من أقوى الحجج في فضل الملائكة على من سواهم، ويلزم هذا من المحتج إذا كان إقبال الملائكة بالبشارات إلى أهل الجنة دليلاً على فضل أهل الجنة عليهم، أن يكون إقبال الرسل إلينا مبشرين ومنذرين بالبشارات من عند الله عز وجل دليلاً على أننا أفضل منهم، وهذا كفر مجرد، ولكن الحقيقة هي أن الفضل إذا كان من الأنبياء – عليهم السلام – على الناس بأنهم رسل الله إليهم ووسائط بين ربهم تعالى وبينهم فالفضل واجب للملائكة على الأنبياء والرسل، لكونهم رسل الله تعالى عليهم ووسائط بينهم وبين ربهم تعالى، وأما تفضل الله تعالى على أهل الجنة بالأكل والشرب والجماع واللباس والآلات والقصور، فإنما فضلهم الله ﷻ من ذلك بما يوافق طباعهم، وقد نزه الله ﷻ الملائكة عن هذه الطبائع المستدعية لهذه اللذات بل أبانهم وفضلهم بل جعل طباعهم لا تلتذ بشيءٍ من ذلك إلا بذكر الله ﷻ وعبادته وطاعته في تنفيذ أوامره تعالى، فلا منزلة أعلى من هذه وعجل لهم سكنى المحل الرفيع الذي جعل تعالى غاية إكرامنا الوصول إليه، بعد لقاء الأمرّين في التعب في عمارة هذه الدنيا النَكِدَة وفي كلف الأعمال، ففي ذلك المكان خلق الله ﷻ الملائكة منذ ابتدأهم وفيه خلدهم، وبالله تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: وقال بعض السخفاء[(١)] إن الملائكة بمنزلة الهواء والرياح)[٢].

(قال أبو محمد: وهذا كذب وَقِحَة[٣] وجنون، لأن الملائكة بنص القرآن والسنة وإجماع جميع من يقر بالملائكة من أهل الأديان المختلفة عقلاً متعبدون منهيون مأمورون، وليس كذلك الهواء والرياح لأنها لا تعقل ولا هي متكلفة متعبدة بل هي

---

(١) انظر التعليق رقم (٢) من الصفحة السابقة

(٢) انظر: "الفصل في الملل والأهواء" (٥/١٢٩-١٣١).

(٣) وَقِحَة: أي: قلّ حياؤه واجترأ على اقتراف القبائح ولم يعبأ بها. انظر: لسان العرب (٦/٤٨٨٨).

مسخرة مصرَّفة لا اختيار لها قال تعالى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾(١) وقال: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾(٢)، وذكر تعالى الملائكة فقال: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾(٤)، فقرن تعالى نزول الملائكة برؤيته تعالى وقرن تعالى إتيانه بإتيان الملائكة فقال ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾(٥)، واعلم إن إعراب الملائكة ها هنا بالرفع عطفاً على الله ﷻ لا على الغمام، ونص تعالى على أن آدم عليه السلام إنما أكل من الشجرة ليكون ملكاً، كما نص تعالى علينا إذ يقول ﷻ: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾(٦).

قال أبو محمد: فبيقين ندري أن آدم عليه السلام لولا يقينه بأن الملائكة أفضل منه وطمعه بأن يصير ملكاً لما قبل من إبليس ما غره به من أكل الشجرة التي نهى الله ﷻ عنها، ولو علم آدم أن الملك مثله أو دونه لما حمل نفسه على مخالفة أمر الله تعالى لينحط عن منزلته الرفيعة إلى الدون هذا ما لا يظنه ذو عقل أصلاً.

قال أبو محمد: وقال الله ﷻ: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾(٧)، فقوله ﷻ بعد ذكر المسيح ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ بلوغ للغاية في علو درجتهم على المسيح – عليهم السلام – لأن بنية الكلام ورتبته إنما هي إذا أراد القائل نفي صفة ما عن متواضع عنها أن يبدأ بالأدنى ثم بالأعلى، وإذا أراد صفة ما عن

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٦٤).
(٢) سورة الحاقة، الآية (٧).
(٣) سورة الأنبياء، الآية (٢٦-٢٧).
(٤) سورة الفرقان، الآية (٢١-٢٢).
(٥) سورة البقرة، الآية (٢١٠).
(٦) سورة الأعراف، الآية (٢٠).
(٧) سورة النساء، الآية (١٧٢).

مترفع عنها أن يبدأ بالأعلى ثم بالأدنى، فنقول في القسم الأول: ما يطمع في الجلوس بين يدي الخليفة خازنه ولا وزيره ولا أخوه، ونقول في القسم الثاني: ما ينحط إلى الأكل في السوق والٍ ولا ذو مرتبة، ولا متصاون[١] من التجار أو الصناع، لا يجوز البتة غير هذا، وبالله تعالى التوفيق.

قال أبو محمد: وأيضاً فإن رسول الله ﷺ أخبر بأن الله ﷻ خلق الملائكة من نور، وخلق الإنسان من طين، وخلق الجن من نار[٢]؛ قال أبو محمد: ولا يجهل فضل النور على الطين وعلى النار أحد، إلا من لم يجعل الله له نوراً، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور، وقد صح أن رسول الله ﷺ دعا ربه في أن "يجعل في قلبه نوراً"[٣]، فالملائكة من جوهرٍ دعا أفضل البشر ربه في أن يجعل في قلبه منه، وبالله تعالى التوفيق، وفي هذا كفاية لمن عقل؛ قال أبو محمد: وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[٤] فإنما فضل الله تعالى بنص كلامه ﷻ بني آدم على كثير ممن خلق لا على كل من خلق، وبلا شك أن بني آدم يفضلون على الجن وعلى جميع الحيوان الصامت وعلى ما ليس حيواناً، فلم يبق خلق يستثنى من تفضيل الله تعالى بني آدم إلا الملائكة فقط)[٥].

(قال أبو محمد: وأما فضل رسول الله ﷺ على كل رسول قبله فالثابت عنه ﷺ أنه قال: "فضِّلت على الأنبياء بست"، وروي: "بخمس"، وروي: "بأربع"، وروي: "بثلاث"، رواه جابر بن عبدالله، وأنس بن مالك، وحذيفة بن اليمان، وأبو هريرة

---

(١) تصاون: تَصاوَنَ من يتصاون تصاوُنًا، فهو مُتصاوِن، وتصاونَ الشَّخصُ من المعايب: تكلّف صيانة نفسه، ووقى نفسه منها. انظر: لسان العرب (٤/٢٥٣٠).

(٢) صحيح مسلم (ص: ١٢٩٥/ح٢٩٩٦).

(٣) صحيح البخاري (ص: ١٠٩٨/ح٦٣١٦)، ومسلم (ص: ٣٠٩/ح٧٦٣).

(٤) سورة الإسراء، الآية (٧٠).

(٥) انظر: "الفصل في الملل والأهواء" (٥/١٣١-١٣٢).

ﷺ[١]، وبقوله ﷺ: "أنا سيّد ولد آدم ولا فخر"[٢]، وأنه ﷺ بعث إلى الأحمر والأسود[٣]، وأنه عليه السلام أكثر الأنبياء اتِّباعاً[٤]، وأنه ذو الشفاعة التي يحتاج إليه يوم القيامة فيها النبيّون فمن دونهم[٥]، أماتنا الله على ملته ولا خالف بنا عنه، وهو أيضاً عليه السلام خليل الله[٦] وكليمه[٧][٨]). انتهى.

ونحن نلاحظ بعض الملاحظات وإن كان أجاد وأفاد باستدلالاته فنقول:

قوله: (وهذه الأقوال كفر مجرد إلى . . .) آخره.

يقال عليه: إن عنى بها بعضها دون بعض، فكان عليه أن يأتي بتقييد مخصص بعضها بذلك الحكم دون بعض، وكيف لا، والأقوال جمع يشمل بظاهره كل الأقوال المتقدمة، وإن عنى بها الكل كما هو ظاهر العبارة فمن البعيد أن يكون القول الأول منها كفراً، وقد قال به الكثير إن لم تقل الأكثر وعبّر هو في جانب مخالفيه بقوله: (وقال أهل الحق) وهو يفيد أنه خطأ وكفر، كما أن ما نسبه لأبي بكر الباقلاني، وأبي هاشم الجُبَّائي، يمكن أن يكون مرادهما بذلك الجواز العقلي والرد إلى مشيئة الله الذي لا

---

(١) صحيح البخاري (ص: /ح٣٣٥)، ومسلم (ص: /٥٢١) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه بلفظ: "أعطيت خمساً". وروى مسلم(ص: ٢١٣/ح٥٢٢/ح٥٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: "فضِّلت على الأنبياء بست". ومن حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بلفظ: "فضِّلنا على الناس بثلاث". ورواه أحمد (٣٦/ ٥٤٣/ح٢٢٢٠٩)، والبيهقي في "السنن" (٢١٢/١) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه بلفظ: "فُضِّلت بأربع". وصحّحه العلامة الألبانيّ في "صحيح الجامع" (٢/ح٤٢١٩/ ح٤٢٢٠).

(٢) صحيح مسلم (ص:١٠٠٨/ح٢٢٧٨)، بلفظ: "أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة". ورواه ابن ماجه (ص:٧١٤/ح٤٣٠٨)، بلفظ: "أنا سيّد ولد آدم ولا فخر". وصحّحه الألبانيّ.

(٣) صحيح مسلم (ص: ٢١٢/ح٥٢١).

(٤) صحيح مسلم (ص: ١٠٥/ح١٩٦).

(٥) صحيح البخاري (ص: ٨١٥/ح٤٧١٢)، ومسلم (ص: ١٠١/ح١٩٣).

(٦) صحيح البخاري (ص: ٦١٣/ح٣٦٥٤)، ومسلم (ص: ١٠٥٠/ح٢٣٨٣).

(٧) صحيح البخاري (ص: ١٢٩٥/ح٧٥١٧)، ومسلم (ص: ٨٢/ح١٦٢).

(٨) انظر: "الفصل في الملل والأهواء" (١٣٢/٥).

يلزمه شيء لا إلى الجواز الشرعي، وإلا فمثل هذين العالمين يبعد وقوع ذلك منهما[(١)]، كما إنه يمكن أن يكون في الخبر عنهما بذلك سقوط لبعض ما يوضح قصدهما ولم تكن الكتب ولا الأخبار مبذولة لكل واحد ومتصلة بكل أهل العلم إذ ذاك لبعد المسافات، وعدم انتشار الكتب بالمطابع مثلاً، وأن يكونا رجعا عن ذلك المقال، والله العليم بما كان، ويمكن أن ينقل عنهما ذلك إن لم يكن كذباً عليهما من غير تحفظ وحفظ لكل ما وقع في عبارتهما، ولو فرضنا صحة قولهما هذا عنهما قاصدين بذلك الجواز الشرعي لكان ذلك خطأً صراحاً[(٢)]، إمّا لغفلة عن الدليل المذكور، وإمّا لعدم الالتفات إليه مع علمه، وهو أبعد منهما في الحالتين.

كما أن القول: بأن صالح البشر أفضل من الملائكة قريب من الخطأ إن لم يكن هو بعينه، وبعيد من الكفر حتى يتضح دليله ويخالف عمداً؛ والقول: بأن الولي خير من النبي، أقبح من الخطأ وأقرب إلى الكفر، إن لم يكن هو بعينه بل الكفر أظهر فيه.

وقوله: (قال أهل الحق . . .) الخ؛ يؤخذ منه أن هذا القول هو الحق، وهو الظاهر للدلائل الآتية عنه، ولأنه من أقدم أهل العلم، وأبرزهم في هذا الشأن، وأعلمهم بما يقول السلف، وما أصح علم من تقدّم؛ ومن الملاحظات ما ذكره في الاستدلال الأول بآية ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾[(٣)]، ما يقال إن فيه رداً على من زعم أن

---

(١) لا يَسلم من الزلل والخطأ عالم من العلماء مهما علت رتبته في العلم ، والمعصوم من عَصَمه اللهُ تعالى .

(٢) يقول الباقلاني : جائز أن يكون في هذه الأمة من هو أفضل من رسول الله ﷺ من حيث بعث إلى أن مات !

ويقول الجُبّائيّ : لو طال عمر إنسان من المسلمين في الأعمال الصالحة لأمكنه أن يوازي عمل النبي ﷺ ! [انظر صـ (٦٠)]

فهذا ضلال بعيد ، وليس مجرد خطأ !

(٣) سورة الأنعام، الآية (٥٠).

بيده خزائن الله يقسمها كيف يشاء، وسيأتي البحث في ذلك، وجعل هذه الآيات ومثلها شجى[١] في حلوق القاسمية.

كما أن منها: أن هذا الاستدلال قد يعارضه بعض القائلين بخلافه، ويأتي ذكر الجواب عن معارضته حينما يذكره ذاكره في غير كلام هذا الإمام. ومنها: أن استدلاله بآية: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾[٢] إلى آخرها على فضل جبريل عليه السلام على رسول الله وهو من جنس الملائكة والرسول من جنس البشر، يؤخذ منه أن القيامة التي قامت بجانب بعض أهل العلم وبالخاصة أهل حواشي "المرشد المعين" وأسلافهم على صاحب "الكشّاف" وتنقيصه بهذا الاستدلال، كما يأتي نصهم وبحثنا معهم وقد قدّمناه معهم في كتاب "الإرشاد والتبيين في البحث مع شُرَّاح المرشد المعين"[٣] غير خاص به، بل ها أنت تسمعه ممن هو أقدم وأشهر من صاحب "الكشَّاف" بل تسمعه بنسبه لأهل الحق.

ومنها: أن ما ذكره من دليل تفضيل الملائكة على الرسل رؤية رسول الله جبريل مرتين بالأفق الأعلى، وعند سدرة المنتهى، وتعظيم الله هذه الحالة لرسوله وامتنانه عليه بها مبني على أن المربي لرسول الله إذ ذاك هو جبريل، ولا يصحّ إلا هو، فالأفق الأعلى وعند سدرة المنتهى جاء الخلاف فيه أو في الرب سبحانه، وأصح التفاسير أنه جبريل عليه السلام وعليه فالاستدلال تام واضح غاية الوضوح.

ومنها: أن ما نفاه من دعوى أن الملائكة خدام أهل الجنة وغيرهم إلى آخره، لو صحّ لا ينهض دليلاً لقائله على تفضيل غير الملائكة على الملائكة، إذ قد يخدم الأفضل الفاضل، فقد قدّم الرسل – عليهم السلام – أممهم وأهاليهم وضيوفهم، وبالأخص سيّدنا إبراهيم عليه السلام وقد جاء بعجل حنيذ، فإن قيل: إنهم ملائكة، قيل: هو لم يخدمهم على إنهم ملائكة، بل أنكرهم وليس في قصده إلا كونهم بشراً، فلما تبين

---

(١) الشَّجى: مقصورٌ، ما نَشب في الحلق من غصَّةِ همٍّ أو عودٍ أو نحوه. انظر: كتاب العين (١٥٦/٦).

(٢) سورة التكوير، الآية (١٩).

(٣) هو من كتب المؤلِّف، وهو مخطوط.

أنهم ملائكة ذهب ذلك القصد، وهكذا فضلاء الدنيا وعظماؤها، يخدمون ضيوفهم وأهلهم، ومن لاذ بهم، ورسل غيرهم إليهم.

ومنها: أن قوله في قوله سبحانه: ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[1] ينبغي أن تقرأ بالرفع يقال: (علمه)، ولو قرأت بالجر لما أعوزها الدليل، لأن كون الملائكة مع الله وفي ظُلل منه بدعوى المجاز في ظُلَل[2]، يدل على أفضليتهم على غيرهم حيث خصوا بتلك المعيّة العظيمة في ذلك المقام الأعظم.

ومنها: أن النبي ﷺ سأل أن يكون النور في قلبه؛ يقال عليه: لا خصوصية لهذا السؤال، ولم يكن في كلام الإمام ما يخصصه بل قال: "اللهم اجعل لي نوراً في قلبي، ونوراً في يدي، ونوراً من خلفي، ونوراً عن يميني، ونوراً عن شمالي، ونوراً من فوقي، ونوراً من تحتي، ونوراً في سمعي، ونوراً في بصري، ونوراً في شعري، ونوراً في جلدي، ونوراً في لحمي، ونوراً في عظمي، ونوراً في مخي، ونوراً في دمي، اللهم اجعل لي نوراً، وأعطني نوراً، وأعظم لي نوراً"[3].

ومنها: أنه ذكر هنا ما يدل على فضل النبي ﷺ على الرسل وغيرهم من البشر من الخصائص المذكورة زيادة على ما أشرنا إليه قبل على سبيل الإجمال، وهو الحق الذي لا حق يخالفه، كما دل فحوى قوله هذا، على أفضلية الرسول على الرسل، لا على أفضليته على الملائكة، وفيه ردّ على من قال: إن القائل بأفضلية الملائكة على الرسل يستثني من ذلك رسول الله إذ لا استثناء عنده كغيره فيما وقفنا عليه، وسيزاد لذلك بسط في محله.

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢١٠).

(٢) هذا تأويل غير سائغ وصرف للآية عن ظاهرها، والصحيح في معناها ما أثبته أهل السنة والجماعة من أن: (صفة الإتيان ثابتة لله ﷻ على الوجه الذي يليق بجلاله وكماله ﷻ من غير تشبيه ولا تأويل ولا تحريف). انظر: تفسير الطبري (٤/٢٦٥)، وابن كثير (٢/٢٧٤).

(٣) سبق تخريجه (ص: ٦٦).

أقول: إذا تم كلام الإمام ابن حزم في هذه المسألة، فليكتب بعده كلام شارح الطحاوية[(١)] - رحمه الله - ونصه: (وقد تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر، وينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر والأنبياء فقط على الملائكة، وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة. وأتباع الأشعري على قولين: منهم من يفضل الأنبياء والأولياء، ومنهم: من يقف ولا يقطع في ذلك قولاً، [وحُكي عن بعضهم ميلهم إلى تفضيل الملائكة، وحكي ذلك][(٢)] عن غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية، وقالت الشيعة: إنّ جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة، ومن الناس من فَصَّلَ تفصيلاً آخر، ولم يقل أحد ممن له قول يؤثر: إن الملائكة أفضل من بعض الأنبياء دون بعض)[(٣)]. انتهى بعض كلامه.

ثم ذكر بعده ما اختصرناه من أن الكلام في هذه المسألة ليس من الواجب في الدين، ولا هو مطلوباً منه، وإن الكلام فيها من البدع المحدثة إلى أن قال: (فَمِمَّا استُدِلَّ به على تفضيل الأنبياء على الملائكة، إن الله أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم، وذلك دليل على تفضيله عليهم، ولذلك امتنع إبليس واستكبر وقال: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾[(٤)].

قال الآخرون: إن سجود الملائكة كان امتثالاً لأمر ربهم وعبادةً وانقياداً وطاعةً له، وتكريماً لآدم وتعظيماً، ولا يلزم من ذلك الأفضلية، كما لم يلزم من سجود يعقوب لابنه يوسف - عليهما السلام - تفضيل ابنه عليه، ولا تفضيل الكعبة على بني آدم بسجودهم إليها امتثالاً لأمر ربهم، وأما امتناعُ إبليس فإنه عَارَضَ النص برأيه وقياسه الفاسد بأنه خير منه، وهذه المقدّمة الصغرى، والكبرى محذوفة، تقديرها: والفاضل لا

(١) شارح الطحاوية هو: العلامة صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقيّ الصالحيّ الحنفيّ، توفي سنة (٧٩٢هـ). انظر: إنباء الغمر بأنباء العمر (١/٤٠٨).

(٢) سقط من أصل المخطوط، وأكملته من شرح العقيدة الطحاوية لكي يستقيم الكلام، وجعلته بين معقوفتين.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٦٢-٤٦٣).

(٤) سورة الإسراء، الآية (٦٢).

يسجد للمفضول! وكلتا المقدمتين فاسدة: أمّا الأولى: فإنَّ الترابَ يفوق النار في أكثر صفاته، ولهذا خان إبليس عُنصُرُه، فأبى واستكبر، فإنَّ من صفات النار طَلَبَ العلوِّ والخِفَّة والطيش والرُّعونة، وإفساد ما تصل إليه ومحقه وإهلاكه وإحراقه، ونفع آدم عُنصُرُه في التوبة والاستكانة، والانقياد والاستسلام لأمر الله، والاعتراف وطلب المغفرة، فإنَّ من صفاتِ التراب الثبات والسكون والرصانة، والتواضع والخضوع والخشوع والتذلُّل، وما دنا منه يَنبُتُ ويزكو وينمو، ويبارك فيه ضد النار.

وأمّا المقدّمة الثانية: وهي أن الفاضل لا يسجد للمفضول فباطلة، فإنَّ السجود طاعة لله وامتثالٌ لأمره، ولو أمَرَ الله عباده أن يسجدوا لحجرٍ، لوجب عليهم الامتثال والمبادرة، ولا يدل ذلك على أن المسجودَ له أفضل من الساجد، وإن كان فيه تكريمه وتعظيمه، وإنما يدل على فضله، قالوا: وقد يكون قوله: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾[1] بعد طرده لامتناعه عن السجود له لا قبله فينتفي الاستدلال به.

ومنه: أنَّ الملائكة لهم عقولٌ وليست لهم شهواتٌ، والأنبياء لهم عقول وشهوات، فلما نَهَوا أنفسهم عن الهوى ومنعوها عما تميل إليه الطِّبَاعُ كانوا بذلك أفضل)[2].

(قال الآخرون: يجوز أن يقع من الملائكة من مداومة الطاعة، وتحمل العبادة، وترك التواني والفتور فيها، ما يفي بتجنب الأنبياء شهواتهم مع طول مدة عبادة الملائكة، ومنه: إن الله جَعَلَ [الملائكة][3] رسلاً إلى الأنبياء وسفراء بينه وبينهم، وهذا الكلام قد اعتَلَّ به من قال: إن الملائكة أفضل واستدلالهم به أقوى، فإنَّ الأنبياء المرسلين إن ثبت تفضيلهم على المرسل إليهم بالرسالة، ثبت تفضيل الرسل من الملائكة إليهم عليهم، فإن الرسول الملكي يكون رسولا إلى الرسول البشري. ومنه: قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[4] الآيات.

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٦٢).

(٢) انظر: "شرح العقيدة الطحاوية" (٢/٤٦٦-٤٦٧).

(٣) سقط من أصل المخطوط، وأكملته من شرح العقيدة الطحاوية.

(٤) سورة البقرة، الآية (٣١).

قال الآخرون: هذا دليل على الفضل لا على التفضيل، وآدم والملائكة لا يعلمون إلا ما علَّمهم الله، وليس الخضر أفضل من موسى بكونه علم ما لم يعلمه موسى، وقد سافر موسى وفتاه في طلب العلم إلى الخضر وتزوَّد لذلك، وطلب موسى منه العلم صريحاً، وقال له الخضر: "إنك على علم من علم الله"(١) إلى آخر كلامه؛ ولا الهُدهُد أفضل من سليمان عليه السلام بكونه أحاط بما لم يحط به سليمان علماً. ومنه: قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾(٢). قال الآخرون: هذا دليل الفضل لا الأفضلية، وإلا لزم تفضيله على محمد ﷺ فإن قلتم: هو من ذريته، فمن ذريته البَرُّ والفاجر بل يوم القيامة إذا قيل لآدم: "ابعث من ذريتك بعثاً إلى النار، يبعث من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحداً إلى الجنة"(٣)، فما بال هذا التفضيل سرى إلى هذا الواحد من الألف فقط. ومنه: قول عبدالله بن سلام رضي الله عنه: "ما خَلَقَ الله خلقاً أكرَمَ عليه من محمد ﷺ"(٤). فالشأن في ثبوته وإن صح عنه، فالشأن في ثبوته في نفسه، فإنه يحتمل أن يكون من الإسرائيليات)(٥).

(ومنه: حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إنَّ الملائكة قالت: يا ربنا أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها، ويشربون ويلبسون، ونحن نسبح بحمدك، ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو، فكما جعلت لهم الدنيا، فاجعل لنا الآخرة؟ قال: لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كن فكان" أخرجه الطبراني(٦)، وأخرجه عبدالله بن أحمد بن محمد بن حنبل [عن عروة](٧) بن رُوَيم(١)، أنه قال: أخبرني الأنصاريُّ، عن

---

(١) سبق تخريجه (ص: ٦٣).

(٢) سورة ص، الآية (٧٥).

(٣) صحيح البخاري (ص: ٥٥٨/ح٣٣٤٨)، ومسلم (ص: ١١٣/ح٢٢٢).

(٤) أخرجه الحاكم (٥/٣١-٣٢)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٥/٤٨٥). وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٥) انظر: "شرح العقيدة الطحاوية" (٢/٤٦٧-٤٦٨).

(٦) انظر: "المعجم الكبير" (١٣/٦٥٨/ح١٤٥٨٤)، و"الأوسط" (٦/١٩٦/ح٦١٧٣). وضعَّفه العلامة الألباني في "السلسلة الضعيفة" (١٠/٧٣٣/ح٤٩٨٠).

(٧) سقط من أصل المخطوط، وأكملته من شرح العقيدة الطحاوية.

النبي ﷺ: "إن الملائكة قالوا . . ." الحديث، وفيه: "وينامون ويستريحون، فقال الله تعالى: "لا" فأعادوا القول ثلاث مرات، كل ذلك يقول: "لا"[٢]، والشأن في ثبوتهما، فإن في سنديهما مقالاً، وفي متنهما شيئاً، فكيف يُظن بالملائكة الاعتراض على الله مرات عديدة، وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾[٣] وهل يظن بهم أنهم بأحوالهم متشوفون إلى ما سواها من شهوات بني آدم؟ والنوم أخو الموت، فكيف يغبطونهم به؟ وكيف يظن بهم أنهم يغبطونهم باللهو وهو من الباطل. قالوا: بل الأمر بالعكس، فإن إبليس إنما وسوس إلى آدم ودلَّه بغرور، إذ أطمعه في أن يكون ملكاً بقوله: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾[٤] فدّل أن أفضلية المِلَكِ أمر معلوم مستقر في الفطرة يشهد لذلك قوله تعالى حكاية عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن عند رؤية يوسف: ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾[٦]، قال الأولون: إن هذا إنما كان لِمَا هو مركوزٌ في النفوس، أن الملائكة خلقٌ جميل عظيم، مُقتَدِرٌ على الأفعال الهائلة خصوصاً العرب، فإن الملائكة كانوا في نفوسهم من العظمة بحيث قالوا: إن الملائكة بَنَاتُ الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٧]؛ قال الآخرون: قد يذكر العَالَمُون ولا يقصد به العموم المطلق، بل في كل مكان بحسبه كما في قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[٨]، ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ

---

(١) عروة بن رويم هو: بالراء مصغّرا اللخمي أبو القاسم، صدوق يرسل كثيرا، من الخامسة، مات سنة خمس وثلاثين ومائة. انظر: تقريب التهذيب (ص:٦٧٤/ ترجمة:٤٥٩٢).

(٢) أخرجه عبدالله بن أحمد في كتاب "السنة" (١٤٨/٢)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٢/ح٦٨٨).

(٣) سورة الأنبياء، الآية (٢٧).

(٤) سورة الأعراف، الآية (٢٠).

(٥) سورة يوسف، الآية (٣١).

(٦) سورة الأنعام، الآية (٥٠).

(٧) سورة آل عمران، الآية (٣٣).

(٨) سورة الفرقان، الآية (١).

مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[(١)]، ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِـلْمٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[(٢)]، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ ﴾[(٣)]، والبريّة: مشتقة من البَرء بمعنى الخلق، فثبت أنَّ صالحي البشر خير الخلق؛ قال الآخرون: إنما صاروا خيرَ البريّة، لكونهم آمنوا وعملوا الصالحات، والملائكة في هذا الوصف أكمل، فإنهم لا يسأمون ولا يفترون، فلا يلزم أن يكونوا خيراً من الملائكة، هذا على قراءة من قرأ "البريئة" بالهمز، وعلى قراءة من قرأ بالياء، إن قلنا: إنها مخففة من الهمزة، [وإن قلنا: إنها نسبة إلى البَرَى: وهو التراب، كما][(٤)] قاله الفرّاء[(٥)(٦)] فيما نقله عنه الجوهريّ[(٧)] في "الصِّحاح"[(٨)] يكون المعنى: أنهم خير من خُلِقَ من التراب، فلا عموم فيها إذاً لغير من خُلِقَ من التراب)[(٩)].

(قال الأولون: إنما تكلمنا في تفضيل صالحي البشر إذا كَمُلُوا، ووصلوا إلى غايتهم، وأقصى نهايتهم، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة، ونالوا الزلفى، وسكنوا الدرجات العلا، وحباهم الرحمن بمزيد قربه، وتجلى لهم ليستمتعوا بالنظر إلى وجهه الكريم.

---

(١) سورة الشعراء، الآية (١٦٥).

(٢) سورة الدخان، الآية (٣٢).

(٣) سورة البينة، الآية (٧).

(٤) سقط من أصل المخطوط، وأكملته من شرح العقيدة الطحاوية.

(٥) انظر: "معاني القرآن" (٣/٢٨٢).

(٦) الفرّاء هو: العلامة صاحب التصانيف المفيدة، أبو زكريا يحي بن زياد بن عبدالله بن منظور الأسديّ، مولاهم الكوفيّ النحويّ، الفرّاء، صاحب الكسائيّ، توفي سنة (٢٠٧هـ). انظر: تاريخ بغداد (١٦/٢٢٤/ترجمة: ٧٤١٩)، سير أعلام النبلاء (١٠/١١٨/ترجمة: ١٢).

(٧) الجوهريّ هو: إمام اللغة، أبو نصر إسماعيل بن حماد التركيّ الجوهريّ الأتراريّ، مصنف كتاب "الصِّحاح"، وأحد من يضرب به المثل في ضبط اللغة، توفي سنة (٣٩٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/٨٠/ترجمة: ٤٦).

(٨) انظر: "الصِّحاح" (١/٣٦).

(٩) انظر: "شرح العقيدة الطحاوية" (٢/٤٦٨-٤٧٢).

قال الآخرون: الشأن في أنهم هل صاروا إلى حالة يفوقون فيها الملائكة [أو يُسَاوونهم فيها، فإن كان قد ثبت أنهم يصيرون إلى حال يفوقون فيها الملائكة][(١)] سُلِّم المدَّعَى وإلا فلا.

ومما استُدِلَّ به على تفضيل الملائكة على البشر، قوله تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[(٢)]، وقد ثبت من طريق اللغة أن مثل هذا الكلام يدل على أن المعطوفَ أفضَلُ من المعطوف عليه، لأنه لا يجوز أن يقال: لن يستنكف الوزير أن يكون خادماً للملك، ولا الشرطي والحارس، وإنما يقال: لن يستنكف الشرطي أن يكون خادماً للملك ولا الوزير، ففي مثل هذا التركيب يترقَّى من الأدنى إلى الأعلى، فإذا ثبت تفضيلهم على عيسى عليه السلام ثبت في حق غيره، إذ لم يقل أحدٌ: إنهم أفضل من بعض الأنبياء دون بعض.

أجاب الآخرون بأجوبة أحسنها أو من أحسنها: أنه لا نِزَاعَ في فضل قوة المَلَك وقدرته وشدته وعِظَمِ خلقه، وفي العبودية خضوعٌ وذلٌ وانقياد، وعيسى عليه السلام لا يستنكف عنها، ولا من هو أقدر منه وأقوى وأعظم خَلقاً، ولا يلزم من مثل هذا التركيب الأفضلية المطلقة من كل وجه. ومنه قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ﴾[(٣)] ومثل هذا يقال بمعنى: إنِّي لو قلت ذلك لادعيتُ فوق منزلتي، ولستُ ممن يَدَّعي ذلك.

أجاب الآخرون: أنَّ الكفار كانوا قد قالوا: ﴿ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾[(٤)]، فأُمِرَ أن يقول لهم: إنِّي بشر مثلكم أحتَاجُ إلى ما يحتاج إليه البشر من الاكتساب والأكل والشرب لَستُ من الملائكة الذين لم يجعل الله لهم حاجةً إلى الطعام والشَّراب، فلا يلزم حينئذ الأفضلية المطلقة.

---

(١) سقط من أصل المخطوط، وأكملته من شرح العقيدة الطحاوية.

(٢) سورة النساء، الآية (١٧٢).

(٣) سورة الأنعام، الآية (٥٠).

(٤) سورة الفرقان، الآية (٧).

ومنه: ما روى مسلم بإسناده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كُلٍّ خيرٌ"[(١)]، ومعلومٌ أن المراد المؤمن من البشر - والله أعلم - فلا تدخل الملائكة في هذا العموم.

ومنه: ما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: "يقول الله تعالى: أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في مَلأٍ ذكرته في مَلأٍ خَيرٍ منهم"[(٢)]، وهذا نصٌّ في الأفضلية.

قال الآخرون: يحتمل أن يكون المراد "خير منه" للمذكور لا الخيرية المطلقة.

ومنه: ما رواه إمام الأئمة محمد ابن خزيمة بسنده في كتاب "التوحيد" عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "بينا أنا جالس إذ جاء جبريل فوكز بين كتفيَّ، فقمتُ إلى شجرةٍ بمثل وَكرَي الطير فقعد في إحداهما، وقعدت في الأخرى، فَسَمَت وارتفعت حتى سدَّت الخافقين، وأنا أقلب بصري، ولو شئتُ أن أَمَسَّ السماء مَسَّيتُ، فنظرت إلى جبريل كأنه حِلسٌ[(٣)] لاطئ[(٤)] فعرفتُ فضل عِلمِهِ بالله عَلَيَّ"[(٥)]، قال الآخرون: في سنده مقالٌ فلا نُسَلِّم الاحتجاج به إلا بعد ثبوته)[(٦)]. انتهى.

ونحن نقول عليه: قد جاء - رحمه الله - بأكثر ما استدل به الإمام ابن حزم وسَلَّمَه، وبحث مع بعض خصومه بحوثاً واضحة، وزاد عليه بعض الاستدلالات مُسَلَّمَة لتفضيل الملائكة على الأنبياء غير أننا نلاحظ في كلامه ملاحظات:

---

(١) صحيح مسلم (ص: ١١٦١/ح٢٦٦٤).

(٢) صحيح البخاري (ص: ١٢٧٣/ح٧٤٠٥)، ومسلم (ص: ١١٦٩/ح٢٦٧٥).

(٣) الحِلس: كساءٌ يكون على ظهر البعير تحت البرذعة، ويبسط في البيت تحت حر الثياب، وجمعه أحلاس. انظر: الفائق في غريب الحديث (١/٣٠٤).

(٤) لاطئ: واللَّطءُ من لَاطَ الشيءُ بالشيءِ إذا لَصِق به. انظر: المصدر السابق (٢/٣١٨).

(٥) رواه ابن خزيمة (٢/٥٢٠/ح٥٠)، وأبو نعيم في "الحلية" (٢/٣١٦). وضعَّفه العلامة الألباني في "السلسلة الضعيفة" (١١/٧٥٣/ح٥٤٤٤).

(٦) انظر: "شرح العقيدة الطحاوية" (٢/٤٧٢-٤٧٤).

منها: تقييده الخلاف بين الملائكة والبشر لصالحهم، المفيد رَدّ إطلاق بعضهم في البشر. وسيأتي البحث فيه عند ذكره.

ومنها قوله: (وينسب إلى أهل السنة . . .) الخ، فيه ما يقال في هذه النسبة أبحاث أربعة:

الأول: مخالفتها إلى ما قاله الإمام ابن حزم، وهو ما هو من نسبة عكس هذا القول إلى أهل الحق وليسوا بغير أهل السنة.

الثاني: ما يفيد أن أهل السنة ليسوا بمتفقين على ما نسب إليهم، بدليل ما ذكر من الخلاف عن الأشعرية[1]، وأبي حنيفة.

الثالث: نسبة العكس إلى المعتزلة[2] لا تهين ما كان حقاً، ولو كان غير مرضي عند الخصم، وقد رجع أكثر أهل السنة إلى أهل المعتزلة في عصمة الأنبياء من المعاصي كلها قبل النبوة وبعدها.

الرابع: ما يضعف النسبة المذكورة إلى عموم أهل السنة، ما نسبه من الوقوف لبعض أهل السنة والصوفية[3].

---

(١) الأشعرية هي: فرقة تنتسب إلى الإسلام ويسمون بالأشاعرة، ومن أصولهم الباطلة تأويل عامة الصفات الثابتة عن الله ﷻ وتحكيم العقل، واضطرابهم في باب الاعتقاد والإيمان. انظر: الملل والنحل (١/١٠٦).

(٢) المعتزلة هي: فرقة تنتسب إلى الإسلام ويسمون بالقدرية والعدلية أيضاً، ويعتقدون بالأصول الخمسة وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر: الملل والنحل (١/٥٦).

(٣) الصوفيّة: هي فرقة غالية مبتدعة بعيدة عن الإسلام، يعتقدون أن طريق الوصول إلى الله ﷻ بالكشف والذوق والخلوة والرياضيات الروحيّة التي ما أنزل الله بها من سلطان، كما يعتقدون بالحلول والإتحاد، وقد يصل بعض من ينتسب إليها درجة الشرك، وسقوط التكاليف الشرعيّة عنه. انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ٧٢-٧٤)، وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (٣/٨٦٤).

ومنها: أن ما نسبه لبعض الأشعرية من تفضيل الأولياء على الملائكة هو بعينه ما تقدّم عن ابن حزم، وهو خطأ صراح قد يؤدي إلى ما فوقه كما تقدّم.

ومنها قوله: قالت الشيعة[1]: (إن جميع الأئمة . . .) الخ.

يقال عليه: إن عَنَو بالأئمة الإثني عشر وغيرهم المعصومين بزعمهم، ويلزم منهم على مذهب من يفضل الملائكة على الرسل، أن يكونوا أفضل من الرسل بالأحرى، كان كفرهم واضحاً لادعائهم العصمة في غير المعصوم، ولتفضيله عليه مَلَكاً كان أو نبياً، ويشاركهم في ذلك معصومهم، إن جوز قوله هذا فيه، وهم أسعد الناس، إذ ذاك بدليل يدفعه عنهم تفضيل الشياطين عليهم، وإن عنوا بذلك جميع الأئمة عُصِموا أم لم يُعصَموا، كان القول في ذلك كالأول.

ومنها: ما قاله من أن بعض الناس، يُفصِّل تفصيلاً آخر، ولعله من يرجع إلى التفصيل بالخصوص والعموم، وسيأتي ذكره عن صاحبه والبحث فيه.

ومنها قوله: (وقد يكون قوله: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾[2] بعد طرده . . .) الخ.

يقال عليه: أبهم الشارح ها هنا القائلين، والأظهر أن يقال: إن قول إبليس هذا حق سواء قاله قبل الطرد عند السجود، أو بعده، لأن الله كرّم آدم على إبليس مطلقاً، ويدل لتكريمه عليه ظاهراً، أمره بالسجود له، كما آثار هذا التكريم المقدم قبل الأمر

---

(١) الشيعة الإمامية هم "الرافضة" -أخزاهم الله-: وهي التي عَنَاهَا المؤلف هنا، وهي فرقة ضالة مضلة تنتسب إلى الإسلام كذباً وزوراً، وأقرب ما تكون إليه من اليهود والمجوس، ومن أصولهم القول بإمامة علي ﷺ بعد النبي ﷺ نصاً ظاهراً، وتعييناً صادقاً، من غير تعريض بالوصف، بل إشارة إليه بالعين، والطعن في أمهات المؤمنين، وصحابة النبي الكريم ﷺ، والقول بعصمة الأئمة الإثنا عشر وهم: المرتضى، والمجتبى، والشهيد، والسجاد، والباقر، والصادق، والكاظم، والرضى، والتقي، والنقي، والزكي، والحجة القائم المنتظر، وهم شر من وَطِئَ الحصا، وأشدّ الناس عداوة لأهل السنة والجماعة وينبزونهم بالنواصب. انظر: الملل والنحل (١٨٩/١)، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (٣٠٦/١). وانظر للاستزادة: "منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية" لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

(٢) سورة الإسراء، الآية (٦٢).

بالسجود، وبعد الامتناع واضح بعده، وبعلم الله أنه سيمتنع كان مكرماً ما عليه قبله وبعده ولا يلزم من تكريم آدم عليه السلام على إبليس تكريمه وأفضليته على الملائكة لوجهين:

الأول: أن إبليس ليس من الملائكة بل كان من الجن ففسق عن أمر ربه.

الثاني: أنه الممتنع المطرود، والملائكة طائعون لله ممتثلون لأمره.

ومنها: أن قول الله عز وجل عن الملائكة: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾[1] لا ينافي ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[2] لأن السبق بالقول من مطلق المعارضة، وآية: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ إنما هو جواب استفهام الله للملائكة عن جعله خليفة في الأرض.

ومنها: ما أجاب به مفضلو الأنبياء على الملائكة، من قوله سبحانه: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[3] من أن الملائكة لهم قوة عظيمة وفضل عظيم إلى آخر ما قال.

فإنه يقال عليه: قوتهم هذه وعظمتهم وطاعتهم وقربهم من ربهم، تدل وحدها على أفضل أفضليتهم، فكيف إذا ضُمّ إليها ما قيل في أسلوب الآية وسياقها.

ومنها: ما أجاب به عن قوله سبحانه: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾[4] من جانب القائلين بتفضيل الأنبياء على الملائكة.

بقوله وأجاب الآخرون بأن الكفار كانوا قد قالوا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾[5] الآية.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية (٢٧).

(٢) سورة البقرة، الآية (٣٠).

(٣) سورة النساء، الآية (١٧٢).

(٤) سورة الأنعام، الآية (٥٠).

(٥) سورة الفرقان، الآية (٧).

وهذا يقال عليه:

أولاً: وإن قال الكفار ذلك، فالرسول أُمِرَ بأن يقول لهم: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌ﴾[(١)] لا يقول الموجب المذكور.

ثانياً: إنهم كانوا يتحققون أنه بشر، يأكل ويشرب ويمشي في الأسواق، وأخبروا بذلك عن يقين، كما أن رسول الله متيقن ذلك من نفسه، فلو كان قصد بنفي الملكية عنه الأخبار بأنه ليس على صفته، لأنه يأكل ويشرب ويمشي في الأسواق، لكان ذلك من تحصيل الحاصل عنده، وعندهم ومن باب السماء فوقنا، والأرض تحتنا، ولكن أراد أن يدفع عن نفسه منزلة المَلَك في الفضل والعصمة من الشهوات.

ثالثاً: ما تقدم من الجواب، من أن العرب كانت الملائكة معظمة في نفوسهم، تعظيماً عظيماً، ولهم قوة لا تُدرك، لا يلزم من هذه الصفة تفضيلهم على الرسل، ولذلك نفى رسول الله عن نفسه تلك الصفة لا غير.

يقال عليه: معتقد العرب هذا إن لم يكن علة مستقلة بالأفضلية، كان فردٌ من أفرادها أو جزءٌ من أجزائها، مع أنهم كانوا لا يعتقدون في الملائكة خصوص هذا بل كانوا يعتقدون أنه لا يصلح لهداية البشر إلا هم، ولذلك أنكروا رسالة البشر لهم كما في القرآن، وهداية الخلق لا يصلح لها إلا الأفضل، كما يزعمون أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك.

وأولاد الأفضل والأعظم ذكوراً كانوا أو إناثاً، أفضل وأعظم من عبيده كيفما كانوا، عليه فلا يخفى على منصف أنهم كانوا يعتقدون أفضلية الملائكة على البشر، فأمر الله رسوله أن يقول لهم: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾[(٢)] الآية، ليدفع ذلك عن نفسه.

---

(١) سورة الأنعام، الآية (٥٠).

(٢) سورة الأنعام، الآية (٥٠).

ومنها: ما يقال في قوله في حديث: "المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف"[١]، من أن الملائكة لا تدخل في هذا العموم، وأن المؤمن يطلق على البشر والمَلَك فأيّ مخصص هنا، ولئن سلمناه، فالدلائل غيره كافية.

ومنها: ما قال في حديث: "أنا عند ظنّ عبدي بي"[٢].

وقال الآخرون: (يحتمل أن يكون المراد "خير منه" للمذكور . . .) الخ.

وهذا يعارض من وجوه: الأوّل: ما لمخصص لهذا العموم.

ثانياً: الحديث في زمن رسول الله، وإن كان الذاكر في ملأٍ فيه رسول الله فكيف لا يشمله الحديث بل أولى أن تدخل هذه الصورة في العموم، لأنها موجودة حيث النزول.

ثالثاً: كُل ملأٍ فيه الله أفضل من ملأٍ يكون فيه غيره وإن كان من كان.

ومنها: أن ما قاله عن الآخرين من أن حديث ابن خزيمة لم يثبت[٣].

يقال عليه: إن ثبت كان من جملة دلائلنا، وإن لم يثبت ونحن نرجح عدم الثبوت، كفتنا الدلائل المتكاثرة المذكورة فيما تقدّم، وغير المذكورة، والله المستعان.

وحيث انتهينا من نقل كلام الإمام ابن حزم، وشارح الطحاوية، فلننقل كلام غيرهما ليبحث فيه، ويعلم ما به.

---

(١) سبق تخريجه (ص: ٧٦).

(٢) سبق تخريجه (ص: ٧٦).

(٣) انظره في حاشية رقم (٣) صفحة (٨١)

فنقول:

فصلٌ: في كلام الشيخ الطالب[(١)]: قال الشيخ الطالب في حاشيته على مَيَّارَة[(٢)] في شرح "المرشد المعين" عند قوله:

الإيمان جزم بالإله والكتب والرسل والأملاك مع بعث قرب

ما نصه: (تنبيهات فذكرها إلى أن قال: الرابع: خُصَّ نبينا ﷺ بخصائص فذكر الأولى منها وهي: كونه ﷺ خاتم النبيين وهذا لا إشكال فيه، إلى أن قال: وهو وإن كان آخر النبيين من حيث الوجود الجسماني، فهو أولهم من حيث الوجود الروحاني، وفي ذلك يقول ابن الفارض[(٣)]:

وإني وإن كنت ابن آدم صورةً فلي فيه معنىً شاهدٌ بأُبُوَّتي

بل نقول: هو أصل الكائنات كلها وأساسها والسبب في وجودها، كما وقع التصريح بذلك في عدة أحاديث[(٤)]، والكلام في ذلك مبسوط في "شرح عقود الفاتحة"

---

(١) الشيخ الطالب هو: محمد الطالب بن حمدون بن عبدالرحمن السُّلَميّ الفاسيّ، مؤرّخ، من فقهاء المالكية، وليّ قضاء مراكش ثم قضاء فاس، من كتبه: "حاشية على مختصر الدر الثمين في شرح المرشد المعين" في الفقه، مطبوع، ولم يتيسر لي الوقوف عليه، توفي بفاس سنة (١٢٧٣هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (٦/١٧١).

(٢) مَيَّارَة هو: محمد بن أحمد بن محمد أبو عبدالله مَيَّارَة، فقيه مالكيّ من أهل فاس، من كتبه: "الدر الثمين في شرح منظومة المرشد المعين"، مطبوع، ويعرف بِمَيَّارَة الكبير، تمييزاً عن مختصر له يسمّى "مَيَّارَة الصغير"، توفي سنة (١٠٧٢هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (٦/١١-١٢).

(٣) ابن الفارض هو: شيخ الصوفيّة الاتحاديّة، شرف الدين أبو القاسم عمر بن علي بن مرشد بن علي الحمويّ، ثم المصريّ، صاحب الاتحاد الذي قد ملأ به قصيدته التائية، توفي سنة (٦٣٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/٣٦٨/ترجمة: ٢٣٢)، ديوان ابن الفارض (ص:٦٥).

(٤) سيرد المؤلِّف - رحمه الله تعالى - على كل هذا بالتفصيل فيما سيأتي معنا.

للوالد[1]، إلى أن قال: الثانية: عموم بعثته للثقلين، فذكر الإجماع في ذلك، وهو حق لا ريب فيه، ثم قال: واختلفوا في بعثته للملائكة أيضاً، ونقل الإجماع في كُلٍّ من الإثبات والنفي، وخلاصته مذكور في: "تنوير الأرائك في إرسال النبي إلى الملائك"، واللائق كما قال الكمال ابن أبي شريف[2]: (الوقف عن الخوض في هذه المسألة على وجه يتضمن دعوى القطع في شيء من الجانبين، وفائدته على الأولى وإن كانوا عباداً مكرمين ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[3]، تلقيهم منه ﷺ ما يناسب أحوالهم ومقاماتهم من المعارف الربانية، والأسرار العرفانية، لأنه سَيِّد العارفين، وأن يكونوا من أمته فيشرفوا بذلك.

وذكر القشيريّ[4] أن الحكمة في عروجه إلى السماء: (لتتأدب الملائكة بآدابه حيث لم يقف مع مقام ولا حال، ولم يلتفت لشيءٍ من السِّوَى كما قال تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾)[5]، وزاد البارزيّ[6]: (لأنه مرسل إلى الحيوانات والجمادات، ذكره

---

(١) والده هو: حمدون بن عبدالرحمن بن حمدون السلميّ المرداسيّ الصوفيّ أبو الفيض، المعروف بابن الحاج، من كتبه: "شرح عقود الفاتحة" في السيرة النبويّة – مخطوط – ألّفه على نهج البردة في أربعة آلاف بيت، وفيها من الغلوّ الواضح والباطل والكذب ما الله به عليم، توفي سنة (١٢٣٢هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (٢/٢٧٥).

(٢) الكمال بن أبي شريف هو: محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي المريّ المقدسيّ الشافعيّ، أبو المعالي، توفي سنة (٩٠٦هـ). انظر: نظم العقيان (ص: ١٥٩/ترجمة: ١٦٦).

(٣) سورة التحريم، الآية (٦).

(٤) القشيريّ هو: أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة القشيريّ الخراسانيّ، الشافعيّ الصوفيّ، صاحب "الرسالة" المسماة بـ "الرسالة القشيرية" وقد صنّفها في الكلام على رجال الطريقة وأحوالهم وأخلاقهم، توفي سنة (٤٦٥هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/٢٢٧/ ترجمة: ١٠٩).

(٥) سورة النجم، الآية (١٧).

(٦) البارزيّ هو: شرف الدين هبة الله بن عبدالرحيم بن إبراهيم القاضيّ، أبو القاسم الجهنيّ الحمويّ الشافعيّ البارزيّ، قاضي حماة، توفي سنة (٧٣٨هـ). انظر: الوافي بالوفيات (٢٧/١٧٢).

في "الأنموذج" وقد سَلَّمَت عليه الأحجار[١]، وأجابت دعوته الأشجار[٢]، وكَلَّمَهُ الضَّبّ[٣]، والجمل[٤]، وغير ذلك، رَكَّبَ الله فيها الإدراك بمعرفته، وأذعنت له، ويؤيد العموم حديث مسلم عن أبي هريرة ﷺ: "وبعثُ إلى الخلق كافة")[٥]، إلى آخر ما قال)[٦].

نقدٌ: ونحن نقول عليه:

أولاً: قوله: (وهو وإن كان آخر النبيين من حيث الوجود الجسماني إلى آخره).

يقال عليه: ما يقال فيه وفي أمثاله، في فصل دعاوى النوريَّة[٧] ودلائلهم فانتظر.

وثانياً: قوله: (بل نقول هو أصل الكائنات كلها، وأساسها . . .) الخ.

هو كما قبله فيما يقال فيهما بعد في ذلك الفصل، فليرتقبه المرتقب.

وثالثاً: قوله: (في عدة أحاديث . . .) إلى آخره.

سيأتي ما في تلك الأحاديث ورجالها، في الفصل المذكور.

ورابعاً: قوله: (مبسوط في شرح عقود الفاتحة. . .) إلى آخره.

يقال عليه: لو كان في ذلك البسط أغرب وأعجب مما ذكره، ما أهمل ذكره هنا، وكيف لا وهو يفتخر بتركة والده المرة بعد المرة، كما سيأتي.

---

(١) صحيح مسلم (ص: ١٠٠٨/ح٢٢٧٧).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (١١/٤٥/ح٣٢٢٨٨)، والبيهقي في "السنن" (١/٩٣).

(٣) رواه الطبراني في "المعجم الصغير" (٢/١٥٣/ح٩٤٨)، و"الأوسط" (٦/١٢٦/ح٥٩٩٦)، والبيهقي في "الدلائل" (٦/٣٦). وهو حديث ضعيف، وخبر باطل منكر لا يصح. انظر: إرواء الغليل (٥/١٠٧-١٠٨).

(٤) رواه أحمد (٣/٢٧٣/ح١٧٤٥). وقال محققوا المسند: (إسناده صحيح على شرط مسلم).

(٥) صحيح مسلم (ص: ٢١٣/ح٥٢٣).

(٦) انظر: "حاشية الشيخ الطالب على ميّارة" (١/٩٣-٩٤).

(٧) سيأتي معنا في (ص: ١٢٠).

خامساً: قوله: (واختلفوا في بعثته للملائكة . . .) الخ.

يقال عليه: وجود الاختلاف في هذه الصورة ينافي دعوى الإجماع منفرداً أو متعدداً.

سادساً: دعوى الإجماع في الظنيات لا يصح، لأنَّ أحداً لا يحيط بما للأمة المحمدية أنسها وجنّها، وربما يزاد لذلك بيان بعد.

سابعاً: إذا كان هذا الشأن الإجماع في المظنونات الذي لا ينبني على ذكر خلاف قط، فكيف به إذا كان بعد دعوى الخلاف، كهذه الصورة، فما هو في الحقيقة إلا كَذِبٌ من قائله.

ثامناً: دعوى الإجماع من كل فريق على قوله المخالف لخصمه، دعوى تناقضية وتكاذبية. تاسعاً: قوله: (وخلاصته مذكور في: "تنوير الأرائك . . .") الخ.

يقال عليه: هذا الكتاب للسيوطيّ[1]، وخلاصته تلك قد شِيبَت بما لا يخللها فيما نرجوا من الله، وهو كَتبُنَا عليه، وقد كَتَبتُ عليه – رحمه الله – والحمد لله وكَتَبنَا معه في ذلك، ولولا التطويل لكَتَبنَا الكتاب والمكتوب عليه هنا، وربما مَسَّت الحاجة إلى ذكر ذلك أو بعضه، في خلال ما نكتب بعد، إن شاء الله.

عاشراً: قوله: (واللائق الوقوف عن الخوض في هذه المسألة . . .) الخ.

يقال عليه: بل اللائق أن لا تدرج هذه المسألة في حَيِّز الخلاف، وأن يقطع فيها، بِأنَّ لا عموم بالرسالة يُدخِل الملائكة، إذ لا دليل على ذلك والأصل العدم، وقوله تعالى: ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[2] خاصٌ بالثقلين دَلّ عليه أمور:

الأول: أنه لم يُحفظ بطريق الآحاد فضلاً عن التواتر الذي يليق بالمسألة، أن رسول الله كان يدعوا الملائكة إلى الله، وإلى تعليمه إياهم ما يجب عليهم، وما يحرم،

---

(١) السيوطيّ هو: الحافظ جلال الدّين، أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين أبي بكر بن عثمان الخضيريّ السيوطيّ الشافعيّ، توفي سنة (٩١١هـ). انظر: حسن المحاضرة (١/٤٤١)، شذرات الذهب (١٠/٧٤).

(٢) سورة الفرقان، الآية (١).

وإلى ما يحسن أخلاقهم، ويؤدب أحوالهم، ولا يُحفظ عنه مجلس خاص بالملائكة، أو مع غيرهم، يخبر بأنه يبلغهم ما كلفهم الله، وأنه الواسطة بينهم وبين ربهم.

الثاني: انعكاس الأمور إذ الملائكة مرسلون من قبل الله إلى الأنبياء لا الأنبياء هم المرسلون إليهم، وهذا القول يعكس ذلك، وجبريل هو الذي كان يعلم رسول الله ويقول له: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾[1]، ويدارسه القرآن لا رسول الله هو مُعَلِّم جبريل.

الثالث: ما الفائدة في هذه الرسالة لهم، وقد عُصِمُوا من الذنوب، ولازموا طاعة الله.

الرابع: قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[2]، هذه الرحمة مفسرة، بالهداية والإرشاد، وهي مناسبة لمن لم يهد ويشرد، وهم هداة مرشدون.

الخامس: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[3]، والبشارة والإنذار في حقهم من تحصيل الحاصل.

الحادي عشر: قوله: (في فائدة دعوة الملائكة على القول به، أنها تلقيهم منه ﷺ ما يناسب أحوالهم ومقاماتهم، من المعارف الربانية، والأسرار العرفانية . . .) الخ.

يقال عليه: لعل الملائكة – عليهم السلام – ما كفى فيهم، وفي إثبات المعارف لهم، ورفيع الدرجات وعلو المقامات، وما وصفهم الله تعالى به، الذي قَلَّ أن يثبت لغيرهم، وهذا – غفر الله لقائله – وهداه إلى سواء السبيل.

الثاني عشر: تعليل إرساله لهم بكونه سَيِّد العارفين، يقتضي أنهم محتاجون للمعرفة، ولم يكفهم ما يُعَرِّفهم الله ويُعلِّمهم.

الثالث عشر: لا ريب أن رسول الله سَيِّد العارفين، يُحتاج إليه في المعارف، ولكن لم يجيء دليل ظني قويّ ولا قاطع في أن كل العوالم حتى الملائكة محتاجة إلى التعلم منه واقتباس المعرفة منه.

---

(١) سورة العلق، الآية (١).

(٢) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧).

(٣) سورة سبأ، الآية (٢٨).

الرابع عشر: قوله: (وأن يكونوا من أمته ليتشرفوا بذلك) إلى آخره.

يقال عليه: هذا مؤذن بأنهم إذا لم يُرسل إليهم، ولم يكونوا من أمته كانوا غير مُشَرَّفِين أو ناقصين، وهذا – يغفر الله لقائله – على أنَّ شَرَفَ أمته على التحقيق بالنسبة إلى غيرهم دون الملائكة، وقد تقدّم ما يدل على ذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[1]، وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾[2]، وما قال: "أُخرِجَت للملائكة ولا على الملائكة".

الخامس عشر: قوله: (قال: القشيريّ . . .) الخ.

يقال عليه: هذا كلام مبحوث فيه من وجوه:

الأول: هذه العلة مخالفة لما علل به الله تعالى إسراءه بقوله: ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾[3].

الثاني: هذا يفيد أن الملائكة – عليهم السلام – وإن كانوا مؤدبين فهم محتاجون إلى التأديب وناقصوه، وكيف لا وهم ألطف خلق الله وأحسنه خلقاً، وأكمله أدباً.

الثالث: قوله: (ولم يلتفت لشيءٍ من السِّوَى).

يقال عليه: لو لم يلتفت له، ما أخبرنا بعجائب ما رأى في ذلك العَالَم من مكة إلى سدرة المنتهى، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾[4]، فذلك خاص بالحال التي غشى السدرة ما غشاها فيها، وإلا كان ما كان من الأمر متناقضاً.

السادس عشر: قوله: (زاد البارزيّ . . .) الخ.

يقال عليه: ما فائدة هذه الرسالة إلى الجمادات والمائعات، وليست بعاقلة، وأكثرها ليس بِحَيٍّ فضلاً عن أن تكون مُكَلَّفَة، وأفعال العقلاء تُصَان عن العبث، فضلاً عن أفعال الله تعالى وتصرفاته.

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١١٠).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٤٣).

(٣) سورة الإسراء، الآية (١).

(٤) سورة النجم، الآية (١٧).

السابع عشر: ما جاء به من أنها كَلَّمَهُ بعضها، وانقاد له بعض شجرها إلى آخره.

يقال عليه: هذه معجزات وقعت له بقدرة الله السميع العليم، شاهدة على رسالته لمن يستحق الرسالة، كما كان ذلك لإخوانه المرسلين، لا لِأَنَّهُ أُرسِلَ إليها ولو كان ذلك لِذلك لَكَلَّمَهُ وسلّم عليه وانقاد إليه كُلّ شجر، وحجر، وتراب، وهواء، وماء، وريح، وذلك لم يقع، ولَكَانَت إذا لم تجبه عُرْضَةً لسخط الرب، وولوج دار غضبه.

الثامن عشر: قوله: (ويؤيد العموم حديث مسلم . . .) الخ.

يقال عليه: لا يُؤَيِّد عموماً، لأن الدلائل يفسر بعضها بعضاً، ويُجمع بينهما، فالخلق في حديث مسلم محمول على الثقلين، كما دلت عليه الدلائل القاطعة والمظنونة، ودلت عليه المشاهدة والوجود، إذ رسول الله لم يدع غير الثقلين من الملائكة والحيوانات والجمادات إلى الإقرار برسالته وإتباعه فيها، ولا أخبر خبراً لا يشك فيه، كما يقتضيه المقام أنه رسولهم يجب عليهم اتباعه، كما هو رسول الثقلين، وتأتي تتمة الكلام على هذا في صفحة (٦٧) إلى (٧٠)[١].

ثم قال بعد هذا: (الثالثة: أنه أفضل العالمين من الأنبياء والرسل والملائكة إجماعاً، حكاه الفخر[٢] وغيره، واستثنوه من الخلاف في تفضيل الرسول على الملائكة والعكس[٣]، قال السّنوسيّ[٤] في "شرح الوسطى": (مما يدل على مزيد فضله كون

---

(١) هذا العزو بالنسبة للمخطوط، وسيأتي كلامه معنا في (ص: ١٥٥-١٦٠).

(٢) الفخر هو: محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، فخر الدين أبو عبدالله القرشيّ البكريّ التيميّ، الطبرستانيّ الرازيّ، ابن خطيب الرّيّ، الشافعيّ، المتكلّم الأشعريّ، توفي سنة (٦٠٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/٥٠٠/ترجمة: ٢٦١).

(٣) حكاه في تفسيره "مفاتيح الغيب" (٢/٢٣٧-٢٣٩).

(٤) السّنوسيّ هو: محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السّنوسيّ الحسنيّ التلمسانيّ، أبو عبدالله، عالم تلمسان في عصره وصالحها، له تصانيف كثيرة منها: "العقيدة الكبرى" و"العقيدة الوسطى"، و"شرح الآجرومية"، و"المقدمات"، كلها مطبوعة، توفي سنة (٨٩٥هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (٧/١٥٤).

الشفاعات والكلام له في الموقف الأعظم دون جميع ما سواه، وأطال في ذلك)[(١)]، وفي التنزيل: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾[(٢)]، اتفقوا على أن المراد به محمد ﷺ وفي إبهامه تفخيم وتعظيم لدلالته على أنه لا يسبق للفهم غيره، لأنه العلم الذي لا يلتبس، ويرحم الله الوالد إذ يقول من قصيدته في هذه الآية:

يــا أفضــل الرســل يــا أجلهــم شــرفاً	يــا حــائزاً رتبــاً مــا نالهــا أحــد
قــد فضــل الله بعــض المرســلين علــى	بعـض كمـا قـص ذاك الواحـد الأحـد
وقــد كــنى عنــك افخامــاً ببعضــهم	ومثــل ذلــك في التفخــيم لا يــرد
إذ لم يصــل ســر كنهــك المصــون ولم	يقــدرك قــدرك إلا الفــرد الصــمد
قــد اســتعار لمــا قــد نلــت مــن رتــب	الرفــع للــدرجات أيهــا الصــمد
ملمحــاً بــه للأســرار إذ ظهــرت	بــه وجــوه مــن التفضــيل تعتقــد
موســطاً لــك حيــث كنــت واســطة	للكـل لـولاك مـا عـدوا ومـا وجـدوا[(٣)]
كنــت دُرّاً لأصــداف الــورى وســطاً	وأنــت واســطة في العقــد منفــرد

---

(١) انظر: "العقيدة الوسطى" (ص:٣٣٥).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٥٣).

٣) وهذا مبني على عقيدة باطلة لا تصح ؛ بل الثابت في الشرع أن الله تعالى خلق الخلق ليتعرفوا على ربهم ويوحدوه ، قال تعالى : {الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما } وقال سبحانه : { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون }

لكن لعل مثل هذه العقائد وصلت إلى بعض المسلمين بسبب شؤم الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والموضوعة !

فقد روى ابن الجوزي في كتابه الموضوعات (٢٨٩/١) أن الله قال للنبي ﷺ : " ... ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك علي ومنزلتك عندي ولولاك يا محمد ما خلقت الدنيا ".

ثم قال ابن الجوزي : هذا حديث موضوع لا شك فيه . أهـ

ولا تخلو هذه الأبيات من الغلو في مدحه ﷺ مما لا ينبغي لأهل الإيمان ، وفيما ذُكر من فضائل ومناقب رسول الله ﷺ في الكتاب والسنة ما يكفي ويغني عمّا سواهما .

وكـي يقـر بـذاك كـل مسـتمع ولا طريـق إلى إنكـارهم وجـدوا

وشَذَّ صاحب الكشَّاف[١] في تفضيل جبريل وجهل مذهبه، قال البيضاويّ[٢] في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ﴾[٣] الآية، (استدلَّ الزمخشريّ[٤] بذلك على فضل جبريل على محمد – عليهما السلام – حيث عد فضائل جبريل واقتصر على نفي الجنون عن النبي ﷺ وهو ضعيف، إذ المقصود منه نفي قولهم: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞ﴾[٥]، ﴿أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾[٦]، لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما)[٧] اهـ.

فمحصله أنَّه شيءٌ اقتضاه خصوص الحال على حد ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌ﴾[٨]، ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾[٩]، وقال الطيبيّ[١٠] في حواشي الكشَّاف: (ثم إنك إذا أمعنت النظر وقفت على أنّ في إجراء تلك الصفات على جبريل في هذا المقام إدماج لتعظيم الرسول ﷺ وأنّه بَلَغَ من المرتبة، وعلو

(١) صاحب الكشاف هو: كبير المعتزلة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد، الزمخشريُّ الخوارزميّ النحويّ، صاحب "الكشاف"، و"المفصل"، كان داعية إلى الاعتزال، توفي سنة (٥٣٨هـ) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/١٥١/ترجمة:٩١).

(٢) البيضاويّ هو: عبدالله بن عمر بن محمد بن علي، أبو الخير ناصر الدين البيضاويّ الشافعيّ، توفي سنة (٦٨٥هـ). انظر: البداية والنهاية (١٧/٦٠٦)، بغية الوعاة (٢/٥٠).

(٣) سورة التكوير، الآية (١٩-٢٠).

(٤) ذكر ذلك في تفسيره "الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" (٦/٣٢٦)، وبنى قوله على مذهب المعتزلة في تفضيل المَلَك على البشر.

(٥) سورة النحل، الآية (١٠٣).

(٦) سورة سبأ، الآية (٨).

(٧) انظر: تفسير البيضاويّ "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" (٥/٢٩٠).

(٨) سورة الأنعام، الآية (٥٠).

(٩) سورة يوسف، الآية (٣١).

(١٠) الطِّيبيّ هو: العلاّمة الحسين بن محمد بن عبدالله الطِّيبيّ، الإمام المشهور، كان شديد الردّ على الفلاسفة والمبتدعة، توفي سنة (٧٤٣هـ). انظر: الدرر الكامنة (٢/٦٨).

المكانة عند الله أن جعل السفير بينهما مثل هذا المقرّب المطاع الأمين)[١]، وإلى هذين الجوابين أشار الوالد – قدس الله سره[٢] – في قصيدة همزية تَعرَّض فيها للآيات التي أخطأ فيها الزمخشريّ في جانب النبي ﷺ فقال:

أفضل الخلق من قريب وناء ... فالجميع أرض وأنت سماء

لك جبريل خادم[٣] ورسول ... ورَقَّت تحت ذيلك الخدماء

ما لجبريل وهو من نوره ... كان بتفضيله عليه رضاء

والذي في التكوير يطلبه ... ذاك المقام فما عليه ابتناء

كان أصل الكلام في مدح جبريل ... فمقتضى الظاهر الإطراء

وبذلك المديح إدماج مدح ... للنبي دَرت به الأذكياء

وقال في أرجوزته في علم الكلام:

الرسل أفضل من الملائك ... والمصطفى أفضل من أولئك

هو أجل ما اختفى وما ظهر ... انعقد الإجماع فيه واشتهر

وقول محمود بتكوير نشر ... كونه مذموماً به بين البشر

إذ خرق الإجماع جهلاً وخرج ... وما على الأعرج يا هذا حرج

جبريل روح القدس من مقدمه ... لا يتخطى عن خُطَى قدمه

---

(١) انظر: حاشية الطيبيّ "فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب" (٣١٩/١٦).

٢) وهذه لفظة صوفية ، يطلقونها على من يسموهم بالأولياء ، وأن عندهم أسرار من الله نالوها باتباع الطريقة الصوفية على اختلاف ألوانها ! وهذا كله باطل وديننا واضح جلي لا أسرار فيه ، قال رسول الله : " قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك .. " [رواه أحمد (١٧١٤٢) وابن ماجه (٤٣) وغيرهما عن العرباض بن سارية رضي الله عنه ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٣٧)]

٣) ليس في الكتاب والسنة وصف جبريل بأنه خادم لرسول الله عليهما الصلاة والسلام ؛ بل وصَفَه الله بأحسن الصفات ؛ فيترفَّع المسلمُ عن مثل هكذا ألفاظ فيها الحطُّ من قدْر هذا الرسول الكريم .

أثـــنى عليـــه بصـــفات أدمجـــت ثنـــاء مخـــدوم لـــه وأدرجـــت

وقال في وترياته[1] مُغَلِّظاً عليه:

جلـب كرهـا يتلـى إذا الشـمس كـورت ووصـفه في وصـف لجبريـل مـدمج

جـرى صـاحب الكشـاف في غـير مَهيَـع ولا حـرج عليـه أعمـى وأعـرج

انتهى بعض كلامه)[2].

وقد قلنا عليه في كتابنا: "الإرشاد والتبيين في البحث مع شُرَّاح المرشد المعين"[3] ما نصه: (ثم ذكر الشيخ الطالب بعدما تقدم حكاية الإجماع على أن رسول الله أفضل من النبيين والملائكة، وأنه مستثنى من الخلاف في أفضلية الأنبياء على الملائكة أو العكس، واستشهد بمزيد فضله بما ذكره السنوسيّ من الشفاعة في أهل المحشر).

نقد: ونحن نقول عليه: الشفاعة لا يلزم منها أن يكون الشفيع أفضل من المشفوع له وعنده بل قد يكون أفضل منهما، كشفاعة أفضل لفاضل عند فاضل، ومن مشفوع له فقط، كشفاعته للفاضل عند أفضل من شافع ومن المشفوع له، كالشفاعة المحشرية هذه، وقد يكون أفضل من المشفوع عنده، كشفاعته لفاضل عند رذيل، وقد يكونان أفضل منه، كشفاعة فاضل لأفضل منه عند أفضل منه، نَعَم هذه الشفاعة من رسول الله دليل على أفضليته للمشفوع لهم من الثقلين، ويؤيد هذه الأفضلية الظاهرة تقديمه على غيره، وإن لم تكن لازمة في النظر كما قدمنا.

قوله في حديث الشفاعة: "أنا سيّد الناس يوم القيامة، أتدرون بما ذلك . . ."[4]، فذكر حديث الشفاعة بطوله، كما يُؤَدِّ ذلك: "أنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر"[5]. نعم السيادة واضحة الدلالة بالشفاعة في حق الإنس والجن دون الملائكة، لأنهم ليسوا بمحشورين لأخذ الحقوق لبعضهم من بعض، ولأنهم طالبون الشفاعة فيهم دون

---

(١) وترياته هي: ديوان شعر وقصائد في المديح النبويّ، وهو مخطوط. انظر: الأعلام، للزركلي (٢/٢٧٥).

(٢) انظر: "حاشية الشيخ الطالب على ميّارة" (١/٩٤-٩٥).

(٣) الكتاب مخطوط.

(٤) صحيح البخاري (ص: ٨١٥/ح٤٧١٢)، ومسلم (ص: ١٠٣/ح١٩٤).

(٥) رواه الترمذي (ص: ٨٢١/ح٣٦١٠). وضعّفه العلامة الألباني. وسبق تخريج اللفظ الصحيح (ص: ٦٦).

الملائكة، لأنهم الـمُلَقَّبُون بـ"الناس" في الحديث، حيث قال: "أنا سيّد الناس"، كما أن حديث "أنا أكرم ولد آدم"، ظاهر الخصوص ببني آدم، كما يدل لسيادته على الثقلين، عموم رسالته للإنس والجن من أهل الأرض قاطبة من في زمانه وبعده إلى يوم القيامة، ووجه التفضيل على غيرهم من الأنبياء أن المرء في ميزان اتباعه، وأن له حظّاً من حسناتهم وغيرهم من الأنبياء لم تكن له مثل هذه الدعوة، بل خاصة بقومه أو عامة في قوم محصورين في خصوص زمانه، وبهذا يجاب عن بعض الرسالة العامة، كرسالة آدم لأولاده، ونوح إلى قومه.

وقوله: (إنه أفضل العالمين من الأنبياء والرسل والملائكة، إجماعاً حكاه الفخر وغيره . . .) الخ.

نقد: قلنا عليه في ذلك الكتاب.

نقد: ونحن نقول عليه:

أولاً: دعواه الإجماع في غير المقطوعات لا يصح، أعني إجماع الأمة، وذلك أنه تحتاج دعواه إلى الاستقراء لجميع ما قاله أفراد الأمة شرقاً وغرباً، ومن الجن والإنس، وهذا غير ممكن عادة.

ثانياً: الإجماع على استثناء رسول الله من الخلاف في أفضلية الملائكة والنبيين، يرده نسبةُ خلافِ ذلك منكم لصاحب الكشّاف، كما أن من أهل الخلاف غيره، كأبي محمد ابن حزم وغيرهما، ممن فضل الملائكة على البشر، لم يذكروا هذا الاستثناء، بل صَرَّح الإمام أبو محمد ابن حزم: بأن أفضليّة الملائكة على البشر من غير استثناء، هو قول أهل الحق كما تقدم عنه، وعليه فكيف تصح دعوى الإجماع مع قول الكثير إن لم نقل الأكثر بخلافه وبعدم الاستثناء.

ثالثاً: اتفقوا على أنه رسول الله يعني في قوله: ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖ﴾[1][2].

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٥٣).

(٢) انظر: "تفسير الطبري" (٥/٣٧٨)، و"القرطبي" (٤/٢٥٣)، و"ابن كثير" (٢/٤٢٧).

نقد: يقال عليه: خالفه غيره كالشيخ الطيّب[1]، إذ قالوا الأكثر من المفسرين على أنه رسول الله ﷺ.

ملحق: ما زدناه هنا على ما قلناه في ذلك الكتاب من أنه لو كان من حيث حمل البعض في الآية عليه قطعي أو اتفاقي لكونه العلم الذي لا يسبق إلى الفهم غيره، ولا يلتبس على الغير شأنه لما التبس ذلك على الأقل بالنسبة إلى التعبير بالأكثر، وإلا فقد يكون كثيراً ذلك، ولما سبق إلى فهمه غير ذلك، نَعَم هو ﷺ العلم الموصوف بتلك الصفات، ولكن حين نزول الآية كان الناس في أهم من الخلاف في معنى ذلك البعض والتعلق به، وقد صار ذلك إلى من بعدهم من أهل ولذلك اختلفوا، كما نزيد على ما هناك الرد على قوله في قصيدة والده، ومثل ذلك في التفخيم لا يرد بقولنا الإبهام في الأسماء بعمومها وإجمالها مع إرادة التفخيم والتعظيم من أكثر ما يوجد في أساليب الكلام، وفي الكتاب والسنة، وفي المدح والذّم، قال الله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ﴾[2]، وقال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾[3]، ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾[4]، والمفضل هنا عام، والتمثيل لهذا الضرب كثير لا نطول بذكره. انتهى الملحق.

رابعاً: قوله: (أيها الصّمد . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: إن كان الصمد فاعل استعار، والمفعول رافع الدرجات، كان أيها مبهماً لا مبين له، وهذا الإعراب يدل عليه بناء استعار للفاعل كما هو المكتوب، ولو جعل مصحفاً من استعير مبيناً للمفعول وكان الخطاب يا أيها الصّمد لرسول الله لكان الصّمد خاصاً بالله تعالى، وفي العبارة ما فيها.

ملحق آخر: قوله: في الأبيات (مُلَمّحاً به للأسرار) إلى قوله: (ولا طريق إلى إنكارهم وجدوا).

---

(١) الشيخ الطيّب هو: محمد الطيّب بن عبد المجيد بن عبد السلام بن كيران، فاضل مالكيّ من فقهاء فاس، له تصانيف، توفي سنة (١٢٢٧هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (٦/١٧٨).

(٢) سورة طه، الآية (٧٨).

(٣) سورة الحاقة، الآية (٣).

(٤) سورة الإسراء، الآية (٥٥).

نقد: يقال عليه: إن كان قصده بالتلميح أنَّ ذكره بين موسى وعيسى – عليهم السلام – فيه الإشارة إلى كونه واسطة في وجود جميع الخلائق، وهذا يأتي ما فيه عند ذكر غيره له، وفي فضله الخاص به بعدما يقال: ما أبعد هذا التلميح من الإشارة فضلاً من العبارة، وإن كان قصده به تخصيص البعض بالرسول ﷺ فيقال عليه: لا إشارة ولا عبارة تعين هذا البعض، وكيف لا وبين موسى وعيسى – عليهما السلام – أنبياء غير النبي ﷺ وقد رفعهم الله وغيرهم درجات وإن كان الرفع لبعضهم أكثر. انتهى الملحق.

خامساً: قوله: (وشذ صاحب الكشّاف في تفضيل جبريل . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: ما نسبه للزمخشريّ من الحكم بتفضيل جبريل على رسول الله، يقال عليه: الذي نظنه ظناً قوياً عندما وقفنا على تفسير الزمخشريّ في سورة التكوير بواسطة غيره، أنه إنما ذكر هذا التفضيل بالنسبة لما في الآية المذكورة والتفسير عند كتابتنا هذه لم يوجد بأيدينا حتى نرجع إليه ونحقق ما قال، ولا يلزم من دلالة هذه الآية على التفضيل أن لا يكون في غيرها ما يدل على أفضلية الرسول، أو تساويهما في الفضل كما يقال. لم ينفرد الزمخشريّ بهذا الوصف منه بل يلزم ذلك كل من فضل الملائكة على البشر ولم يستثن، وقد قال أبو حامد الغزاليّ[1] في كتاب "التَّفَكُّرِ" من الإِحيَاءِ: (إن سيّدنا جبريل أعلم من سيِّد الأولين والآخرين)[2]، ولما سأل ابن مبارك[3] شيخه

---

(١) أبو حامد الغزاليّ هو: زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسيّ الشافعيّ الغزاليّ الصوفيّ الأشعريّ، من كبار الصوفيّة، ألَّفَ كُتُباً منها: "الإحياء"، و"المستصفى"، و"القسطاس" وغيرها، توفي سنة (٥٠٥هـ). انظر: وفيات الأعيان (٢١٦/٤)، سير أعلام النبلاء (٣٢٢/١٩/ ترجمة: ٢٠٤).

(٢) انظر: "إحياء علوم الدين" (٤/الجزء: ٢٧٩٢/١٥).

(٣) ابن مبارك هو: أحمد بن مبارك بن محمد بن علي بن مبارك، أبو العباس السجلماسيّ اللَّمطيّ المالكيّ، له كُتب منها: "الإبريز من كلام سيدي عبدالعزيز الدَّبَّاغ"، مطبوع، توفي سنة (١١٥٦هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (٢٠١/١-٢٠٢).

الدَّبَّاغ[١] كما في كتابه "الإبريز" عن هذا أجابه بما لم يَقفُ له علماً ولا طائل تحته إذ الدعاوى الزائفة بقوله: (لو عاش سيّدنا جبريل مائة ألف عام إلى مائة ألف عام إلى ما لا نهاية له ما أدرك رُبعاً من معرفة النبي ﷺ ولا من علمه بربه)[٢].

ثم استدلّ لذلك بما استدلّ به من قال: إنّ الشيخ المجذوب[٣] يرى ما في اللوح المحفوظ[٤] حيث قال لمن نازعه في ذلك: وكيف لا يراه! وقد خُلق من نوره!.

بقوله: وكيف يمكن أن يكون سيّدنا جبريل أعلم وهو إنما خلق من نور النبي فهو وجميع الملائكة بعض نوره إلى آخر ما أطال به مما غلو به وغيره في حق النبي ﷺ الذي نحن بصدد رده عليهم.

سادساً: ما ذكره من فضل المخدوم على الخادم، والمرسل إليه على السفير ليس بلازم، وإلا لزم أن يكون كل من جاءه جبريل برسالة من ربه، أفضل من جبريل حتى مريم – عليها السلام – لا خصوص النبي ﷺ وكذا في غير الأنبياء ولو فُرِضَ إرسال جبريل لهم في حاجة، وكذا يكون الأمر في الصحابة، وقد قال: رسول الله ﷺ: "هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم"[٥]، وكذا يكون البشر لاسيما المؤمنون من أننا مخدومهم

(١) الدَّبَّاغ هو: عبدالعزيز بن مسعود أبو فارس الدَّبَّاغ، متصوف ، مولده ووفاته بفاس، كان أُمِّيّاً لا يقرأ ولا يكتب، توفي سنة (١١٣٢هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (٤/٢٨).

(٢) انظر: "الإبريز من كلام سيدي عبدالعزيز" (ص: ٣٩٠).

(٣) الشيخ المجذوب هو: أبو زيد عبدالرحمن بن عيّاد بن يعقوب بن سلامة الصنهاجيّ الدّكاليّ المغربيّ الصوفيّ، لُقِّب بالمجذوب، توفي بمكناسة الزيتون سنة (٩٧٦هـ). انظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٥/٨٨).

٤) ومن الضلال المبين أن يعتقد المسلم أن أحدا غير الله مطلع على اللوح المحفوظ ! فهذا رسول الله ﷺ وهو أفضل البشر يخبر الله عنه فيقول : { قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون } وقال : { إن أتبع إلا ما يوحى إلي }

فلا يدعي الاطِّلاع على اللوح المحفوظ مُسلم قطٌّ ، وإنما قد يُطلع اللهُ سبحانه وتعالى من شاء من خلقه على ما أراد مما فيه .

(٥) صحيح البخاري (ص: ١٢/ح٥٠)، ومسلم (ص: ٢٤/ح٨).

وهم خُدَّامنا[١]، ويصحبوننا في اليمين والشمائل، ويكتبون حسناتنا وسيئاتنا، ويحفظونها في كتبهم إلى أن يدفعوها لنا، ويكونون لنا معقبات يحفظوننا ويحفون بنا عند تلاوتنا كتاب ربنا، ويستغفرون لنا، ويغيثون مستغيثنا[٢] إلى غير ذلك من خدماتهم لنا، وكذا أمم الأنبياء والمرسلين لأن الأنبياء سفراء لهم وخدام لهم، وهم مرسلون لهم ومخدمون[٣]، وهكذا

في كل من سفر إليه عظيم أو خدمه من كل مخلوق.

سابعاً: ليس من الأدب ومراعاة الحرمة لمثل جبريل عليه السلام أن يعبر في جانبه بالرِّقَةِ التي عَبّر عنها الوالد بقوله: (ورَقَّت تحت ذيلك الخدماء).

ثامناً: قوله: (ما لجبريل . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: إذا كان من نوره وفَضَّلَهُ الله عليه، فكيف لا يرضى بتفضيل الله عليه وعلى غيره.

تاسعاً: لا يلزم من كون الشيء فرعاً من شيء أن لا يكون الفرع أفضل، إذ قد يكون هذا أفضل وهذا أفضل وقد يتساويان في ذلك، فمن فضَّل الفرع على الأصل أن رسول الله فرع من نوره الذي انشقت منه الموجودات بزعمكم[٤]، وهو أفضل من أصله لأنه موجود، وأنتم تقولون: إنه أفضل الموجودات غير الله، كما إنه من ولد آدم وهو

(١) لا دليل على هذا ؛ بل لعل فيه تنقُّص من قدْر الملائكة الذين وصفهم الله تعالى بأنهم : { عباد مُكرَمون }

(٢) الملائكة لا تُغيثُ من استغاث بها ، وإنما تُطيع أمر ربها بإغاثة من استغاث بالله كما قال تعالى : { إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين } وأما الاستغاثة بالملائكة = فهو من فعل المشركين ، أعاذنا الله وإياكم منهم ومن أفعالهم .

(٣) وهذه التعبيرات لا تصح ولا تُستحسن البتة !

(٤) ثبت في صحيح مسلم (٢٩٩٦) عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : " خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجانُّ من مارج من نار، وخُلق آدم مما وُصف لكم " وقد وَصف اللهُ لنا خَلْق بني آدم فقال في كتابه : { والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا } فنبينا ﷺ وجميع بني آدم خُلِقوا من تراب ، ومن ادعى غير هذا فقد تألَّى على الله

أفضل منهم، وآدم من الطين وهو أفضل منه، وإبراهيم أفضل من آزر وهكذا، كما إن آدم أصل لأولاده لصلبه، ونوح، وإبراهيم، وموسى، ومحمد – عليهم السلام – وكذلك العلماء، والصالحون أفضل ممن تناسل منهم حيث لم يكن بصفتهم، وحيث يتساوى الأصل والفرع في الصفة كانا متساويين.

عاشراً: دعوى إن الكائنات خلقت من نوره الطَّيِّلاً باطلة، وقد اختصرنا ما قلناه فيها لما نقوله في فصلها عند ذكر أحاديثها.

الحادي عشر: قوله: (والذي في التكوير . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: إدماج هذين الجوابين وهو اقتضاء المقام، ونفي الجنون عن رسول الله فقط، للرد على من رماه بهما، وكون جبريل مدحُه مُدمَج في مدح رسول الله لكونه من نوره، تقدم البحث والإدماج الحقيقي، هو ما يقال: وصف جبريل بكونه رسولاً، يقال فيه: هذا وصف النبي أيضاً، وكذا قوله: ﴿كَرِيمٍ﴾[1]، وكذا ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾[2]، وإن اختلف وصف القوة ونوعها، وكذا﴿مُطَاعٍ﴾[3]، وإن اختلف نوع الطاعة، وكذا اشتراكهما في المكانة عند ﴿ذِى ٱلْعَرْشِ﴾[4]، وكذا يقال في ﴿أَمِينٍ﴾[5]، وإن نسبت هذه الأوصاف لجبريل الطَّيِّلاً فقط في هذه الآية، كما نسب نفي الجنون عن رسول الله ﷺ وإثبات رؤيته لجبريل في الأفق المبين، وكذا الأمانة على الغيب، وحفظ ما جاء به من قول الشيطان وتعلقه به إلى رسول الله فقط، وبالجملة فكل الأوصاف التي وصف بها جبريل ها هنا يتصف بها رسول الله بعضها في هذه الآية وبعضها في غيرها إلا ما استثناه الدليل.

الثاني عشر: قوله: (الرسل أفضل من الملائك . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: هذه مسألة خلافية لا إجماعية كما قال الناظم.

---

(١) سورة التكوير، الآية (١٩).

(٢) سورة التكوير، الآية (٢٠).

(٣) سورة التكوير، الآية (٢١).

(٤) سورة التكوير، الآية (٢٠).

(٥) سورة التكوير، الآية (٢١).

الثالث عشر: قوله: (مذموماً به بين البشر . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: إن صح ما قلناه في تفسيره فلا سبيل إلى ذمه وتعييبه، إذ لم يتعرض لأفضلية جبريل على رسول الله بمفهوم هذه الآية وغيرها، وإن صرح بتلك الأفضلية معتمداً على ما في التكوير فقط، فذلك اجتهاد منه، وهبه استدل بها وبغيرها، فقد قاله غيره كما تقدّم، والمجتهد لا يذم إلا إذا اعتمد الخطأ أو كان واضحاً من أمره بحيث لم يتعلق بدليل ما.

الرابع عشر: قوله: (وما على الأعرج من حرج، كقوله: لا حرج عليه أعمى وأعرج).

نقد: يقال عليه: بل نسبته إلى الخروج عن الإجماع تجعل عليه الحرج، ونفي الحرج عن الأعمى والأعرج شرعاً، إنما هو فيما يستعمل فيه البصر والرِّجل، لا فيما يستعمل فيه الفكر والنظر.

الخامس عشر: قوله: (لا يتخطى عن خُطَى قدمه . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: معلوم أن ما عليه رسول الله هو ما عليه جبريل من حيث الرسالة له، ولكن كونه لا يتخطى عن خُطَى قدمه فيها وفي غيرها في عهدته.

وها هنا ملحقات:

الأول منها: إن كان مقصوده بلا يتخطى، وقوفه ليلة الإسراء عن السير مع رسول الله، وقوله له: "إنَّك لو تقدّمت احترقت، ولو تقدّمت قدر أنملة احترقت"[١]. كان الجواب: بأنّ الحديث لا يُحتجّ به.

---

(١) قِصَّة احتراق الحجاب ليلة الإسراء والمعراج قصة طويلة جداً، جاءت منسوبة إلى الصحابي الجليل عبدالله بن عباس – رضي الله عنهما – وهي من الكذب والأباطيل، وابن عباس – رضي الله عنهما – بريءٌ منها. فقد أخرجها ابن حبّان في "المجروحين" وقال عقبها: (ذكر ميسرة بن عبد ربه حديثاً طويلاً في قصة المعراج شبيهاً بعشرين ورقة أكره ذكره لشهرته عند من كتب الحديث وطلبه، وميسرة بن عبد ربه الفارسيّ من أهل دورق، كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات، ويضع المعضلات عن الثقات في الحث على الخير، =

الملحق الثاني: ما قاله في كون المقام في سوره التكوير يقتضي الإطراء في حق جبريل عليه السلام قد يقال عليه: بل يقتضي العكس، لأنهم لما وصفوا رسول الله بالمجنون، والشاعر وغيرهما، اقتضى المقام أن يُنفَى عنه ذلك وأن يتسع في مدحه وذكر أوصافه.

الملحق الثالث: تمثيله بمقتضى المقام: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾[(١)]، ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[(٢)].

يقال عليه: تقدّم ما في الأول، ولئن سلّمنا اقتضاء المقام لذلك، لما كان دافعاً للدلائل الدالة على تفضيل الملائكة الزائدة على هذا الاقتضاء، وقد تقدّمت.

الملحق الرابع: قوله: أعمى وأعرج، لا يُدرى قصده بالأعمى، إن كان عمى البصر فعليه إثباته، وإلا فعمى البصيرة، ولا يُدرى حينئذ ما سبب هذا العمى، فإن كان هذا القول فقد تقدّم أنه قاله كثير من الأمة بل قيل: هم أهل الحق، وعليه كُلّهم عمي البصيرة - وإنا لله وإنا إليه راجعون - من هذه الطَّوام، وإن كان لاعتزاله لزم منه أن كل المعتزلة عُمي البصيرة وليسوا كذلك بل معهم الخطأ والصواب كما لغيرهم، وعليه فالعلة مشتركة بينهم وبين غيرهم، فَلِمَ خصوا بذلك عند هذا الناظم؟.

الملحق الخامس: قوله: (فالجميع أرض وأنت سماء . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: هو في عهدته ويأتي ما فيه مع أمثاله.

ثُمّ قال الشيخ الطالب بعد كلام: (التنبيه الخامس: في تقديم الرسل على الأملاك إشعار بتفضيلهم عليهم، وهو مذهب جمهور أهل السنة مستدلين بأن الله تعالى قال

والزجر عن الشر، لا يحل كتابة حديثه إلا على سبيل الاعتبار).

وقال الإمام الذهبيّ: (العلاء بن الحكم البصري عن ميسرة بن عبد ربه بحديث الإسراء، موضوع). وأقرّه الحافظ ابن حجر على ذلك. انظر: المجروحين، لابن حبان (٣/١١-١٢)، ميزان الاعتدال (٥/١٢١/ترجمة: ٥٧٢٩)، لسان الميزان (٥/٤٦٤/ترجمة: ٥٢٧٧). وأوردها العلاّمة ابن عراق الكنانيّ في كتابه "تنزيه الشريعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة" (١/١٥٥-١٦٩/ح١).

(١) سورة الأنعام، الآية (٥٠).

(٢) سورة يوسف، الآية (٣١).

بعد ذكر جمعٍ منهم ﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[(١)]، ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[(٢)]، وأسجد لآدم ملائكته، وفي الأنبياء من هو أفضل منه، وبأنّ النفس البشرية داعية إلى الشهوات وبمخالفتها عادة فاتت الملائكة، وبأنّ أهل الموقف إنما يستشفعون بالأنبياء لا الملائكة، وخالفت المعتزلة وبعض أهل السنة، فقالوا: بتفضيل الملائكة، لتجردهم عن الشهوات، ورُدَّ بأن وجودها مع قمعها أتم من باب أفضل العبادة أحمزُهَا، بحاء مهملة، فزاي، أي: أشقّها[(٣)]، ألا ترى أن الأقسام ثلاثة: شهوة محضة: وهي للبهائم، وعقل محض: للملائكة والإنسان مركب منهما، فكما أنَّ غلبة الشهوة تنزله عن البهائم لعذرها بالعدم، كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[(٤)]، كذلك غلبة العقل ترفعه عن الملائكة، ومن اللطائف ما في "نفح الطيب" أن القاضي أبا البركات بن الحاج السلميّ[(٥)] استدلّ على تفضيل الملائكة: (بأن الله أسجدهم لآدم، فنظر بعض الحاضرين إلى بعض، وقالوا: جن القاضي، قال: أتقولون إن أمر الله الملائكة بالسجود لآدم أمر ابتلاء واختبار، قالوا: نَعَم، قال: فيختبر تواضع العبد بالخضوع لسيده أم الأمر بالعكس؟ فأذعنوا لذلك)[(٦)]. انتهى باختصار.

وفيه نظر: لأنَّ الظاهر أن السجود إكرامٌ لا اختبار، وقيل: خواص البشر أفضل من خواص الملائكة، وعوام البشر أفضل من عوام الملائكة لحديث: "المؤمن أكرم على

---

(١) سورة الأنعام، الآية (٨٦).

(٢) سورة الدخان، الآية (٣٢).

(٣) انظر: "كتاب العين" (٣/١٦٨)، "لسان العرب" (٢/٩٩٤).

(٤) سورة الفرقان، الآية (٤٤).

(٥) القاضي أبا البركات ابن الحاج السُّلميّ هو: محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف السلميّ، أبو البركات البلفيقيّ ابن الحاج، له تصانيف كثيرة، توفي سنة (٧٧١هـ) وقيل (٧٧٤هـ). انظر: الدرر الكامنة (٤/١٥٥/ترجمة: ٤١٤)، تاريخ قضاة الأندلس (ص: ١٦٤).

(٦) انظر: "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" (٥/٤٨٥).

الله من بعض ملائكته"[١]، وتوقف البعض، قال البيهقيّ: (والأمر فيه سهل، وليس فيه من الفائدة إلا معرفة الشيء على ما هو عليه)[٢]. انتهى[٣].

نقد: وقد كتبنا عليه في كتابنا عليه في كتاب "الإرشاد والتبيين"[٤] ما نصه:

ونحن نقول عليه:

أولاً: العالمون هم الإنس والجن، وإلا لزم أن يدخل فيه الجمادات والمائعات، وأهل الجنة وغيرهم، ولا معنى لتعرض القرآن إلى ذكر أفضلية الأنبياء – عليهم السلام – على الجمادات وعلى جهنم.

ثانياً: العالمون هنا الأنسب أن يفيد بخواص الجن والإنس، وإلا كان داخلاً فيه الشيطان وجنوده، وكفار الإنس وفجارهم، ولا يناسب أن يقال: هؤلاء الأنبياء خير من هؤلاء، إذ الأفضلية تقتضي المشاركة في أصل الفضل، فلا يقال السيف خير من العصا.

ثالثاً: ينبغي حصره في بعض العالمين، وإلا لكان كل النبيين من هؤلاء أفضل ممن لم يذكر معهم، كآدم ومحمد – عليهما السلام – ونحتاج إلى دليل الاستدلال على خروج من لم يذكر على نفي الشمول له.

رابعاً: لابد من تقييد العالمين قي قوله: ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٥]، على أهل زمانهم، وإلا كان اليهود أفضل من الأمة المحمدية، لأنها في بني إسرائيل كما تُقيَّد بمؤمنيهم، وإلا كان كافرهم أفضل من مؤمن غيرهم في زمانهم، أو يكون معنى ﴿ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾ بمعنى: قدمناهم بجعل النبوات فيهم على سبيل الكثرة لا لفضلهم على غيرهم، لأن الفضل بالأوصاف الحميدة، والقرب المجيدة، لا بمجر اختيار الشعب، أو الفرد ما لم يتصف بما اختير له من الفضائل، وعلى كلٍّ فلا دلالة في

---

(١) رواه ابن ماجه (ص:٦٥١/ح٣٩٤٧). وضعَّفه العلامة الألبانيّ.
(٢) انظر: "شعب الإيمان" (٣٢٣/١).
(٣) انظر: "حاشية الشيخ الطالب على ميارة" (٩٥/١-٩٦).
(٤) الكتاب مخطوط.
(٥) سورة الدخان، الآية (٣٢).

الآيــة علــى أن البشــر أو مــؤمنهم أو خواصــهم، أفضــل مــن الملائكــة كمــا قلنــا هنــاك علــى قولــه: (وقيــل: خــواص البشــر أفضــل مــن خــواص الملائكة . . .) الخ.

وقـد اسـتدّل الشـيخ الطالـب بحـديث: "المـؤمن أكـرم علـى الله مـن بعـض ملائكته"[(١)]، لذلك وهذا الاستدلال منه.

نقد: يقال عليه:

أولاً: الدليل أخص من المدلول، لأن الدليل في المؤمن والمستدل له في البشر، وهو أعم من المؤمن.

ثانياً: إذا صح هذا الحديث حُمِلَ على بعض المؤمنين، كالخواص لما تقدم أو على رعي الحُرُم، فإن المؤمن تُراعى حرمته فيما يحتاج عليه، كجماع أهله، وقضاء حاجته، وتعرّيه في خلوته أو مع أهله، وقس على هذا، ولا تُراعى فيه حرمة الملائكة الذين ينظرون ويتخللون المحتاجين لذلك، وكاتخاذ كلب حراسةٍ أو صيدٍ روعيت فيه حرمة المؤمن دون حرمة الملائكة، وكجعلهم حَرَساً له وحفظة، وكُتَّباً لأعماله إلى غير ذلك، ومثل هذا في حديث: "المؤمن أشدُّ حرمةً من الكعبة"[(٢)]، كقضاء حاجته في الكعبة، ودفاعه عن نفسه، وحفظ ماله بها، وأهله مع اضطراره لذلك غاية الاضطرار، فَتُراعى حرمة المؤمن على حرمة الكعبة، وقس على ذلك كما قلنا هناك عليه، وعلى هذا يبقى الخلاف بين أهل العلم في الأفضلية بين الملائكة والمؤمنين من الثقلين، ولكن يظهر الضعف في قولِ أفضلية المؤمنين كلهم على الملائكة، إذ كيف يكون فاجر قد اشتدَّ فجوره، وعم ظلمه، أفضل من الملائكة خواصًّا كانوا أو عواماً، وفي قول عوام المؤمنين أفضل من عوام الملائكة من العلة المتقدمة، نعم لو جعلنا في مقابلة الملائكة المقربين، المؤمنين وأبرارهم لكان لذلك وجه، وأفسد من هذا من جعل الخلاف في التفضيل بين الملائكة ومطلق البشر حيث لم يقيده بالإيمان، إذ كيف يقال في كافر إنه أفضل من

(١) سبق تخريجه (ص: ١٠٠).

(٢) رواه ابن ماجه (ص: ٥٦٤/ح٣٩٣٢)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٥/٩/ح٣٧٢٥). وحسَّنَه العلامة الألبانيّ في "السلسلة الصحيحة" (١٢٤٨/٧/ح٣٤٢٠).

مَلَكٍ من الملائكة، وقد رأينا هذا الإطلاق في كلام الشيخ الطالب ومن تبعه، والحق تقييد الخلاف بصالح البشر، وإنَّ هذا القول الأخير مقطوعٌ ببطلانه، والظاهر البطلان في القولين قبله. وألحقنا بهذه الأبحاث معه هنا أبحاثاً:

الأول: قوله: (وأسجد لآدم ملائكته . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: تقدم الجواب عن ذلك في كلام أبي محمد ابن حزم، وشارح الطحاوية.

الثاني: قوله: (وبمخالفتها فاتت الملائكة . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: لا يلزم من مخالفة البشر شهواته أن يكون أفضل من الملائكة، وإلا كان كل مخالف لها أفضل منهم، ولو لم يكن من خير المؤمنين ولا الكافرين كأهل الفطرة.

الثالث: قوله: (وبأنَّ أهل الموقف إنما يستشفعون بالأنبياء لا الملائكة).

نقد: يقال عليه: تقدم أنه لا يلزم أن يكون الشفيع أفضل من غيره، فقد يشفع الفاضل ويترك الأفضل في غير صورة الموقف، فإنها شفاعة أفضل من المشفوعين لهم، ولا يلزم أن يكون أفضل من المشفوع عنده – حاشا لله – وهو الله بل لا يكون ذلك أبداً، ويبقى الخلاف في كونه أفضل من الملائكة أو لا، فيه ما تقدم من رجحان دليل من يفضل الملائكة على غيرهم.

الرابع: قوله: (وخالفت المعتزلة، وبعض أهل السنة).

نقد: يقال عليه: هذا مصادم لدعوى الإجماع على أفضلية الأنبياء على الملائكة.

الخامس: قوله: (ورُدَّ بأنَّ وجودها . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: لا ظهور لهذا الرد، لأنَّ أحمز العبادة وأسهلها إنما يتصور في البشر لا في الملائكة، لأنَّ عبادتهم كُلها سهلة، وعليه فأحمزيتها سببٌ في أفضلية الأجر وأكثريته على السهلة، ولا يلزم من ذلك أن تكون أفضل من عبادة الملائكة، إذ لا تكون العبادة التي لا يفارق الشيطان صاحبها في حالة تعبده بها بوسوسته حتى لا يدري أصلى ثلاثاً أم أربعاً، كما لا تفارقه خواطر السوء حتى ربما يتخيل فيها مقارفة

المعاصي ويتمناها إلى غير ذلك، كعبادة الملائكة الذين لا يلتفتون فيها على سوى معبودهم.

السادس: قوله: (كذلك غلبة العقل ترفعه عن الملائكة).

نقد: يقال عليه: من لنا بأن غلبة العقل ترفعه عن الملائكة ولسنا بمطلعين على الغيب، ولا يدل على ذلك إلا الدليل المسَلَّم، وأين هو؟ بل غلبة الشهوة لم تخفض الإنسان إلى أن يكون أخس من أخس الحشرات، فكيف يثبت هذا القياس.

السابع: قوله: (وفيه نظر: لأن الظاهر أن السجود إكرام لا اختبار).

نقد: يقال عليه: في نظره نظر، إذ ذلك السجود لا يخلو إمَّا أن يكون عبادة لآدم، وهو كفر، والله لا يأمر بالكفر فهذا ساقط، وإمَّا أن يكون تحية وتكرمة لآدم عليه السلام وهذا مشروع قبل الشريعة المحمدية، كما وقع في سجود يعقوب وبنيه ليوسف عليه السلام وهو إمَّا أن يكون على سبيل الاختيار والحرية حينما يكون مشروعاً، وإمَّا على سبيل الأمر والاختبار، والثاني هو الواقع في سجود آدم إذ هو تكرمة أمر الله بها له واختبر بها ملائكته وما قبله المجرد عن الأمر والابتلاء غير الواقع لنص القرآن على الثاني، ولأنَّه لو كان الأول لَمَا لام الله عليه من امتنع منه وطرده من رحمته وهو إبليس، فنتج من هذا أن السجود لآدم تكرمة مع ابتلاء واختبار، لا كما قال من قال إن في كلام القاضي نظر.

ونقتصر على ما نقلناه في هذا الفصل عن هؤلاء الأعلام مع ما بحثنا فيه معهم في بعض كلماتهم قائلين إن خلاصة هذا الفصل رجحان دلائل من قال بتفضيل الملائكة على البشر من غير استثناء، ولو وقفنا على كلام غيرهم لسلمناه[1].

---

(١) من المناسب هنا نقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - وتفصيله في مسألة التفضيل بين الملائكة والبشر، فقال: (صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهون عما يلابسه بنو آدم، مستغرقون في عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر، وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فيصير صالحوا البشر أكمل من حال الملائكة).

=

نَعَم مما يؤيد تفضيل النبي ﷺ على الملائكة، ما ذكره الشيخ الطالب على قول ابن عاشر[١]: (والرسل والأملاك) بقوله: (واختلفوا في بعثته للملائكة أيضاً، ونقل الإجماع في كل من الإثبات والنفي وخلاصته مذكور في "تنوير الأرائك في إرسال النبي إلى الملائك"، واللائق كما قال الكمال ابن شريف وغيره: (الوقف عن الخوض في هذه المسألة).

انظر تمام كلام الشيخ الطالب سابقاً، والبحث معه صفحة (٢١) إلى صفحة (٣٤)[٢].

وقد ذكرنا هنا بعض الأبحاث معه لم نذكرها فيما قبله، وهي ما يقال عليه:

أولاً: الحكم على الأشياء بغير دليل صحيح مردود على الحاكم.

وثانياً: لعل ما اتصفت به الأمة المحمدية من خير أو شر، خير من عصمة الملائكة من الشرور، وفعلهم على الدوام الخيور، ولو سئل العاقل أن يكون قائداً للمجون أو دَيُّوثاً أو خانويّاً[٣] أو سَفَّاكاً للدماء لاختار السلامة من ذلك وسأل العافية من كل بلية، فكيف بالملائكة - عليهم السلام - يختارون الاتصاف بهذه الأوصاف، وهم أوّل من

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: (وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل، وتتفق أدلة الفريقين، ويصالح كل منهم على حقه). انظر: مجموع الفتاوى (٣٤٣/٤، ٣٥٠-٣٩٢)، بدائع الفوائد (١١٠٤/٣).

(١) ابن عاشر هو: عبدالواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاريّ الأندلسيّ الفاسيّ، له تصانيف كثيرة منها: "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين" منظومة في فقه المالكية، مطبوع، توفي بفاس سنة (١٠٤٠هـ). انظر: خلاصة الأثر (٩٦/٣)، الأعلام، للزركلي (١٧٥/٤).

(٢) هذا العزو بالنسبة لأرقام لوحات المخطوط، وأمَّا بالنسبة لكلام الشيخ الطالب وردِّ العلامة النتيفيّ الذي أشار إليه هنا هو من صفحة (٨٢) إلى صفحة (٩٩).

(٣) خانويًّا: مشتقة من "الخَنا" وهو: الفُحش، والخَنا من قبيح الكلام، وخَنا في كلامه وأَخْنَى أَفحَش، والإخناء على الشيء الإفساد. انظر: لسان العرب (١٢٨٢/٢-١٢٨٣).

أبغضها، واستفهم الله عن خلق المتصفين بها بدل المطهرين منها حين قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[1].

فإن قيل: يحبون أن يكونوا من الأمة لما هي عليه من الطاعة، قيل: القائل بما تقدم لم يُفَصِّل، وهبه فَصَّل هذا التفصيل، لقيل له: كيف يتركون طاعاتهم الدائمة المحفوفة بالعصمة، لطاعة لا تكاد غالباً تخلو من المعصية؟.

وثالثاً: قول القشيريّ في تعليل الإسراء بقوله: (لتتأدب الملائكة بآدابه).

نقد: يقال عليه: أولاً: في أي حال أو وقت أو مكان اتصف الملائكة بسوء الأدب حتى يطلبوا المرشد المخلص لآدابهم من أسوئِها.

ورابعاً: هذا ينافي عصمتهم من القبيح وكل سوء قبيح، فإن قلت: المراد ليتأدَّبوا بآدابه الزائد على أدبهم.

قلنا: يحتاج هذا إلى دليل يجعل أدباً للنبي عليه السلام فوق أدب الملائكة وإلى مطلوبية طلب ذلك منهم.

وخامساً: قوله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[2]، لا يلزم من طغيانها وزيغها في ذلك المقام أن تحتاج إلى أدب فوق أدبهم.

وسادساً: يقال للبارزيّ ومن على مذهبه: في مذهبكم التناقض لمذاهب العقلاء إذ هم متفقون على أن الجمادات والمائعات والحيوانات غير العاقلة ليست بمكلّفة، وأنتم تكلّفونها وتبعثون لها رسولاً، وعليه فما فائدة هذه البعثة؟ أإمتثال أمر الله واجتناب نواهيه؟ بحيث يصلون ويصومون ويتركون المنكرات، أم التأدّب بالآداب المبعوث بها الأنبياء، وكيف يصح منهم ذلك؟ وكون بعض الجمادات كَلَّمت رسول الله لا يكون حُجَّة في بعثه لها، وإنما هو من باب المعجزات الخارقة للعادات، وهذا التذييل يؤيد ما ذكرناه من الخلاصة المأخوذة من هذه الفصول، تأمل ذلك، والله الموفق للصواب.

---

(١) سورة البقرة، الآية (٣٠).

(٢) سورة النجم، الآية (١٧).

ثم نقول: **فصلٌ**

في نهي الرسول ﷺ عن تفضيله على الأنبياء، ونهي الله ورسوله عن الإطراء، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ﴾[(١)]، وقال: ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ﴾[(٢)]، وقال: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾[(٣)]، وقال: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾[(٤)]، وقال: ﴿ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[(٥)]، وقال في تعداده أكبر الكبائر: (ألا وشهادة الزور)[(٦)]، وقال فيما رويناه بأسانيدنا المتصلة إلى الإمام البخاريّ التي منها ما أجازنا به الشيخ أبو عبدالرحمن شعيب الدُّكَّاليّ[(٧)] عن الشيخ سليم البشري عن منة الله عن الأمير عن أبي الحسن الصعيديّ عن محمد بن عقيلة المكي عن حسن العجيميّ عن أحمد بن العجل اليمنيّ عن يحي بن مكروم الطيريّ عن محمد بن إبراهيم بن صدقة الدمشقيّ عن عبدالرحمن بن عبدالأول الفرغانيّ عن محمد بن ناصر بن شاذبخت الفارسيّ عن يحيى بن عمار الختلانيّ عن محمد بن يوسف بن مطر الفربريّ[(٨)] عن الإمام محمد بن إسماعيل البخاريّ قال: حدثنا أبو اليمان[(٩)] أخبرنا شعيب[(١)] عن

---

(١) سورة النساء، الآية (٤٩).

(٢) سورة النجم، الآية (٣٢).

(٣) سورة الإسراء، الآية (٣٦).

(٤) سورة الفرقان، الآية (٧٢).

(٥) سورة آل عمران، الآية (٦١).

(٦) صحيح البخاري (ص: ٤٣٠/ح٢٦٥٣)، ومسلم (ص: ٥٣/ح٨٧).

(٧) أبو عبدالرحمن شعيب الدُّكَّالي هو: أبوشعيب بن عبدالرحمن الصديقيّ الدُّكَّاليّ، وزير من العلماء الأدباء، وهو أوّل من أحيا العقيدة السلفيّة من المتأخرين في المغرب، توفي في مدينة الرباط سنة (١٣٥٧هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (٣/١٦٧).

(٨) محمد بن يوسف الفَربريّ هو: المحدّث الثّقة العالم، أبو عبدالله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفَربريّ، راوي "الجامع الصحيح" عن أبي عبدالله البخاريّ، سمعه منه بفَربر مرتين، توفي سنة (٣٢٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/١٠/ترجمة: ٥).

(٩) أبو اليمان هو: الحكم بن نافع البهرانيّ، بفتح الموحدة، أبو اليمان الحمصيّ، مشهور بكنيته، ثقة ثبت، يقال إن أكثر حديثه عن شعيب مناولة، من العاشرة، مات سنة اثنتين
=

الزهريّ[٢] قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن[٣]، وسعيد بن المسيّب[٤] أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: استبَّ رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً ﷺ على العالمين في قَسَمٍ يُقسِم به، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم اليهودي، فذهب اليهودي إلى النبي فأخبره بالذي كان من أمره وأمر المسلم فقال: "لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان ممن صعق فأفاق قبلي أو كان ممَّن استثنى الله"[٥]، قال في "فتح الباري": (وفي رواية ابن الفضل: "لا تفضلوا بين أنبياء الله"[٦]، وفي حديث أبي سعيد: "لا تخيروا بين الأنبياء"[٧]، وبه إليه قال بسنده إلى عبدالله عن رسول الله: "لا يقولن أحدكم: إنِّي خيرٌ من يونس"، زاد

وعشرين ومئتين. انظر: تقريب التهذيب (ص: ١٧٦/ترجمة: ١٤٦٤).

(١) شعيب هو: شعيب بن أبي حمزة الأمويّ مولاهم، واسم أبيه دينار، أبو بشر الحمصيّ، ثقة عابد، قال ابن معين: (من أثبت الناس في الزهريّ) من السابعة، مات سنة اثنتين وستين ومئة أو بعدها. المصدر السابق (ص: ٢٦٧/ترجمة: ٢٧٩٨).

(٢) الزهريّ هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب بن عبدالله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشيّ الزهريّ، أبو بكر، الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه، وهو من رؤوس الطبقة الرابعة، مات سنة خمس وعشرين ومئة، وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين. المصدر السابق (ص: ٥٠٦/ ترجمة: ٦٢٩٦).

(٣) أبو سلمة بن عبدالرحمن هو: أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف الزهريّ المدنيّ، وقيل اسمه عبدالله، وقيل: إسماعيل، ثقة مكثر، من الثالثة، مات سنة أربع وتسعين أو أربع ومئة، وكان مولده سنة بضع وعشرين. المصدر السابق (ص: ٦٤٥/ترجمة: ٨١٤٢).

(٤) سعيد بن المسيّب هو: سعيد بن المسيّب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشيّ المخزوميّ، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، من كبار الثانية، اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل، وقال ابن المديني: (لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه) مات بعد التسعين، وقد ناهز الثمانين. المصدر السابق (ص: ٢٤١/ترجمة: ٢٣٩٦).

(٥) صحيح البخاري (ص: ٥٧٢/ح٣٤٠٨)، ومسلم (ص: ١٠٤٣/ح٢٣٧٣).

(٦) صحيح البخاري (ص: ٥٧٤/ح٣٤١٤)، ومسلم (ص: ١٠٤٣/ح٢٣٧٣).

(٧) صحيح البخاري (ص: ٣٨٨/ح٢٤١٢)، ومسلم (ص: ١٠٤٤/ح٢٣٧٤).

مسدد: "يونس بن مَتَّى"، ونسبه إلى أبيه[١]، وزاد في رواية أبي هريرة في حديث موسى ؈: "ولا أقول إنَّ أحداً أفضلُ من يونس بن مَتَّى"[٢]، وفي رواية أبي هريرة عن رسول الله قال: "لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن مَتَّى"[٣]، وقال في باب ما يكره من التمادح، عن أبي موسى قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يُثني على رجل ويطريه في المدحة فقال: "أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل"[٤]، وعن أبي بكرة أن رجلاً ذكر عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيراً، فقال النبي ﷺ: "ويحك قطعت عنق صاحبك – يقوله مراراً – إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل: أحسب كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك منه، والله حَسِيبُهُ ولا أُزَكِّي على الله أحدًا"، قال وهيب عن خالد: "ويلك"[٥])[٦]. انتهى؛ وفي حديث أحمد والبخاري في "الأب المفرد" من حديث مِحجَن بن الأَدرَعِ الأسلميّ ؓ قال: أخذ رسول الله بيدي فذكر حديثاً قال فيه: فدخل المسجد فإذا رجل يصلي، فقال لي: "مَن هذا؟ " فأثنيت عليه خيراً فقال: "أُسكُت، لا تُسمِعهُ فَتُهلِكَهُ"[٧]، وفي رواية أخرى: "هذا فلان وهو من أحسن أهل المدينة صلاة، أو من أكثر أهل المدينة ..." الحديث[٨]، وفي حديث مسلم عن المقداد: "أحثوا في وجوه المدَّاحين التراب"[٩]، وفي حديث ابن ماجه، وأحمد، من حديث معاوية، قال: سمعت رسول الله يقول: "إياكم والتمادح فإنه الذبح"[١٠].

---

(١) صحيح البخاري (ص: ٥٦٩/ح٣٣٩٥)، ومسلم (ص: ١٠٤٥/ح٢٣٧٧).

(٢) صحيح البخاري (ص: ٥٧٣/ح٣٤١٢)، ومسلم (ص: ١٠٤٣/ح٢٣٧٣).

(٣) صحيح البخاري (ص: ٥٧٤/ح٣٤١٥)، ومسلم (ص: ١٠٤٣/ح٢٣٧٣).

(٤) صحيح البخاري (ص: ٤٣٤/ح٢٦٦٣)، ومسلم (ص: ١٢٩٦/ح٣٠٠١).

(٥) صحيح البخاري (ص: ٤٣٤/ح٢٦٦٢)، ومسلم (ص: ١٢٩٦/ح٣٠٠٠).

(٦) انظر: "فتح الباري" (٦/٥١٢).

(٧) رواه أحمد (٣١/٣١٣/ح٣٣)، والبخاري في "الأدب المفرد" (ص: ١٣٠/ح٣٤١). وحسَّنَه العلامة الألباني.

(٨) رواه أحمد (٣٣/٤٥٥/ح٢٠٣٤٧). وصحَّحَه الألباني في "الصحيحة" (٤/١٧٨/ح١٦٣٥).

(٩) صحيح مسلم (ص: ١٢٩٦/ح٣٠٠٢).

(١٠) رواه ابن ماجه (ص: ٥٣٥/ح٣٧٤٣)، وأحمد (٢٨/٥٢/ح١٦٨٣٧). وحسَّنَه العلامة =

ورُوِّيناه بأسانيدنا المتصلة إلى الإمام الترمذيّ، حدثنا أحمد بن منيع[(١)]، وسعيد بن عبدالرحمن المخزوميّ[(٢)] وغير واحد قالوا: أنبأنا سفيان بن عيينة عن الزهريّ عن عبدالله بن عباس عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله: "لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، وإنما أنا عبدالله فقولوا عبدالله ورسوله"[(٣)]، ووقع في رواية البخاري عن ابن عباس أنه سمع عمر يقول على المنبر: سمعت النبي ﷺ يقول: "لا تطروني ..."[(٤)] الحديث، وروى أحمد عن أنس أن رجلاً جاءه فقال: يا سيّدنا وابن سيّدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال: "يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يَستَهوِيَنَّكُم الشيطان، أنا محمد عبدالله ورسوله"[(٥)]، وأخرج عن ابن الشِّخِّير ﷺ أنه ﷺ جاءه رجل فقال: أنت سَيِّد قريش فقال: "السَّيِّد الله" فقال: أنت أفضلُها فيها قولاً، وأعظمُها فيها طولاً، قال: "يا أيها الناس قولوا بقولكم لا يَستَهوِيَنَّكُم الشيَّطان"[(٦)]، وقال ﷺ: "أوحي إليَّ أن تواضعوا حتى لا يَفخر أحدٌ على أحدٍ"[(٧)].

الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٣/ح١١٩٦/ح١٢٨٤).

(١) أحمد بن منيع هو: أحمد بن منيع بن عبدالرحمن، أبو جعفر البغويّ الأصم، ثقة حافظ، من العاشرة، مات سنة أربع وأربعين ومئتين، وله أربع وثمانون. انظر: تقريب التهذيب (ص: ٨٥/ ترجمة: ١١٤).

(٢) سعيد بن عبدالرحمن المخزوميّ هو: سعيد بن عبدالرحمن بن حسان، ويقال لجده أبو سعيد، أبو عبيد الله المخزوميّ، ثقة، من صغار العاشرة، مات سنة تسع وأربعين ومئتين. المصدر السابق (ص: ٢٣٨/ترجمة: ٢٣٤٨).

(٣) رواه الترمذي في "الشمائل" (ص: ١٤٩/ح٣٣١).

(٤) صحيح البخاري (ص: ٥٨٠/ح٣٤٤٥).

(٥) رواه أحمد (٢٠/٢٣/ح٢١). وصحَّحه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٣/٨٨/ح١٠٩٧).

(٦) رواه أحمد (٢٦/٢٣٤/ح١٦٣٠٧)، والبخاري في "الأدب المفرد" (ص: ٩٠/ح٢١١). وصحَّحه العلامة الألباني.

(٧) صحيح مسلم (ص: ١٢٤١/ح٢٨٦٥).

تنبيهات:

الأول: جئنا بهذه الدلائل القرآنية، والحديثية، ويتبعها الإجماع، عن النهي عن الإطراء المفرط في حق رسول الله وغيره، لأنه يدخل فيه الكذب والزور، والقول بلا علم، وتزكية النفوس، كما يدخل فيه الفخر والتعاظم، ويأتي بيان ذلك.

التنبيه الثاني: الذين يَقدِمُون على هذا الإطراء يَستَنِدُون تارة إلى تَعَمُّدِ الكذب، وتارة إلى هوى النفس، وتارة إلى الظنون التي لا تستند إلى مقولها، ومرة إلى الاعتقاد الفاسد، وطور إلى تقصيد الغير من المعظمين عندهم، وتارة إلى دليل لا يصح.

الثالث: المدح ينقسم إلى ستة أقسام:

الأوّل: المدح بالكذب من غير اتصاف الممدوح بصفة من ذلك الممدوح به، وهو: إطراء الشخص بما ليس فيه، وإن كان في حيز الإمكان العقلي، كإطراء رسول الله بأنه: لولاه لم تخرج الدنيا من العدم(١).

الثاني: إطراؤه بما ليس له لعدم جواز اتصافه به لاستحالته، كوصف رسول الله على أنه من نور الله القديم، أو من نور مخلوق مع إدِّعَاءِ أولية نوره مطلقاً، ويأتي مزيد بيان له.

الثالث: إطراؤه بالكذب في زيادة أوصاف في وصفه لا تعلق لها به، ككونه بعد وجوده قاسماً لخزائن الله، وعلى جميع الكائنات.

الرابع: وصفه بصفات لا تعلق لها بصفاته لاستحالته، ككونه عين الأشياء كلها مع اتحاده في نفسه وشخصه.

الخامس: مدح الممدوح بما فيه، وهذا جائز، إذا سَلِمَ من العلل الآتية.

السادس: مدحه بما فيه ولكن مع المبالغة فيه بتشبيه مثلاً، وهذا قيل: الأحسن تركه؛ وقيل: لا بأس به، وهو الشائع الذائع في الأزمنة الغابرة.

---

(١) هذا قول البوصيري في بردته حيث قال :

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة مَن * لولاه لم تخرج الدنيا من العدمِ !

وهذا قول فاسد لا دليل يعضده من الكتاب والسنة

التنبيه الرابع: الأربعة المتقدمة من هذه الستة، لا تجوز من غير اعتبار عِلّة من العلل الآتية.

والخامس والسادس: هما اللذان يُفَصَّل فيهما بين أدائهما إلى عِلَة من تلك العلل، وبين أن لا يؤدي إلى ذلك، فيجوز ما بعد الاستثناء، ويُنهَى عما قبله، وفيهما نهي رسول الله المعلل بتلك العلل عند العلماء، وأما غيرهما من الأربعة المتقدمة فأحرى في النهي إذ لا تجوز مطلقاً.

التنبيه الخامس: العلل المذكورة لنهي رسول الله، قيل هي: أن هذا كان قبل أن يعلم بالتفضيل. قال ابن كثير: (وفيه نظر)[١].

أقول: ونظره إن لم يكن فيه إلا أن هذه الدعوى يلزم منها نسخ النهي، والنسخ لا يثبت بالاحتمال كما أن جماعات أهل الإسلام لا يزالون يتمسكون بهذا النهي لكان متجهاً، وقيل: إن هذا قاله من باب الهضم والتواضع.

وقيل: إن هذا نهي عن التفضيل في مثل هذا الحال التي تحاكموا فيها عند التخاصم والتشاجر.

وقيل: لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصبية.

وقيل: ليس مقام التفضيل إليكم، وإنما هو إلى الله عز وجل، وعليكم الانقياد والتسليم له، والإيمان به[٢].

أقول: ويزاد على ذلك تزكية النفس بأنها وإن لم تحصل لرسول الله في مطلق مدحه لعصمته، فإنما تحصل بغيره في مدح نفسه، أو مدح غيره، كما تحصل لأقاربه عليه السلام ومن يتعلق به على غيره كما يزاد عليها ما يحصل بذلك من الفخر والعظمة لمن ذكرنا، حاشا رسول الله كما يزاد على ذلك وقد نصوا عليه تنقيص المفضل عليه، كما يزاد على ذلك ما يحصل من البغضاء للمادح من السامعين، إقران الممدوح فإنه إذا مدح بين أيديهم القرن مع ضرب الصفح عنهم، امتلأت قلوبهم غيظاً غالباً، ويتصور

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٤٢٨).

(٢) وهذه الأقوال ذكرها ابن كثير بتمامها في تفسيره (٢/٤٢٨-٤٢٩).

ذلك في غير مدح رسول الله بما هو أهله بين يدي المؤمنين، كما يقال في ذلك أنه يؤدي إلى الاشتغال بغير ما هو أهم، وكما يؤدي إلى استبدال فرائض الله بتلك الأمداح، وقد رأينا من يحفظ البردة أظنه لا يحفظ الفاتحة، وكما يؤدي ذلك إلى شغل العوام بما لم يجب عليهم لاسيما إن كان باطلاً كما هو في زماننا وقبله بزمان، وكما يؤدي ذلك إلى تكرار الأمداح آناء الليل وأطراف النهار تكراراً لا فائدة فيه، إلا الملل والشغل والتعب، وكما يؤدي ذلك إلى جعل تلك الأمداح سلعة رائجة يتكسب بها أهلها، وربما أغنتهم عن طلب المعاش كما أغنتهم عن طلب العلم والعبادة الواجبة، كما هو شأن أهل الهمزيَّة والبردة، والغالين المدَّاحين بزعمهم لرسول الله وقد تُبذَل لهم الأجور في ذلك، ويزدحم الناس عليهم لذلك قريباً من ازدحامهم على المغنيات، وكما يؤدي ذلك إلى فتح أبواب يعسر سدها، كالانتقال من إطراء رسول الله على إطراء شيوخهم وأهل القبور من معبوداتهم، وسيجيء بعض ما يبين هذا، وقد وقع الآن وأقبح منه، وقد قلنا: إن هذه العلل اجتمعت أو انفردت مناسبة لنهي رسول الله عن التفضيل، كما أن هذه العلل كلها وقعت في الأمة بعد رسول الله ﷺ ووقوعها دالّ على تعليل نهيه بها. وقد تقدّم أن منها التواضع وهو: حق على كل مؤمن ولاسيما رسول الله، وقد تقدم ما يدل لذلك وقد قال: "لا فضل لعربيٍّ على أعجَمِيٍّ، ولا لِعَجَمِيٍّ على عربيٍّ إلا بالتَّقوى"[1]، وقال: "إن الله قد أذهب عنكم عُبِيَّة الجاهلية فما هو إلا مؤمن تقيّ، وفاجر شقيّ، الناس بنو آدم، وآدم من تراب"[2]، قال عز من قائل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[3]، وإذا تواضع رسول الله المتواضع في الحقيقة، فنحن العادمون التواضع أولى به، وأولى أن نترك التفضيل فيه وفي غيره اقتداءً به، إلا لبيانٍ احتيج إليه، ولم يؤدِّ إلى العلل المتقدمة، وتأتي لنا عودة إلى هذا إن شاء الله.

---

(١) رواه أحمد (٣٨/٤٧٤/ح٢٣٤٨٩). وصحّحه العلامة الألبانيّ في "شرح العقيدة الطحاوية" (ص: ٤٠٦)، و"غاية المرام" (ص: ١٨٨/ح٣٠٨).

(٢) رواه أبو داود (ص:٩٢٦/ح٥١١٦)، والترمذيّ (ص:٨٨٥/ح٣٩٥٥). وحسَّنه الألبانيّ.

(٣) سورة الحجرات، الآية (١٣).

التنبيه السادس: قد تقدم أن من علة النهي عن تفضيل رسول الله تنقيص الأنبياء – عليهم السلام – ويجري ذلك في كل ممدوح أُطرِيَ في مدحه على غيره ممن يشاركه في ذلك الوصف، وها هنا كلام في استثقال ذلك التنقيص وبغضه عن الشيخ ابن عَبَّاد[١] – رحمه الله – شارح "الحِكَم" نقله عن الشيخ الطالب في حاشيته على ميّارة، وأجاب عن المطريّين بأنهم إنما قصدوا البيان لا التنقيص، وبحثنا معه في ذلك ونصه متبعاً بذلك البحث، وإن اختصرنا أوّل كلامه في كتابنا "الإرشاد والتبيين" الذي ضَمَّنَّاه هذا القول والبحث فيه.

(وينبغي أن تستحضر في معنى الأفضلية ما ذكره ابن عَبَّاد في "الرسائل الكبرى" حيث قال: (إنها بحكم الله تعالى لا من أجل علة موجبة لذلك وجدت في الفاضل وفقدت في المفضول، وللسيِّد أن يفضل بعض عبيده على بعض، وإن كان كل منهم كاملاً في نفسه من غير أن يحمله على ذلك شيء، وذلك مما يجب له بحق سيادته، والله تعالى منزّه عن الأعراض[٢]، وغير هذا تعسّف لا يسلم من الوقوع في سوء الأدب، ومازلت أستثقل قولهم: إن فلاناً من الأنبياء وحاله كذا، وحال نبيِّنا كذا، وشتَّان ما بين الحالتين لما يوهم من النقص والانحطاط)[٣]. انتهى باختصار.

---

(١) الشيخ ابن عَبَّاد هو: محمد بن إبراهيم بن عبدالله بن مالك بن إبراهيم بن عبّاد النفزيّ الرُّنديّ الحميريّ الصوفيّ المغربيّ، من مؤلفاته: "شرح الحكم العطائيّة"، و"الرسائل الكبرى"، و"الرسائل الصغرى"، كلها مطبوعة، توفي سنة (٧٩٢هـ). انظر: نفح الطيب (٣٤١/٥).

(٢) هذا تنزيه أهل الكلام والفلسفة ، ومرادهم به تعطيل صفات الله سبحانه وتعالى الثابتة في حقه بالكتاب والسنة ؛ فالأعراضُ هنا والمقصود تنزيه الله عنها – عندهم – هي الصفات ؛ فيقولون : لا تقوم الأعراض إلا بالأجسام ، والله مُنزَّه أن يكون جسمًا ؛ فيُعطلون جميع الصفات تنزيها لله بزعمهم ! وأما أهل السنة والجماعة : فيجمعون بين إثبات كل صفة جاء بها النص الشرعي ، مؤمنين بمعناها ، ومفوضين كيفيتها وكنهها إلى الله سبحانه وتعالى ، وبين النفي عن الله جل وعلا مشابهة المخلوقين على وَفق قوله الله تعالى : { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير }

(٣) انظر: "الرسائل الكبرى" (ص:٢٢٠-٢٢١).

والمتعيّن حمل كلام الأئمة على قصد مجرد التنبيه، وبيان ما اقتضته حكمة الله، واختياره من جميع الخصائص كلها، والكرامات بأسرها لنبيّنا محمد ﷺ ليكون عنصراً للفضائل، ومدداً لكل كامل[١].

قال البوصيريّ[٢]:

لا تقس بالنبي في الفضل خلقاً	فهو البحر والأنام أضاء
كل فضل في العالمين فمن فضل	النبي استعاره الفضلاء[٣]

وحينئذ فلا حرج في ذلك، ولا استثقال أصلاً، وذلك كالشرح لاسمه الجامع والتفسير لقوله: تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾[٤]، وإن قصد حط المفضَّل عليه، فيخشى أن يكون كفراً لا أنه مستثقل فقط، فكيف يظن بأولئك الأئمة؟ نعم يجب أن يتحفظ ها هنا في العبارة، وينبغي أن يتلطف فيها ما أمكن، والله أعلم)[٥]؛ ونص البحث معه مدرج في أبحاث تقدمت.

السادس عشر: قوله: (عن ابن عَبَّاد ينبغي أن يستحضر في الأفضلية . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: كون الله يفعل شيئاً ويحكم به من غير علة وحكمة تقدمت، وأنه لا يليق بالعقلاء فضلاً عن أحكم الحكماء، وأعلم العلماء، وكونه منزهاً عن الأغراض تقدم ما فيه، من أنها الأغراض التي يحتاج إليها لا الأغراض التي هي مصلحة لخلقه، وفائدة لحكمه وفعله وإلا كان عبثاً.

---

(١) المدد والإعانة والإغاثة ... كلها من الله تعالى ؛ فلا تطلب من غيره !

(٢) انظر: "القصيدة الهمزيّة" (ص:١٩).

٣) هذا لفظ شركي وهو من الغلو في مدح النبي ﷺ ، والصحيح أنه ما من نعمة إلا وهي من الله سبحانه وتعالى كما قال ربنا { ما أصابك من حسنة فمن الله } وقوله { وما بكم من نعمة فمن الله } وكل فضل فهو من الله كما قال تعالى : { إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء }

(٤) سورة البقرة، الآية (٢٥٣).

(٥)انظر: "حاشية الشيخ الطالب على ميّارة" (١/٩٥).

السابع عشر: أنتم تُسلِّمون كلام ابن عَبَّاد هذا، وتنقضونه بإثبات علل التفضيل لرسول الله على غيره كما يأتي ذكره.

الثامن عشر: ابن عبّاد يقول: (مازلت أستثقل . . .) الخ.

وأنتم تقولون: لا استثقال فيه، وإنما هو بيان للواقع على إنه إن قصد به الحط على الأنبياء كان كفراً لا مستثقلاً، وهؤلاء لا يقصدون ذلك.

ونحن نقول عليه:

أولاً: فعل القبائح قبيح وإن لم يقصد به القبح، فالاستثقال موجود سواء أدى ما استثقل إلى الكفر، أو أوشك أن يوقع فيه، وكيف لا يقبح فضلاً عن أن يستثقل قول مبالغ فيه من صاحبه في كمال غيره، وموقع في نقص غيره مما يؤدي نقصانه إلى الكفر – والعياذ بالله – أو يوشك أن يوقع فيه، وذلك كقول البوصيري هنا:

لا تقس بالنبي في الفضل خلقاً ... فهو البحر والأنام أضاء

الشامل الأنبياء والملائكة – عليهم السلام –، وقد قالوا هم بشموله لذلك كما تقدّم، وقوله:

كل فضل في العالمين فمن فضل ... النبي استعاره الفضلاء[1]

وقول البوصيريّ أيضاً[2]:

كيف ترقى رقيك الأنبياء ... يا سماء ما طاولتها سماء

لم يساوك في علاك وقد حال ... سنى منك دونهم سناء

أنت مصباح كل فضل فما تصدر ... إلا عن ضوئك الأضواء[3]

(١) وهذا لفظ شركي ، انظر الحاشية رقم (١) صفحة (١٢١)

(٢) انظر: "القصيدة الهمزيّة" (ص: ٧).

(٣) وهذا غلو فاحش نهى عن مثله نبينا ﷺ ، ولا دليل عليه من الكتاب والسنة .

وقوله[١]:

لـك ذات العلـوم مـن عـالم الغيـب ومنهـا لآدم الأسمـاء

وقوله[٢]:

وكـل آيٍ أتـى الرسـل الكـرام بهـا فإنمـا اتصـلت مـن نـوره بهـم

وقوله[٣]:

والكرامـات مـنهم معجـزات نالهـا مـن نوالـك الأوليـاء

وقوله[٤]:

وكلهـم مـن رسـول الله ملـتمس غَرفـاً مـن البحـر أو رَشـفاً مـن الـدِّيم

لـك في مهمـة التجلـي البهـاء يـا نبيّـاً نوابـه الأنبيـاء[٥]

وغير هذا مما غلو به في حق رسول الله ﷺ.

تعقيب: وعليه فكيف لا يكون من حظه بالنسبة إلى غيره كما بين السماء والأرض، وقدره كما بين الودقة[٦] من المطر، والرَّشفَة[١] من الدِّيَمَ[٢]، والغَرفَة من اليمِّ، بالنسبة إلى اليَمِّ.

---

(١) انظر: "القصيدة الهمزيّة" (ص: ٧).

(٢) انظر: "قصيدة البردة" (ص: ٧).

(٣) انظر: "القصيدة الهمزيّة" (ص: ٤٨).

(٤) انظر: " قصيدة البردة" (ص: ٦).

(٥) هذا البيت من قصيدة لأبي الهدى الصياديّ في مدح النبي ﷺ لم يتيسر لي الوقوف عليها.
وقوله : نوابه الأنبياء : مما لا دليل عليه من الكتاب والسنة ، ولعل فيه تنقص من قدْرهم عليهم الصلاة والسلام .

(٦) الودقة هي: القَطرَةُ من المطر، والوَدْقُ هو: المطر كله شديدهُ وهيِّنُه، وقد وَدَقَ يَدِقُ وَدْقاً أي: قَطَر. انظر: لسان العرب (٥/٣٦٦٩ ، ٦/٤٨٠٠).

حظه نسبة النائب إلى المنوب عنه، ونوره كنسبة نور قليل مقتبس من نور عظيم أكثر كمية وإنارةً من الشمس، ومعجزاته وكراماته مستعارة، وأمانته مستعارة، وأمانته يحملها غير هاله، وعلمه بالنسبة إلى غيره قاصر على بعض الأسماء دون بعضها وكل المسمَّيات، وفضله مستعار من فضل غيره ولا يستحقه، وغير ذلك مما ظنه هؤلاء حقاً ومحبة لرسول الله، وهو غير حق ولا محبة لمخالفته للحق بالدليل ولقوله سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾(٣)، نقصاً في حقه(٤).

إضـــراب: بـل هـو نقـصٌ سـواء جهلـه الـمُثني بـه أو تَعمَّـده، وإن خـف الحكـم بالنسـبة إلى الأوّل، وعلـى الثـاني فكيـف لا يكـون نقصـاً، وقـد قـال رسول الله ﷺ: "استَبَّ رجلان، رجل من المسلمين، ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً على العالمين، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فغضب المسلم على اليهودي فلطمه، فأتى اليهودي رسول الله فسأله وأخبره، فدعاه رسول الله فاعترف بذلك فقال: "لا تخيّروني على موسى، وإن الناس يُصعقون يوم القيامة فأكون أوّل من يفيق، فإذا موسى ممسك بجانب العرش، فلا أدري أكان ممن صَعِقَ فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله"(٥)، وقال: "لا تطروني كما أطرت النصارى

(١) الرَّشفَة هي: من رَشَفَ الماء والرِّيقَ ونحوهما، والرّشفُ المصُّ، وتَرَشّفَه وارتَشَفَه مصَّه، والرَّشِيفُ تَناوُلُ الماء بالشَّفَتَينِ، وقيل: الرَّشفُ والرَّشِيفُ فَوق المصِّ. انظر: لسان العرب (١٦٥١/٣).

(٢) الدِّيم والدِّيمَة: المطر الذي ليس فيه رَعد ولا برق، أقله ثُلث النهار أو ثُلث الليل، وأكثره ما بلغ من العِدَّة، والجمع دِيَمٌ، والدِّيمَةُ: المطر الدائم في سكون. انظر: لسان العرب (١٤٦٧/٢).

(٣) سورة آل عمران، الآية (٣١).

(٤) كُتب في حاشية المخطوط ما نصه: (تعليق: قوله: نقصاً في حقه، خبر فكيف لا يكون).

(٥) سبق تخريجه (ص: ١٠٨).

عيسى بن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله"[١]، ولا يصح جواب البوصيريّ عن هذا بقوله[٢]:

دَع ما أدعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

فإنَّ فضل رسول الله ليس له ... حَدٌّ فيعرب عنه ناطق بفم

لوجوه:

الأول: لا دليل على الإطلاق، والأحكام لاسيما عند تأكد طلبها بغير دليل باطلة.

الثاني: الاحتكام بالمشيئة مخالفٌ للحصر وللأمر في قوله ﷺ: "إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله"، ولا ينافي هذا ما ثبت له بالدليل إذ ذاك لا يوجد إلَّا مناسباً لعبوديته ورسالته ومنافياً لإطرائه.

الثالث: ما ادَّعته النصارى في نبيهم محصور في نحو ثلاثة أشياء، فهل غيره يجوز الثناء به على رسول الله ككونه أصل الموجودات وإنَّها من نوره، وأنَّ كثيراً من نوره وفروعه محل لعنة الله وغضبه من خلقه، وأخبثها وأنجسها وحصب جهنم هم لها واردون، والدليل على ذلك عندكم باطل كما تقدّم، وقال: "لا تُفضِّلوني على يونس ابن مَتَّى"[٣].

وحكاية السبكيّ[٤] عنه أو عن بعضهم في معناه حكايةٌ تُعَدّ عندهم من مواهب المعارف، وهي: إنَّ رسول الله قصد بهذا الحديث أنّ الله ليس على عرشه فوق عَالَمِهِ ولا في أسفله، ورداً لما يُفهم أن إسراءه للعالم العلوي لم يكن إلا لجهة الله، بل إسراؤه والواقع ليونس من الإلقاء في ظلمات البحر وجهة السُّفل متساويان في نفي وجوده

---

(١) سبق تخريجه (ص: ١١٠).

(٢) انظر: " قصيدة البردة" (ص: ٧).

وقول البوصيري هذا من الغلو الفاحش في مدح رسول الله ﷺ ؛ المنهي عنه بنصّ رسول الله ﷺ الذي نقله المؤلف .

(٣) سبق تخريجه (ص: ١٠٩).

(٤) السبكيّ: لم يتبين لي من قصد به المؤلف هنا، فالسبكيّ غير واحد.

عالياً وسافلاً، وهو من المعاني التي لا يقبلها اللفظ ولا العقل والنقل، ومؤذنة بأن رسول الله يعبر بعبارة وهو يريد خلافها تدل عليه من غير قرينة معينة لذلك – وحاشاه من ذلك – أو جواب عن أن نهي رسول الله للتواضع.

يقال عليه: المنهي عنه إن كان لا يصح الثناء به، فهذا لا تواضع فيه، وإن كان يصح فلم لا يمتثل تواضعه إلا على جهة البيان لا التعبد بذلك، وإظهار كماله ونقص غيره من إخوانه الأنبياء.

التاسع عشر: قوله: (وكان شرحاً لاسمه الجامع).

نقد: يقال عليه: تحتاج هذه التسمية لرسول الله بالجامع إلى دليل صحيح يدل عليها، ولئن سلمناها لم نسلم معنى الجامعية أنه اختص بكل الفضائل والخصائص حتى لم يبق منها لأحد من الأنبياء ما يختص به دون غيره، وهو مناف لتخصيص إبراهيم عليه السلام بكون النار كانت عليه برداً وسلاماً، وبانفلاق البحر لموسى، وبإخراج صالح عليه السلام ناقة من الحجارة، وقس على ذلك، ولا يصح دعوى الاستعارة إلا إذا ثبت المستعار للمستعار له.

تأمّل فيما استدلوا به على تفضيل رسول الله ﷺ على الملائكة وبعثته إليهم وإلى غيرهم، أينهض لهم دليلاً على ذلك أم لا؟ مع ما تقدّم فيه من الأبحاث، والله الموفق للصواب.

فصلٌ

في الرَّدِّ على إطراء النُّوريّيِّن رسول الله بما لا يعقل أو لا يصح

وفي ذلك نقول: قد قالوا عن رسول الله أصل الموجودات كلها، ومنه تفرعت، وهو مُمِدُّها، واستدلوا لذلك بأحاديث سَتَرى ما فيها، وأظهرها في هذا المعنى وأوثق دليل لهم عليها حديث عبدالرزاق في مصنفه، والبيهقي، قال الحَجُوجي[١] في مولده: روى عبدالرزاق في مصنفه، والبيهقي ولكن ببعض مخالفة عن سَيِّدنا جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - قال: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء قال: "يا جابر إن الله - عز وجل - خلق قبل الأشياء نور نبيِّك من نوره، فجعل ذلك النور يدور وينتقل في عالم الملكوت بالقدرة حيث شاء الله، ولم يكن في ذلك الوقت لوح، ولا قلم، ولا جنة، ولا نار، ولا ملك، ولا سماء، ولا أرض، ولا شمس، ولا قمر، ولا جني، ولا إنسي، فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاءٍ: فخلق من الجزء الأول: القلم، ومن الثاني: اللوح، ومن الثالث: العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاءٍ: فخلق من الأول: حملة العرش، ومن الثاني: الكرسي، ومن الثالث: باقي الملائكة، ثم قسم الرابع أربعة أجزاءٍ: فخلق من الأول: السموات، ومن الثاني، الأرضين، ومن الثالث: الجنة والنار، ثم قسم الرابع أربعة أجزاءٍ: فخلق من الأول: نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني: نور قلوبهم، وهو المعرفة بالله، ومن الثالث: نور أُنسِهم، وهو التوحيد: لا إله إلا الله محمد رسول الله ..."[٢] الحديث. انتهى من الحَجُوجيّ.

---

(١) الحَجُوجي هو: محمد بن محمد الحَجُوجيّ الإدريسيّ الحسنيّ الفاسيّ الصوفيّ التِّجانيّ، مؤرخ رجال الطريقة التِّجانية، وشيخها في عصره، انتقل إلى دمنات فانقطع في زاوية التِّجانية إلى أن توفي بها سنة (١٣٧٠هـ)، له مؤلفات طُبع منها: "نيل المرام فيما يجب على النساء من الأحكام"، و"المولد النبويّ"، ولم يتيسر لي الوقوف عليه. انظر: الأعلام، للزركلي (٨٤/٧-٨٥).

(٢) هذا الحديث ذكره أبو سعد النيسابوريّ في كتابه "شرف المصطفى" (٣١٢/١/ح٨٠) ولم يذكر له تخريج، وذكره القسطلانيّ في "المواهب اللدنيَّة" (٣٦/١-٣٧) وعزاه لعبدالرزاق، والعجلونيّ في "كشف الخفا" (٢٦٥/١/ح٨٢٧) وعزاه للقسطلانيّ، ولكن ليس كما ذكر =

وقال بِنِّيس[١] في "شرح الهمزيَّة" عند قولها:

الحَجُوجي وبِنِّيس، فالحديث من الأباطيل المكذوبة التي وضعها الصوفيّة إثباتًا لعقائدهم الفاسدة، ولا وجود له في مصنف عبدالرزاق ولا عند البيهقيّ، بل لا وجود له في الكتب المعتمدة عند أهل الحديث والعقيدة مطلقاً، فهو موضوع مكذوب على الله ورسوله، ورسول الله ﷺ وجابر بن عبدالله ﷺ بريئان منه، وليس له سندٌ صحيحٌ يُحتَجُّ به، وسنده مخترع مصنوع، وإليك بيان ذلك:

١- الحديث المنسوب للبيهقيّ هو في "دلائل النبوة" (٤٨٣/٥)، وليس بينه وبين حديث عبدالرزاق هذا أيّ توافق في اللفظ، بل هو مخالف له، والحديث مع ذلك ضعيف لا يُحتَجّ به، لأنَّ مبارك بن فضالة أحد رواته يُدلس تدليس تسوية، وقد ضعَّفَه أئمة الحديث وتكلموا فيه، وأنقل اختصاراً كلام الحافظ ابن حجر في "التقريب" (ص: ٩١٨/ترجمة: ٦٥٠٦) حيث قال: (مبارك بن فضالة، بفتح الفاء وتخفيف المعجمة، أبو فضالة البصري، صدوق يُدلّس ويُسَوّي، من السادسة، مات سنة ست وستين على الصحيح). والحديث ضعَّفَه العلاّمة الألباني في "السلسلة الضعيفة" (١٠٨٢/١٣/ح٦٤٨٢).

٢- قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" (٣٨٤/٣-٣٨٥): (. . . ظنّ طائفة من غلاة المنتسبين إلى الإسلام وغيرهم الذين يقولون: إن ذات النبي ﷺ كانت موجودة قبل خلق آدم، ويقولون: إنّه خُلق من نور رب العالمين، ووجد قبل خلق آدم، وأن الأشياء خلقت منه، ويروون في ذلك أحاديث كلها كذب . . . وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم بالحديث).

٣- وقال الحافظ جلال الدين السيوطيّ -رحمه الله- في جوابٍ له عن الحديث: (والحديث المذكور في السؤال، ليس له إسناد يُعتمد عليه). انظر: الحاوي للفتاوي (٣٢٥/١).

وانظر: كتاب "تنبيه الحذّاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنّف عبدالرزاق" (١٢-٤١)، "السلسلة الضعيفة" (٤٧٤/١)، "السلسلة الصحيحة" (٢٥٧/١-٢٥٨)، "السلسلة الصحيحة" (٨٢٠/١).

(١) بِنِّيس هو: محمد بن أحمد بن محمد بِنِّيس أبو عبدالله، له علم بالأدب، من مؤلفاته: "لوامع أنوار الكوكب الدريّ" في شرح همزية البوصيريّ، مطبوع، ولم يتيسر لي الوقوف عليه، توفي بفاس سنة (١٢١٣هـ). ومعنى (بِنِّيس): اسم يُطلق على الإناء المصنوع من الفَخّار. انظر: الأعلام، للزركلي (١٥/٦-١٦).

أنت مصباح كل فضل فما تصدر إلا عن ضوئك الأضواء[١]

وروى عبدالرزاق بسنده عن جابر بن عبدالله – رضي الله عنهما – قال: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أي شيء خلقه الله قبل الأشياء، قال: "يا جابر إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيِّك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ﷻ ولم يكن في ذلك الوقت لوح، ولا قلم، ولا جنة، ولا نار، ولا ملك، ولا سماء، ولا أرض، ولا شمس، ولا قمر، ولا جني، ولا إنسي، فلما أراد الله عز وجل أن يخلق الخلق، قسم ذلك النور أربعة أجزاءٍ: فخلق من الجزء الأول: القلم، ومن الجزء الثاني: اللوح، ومن الجزء الثالث: العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاءٍ: فخلق من الأول: حملة العرش، ومن الثاني: الكرسي. ومن الثالث: باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاءٍ: فخلق من الأوّل: نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني: نور قلوبهم، وهو المعرفة بالله، ومن الثالث: نور أُنسِهم، وهو التوحيد، ومن الرابع: لا إله إلا الله محمد رسول الله"[٢]. انتهى بِنِّيس.

نقد: ونحن نقول: على هذا الحديث من الأبحاث والمناقضات ما تسمعه منها ما جددنا ذكره في هذا الكتاب، ومنها ما ذكرناه في كتابنا: "الذكر الملحوظ في نفي روية اللوح المحفوظ"، الذي كان سببه أنَّنا نزلنا في تاريخ كتبه بمكناسة الزيتون[٣] عند جماعة من كبار الناس فجرى ذكر بعض معبوداتهم هنا، وهو الشيخ عبدالرحمن المجذوب الفرجي الدكَّالي، فزعم بعضهم إنه كان يرى اللوح المحفوظ، ويتلقى علمه منه، فأجبناه بأنَّ رسول الله كالأنبياء – عليهم السلام – لم يُمنحوا ذلك وإنما كانوا ينتظرون الوحي من الله، فسكت القوم وانفضَّ المجلس، وسافرنا إلى الدار البيضاء محل إقامتنا فلم نلبث إلا قليلاً حتى جاءنا الرسول بخبرٍ بأنَّه اجتمع مجلس من أولئك الناس،

---

(١) انظر: "القصيدة الهمزيّة" (ص: ٧).

(٢) سبق تخريجه (ص: ١٢٠-١٢١).

(٣) مِكنَاسَة الزيتون هي: مدينة بالمغرب في بلاد البربر بينها وبين مرّاكش أربع عشرة مرحلة نحو المشرق، وعلى مرحلة واحدة من فاس، وأكثر شجرها الزيتون. انظر: معجم البلدان (٥/١٨١).

وفيهم المُخبِر عن المجذوب بما أخبر به، وقال معترضاً علينا: (كيف لا يرى رسول الله اللوح المحفوظ، ويتلقى علمه منه، وهو من نوره)، فأجابه بعض الحاضرين ممن ينتسب إلى العلم ولم يحضر الأول: بأنَّ قائل ذلك لا يرمي به جُزافاً بأنَّه من أهل العلم، فَكَثُر الجدال والصخب بينهما حتى كَفَّرَ البعض البعض، وطالب مِنَّا الرسول الكَتب في ذلك فكتبنا له ذلك الكتاب، وناولناه إيَّاه وذهب به إلى مكناسة الزيتون فدفعه إلى قاضيها ومفتيها في ذلك الوقت، فَرَدَّاه عليه بعد أن تصفَّحاه قائلين: (من يقدر على رَدِّ هذا الكلام، وبأيِّ شيء يردّ).

وعليه فإليك الأبحاث والمناقضات داخلاً بعضها في بعض:

الأول: ما يقال أن ذكر هذه الأحاديث الدالة على أن أوّل ما خلق الله نور النبي ﷺ ثم خلق منه جميع الكائنات مستدلاً بها على ذلك يرمي جُزافاً فلا يذكر لبعضها مخرجاً، وإن ذكره لم يذكر له سنداً، ولا يتلقاها إلا بالقبول من غير أن يقابل بينها وبين غيرها، ولا أن يُنَقّب عن موضوعها، وضعيفها وصحيحها، وما شأنه هكذا لا يُعتمد عليه في الاستدلال بمجرده.

الثاني: لو كانت هذه الأحاديث صحيحة لما أهملها أهل الصحيح.

الثالث: من شأن هذه الأحاديث أن لا يقتصر في روايتها على خبر الآحاد، ولو كان صحيحاً لأنَّها مما تتوفر الدواعي على نقلها، لأنَّها من صميم التوحيد الذي ينبغي أن يستدل له بالقاطع كالقرآن، أو التواتر وشيء من ذلك لم يكن كما ترى.

الرابع: رواة هذه الأحاديث قد تُكلِّم فيهم لأنَّهم يروون الغث والسمين، وقد يسكتون على الموضوع.

ومنهم: الشيخ عبد الرزاق المذكور فلقد كتبنا في شأنه بعض الكلمات في الكتاب المذكور تنقلها ها هنا، ونصها عبدالرزاق هذا لم يُعَيِّنوا من هو ممن اسمه عبد الرزاق، فَيُحتمل أن يكون أبا بكر الدمشقيّ عبد الرزاق بن عمر

الثقفيّ[١]، وأن يكون عبدالرزاق بن عمر البازعيّ[٢]، وأن يكون الدمشقيّ العابد[٣]، وأن يكون عبدالرزاق بن همَّام بن نافع الصنعانيّ[٤]، والكل ضعيف الحديث.

ويكفي في ضعف الأول ما قال البخاريّ أنه: (منكر الحديث)[٥]، ومسلم أنه: (ضعيف الحديث)[٦]، وفي الثاني ما قال ابن حبّان أنه: (لا يجوز الاحتجاج به)[٧]، وفي الثالث ذكره في كتب الضعفاء وإن كان ثقة، والمظنون أن الحديث للرابع إذ هو صاحب

---

(١) أبو بكر الدمشقيّ هو: عبد الرزاق بن عمر الثقفيّ الدمشقيّ، منكر الحديث، قال يحيى: (ليس بشيءٍ). انظر: التاريخ الكبير (٦/١٣٠/ترجمة: ١٩٣٤)، الكامل في ضعفاء الرجال (٦/٥٣٧/ترجمة: ١٤٦٢)، ميزان الاعتدال (٤/٣٤٠-٣٤١). قال ابن حجر في "التقريب" (ص: ٦٠٧/ ترجمة: ٤٠٩٠): (متروك الحديث عن الزهري ليِّن في غيره، من الثامنة).

(٢) عبدالرزاق بن عمر البازعيّ: هكذا في المخطوط، ولم أجد له ترجمة في كتب ابن حبان التي عزاه إليها المؤلف، ولا في غيرها بهذا الاسم، ولعله قصد به "عبدالرزاق بن عمر البَزِيعيّ" وهذا أقوى لأنَّه ذكر كلام ابن حبان فيه، ووجدت كلام ابن حبان ذلك عند ترجمة "عبدالرزاق بن عمر البَزِيعيّ". انظر: المجروحين (٢/١٦٠)، الثقات (٨/٤١٢)، ميزان الاعتدال (٤/٣٤١/ترجمة: ٥٠٤٧). قال ابن حجر في "التقريب" (ص: ٦٠٧/ترجمة: ٤٠٩١): (عبدالرزاق بن عمر البَزِيعيّ، صدوق، من العاشرة).

(٣) الدمشقيّ العابد هو: عبدالرزاق بن عمر بن مسلم الدمشقيّ العابد. انظر: تهذيب الكمال (١٨/٤٧/ترجمة: ٣٤١٢)، ميزان الاعتدال (٤/٣٤٢/ ترجمة: ٥٠٤٨). قال ابن حجر في "التقريب" (ص: ٦٠٧/ترجمة: ٤٠٨٩): (عبدالرزاق بن عمر بن مسلم الدمشقيّ العابد، صدوق، من العاشرة).

(٤) عبدالرزاق بن همَّام بن نافع الصنعانيّ هو: أبو بكر مولى حمير اليمانيّ، ما حَدَّث من كتابه فهو أصح. انظر: التاريخ الكبير (٦/١٣٠/ترجمة: ١٩٣٣)، تهذيب الكمال (١٨/٥٢)، لسان الميزان (٩/٣٥٨). قال ابن حجر في "التقريب" (ص: ٦٠٧/ ترجمة: ٤٠٩٢): (عبدالرزاق بن همَّام بن نافع الحميريّ مولاهم، أبو بكر الصنعانيّ، ثقة حافظ، مصنف شهير، عَمِيَ في آخر عمره فتغيّر، وكان يَتَشيَّع، من التاسعة).

(٥) انظر: "التاريخ الكبير" (٦/١٣٠-١٣١).

(٦) انظر: "الكُنى والأسماء" (١/١٢٥).

(٧) انظر: "المجروحين" لابن حبان (٢/١٦٠).

المصنف، ولا يعرف للثالث مصنف ولا بمشهور عن الأول والثاني، وقد قال إنه: (اختلط في آخر عمره وكان يَتَشَيَّع)[١].

وقال النسائيّ: (فيه نظر لمن يحدث عنه بآخرة، روى أحاديث مناكير)[٢].

وقال ابن عديّ: (حَدَّث بأحاديث في الفضائل لم يوافقها عليه أحد، ومثالب لغيره مناكير ونسبوه إلى التشيع)[٣]، ومن وثَّقه ورحل إليه وسمع حديثه فقبل الاختلاط، وهذا الحديث من الفضائل وقد سمعت ما فيه عنه ولو كان قبل الاختلاط أو صحيحاً لرواه أهل الصحيح من الذين رحلوا إليه.

وقد قال البخاري: (ما حَدَّث به عبدالرزاق من كتابه فهو أصح)[٤]، فلو كان هذا مما شهد بصحته لأخرجه في صحيحه.

الخامس: البيهقيّ ذكره الحَجُوجي ولم يذكره بِنِّيس، ولا أدري لماذا؟ إن كان على علم بتخريجه له، فَلِمَ أهمل ذكره؟ ولَعَلَّه لِعلَّة وإن كان على غير علم له به فما ينبغي له هذا القصور في هذا القصر الذي يشيد بناءه، ودعا الناس إلى طلبه وأوجب اعتقاده، وأمَّا البيهقيّ في نفسه فيحتمل أنه لم يُخَرِّج هذا الحديث وإنما نُسب إليه، وليس ببعيد، ويحتمل أنه خَرَّجه وهو الظاهر، وجئنا بهذين الاحتمالين لخلوّ أيدينا من هذه الكتب، وممن يصحح مثل هذا فيها أو ينكره، وعلى تخريجه له فقد يكون أنكره، وقد يكون سكت عنه، والظاهر أنه لم يُسَلِّمه، لو سَلَّم صحته أو حُسنه لما ضرب عن ذكره صفحاً حينما ذكر حديث ابن عباس قال: "أوّل ما خلق الله القلم فقال: اكتب"[٥]، فضلاً عن أن يعارضه به، ولئن سلّمنا هذا كله فالبيهقيّ لا يقتصر في روايته على

---

(١) انظر: "الثقات" لابن حبان (٨/٤١٢).

(٢) انظر: "الضعفاء والمتروكين" للنسائي (ص: ١٦٤)، "الضعفاء والمتروكين" لابن الجوزي (٢/١٠٤)، "إكمال تهذيب الكمال" (٨/٢٦٦/ترجمة: ٣٢٩١).

(٣) انظر: "الكامل في ضعفاء الرجال" (٦/٥٤٥).

(٤) انظر: "التاريخ الكبير" (٦/١٣٠).

(٥) رواه أبو داود (ص: ٨٥٠/ح٤٧٠٠)، والترمذيّ (ص: ٤٨٧/ح٢١٥٥)، وأحمد (٣٧/٣٧٨/ ح٢٢٧٠٥)، والبيهقيّ في "السنن" (٩/٣). وصحّحه العلامة الألبانيّ.

الصحيح وعلى المعروفين، فقد يروي الضعيف والمنكر ويبينه وقد لا يبينه، وقد روى حديث الرِّبَا عن رجل لم يُسَم، كما نقلناه في كتابنا: "القول الفائز في التحليل الجائز"(١).

كما أنه روى عن أبي هارون العبديّ(٢) حديثاً منكراً ولم نقف على إنكاره له، مع أنَّ أبا هارون العبديّ جالٍ(٣)، وأكثر روايته عن شيخه الحاكم.

وقد قال فيه الذهبيّ في "الميزان": (إمام صدوق، لكنه يصحح في مستدركه أحاديث ساقطة ويكثر من ذلك، فما أدري هل خفيت عليه فما هو ممن يجهل ذلك، وإن علم فهذه خيانة عظيمة، ثم هو شيعيّ مشهور بذلك من غير تعرض للشيخين، وقد قال ابن طاهر(٤): سألت أبا إسماعيل عبدالله الأنصاريّ(٥) عن الحاكم أبي عبدالله فقال: (إمام في الحديث، رافضيٌّ خبيث)؛ قلت: الله يحب الإنصاف، ما الرجل برافضيّ بل شيعيّ فقط؛ ومن شقاشقه قوله: (أجمعت الأمة أنّ الضَّبِّيّ كذَّاب)، وقوله في: (إنّ المصطفى ﷺ ولد مسروراً مختوناً قد تواتر هذا)، وقوله: (إنّ علياً وصيّ)، فأمّا صدقه في

---

(١) الكتاب مخطوط.

(٢) أبو هارون العبديّ هو: عمارة بن جوين، أبو هارون العبديّ، روى عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه، تركه يحيى القطّان. انظر: تهذيب الكمال (٢١/ ٢٣٢/ترجمة: ٤١٧٨)، ميزان الاعتدال (٥/ ٢٠٩/ترجمة: ٤١٦١). قال ابن حجر في "التقريب" (ص: ٧١١/ترجمة: ٤٨٧٤): (عمارة بن جوين، بجيم مصغر، أبو هارون العبديّ، مشهور بكنيته، متروك، ومنهم من كَذَّبه، شيعيّ، من الرابعة).

(٣) جَال: من جَلا الأمر، وجَلاَّه، كَشَفه وأظهره، وأمرٌ جَلِيٌّ: واضحٌ، والجَلاءُ ممدود: الأمر البَيِّنُ الواضح. انظر: لسان العرب (١/٦٦٩).

(٤) ابن طاهر هو: محمد بن طاهر بن علي بن أحمد، الحافظ، ذو التصانيف، أبو الفضل بن أبي الحسين ابن القيسرانيّ المقدسيّ الظاهريّ الصّوفيّ، توفي سنة (٥٠٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/٣٦١/ترجمة: ٢١٣).

(٥) أبو إسماعيل عبدالله الأنصاريّ هو: أبو إسماعيل عبدالله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر الأنصاريّ الهرويّ الحنبليّ، مُصَنِّف كتاب "ذم الكلام"، توفي سنة (٤٨١هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/٥٠٣/ترجمة: ٢٦٠).

نفسه ومعرفته بهذا الشأن فأمرٌ مُجمع عليه)[١]. انتهى ما أردنا نقله عنه.

ورأينا له فيه في موضع آخر عنه تصحيحه لبعض الأحاديث في مناقب النبوة (أما يستحي الحاكم أن يصحح مثل هذه الأحاديث)[٢] أو كما قال.

أقول: وفي كلام الذهبيّ هذا في الحاكم أبحاث[٣]:

---

(١) انظر: "ميزان الاعتدال" (٦/٢١٦/ترجمة: ٧٨١٠).

(٢) انظر: نصب الراية (١/٣٥١)، عمدة القاري (٥/٤٢١).

(٣) مسألة تشيع الحاكم صاحب "المستدرك" – رحمه الله – مسألة مشهورة عند أهل العلم بين مثبت ونافي، وقد ذكر تاج الدين السبكيّ في "طبقاته الكبرى" (والغالب على ظنّي أن ما عُزِيَ إلى أبي عبدالرحمن السُّلميّ كذبٌ عليه، ولم يبلغنا أن الحاكم ينال من معاوية ولا يُظَن ذلك فيه، وغاية ما قيل فيه الإفراط في ولاء عليٍّ ومقام الحاكم عندنا أجلُّ من ذلك)، وقال: (قلت: الآن حَصحَص الحق، والحق أحقُّ أن يتَّبع، وسلوك طريق الإنصاف أجدر بذوي العقل من ركوب طريق الاعتِساف، فأقول: لو انفرد ما حكيته عن أبي إسماعيل، وعن ابن طاهر لقطعت بأن نسبة التشيُّع إليه كذبٌ عليه، ولكني رأيت الخطيب أبا بكر – رحمه الله تعالى – قال: أبو عبدالله بن البيِّع الحاكم كان ثقة، أول سماعه في سنة ثلاثين وثلاثمائة، وكان يميل إلى التشيُّع . . .) إلى أن قال السبكيّ: (قلت: والخطيب ثقةٌ ضابط، فتأمَّلت مع ما في النفس من الحاكم من تخريجه حديث الطائر في "المستدرك" وإن كان خرَّج أشياء غير موضوعة لا تعلق لها بتشيُّع ولا غيره، فأوقع الله في نفسي أن الرجل كان عنده ميلٌ إلى عليٍّ ﷺ يزيد على الميل الذي يطلب شرعاً، ولا أقول: إنه ينتهي به إلى أن يضع من أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ ولا إنه يفضِّل عليًّا على الشيخين، بل أستبعد أن يفضِّله على عثمان ﷺ فإني رأيته في كتابه "الأربعين" عقد باباً لتفضيل أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ وأختصهم من بين الصحابة، وقدّم في "المستدرك" ذكر عثمان على عليّ ﷺ . . .) إلى أن قال: (وأخرج غير ذلك من الأحاديث الدالة على أفضلية عثمان مع ما في بعضها من الاستدراك عليه، وذكر فضائل طلحة، والزبير، وعبدالله بن عمرو بن العاص، فقد غلب على الظَّنِّ أنه ليس فيه – ولله الحمد – شيء مما يُستَنكر عليه إفراطٌ في ميلٍ لا ينتهي إلى بدعة، وأنا أجوِّز أن يكون الخطيب إنما يعني بالميل إلى ذلك، ولذلك حكم بأن الحاكم ثقة، ولو كان يعتقد فيه رفضاً لجرَّحه به، لا سيِّما على مذهب من يرى رَدَّ رواية
=

الأول: شهادته له بأنه لا يخفى عليه الضعيف والموضوع اللذان يصححهما، وإذا كان ذلك كذلك فهي خيانة وجريمة ما فيها مرية، وعليه فكيف يكون إماماً صدوقاً فضلاً عن أن يكون وصفه بذلك محل إجماع.

الثاني: قوله: (ما هو برافضيّ بل شيعيّ فقط)، يقال عليه: المُثبت مُقدَّم على النافي حفظ ما لم يحفظ غيره، فأنت لم تحفظ عليه الرفض وإنما حفظت عليه التشيع وهو أعم من الرفض، وأبو إسماعيل عبدالله الأنصاريّ حفظ عليه الرفض اللازم منه التشيع.

الثالث: ما وصفته به بعد هذا من الشقاشق التي منها: دعواه إجماع الأمة على كَذِب الضَّبِّيّ، المحتمل أنه معاوية ﷺ فلا يسلم أن يكون عشر الأمة، بل أقل منه يحكم بِكَذِبه فضلاً عن إجماعها[1]، وإن كان المراد غيره فالحكم على الشيء فرع تصوره، مع أن دعوى الإجماع في الأحكام الظنيّة لا يصح على الصحيح.

ومنها قوله: إنّ الرسول ﷺ ولد مسروراً مختوناً، وإنّ علياً وصيّه، يناسب دعوى التشيع والرافضة لاشتراكهما في ذلك أو في غالبه مع زيادة الخاص على العام بما يخص به منه.

أقول: وقد ذكر ابنُ تيمية البيهقيّ في كتابه "الرد على البكريّ" في جملة من يروون الغرائب المنكرات، والأحاديث الموضوعات للمعرفة بها إلى أن قال: (والبيهقي يعزو ما رواه إلى الصحيح في الغالب، وهو من أقلّهم استدلالاً بالموضوع، لكن يروي في الجهة التي ينصرها من المراسيل والآثار ما يصلح للاعتضاد ولا يصلح للاعتماد، ويترك في الجهة التي يُضعِّفها ما هو أقوى من ذلك الإسناد، وهم فيما يقولونه من أصدق الناس

المبتدع مطلقاً، فكلام الخطيب عندنا يقرب من الصَّواب، وأما قول من قال: (إنه رافضيٌّ خبيث)، ومن قال: (إنه شديد التعصُّب للشِّيعة)، فلا يُعبأ بهما كما عرَّفناك، هذا ما ظهر لي، والله أعلم). طبقات الشافعية الكبرى (٤/١٦١-١٧١) بتصرف يسير

(١) كُتِبَ هكذا في المخطوط، والعبارة غير واضحة، ولعل فيها سقط، وإلا من أين لنا أن الإمام الحاكم – رحمه الله تعالى – قصد بـ(الضَّبِّيّ) الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان ﷺ كما ذُكر هنا في المخطوط مع ما تقدّم من نفي التشيُّع عنه، فضلاً عن الرَّفض وسبِّه آحاد الصحابة، بل أخرج فضائلهم في "المستدرك" وغيره، وترضى عنهم ﷺ. والله أعلم.

وأثبتهم، لكن الشأن في من قبلهم من الإسناد، فإنهم كثيراً ما يتركون التمييز فيه بخلاف الأئمة الكبار الذين يعتمدون على الحديث ويحتجون به فيما بينهم وبين الله تعالى، كمالك، والشافعيّ، وأحمد، وإسحاق، وعبدالرحمن بن مهدي، ويحيى بن سعيد، والبخاريّ، وأبي داود، فإنهم يحررون الكلام في المتن والإسناد، والله الهادي إلى سبيل الرشاد)[1]. انتهى ما لابن تيمية.

أقول: وفيما وصف به ابن تيمية البيهقيّ – رحمهما الله – أنظار:

الأول: قوله فيه: (يعزو ما رواه إلى الصحيح في الغالب).

نقد: عزوه ما رواه إلى الصحيح صحيحٌ وافق الواقع بالدلائل الدالة على ذلك، وإلا فمجرد العزو منه إليه لا يُصَيِّره صحيحاً.

الثاني: قوله: (في الغالب).

يُؤخذ منه: أنّ غير الغالب فيه غير معزوّ إلى الصحيح، وهو شامل للحسن والضعيف والموضوع، كما هو شامل للمبيّن حاله، وللمسكوت عنه، وللمستدل به وإن كان لا يصلح له.

الثالث: قوله: (وهو من أقلهم استدلالاً بالموضوع . . .) الخ.

تعقيب: يقال عليه: يكفي في عدم تمسكه بالصحيح دائماً كونه يستدل بالموضوع وإن كان أقل من غيره فيه وهي جرحة ما.

الرابع: قوله: (لكن يروي في الجهة التي ينصرها . . .) إلى آخر كلامه.

يقال عليه: وهذا منه تعصب لغير الحق وهو كما قبله يفيد عدم الثقة بكل مروياته، فتأمّل ذلك وكفاك ما ذكرنا فيه وفي عبد الرزاق قبله، وأمّا مُخَرِّج هذا الحديث غيرهما ومثله فسنتعرض لذكره حينما نذكر ما خَرَّجَه.

---

(١) انظر: "الرد على البكريّ" (٧٨/١-٧٩).

السادس: الاضطراب وقد شهد المستدلون بذلك عليه حيث قال بعضهم كالحَجُوجيّ: روى عبدالرزاق في مصنفه، والبيهقي ببعض مخالفة، والمخالفة بَيِّنَة يوضحها الاختلاف الذي جاء في هذه الرواية ورواية بِنِّيس في شرح الهمزيّة.

السابع: هذه الأوليّة للنّور تنافي ما جاء من أوليّة الماء وأوليّة العرش، وكلاهما في الصحيح[1]، وكذا أوليّة القلم[2]، كما تنافي أوليّة العقل، فإن أجابوا: بأنّ أوليّة العقل باطلة[3]، قيل لهم: ليس دعوى أهلها بأبطل من دعواكم إن لم تكن في درجتها أو قريبة من مساواتها، أمّا أوليّة الثلاثة قبلها فلا سبيل لكم ولا إلى غيركم في إبطالها، نَعَم قد أجمع العلماء بينها بحمل أوليّة الماء على الحقيقة على الظاهر، وأوليّة العرش على

(١) انظر: صحيح البخاري (ص:٥٣٢/ح٣١٩١)، مسلم (ص:١١٥٦/ح٢٦٥٣).

(٢) سبق تخريجه (ص:١٢٤).

(٣) رُوِيَ في العقل أحاديث باطلة لا تصح عن النبي ﷺ وقد حكم عليها العلماء كلها بالوضع والكذب بلا استثناء، ومما رُوِيَ فيه حديث: "أوّل ما خلق الله العقل — ويُروى – لَمَّا خلق الله العقل قال له: قُم، فَقَامَ، ثم قال له: أَدبِر، فَأَدبَرَ، ثم قال له: أَقبِل، فَأَقبَلَ، ثم قال له: أُقعُد، فَقَعَدَ، ثم قال: وَعِزَّتِي ما خَلَقتُ خَلقاً هو خَيرٌ منك، ولا أعجب إِليَّ منك، ولا أكرم منك، ولا أفضل منك، ولا أحسن منك، بك آخُذُ، وبك أُعطِي، وبك أُعرَفُ، وبك أُعَاقِبُ، وبك الثَّواب، وعليك العِقَاب". أخرجه العقيلي في "الضعفاء الكبير" (٩١٦/٣/تحت ترجمة:١١٧١)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٣٤٩/٦/ح٤٣١٣)، وابن الجوزي في "الموضوعات" (٢٧٢/١/ح٣٦٦)، والشوكانيّ في "الفوائد المجموعة" (٥٨٦/٢/ح١٣٤٨). وحكم عليه العلامة الألبانيّ في "مشكاة المصابيح" (١٤٠٦/٣/ح٥٠٦٤) بالوضع.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في جوابٍ له عن الحديث: (هو كذبٌ موضوعٌ عند أهل العلم بالحديث، ليس هو في شيءٍ من كتب الإسلام المعتمدة، وإنما يرويه مثل: داود ابن المحبر وأمثاله من المصنفين في العقل، ويذكره أصحاب "رسائل إخوان الصفا" ونحوهم من المتفلسفة، وقد ذكره أبو حامد في بعض كتبه، وابن عربي، وابن سبعين، وأمثال هؤلاء، وهو عند أهل العلم بالحديث كذبٌ على النبي ﷺ كما ذكر ذلك أبو حاتم الرازي، وأبو الفرج ابن الجوزي، وغيرهما من المصنفين في علم الحديث. مجموع الفتاوى (٣٣٦/١٨-٣٣٩).

الإضافية أي: بالنسبة إلى كل شيء خلق بعده دون الماء، وأوليّة القلم بأنّ أوّل ما خلق الله في حديثه ظرف للكتابة لا أنّه قبل ما تقدّمه، بل مقدّم على ما بعده من خلق السماء والأرض.

الثامن: ما يقال هذا النّور الذي أعطيتم له الأوليّة المطلقة لا يخلو: إمّا أن يكون معناه الروح لأنّ النّور يُطلق عليها وعلى ما بعدها من التفاصيل، وهذا الإطلاق لا يصح هنا لأن الروح حَيّة سامعة بصيرة عاقلة مدركة، والذي تجزَّأ منها كما في دليلكم عارٍ عن كل وصف من هذه الأوصاف، كما أنّه ليس هو المستقل في جباه بني آدم من أوّله إلى رسول الله ﷺ، وإمّا أن يكون معناه الهداية والعلم والحكمة، وهو معنى موجود في نفسه ولكنّه لا يصح هنا أيضاً، لأنّ المقسم إليه في دليلكم غير هذا المعنى، بل معاني حِسِّيَّة، ولأنّه لابُدّ من قيامه بمحل فلا يصح انتقاله من محل إلى غيره، كما لا يصح كغيره من الأوّل وما بعده أن تثبت لهم الأوليّة لسبق الزمان والمكان أو مقارنتهما معها فتبطل الأوليّة، وإمّا أن يكون نوراً حِسِّيّاً عرضيّاً، وهذا لا يصح أيضاً، لأنّه ليس المجزَّأ لغيره ولا المنتقل إذ لا يتجزَّأ إلا بجزئيّات ملزومة، وهو الموصوف به ولا ينتقل إلا به وهو معدوم الأوليّة لسبقه بالزمان والمكان، وإمَّا أن يكون جوهراً قائماً بنفسه وهو الذي لا يشك في أنّه مقصودكم هنا، لأنّه يثبت له الانتقال والتجزِّي، ولكن لا تثبت له الأوليّة إذ زمانه ومكانه دافع لها.

التاسع: تقدّم لنا أنّ في حديث جابر – رضي الله عنهما – هذا اضطراباً، وهو الاختلاف في الرواية، وها هنا يُتَكلَّم على التنافي في أحكامه، وبعض ألفاظه الذي منه هذا التاسع، وهو أن قوله: "نور نبيّك" فيه أن الإضافة ليست حقيقيةً إذ هذا النّور ليس خاصاً بالنبي ﷺ، بل هو مصدرٌ انشق منه ما يذكر بعده من الأشياء.

العاشر: ما يقال على "من نوره" إن كان الضمير عائداً على الله كان ذلك النّور جُزءًا من نور الله القديم، والقديم يستحيل أن يكون مخلوقاً ولا مخلوقاً منه، وأحسب هذا القول رأيته في كتب بعض المتصوفة كما يلزم عليه نفي أوليّة النّور المحمدي لاشتقاقه من النّور الإلهي، وإذا كانت الكناية عائدة إلى نورٍ خلقه الله كانت الأوليّة للنّور المحمدي منتفية أيضاً لسبقه بالمشتق منه، وهذا الاحتمال يُضعّفه ظاهراً الإضافة إلى نور الله، والأصل الحقيقة كما يُضعّفه ما جاء في الحديث الآتي: "رددت ذلك النُّور إلى نوري،

فأدخلتك أنت وأهل بيتك الجنة"[١] الحديث، وفي بعض النسخ تعليقاً من نوره أي: من نورٍ خلقه الله، ومع ما فيه الظاهر منه إنّه لبعض كُتَّاب المواليد أو قُرَّائها دفعاً لما يلزم على ظاهره من كون النّور القديم ينقلب محدثاً.

الحادي عشر: قوله: (فجعل ذلك النور يدور . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: في رواية الحجوجي يذكر عالم الملكوت، وفي رواية بِنِّيس بإسقاط عالم الملكوت.

الثاني عشر: كون النّور يدور في عالم الملكوت أو غيره، يقتضي زماناً ومكاناً سابقين عليه أو ملازمين له، وذلك ينفي أوليّة النّور المذكور على كل شيء.

الثالث عشر: هذا الحديث يخبر عن النّور بأنّه كان يدور ذلك الدّوران، وما ذكره بِنِّيس وغيره من حديثٍ لم يذكروا له مخرجاً عن سيّدنا عمر ﷺ: " أنّه سجد لله فبقي في سجوده سبعمائة عام"[٢].

الرابع عشر: هذا السجود يقتضي مكاناً وزماناً، وهذا الاقتضاء ينفي الأوليَّة المطلقة عن هذا النّور.

الخامس عشر: قوله: (قَسّم ذلك النّور أربعة أجزاء . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: واضح من هذا أن هذا النّور مشترك بين الأجزاءِ المنقسمة إليه لا هو نور رسول الله بِجِدَتِه[٣] وإنما هو جزء من أجزائه، وعليه فتبطل الأوليّة أيضاً إذ الفرع لا يسبق أصله والجزء لا يتقدم كله.

---

(١) هذا طرف من الحديث، وسيأتي معنا بتمامه (ص: ١٣٥-١٣٦)، ولم أجده في كتب الحديث ولا غيرها، مما يدل على أنّه حديث موضوع مكذوب لا صحة له، وأنه من وضع الصوفية المتأخرون والمعاصرون للمؤلف نُصرةً لمعتقدهم الباطل، وسيمر بنا عِدَّة أحاديث على نفس الشَّاكِلَة.

(٢) وهذا كسابقه لم أجد له تخريج في كتب الحديث ولا غيرها، وسيأتي معنا بتمامه (ص:١٣٧).

(٣) بِجِدَتِه أي: لوحده. انظر: لسان العرب (٤٧٨١/٦).

السادس عشر: (فجعل من الأوّل . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: هذه تجزئة لذلك النّور لا يشك فيها شاكٌّ في الحديث بروايته عند الحَجُوجي وبِنّيس، ولكنّ بِنّيس ضرب عن الاحتجاج بالحديث فيما هو واضح كالشمس وهي التجزئة، وقال: (ليست بتجزئة وتقسيم وإنّما هو اقتباس)، واستشهد لذلك بما هو حُجّة عليه كالحديث، وهو ما في صلاة ابن مِشّيش[(١)] اللهُمَّ.

ذكر ذلك عند شرحه للهمزيّة وقوله[(٢)]:

أنت مصباح كل فضل فما تصدر   إلا عن ضوئك الأضواء

ولنا عودة - إن شاء الله - للبحث معه فيما قاله في هذا الموضوع حينما يقف بنا جواد القلم ومتأمل الفكر في ميادين البحث مع البوصيريّ هناك.

السابع عشر: في حديث الحَجُوجي جعل القسمة الثالثة في السموات والأرضين والجنة والنار. وفي حديث بِنّيس جعلها في نور أبصار المؤمنين وما بعده، وأسقط قسمة السموات والأرضين والجنة والنار.

الثامن عشر: قد اتفقا على إسقاط الشمس والقمر والجن والإنس مع ذكرهما في الحديث، وأنّهما من نور النبي ﷺ بهذا الحديث وغيره، ولا أدري لِمَ أدخلوه في الإجمال والكليات، وأخرجوا من التفصيل والجزئيات.

التاسع عشر: لِمَ لَم يَتَعرّض الحديث ولا ذاكره للحيوانات والجمادات والمائعات مع أنّ حديث: "كل شيءٍ خُلق من نوره" يستدعي ذكر هذه الأشياء في التفصيل.

---

(١) ابن مِشّيش هو: أبو محمد عبدالسلام بن مِشّيش بن منصور بن علي الحسنيّ الشاذليّ، من صوفيّة المغرب، غلا فيه أتباعه غلوّاً شديداً، واشتهر برسالة له تدعى "الصلاة المشّيشيّة" مطبوعة، تُعَدُّ من أهم وأشهر الأذكار عند الشاذليّة، وتبدأ بقولهم: (اللهُمَّ صَلِّ وسلِّم بجميع الشئون في الظهور والبطون . . . إلخ)، توفي سنة (٦٢٢هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (٩/٤)، فهرس الفهارس (١٠٥٩/٢ ، ١١٤٦).

(٢) انظر: "القصيدة الهمزيّة" (ص:٧).

العشرون: قد اتفقا على دخول نور أبصار المؤمنين، ونور قلوبهم، ونور توحيدهم في التجزئة وسكتوا عن نور أبصار وقلوب وأبدان الكافرين، والحيوانات مع أن كلية الانفصال من النّور تشملهم.

الواحد والعشرون: ذكر الحَجُوجي في هذه القسمة أن الجزء الثالث منها: نور أُنسِهم وهو التوحيد، وسكت عن الجزء الرابع وأحال ما بقي عن الحديث الذي لم تُعرَف بقيته ولا أين يظفر بها والغالب لو علم بها ما تركها.

الثاني والعشرون: أتَمَّ بِنِّيس الحديث في روايته وقال في الجزء الرابع من القسمة الأخيرة: "وخلق من الجزء الرابع: لا إله إلا الله، محمد رسول الله".

ونحن نقول عليه: أمّا خلق محمد رسول الله لا باعتبار هذا التقسيم فَمُسلَّم، وأمّا خلق لا إله إلا الله، فلا إله إلا الله من كلام الله، وكلامه صفاته قديمة بالنفس وحادثة بحدوث متعلقها، ولا يسري فيها الحدوث به كالقدرة عند التوجه إلى المقدور، والعلم عند التوجه إلى المعلوم، وكذلك صفة الكلام عند التوجه إلى المخاطب، فلا إله إلا الله من كلامه الذي هو صفاته، وإن كانت بالحرف والصوت على القول الحق، وبحدوثها عند ذكرها والخطاب بها، ولا يخرجها ذلك عن صفات الله إلى صفة الخلق، ولا من القدم إلى الحدوث، تأمّل ذلك، والله أعلم.

الثالث والعشرون: ما يقال في الأمثال العامِّيَّة (الدّقيق لا غبرة منه)، ووجهه أن النّور المحمدي الأصلي السابق على كل شيءٍ قد تجزأ إلى هذه المباينة له، وحصر الدليل عندهم هذه القسمة في هذه الأجزاء، وعليه فأين جزء النّور المحمديّ؟ لم يبق له حظ من أصله ومن نفسه، فقد أردنا الاستدلال على وجوده، وسبقيته، وبقائه، وخلق الذات المحمدية منه، ولكن جَزَّءنَاهُ على غير ذلك ولم نترك لها نصيباً منه، فإن قيل: جزء النبوة من ذلك النّور هو ما صدق عليه "لا إله إلا الله، محمد رسول الله"، قيل عليه: تَقدّم ما في "لا إله إلا الله" من نفي الخلق لَهَا، وعلى تسليمه فليس النّور خاصاً إذاً برسول الله بل مشترك بينه وبين "لا إله إلا الله"، وحينئذ فأين سَبقه للأكوان وتمييزه منها بنورٍ خاص؟.

الرابع والعشرون: إن هذا الجزء من النّور خلق منه محمد رسول الله، لَمَا كان هو الموضوع الذي فُوِّقَت إليه سهام الجدال، ورفعت له رماح الرِّجال لأنّه لفظ، والموضوع في الذات التي يقتبس منها كل شيء كما قلتم ويأتي ما يؤيد ما قلناه عندكم.

الخامس والعشرون: لو قال قائل إنّ هذا الخلق في هذا الجزء مصروف إلى الذات لا إلى اللفظ؛ لقيل له: هذه طامة أكبر من أختها إذ المعنى عليها أن ذات الله تقدست خُلِقَت من نور محمد عليه السلام كما خُلِقَت ذاته منه، ولو كان كفر أكبر من هذا لكان هذا أكبر منه.

السادس والعشرون: هذا الحديث يناقض ما فيه من الأوليّة حديث الدر المنتظم الذي ذكره الحَجُوجي من غير مخرج عن سيّدنا عليّ رضي الله عنه حين قال: قلت: يا رسول الله مِمَّ خُلِقتَ؟ فأطرق، وعليه عَرَقٌ كالجُمَّانِ[1]، ثم قال: "يا عليّ لما عُرِجَ بي إلى السماء، وكنت من ربي عز وجل كقاب قوسين أو أدنى، وأوحى إليّ ربي ما أوحى، قلت: يا ربي مِمَّ خلقتني؟ فقال: يا محمد لما نظرت إلى صفاء بياض نور خلقته بقدرتي، وأبدعته بحكمتي، وأضفته تشريفاً له إلى عظمتي، استخرجت منه جزءاً فقسمته ثلاثة أقسام: فخلقتك أنت وأهل بيتك من القسم الأول، وخلقت أزواجك وأصحابك من القسم الثاني، وخلقت من أحبكم من القسم الثالث، فإذا كان يوم القيامة عاد كل حسب ونسب إلى حسبه ونسبه، ورددت ذلك النور إلى نوري، فأدخلتك أنت وأهل بيتك، وأزواجك وأصحابك، ومن أحبكم جنتي برحمتي، فأخبرهم بذلك يا محمد عنِّي"[2]، إذ ليس فيه ذكر الأوليّة.

السابع والعشرون: يناقضه أيضاً حيث قال في الأوّل: "نور نبيك من نوره"، وهنا قال: "إلى صفاء بياض نور"، وصفاء بياض النور ليس هو نفس النور.

الثامن والعشرون: يناقضه أيضاً حيث قال في الأول "من نوره" وها هنا لم يضفه إلى غيره.

---

(١) الجُمَّان هو: حَبٌّ يُتَّخَذُ على أَشكال اللؤلؤ من فضَّة، فارسي معرّب، واحدته جُمّانة، وقيل: هو اللؤلؤُ الصِّغار، وقيل: خَرز يُبَيَّضُ بماء الفضَّة. انظر: لسان العرب (١٣/٩٢).

(٢) سبق تخريجه (ص: ١٣٢).

التاسع والعشرون: ها هنا صَرَّح بأنّ النّور مخلوق، وها هنا إضافةٌ إلى ضمير، الظاهر فيه العود إليه سبحانه على ما تَقَدَّم.

الثلاثون: يناقضه أيضاً حيث قال هنا: "استخرجت منه جزءًا" وهناك لم يقل ذلك.

الواحد والثلاثون: يناقضه أيضاً حيث ذكر هنا ثلاثة أقسام لذلك النّور، وهناك أقساماً كثيرة.

الثاني والثلاثون: يناقضه أيضاً حيث ذكر هنا المخلوقين من النّور، ولم يذكرهم هناك بل ذكر غيرهم.

الثالث والثلاثون: يناقضه أيضاً من حيث أنّ الدليل لهم عَمَّمَ الخلق من النّور في كل شيءٍ، وهنا خَصَّه بمراتب ثلاثة عَيَّنَ فيها خمساً من المخلوقين.

الرابع والثلاثون: سَوَّى في الخلق بين رسول الله وأهل بيته من غير ما يقتضي الأوليّة له، وحديث جابر رضي الله عنه[1] يقتضي الأوليّة له في كل شيءٍ.

الخامس والثلاثون: هذا يقتضي أنّ المذكورين هنا أرفع درجة وأشد عناية من الله بهم من النبيين والمرسلين به، ومن الملائكة المقربين حيث خُصوا بالخلق من سفر هذا النّور دون غيره، وكذا يقال في الجنة دون غيرها، فرحمك الله تَدَبَّر ولا تُقَلِّد كل ما سمعت فَتَتَحَمَّر[2].

السادس والثلاثون: إذ قال قائل: يدخل الأنبياء والمرسلون ومن آمن معهم وأهل الجنة والملائكة في من أحبكم، قيل له: كيف جوابك إذاً عن من لم يُعلَم بهم من خلق الله وهو من أهل الجنة، أيُمنَع منها لانعدام تلك المحبة فيه وإن كان غير مُكَلَّف بها، ثم ما جوابك عن سُكَّان الجنة من الملائكة، وحور العين، والولدان المخلدين، أيدخلون فيمن أحبكم فيصبحون محصلين للحاصل بتلك المحبة؟ وهذا لا يفهم عند العقلاء.

---

(١) سبق تخريجه (ص: ١٢٠-١٢١).

(٢) فَتَتَحَمَّر: تَشبيهٌ من المؤلِّف – رحمه الله – الذي يُقَلِّد غيره في كلّ ما سمع من غير معرفة، ولا دليل ولا برهان، بالحِمَار أي: فَتُصبِح كالحمارِ في البلادة وعدم المعرفة، والحِيرة والتردد في الأمر، ويكون لا فِعلَ لك. انظر: لسان العرب (١/٣٤١).

السابع والثلاثون: قوله: (رددت ذلك النّور إلى نوري).

يقال عليه: إن كان إلى نوره القديم، فالجنة إنما استنارت به، فلا يحتاج إلى دخولها واستنارته بها، والتمتع بزخارفها وزينتها، وإن كان إلى نوره المخلوق، فلا يخلو: إمّا أن يراد به النّور الذي خلق منه هؤلاء يردون إليه فيدخل الجنة، وقد ثبت بالدلائل القاطعة أنهم داخلون إلى الجنة بأرواحهم وأجسامهم، لأنّ أجسامهم وأرواحهم تُعجَل وتعود نوراً فيدخل ذلك النّور إلى الجنة. وإن كان المراد به: نوراً غير هذا النّور الذي خلقوا منه، فكيف ترد الفروع إلى غير أصلها مع أنّ فيه ما في ما قبله.

الثامن والثلاثون: يناقضه أيضاً في أن هذا النّور هنا لم يذكروا له سجود سبعمائة عام كما ذكر في حديث سيّدنا عمر ﷺ المذكور عند بِنّيس من غير مخرج وهو: "يا عمر أتدري من أنا؟ أنا الذي خلق الله ﷻ قبل كل شيءٍ نوري، فسجد لله فبقي في سجوده سبعمائة عام"[١]، كما يناقض حديث جابر – رضي الله عنهما –[٢] في هذا المعنى.

التاسع والثلاثون: قوله: قلت: (يا رَبِّ مِمَّ خلقتني؟).

يناقض الكتاب والسنة والإجماع، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾[٣]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ ﴾[٤]، وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾[٥]، إلى غير ذلك من الآيات، وقال رسول الله ﷺ: "كلكم من آدم، وآدم من تراب"[٦]، وقال: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه"[٧] الحديث، وقال: "إنّ الله وَكَّلَ بالرَّحِمِ ملكاً يقول: يا رَبِّ نُطفَةٌ، يا رَبِّ عَلَقَةٌ"[١]

---

(١) سبق تخريجه (ص: ١٣٣).

(٢) سبق تخريجه (ص: ١٢٠-١٢١).

(٣) سورة الحجرات، الآية (١٣).

(٤) سورة النساء، الآية (١).

(٥) سورة غافر، الآية (٦٧).

(٦) سبق تخريجه (ص: ١١٤).

(٧) صحيح البخاري (ص: ٥٣٦/ح٣٢٠٨)، ومسلم (ص: ١١٥١/ح٢٦٤٣).

الحديث، إلى غير ذلك منها، والإجماع على أنّ آدم خُلِقَ من تراب، وذريته مِن نُطَفِ بعضها بعضاً.

الأربعون: قوله: (فأخبرهم بذلك يا محمد عني).

يقال عليه: لو كان صحيحاً لأصبح النبي ﷺ صبيحة الإسراء يُحدّث به كما حَدّث بغيره من أخبار الإسراء، ولرواه أهل الصحيح وبادروا إلى روايته، بل جدير أن يُروى بالتواتر لا أن يُترك لِوَضَّاعٍ أو مجهولٍ أو. . . أو. . . أو. . . .

الواحد والأربعون: هذه الأحاديث تُخالف حديث: "فقبض قبضة من نوره، فقال: لها كوني محمداً فكانت محمداً"[٢]، أو كما قالوا لنفى الأوليّة في حديث القبضة.

الثاني والأربعون: إنَّها تخالفه حيث لم يُذكر فيه أنّه أصل كل شيءٍ وذُكِرَ في بعضها.

الثالث والأربعون: إنَّها تخالفه من حيث التجزّيء إلى أقسام كثيرة، وهو يُفيد عدم الانقسام.

الرابع والأربعون: الإضافة في نوره يجري فيها ما تقدم في عود الضمير، ويترتَّب عليه ما تَرتَّب عليه.

الخامس والأربعون: قوله فيه: (فكانت محمداً).

إن أُرِيدَ أنَّه تَكَوَّن من ذلك جسمه وروحه فهذا مُخالف لما أجمع عليه غير الغلاة من العقلاء، مِن أنَّ رسول الله لم يَتَكَوَّن جسمه وروحه إلا في بطن أمّه الطاهر ثم ما بعده، وإن كان المراد مُجَرَّد التسمية لتلك القضية النّورية فَمَعَ عدم دليل الوقوع والتخصيص لا تظهر لذلك فائدة إلا أن يختص بعلمها الله.

---

(١) صحيح البخاري (ص: ٥٥/ح٣١٨)، ومسلم (ص: ١١٥٣/ح٢٦٤٦).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى –: (ما ذكر من "أنّ الله قبض من نور وجهه قبضة ونظر إليها فعرقت ودلقت، فخلق من كل قطرة نبياً، وأنّ القبضة كانت هي النبي ﷺ، وأنّه بقي كوكب دُرّيّ ..."، فهذا كَذِبٌ باتفاق أهل المعرفة بحديثه، وكذلك مثل ما يذكرون أنّ النبي ﷺ كان كوكباً، أو أنّ العالم كله خلق منه، أو أنّه كان موجوداً قبل أن يخلق أبواه، أو أنه كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه به جبريل، فكل ذلك كَذِبٌ مفترى باتفاق أهل العلم بسيرته. مجموع الفتاوى (١٨/٣٦٦-٣٦٧).

السادس والأربعون: جاء في بعض الروايات "أنّ رسول الله كان نوراً بين يدي العرش"[(١)]، وهو ينافي ما تقدّم من حديث الأوليّة من سبق الزمان والمكان للنّور أو حدوثهما معه.

السابع والأربعون: هذا يُفيد أنّ العرش وما ذكر معه في الأحاديث المتقدمة لم تنشق من ذلك النّور المشترك بينهما.

الثامن والأربعون: هذا مناف لحديث الدّوران والسجود حيث لم يوصف بهما هنا إلى غير ذلك من المخالفات بينها.

التاسع والأربعون: جاء في بعض الحكايات: "إنّ قريشاً كانت نوراً بين يدي الله"[(٢)]، وهو مُنَافٍ لتخصيص النّورية برسول الله.

الخمسون: هو مُنَافٍ لتخصيصه بالأوليّة إذ هو وقومه إذ ذاك سببان.

الواحد والخمسون: هو مُنَافٍ لحديث الدر المنتظم[(٣)]، حيث خص فيه النّور بقريش دون أزواج النبي عليه السلام وأصحابه ومن أحبهم.

---

(١) هذه الرواية موضوعة مكذوبة لا أصل لها في شيءٍ من كتب الحديث، وإنما هي مشتهرة على ألسنة الصوفية، وهناك رواية مكذوبة من وضع الرافضة ومذكورة في كتبهم قريبة من هذه الرواية، ذكرها القطيعيّ في زياداته على مسند الإمام أحمد في "فضائل الصحابة" (٨٢٣/٢/ح١١٣٠)، عن سلمان الفارسيّ رضي الله عنه قال: سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: "كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزءين فجزء أنا وجزء عليّ عليه السلام". وقد حكم عليها محقق الفضائل بالوضع وبَيّنَ ذلك. وانظر: تاريخ بغداد (٣٧٨/٨/ ترجمة: ٣٨٦٣)، تاريخ دمشق (٦٧/٤٢)، الموضوعات (٩٥/٢/ح٦٣٤)، اللآلئ المصنوعة (١/ ٢٩٤).

(٢) هذه الرواية موضوعة مكذوبة كسابقتها. انظر: الشريعة (١٤١٩/٣/ح٩٦٠)، الموضوعات (٧/٢-٨/ح٥٤٣)، اللآلئ المصنوعة (٢٤٣/١-٢٤٤)، المطالب العالية (١٩٥/١٧-١٩٧/ ح٤٢٠٩).

(٣) سبق تخريجه (ص: ١٣٢).

الثاني والخمسون: هذا يُفيد أنّ قريشاً أفضل عند الله من الأنبياء والمرسلين، ومن لم يكن بهذا الوصف من المتقين.

الثالث والخمسون: قد ذكر الحَجُوجي هنا في مولده عن كتاب التشريفات في المناقب والمعجزات: عن أبي هريرة قال: سأل رسول الله جبريل عليه السلام فقال: "يا جبريل كم عُمِّرت من السنين؟ فقال: يا رسول الله لست أعلم غير أنّ في الحجاب الرابع نجماً يطلع في كل سبعين ألف سنة مرة، رأيته اثنين وسبعين ألف مرة، فقال عليه السلام: وعزة ربي أنا ذلك الكوكب"(١)، كما ذكر ابن عربي الحاتميّ(٢) في مولده عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن أوّل شيءٍ خلقه الله تعالى فقال: "هو نور نبيِّك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير، وخلق بعده كل شيء، وحين خلقه أقامه قُدَّامه في مقام القرب اثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام: فخلق العرش من قسم، والكرسي من قسم، وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الحب اثني عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام: فخلق القلم من قسم، واللوح من قسم، والجنة من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الخوف اثني عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء: فخلق الملائكة من جزء، والعلم والحلم من جزء، والعصمة والتوفيق من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء اثني عشر ألف سنة، ثم نظر إليه فترشح النّور عرقاً فقطرت منه مائة ألف وأربعون وعشرون ألف قطرة، فخلق الله من كل قطرة روح نبي ورسول، ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم الأولياء والسعداء، والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة، فالعرش والكرسي من نوري، والجنة وما فيها من النعيم من نوري، وملائكة السموات السبع من نوري، والروحانيين من الملائكة من نوري،

(١) هذا الحديث لا وجود له في كتب أهل السنة والجماعة، وإنما هو موجود في كتب الصوفيّة، وسبق التنبيه على هذا عند ذكر عِدَّة من الأحاديث المشابهة له.

(٢) ابن عربي الحاتميّ هو: محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائيّ الحاتميّ الأندلسيّ، شيخ الصوفيّة وأهل وحدة الوجود، من أردَإ تواليفه كتاب "الفصوص" فإن كان لا كُفر فيه، فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة، فواغوثاه بالله! وقد عظّمه جماعة، وتكلّفوا لما صدر منه ببعيد الاحتمالات، توفي سنة (٦٣٨هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/٤٨/ترجمة:٣٤).

والشمس والقمر والكواكب من نوري، والعلم والتوفيق من نوري، وأرواح الرسل والأنبياء من نوري، والشهداء والصالحون من نتائج نوري، ثم خلق الله اثني عشر حجاباً فأقام نوري وهو الجزء الرابع في كل حجاب ألف سنة، وفي حجاب الكرامة والسعادة، والهيبة والرأفة، والرحمة والعلم، والحلم والوقار، والسكينة والصبر، واليقين والصدق، فَعبدالله ذلك النّور في كل حجاب ألف سنة، فلمّا خرج النّور من الحُجُبِ زَكَّاه الله في الأرض فكان يضيء منها بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المظلِم، ثم خلق الله آدم من طين الأرض فَرَكَّب فيه من النّور في جبيه ثم انتقل منه إلى شِيث، وكان ينتقل من طيب إلى طاهر، ومن طاهر إلى طيب حتى أوصلني الله تعالى إلى صلب عبدالله بن عبدالمطلب، ومنه إلى رحم آمنة، ثم أخرجني إلى الدنيا، فجعلني سيِّد المرسلين، وخاتم النبيين، ورحمة للعالمين، هكذا كان بدء خلق نبيِّك يا جابر"[١]، وفي ذكره هذا الكلام الدال على أنّ رسول الله كان نجماً بالصفة المذكورة مناقضة لما عند عبدالرزاق وغيره من أنّه نور لا نجم.

الرابع والخمسون: فيه مناقضة للأوليّة المأخوذة من الأحاديث المتقدمة وما بعدها، لأنّ النجم محتاج إلى زمان ومكان، وهما سابقان عليه أو ملازم لهما فانتفت الأوليّة.

الخامس والخمسون: هو مناقض بما ثبت من سجود النّور الأولى لله تعالى سبعمائة عام.

السادس والخمسون: هو مناقض لما ثبت للنّور الأولى من الدّوران في عالم الملكوت أو غيره، كما دَلَّ لذلك ما تقدم من الأحاديث.

السابع والخمسون: هو مناقض لما ذكر من تجزئة النور الأصلي إلى العرش وغيره، إذ لم يذكر لهذا النجم تجزئة ولا أنّ الأجزاء المذكورة منه.

الثامن والخمسون: ما ذكروا لهذا النجم من الطلوع والظهور والخفاء في الأزمنة المذكورة لم يُذكر عندهم للنّور الأولى.

---

(١) حديث موضوع مكذوب بتمامه، وسبق تخريجه عند ذكر طرف منه، ونقل كلام شيخ الإسلام فيه (ص: ١٢٠-١٢١).

التاسع والخمسون: كما ينافي هذا حديث النّور الأولى، ينافي حمله على القبضة من النّور وعلى كل ما احتمل أن يحمل عليه ذلك النّور فيما تقدّم.

الستون: هذا الحديث وأضرابه لا ينبغي أن يُعتمد فيه على ذكر صاحب التشريفات له من غير روايته بما يقتضيه المقام من التواتر، وبالأقل الطُرق الصحيحة، لا بكونه مُعضَلاً مجهول الراوي ذاتاً وحالاً لا مثبتاً له ما يخالف الكتاب والسنة والإجماع المأخوذات من النقل والعقل فيما تقدم ويأتي.

الواحد والستون: هذا الحديث وغيره مخالفان لما تَقَدّم عن سَيّدنا عمر ﷺ من أنّ رسول الله قال: "نور العقل في رؤوس الخلائق من نوري"[1]، المقتضي تعميم العقل وأهله حتى من الكفار ومن الشياطين لأنهم خلق.

الثاني والستون: ما رواه عن الحاتمي عن سَيّدنا جابر – رضي الله عنهما –.

يقال عليه: إنّ الراوي معروف برواية الموضوعات التي لم يكن هذا الحديث من أوسط موضوعاته كان من أكبرها، وكيف لا وهو من أكبر القائلين بوحدة الوجود[2] والداعين لها، وقد قال فيه عز الدين الشيخ ابن عبدالسلام الشافعيّ[3]: (هو شيعيّ سوءٍ كذّاب)[4]، ولما ذكر هذا الذهبي فيه ونقل ما قال الناس فيه ختم ذلك بقوله: (فوالله لإن يعيش المسلم جاهلاً خلف البقر لا يعرف من العلم شيئاً سوى سور من

(١) حديث لا أصل له، وسبق التنبيه على أحاديث العقل (ص: ١٣٠-١٣١).

(٢) عقيدة وحدة الوجود هي: الاتحاد المطلق الذي يزعم أصحابه أنّ وجود المخلوق هو عين وجود الخالق، وهذا تعطيل للصانع وجحود له، وهو جامع لكل شرك. مجموع الفتاوى (١٠/٥٩-٦٠).

(٣) عز الدين ابن عبدالسلام الشافعيّ هو: عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن الحسن، عز الدين أبو محمد السلميّ الدمشقيّ الشافعيّ، لقَّبه تلميذه ابن دقيق العيد بـ"سلطان العلماء"، توفي سنة (٦٦٠هـ). انظر: تاريخ الإسلام (٤٨/٤١٦/ترجمة: ٥٣٤)، طبقات الشافعية الكبرى (٨/٢٠٩/ ترجمة: ١١٨٣).

(٤) انظر: "ميزان الاعتدال" (٦/٢٦٩/ترجمة: ٧٨٨٧)، وفي بعض نسخ "الميزان": (هو شيخ سوءٍ كذّاب).

القرآن يصلح بها الصلوات، ويؤمن بالله وباليوم الآخر، خير له بكثير من هذا العرفان وهذه الحقائق، ولو قرأ مائة كتاب، وعمل مائة خلوة)[1] انتهى.

أقول: صدق الذهبي غير أنّه لو قيّد – رحمه الله – قوله: (من العلم شيئاً) بزيادة (هذا) بين (من والعلم) لكان أجمع وأحسن[2]، وعليه فكيف يستدل بحديثه هذا في أدنى من هذا المقام فضلاً عنه.

الثالث والستون: قوله: (فقال: هو نبيك يا جابر خلقه الله . . .) الخ.

تعقيب: يقال عليه: ما قيل فيه في حديث عبدالرزاق من أنّ هذه الأوليّة ليست بحقيقة للزومها للزمان والمكان.

الرابع والستون: ما يقال فيه من أنّه نور مشترك بين ما خُلِقَ منه من الرسل والخير لا خاص بالنبي ﷺ.

الخامس والستون: في هذا تخصيص الخلق من ذلك النّور بالخير، وهو مُنَاف لما عند النُّوريّة وأتباعهم ودلائلهم من أنّ كل شيء الشامل للخير والشر مخلوق منه، وناهيك بجهنم فقد تقدمت في أجزاء النّور المقسم لها.

السادس والستون: قوله: (وخلق بعده كل شيءٍ).

تعقيب: يؤخذ منه: إنّ كل شيءٍ غير الخير لم ينشق من ذلك النّور وفيه ما تقدّم، وإنّه مخلوق بعد النّور وما تجزأ منه، وهو خلاف ما لهم من أنّ العنصر واحد.

السابع والستون: قوله: (وحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: هذا مخالف لجميع ما تقدم حيث لم تذكر فيه إقامة ولا مقامات.

الثامن والستون: قوله: (قدَّامه . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: هذا مخالف لمذهب النّورية وناصرهم، إذ هو على قسمين قائلون بوحدة الوجود كالراوي، وغير قائلين بها ولكن يقولون: إنّ الله ليس بداخل العالم ولا

---

(١) انظر: "ميزان الاعتدال" (٦/٢٧٠/ترجمة: ٧٨٨٧).

(٢) كتب في هامش المخطوط ما نصه: (يعني ويقول: لا يعرف من هذا العلم شيئاً).

خارج العالم، وعليه فأيّ معنى لِقُدَّام؟ وصاحبه معدوم أو هو عين القُدَّام! والجهات الست وغيرها من الكائنات، وإنما يصح الوصف به له سبحانه عند من يقول: إنّه بائن من خلقه، فوق عرشه، وهم أهل الحق.

التاسع والستون: هذه المقامات إن كانت حسية لم يكن هذا النّور أوليّاً لسبقها له أو خلقها معه، وإن كانت معنوية كان ذلك مخالفاً كما تخالف إن كانت حسية ما تقدم من دلائل وأقوال النُّوريّة.

السبعون: هذه القسمة المذكورة تخالف ما تقدم من حديث جابر في التقديم والتأخير، وذكر البعض وتركه كما ترى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[(١)].

الواحد والسبعون: قوله: (ثم نظر إليه فترشح عرقاً إلى آخره).

نقد: يقال عليه: هذا مخالف لما تقدم من الرواية لهم بل لم يذكروا فيها هذا وذكر هنا.

الثاني والسبعون: قوله: (فقطرت منه مائة ألف وأربع وعشرون ألف قطرة إلى آخره).

نقد: يقال عليه: كون الأنبياء – عليهم السلام – محصورين في هذا العدد، الدليل عليه ليس بصحيح، وإنما الصحيح فيه: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[(٢)].

الثالث والسبعون: قوله: (ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم الأولياء . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: هذا أيضاً مخالف لما تقدم حيث لم يُذكر فيه، ومخالف لما عُلِمَ من الدلائل التي لا تُرَدّ أنّ الله خلق كل روح من الخلق على حِدَتها، ويأتي لهذا عودة، إن شاء الله.

الرابع والسبعون: هذا يفيد أنّ أرواح الأولياء والسعداء لم تنشق من نور رسول الله بل بواسطة أرواح الأنبياء وأنوارهم، وهو مخالف لما يقولون ويستدلون له من أنّ كل شيءٍ انفلق من النّور المحمدي.

(١) سورة النساء، الآية (٨٢).

(٢) سورة غافر، الآية (٧٨).

الخامس والسبعون: قوله: (وهي حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرأفة . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: هذه صفات لا حجب إذ الحجب من النّور كما جاء في الحديث الصحيح "حجابه النّور"(١).

السادس والسبعون: ما العبادة التي كان يعبدها في هذا الحجب، وهو لم يتعبد بالعبادة إلا بعد بلوغ أربعين سنة من وجود جسمه الحسي وروحه، وخروجه من رحم أمه ﷺ ولكنها أقوال في عهدة قائلها.

السابع والسبعون: قوله: (فلمّا خَرَج النّور من الحُجُبِ زَكّاه الله في الأرض . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: إذا كان يضيء في الأرض كالسراج من المشرق إلى المغرب لِمَ لَمْ يضيء تلك الإضاءة في جبهة آدم وشِيث – عليهما السلام – هكذا فيما بينهم إلى عبدالله بن عبدالمطلب، ولو كان كذلك لما خفي على الرائين له في كل جيل.

الثامن والسبعون: ما يقال إنّ هذا النّور قيل كان في جبهة آدم، وهكذا كما بين يديك، وقيل(٣): "كان في ظهر آدم فكانت الملائكة تقف صفوفاً حوله لذلك النّور، ثم سأل الله تعالى أن يجعله قُدّامه فجعله في جبهته لتستقبله ملائكته، ثم سأل الله أن يجعله في مكان يراه فجعله في سبابته، كما جعل نور كبار أصحابه في بقية أصابعه، فكان كلما نظر إليه ازداد بَهاءً وجمالاً، هكذا كان في الجنّة فلما خرج إلى الدنيا ومارس أعمالها، رجعت تلك الأنوار إلى ظهره"(٢)، ذكرناه بمعناه عن الحجوجيّ عن "الكوكب الأنور على عقد الجوهر"، وهذا مخالف لما قاله ابن عربي كما ترى.

التاسع والسبعون: هذا مخالف أيضاً لما قاله من أنّ ذلك النّور كان ينتقل في جباه أجداد رسول الله إلى أن وصل إلى أبيه، إذ هذا يُصرِّح بأنّه لما خرج إلى الدنيا انتقل النّور من أصابعه إلى ظهره، ثم ذكر الحجوجيّ في وصية آدم إلى شِيث – عليهما السلام – ما يفيد أنّ النّور كان في باطن جسده كظهرٍ لا في جبهته، وهو مؤيد لهذه المخالفة.

---

(١) صحيح مسلم (ص: ٩١/ح١٧٩).

(٢) هذه الرواية لم أجد لها ذكر في كتب الحديث ولا تخريج، والظاهر أنها من وضع الصوفيّة. والله أعلم.

الثمانون: ذكر الحجوجيّ كغيره "أنّه كان يسمع من أسارير جبهته نشيشاً كنشيش الطير[١] إذا سَجَعَ فيقول: سبحانك ما هذا الصوت الذي أسمع؟ فيقول الله ﷻ: هذا تسبيح خاتم النبيين، وسيّد أولادك المرسلين"[٢]. انتهى.

نقد: وهذا مخالف لما تقدم من الذي كان في جبهته النّور وهو يُرى لا يُسمَعُ، لا تسبيح المسموع. فإن قيل: قد يكون ذلك التسبيح تسبيح ذلك النّور، قيل: إنّ النّور لا يُسبح بالصوت المسموع، وقول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[٣] التحقيق إنّه بالحال في غير العقلاء. فإن قيل: قد يكون ذلك خرقاً للعادة كالمعجزة؛ قلنا: نعم، ولكن بعد ثبوت وجوده وتسبيحه، وكونه بلسان المقال، وأين الدلائل المثبتة لهذه الثلاثة التي لا جدال في ثبوتها؟.

الواحد والثمانون: لِمَ لَمْ يذكروا تسبيح سيّد المرسلين في جباه أجداده إلى أبيه، والقياس يقتضي ذلك؟ وإلا ما الفرق بين أن يسبّح النّور في جبهة آدم دون شِيث، وإدريس، ونوح، وإبراهيم، وإسماعيل - عليهم السلام -.

الثاني والثمانون: ذكر الحجوجيّ عن نفسه أو غيره ما نصه: "ثم إنّه تعالى لـمَّا خلق سيّدنا آدم عليه السلام ونفخ فيه الروح جعل النّور المحمدي في جبهته كالشمس يلمع ويلوح، ثم رفعه على سرير مملكته، وأسرار ملكه وجبروته"[٤]. انتهى.

نقد: ونحن نقول عليه: هذا مخالف لما ذكر بعد أنّ نور سيّدنا محمد كان في ظهره ثم في جبهته ثم في أصابعه ثم بعد خروجه للدنيا رجع إلى ظهره، وقد ذكرنا هذا قبل هذا، نعم هو موافق لما قاله ابن العربيّ في الجملة.

---

(١) النَّشِيشُ: من النَّشِّ وهو: صَوتُ الماء وغيره كالخَمرِ واللَّحم إذا غَلَى، وكذلك كلّ ما سُمِعَ لَهُ كَتِيت، ونَشنَشَ الطّائِرُ رِيشَه بِمِنقَارِهِ نَشنَشَةً: إذا أَهوَى له إِهواءً خَفِيفاً، فنَتَفَ مِنْهُ وطَيَّرَهُ. انظر: لسان العرب (٦/٤٤٢٦).

(٢) هذه الرواية لا أصل لها، وليس لها خطام ولا زمام.

(٣) سورة الإسراء، الآية (٤٤).

(٤) انظر: "المواهب اللدنيّة" (١/٣٩). وهي كسابقتها لا أصل لها.

الثالث والثمانون: ما يقال في قوله: (ثم رفعه على سرير مملكته).

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾[(١)] إذ سرير المملكة لغةً وشرعاً وعرفاً، هو عرش الملك، وقد نافيتم عن الملك الأعظم رب السرير والعرش العظيم أن يرفع فوقه، وأن يكون مستوياً عليه مع تصريحه بذلك وأثبتُّم هذا الرفع عليه لآدم عليه السلام بجسده الطيني وروحه، فيا لله العجب من هذه المقالات التي يتحاشى العاقل من سماعها.

الرابع والثمانون: قوله: (فطافوا به السموات والأرض طولها والعرض . . .) إلى آخره.

نقد: يقال عليه: على هذا أخطأ من خصص الإسراء برسول الله بل هو عليه مبذول لآدم عليه السلام وفائز على الرسول بالسبقية.

الخامس والثمانون: هذا الإسراء أكبر من إسراء رسول الله، إذ إسراؤه خاصاً بالسموات وهذا زائد عليه بالأرض، تأمّل.

السادس والثمانون: ذكر الحجوجيّ عند ذكره ما تقدّم: "إنّ الله لما أراد خلق سيّدنا محمد أرسل جبريل في ملائكة الرفيع الأعلى والفردوس بطينة رسول الله من موضع قبره التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها إلى أن قال: ثم طافت الملائكة حول العرش والكرسي وغيرهما، قال: فعرفت الملائكة وجميع الخلق سيّدنا محمداً ﷺ قبل أن تعرف آدم عليه السلام"[(٢)].

نقد: وهذا يقال عليه: لو لم يكن في رواته إلا كعب الأحبار[(٣)] لكفى في رَدِّه، على أنّه مخالف للقرآن، وهو عَلّم آدم الأسماء كلها، كما هو مخالف لما تقدّم له من أنّ الله حمله على أكتاف ملائكته، ورفعه على سرير مملكته، وهما يفيدان لا سيما القرآن

---

(١) سورة الكهف، الآية (٥).

(٢) انظر: "المواهب اللدنيّة" (٣٤/١)، "السيرة الحلبية" (٢١٣/١). وهي من الإسرائيليات التي تُكَذَّب لمخالفتها لصريح القرآن الكريم، كما بَيَّن ذلك المؤلِّف.

(٣) كعب الأحبار هو: كعب بن ماتع بن هيسوع بن ذي هجري بن ميتم بن حمير، أبو إسحاق الحميريّ اليمانيّ، العلاّمة الحبر، كان يهودياً فأسلم، وكان يحدِّث بالإسرائيليات، توفي بحمص سنة (٣٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٤٨٩/٣/ترجمة:١١١).

العظيم أنّ الملائكة كانت تعرف سيّدنا آدم قبل أن تعرف من لم تثبت عندهم معرفته قبله، ولا دليل يقوم للقرآن يبيّن لنا خلاف ما يؤخذ منه.

السابع والثمانون: ما يقال في قول كعب الأحبار: (فقبض قبضة رسول الله من موضع قبره الشريف . . .) الخ، يعني: طينته.

يقال عليه: لم يَثبُت خَلق أحد من ذرية آدم ﷺ من الطين، وإنّما خُلِق منه وحده، وما تناسل منه خُلق من نُطف الآباء، والنّطفة ليست بطين وإن كانت مجموعة مما يَنبت على الطين، أي: من الخلاصة المائية التي تُؤخذ من هضم الطعام والشراب في الأجواف، كغيرها من الدم والسوداء، والصفراء واللين، وغير ذلك كما جاء في القرآن العظيم: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾[1]، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾[2]، وفي الحديث الصحيح: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نُطفة ..."[3] الحديث، وما جاء في بعض الأحاديث أنّ الإنسان لا يقبر إلا في موضع طينته التي خلق منها، لا يثبت عند أهل العلم، وقد خالفه الحس كما خالفه الدليل، وقد جاء في الحديث الصحيح: "إنّ الله تعالى وكّل بالرحم ملكاً يقول: يا رَبّ نُطفَةٌ، يا رَبّ عَلَقَة ..."[4] الحديث، ويخالفه ما في الحديث أيضاً: أنّ كثيراً من الموتى يُقبرون في المياه، وتأكلهم النار، وفي بطون الطير، والوحوش، والسباع، ووحوش الآدمي، وتذر أجسادهم الرياح، إلى غير ذلك ممن لا يقبر في الطين.

الثامن والثمانون: قد روى بعضهم: "إنّ طينة الأنبياء - عليهم السلام - كلها أخذت من موضع قبره ﷺ" على ما في الحديث[5]، فَلِمَ لَم يُقبروا في موضع قبره ﷺ لكي يصح الحديث؟ وكيف يسعهم؟ كما أنّ فيه مخالفة لحديث كعب الأحبار هذا في تخصيصه ذلك بالنبي ﷺ.

---

(١) سورة المرسلات، الآية (٢٠).

(٢) سورة النحل، الآية (٤).

(٣) سبق تخريجه (ص: ١٣٨).

(٤) سبق تخريجه (ص: ١٣٨).

(٥) هذه الرواية لا أصل لها.

التاسع والثمانون: وهو كالخاتمة لهذه الأبحاث: يقال إنّ النّور الأولي إن حملناه على النّور الحسيّ عرضاً أو جوهراً، وكان الجوهر نوراً بين يدي العرش أو قبل خلق العرش وغيره، أو قبضة من نور مطلقاً أو نور قريش بين يدي الله، لم يصح أن يُحمل في ظهور بني آدم، ولا جباههم ولاسيما في الكفار منهم، ولو فرضنا حمله كذلك فإنّه ليس هو المخلوق منه عليه السلام وإنّما خلق من نطفة أبيه الطاهرة لا من ذلك النّور فقط ولا من مجموعهما، دَلَّ لذلك الشرع، والعادة، وسنة الله في خلق أولاد آدم، وإن حملناه على الروح والهداية كان الأمر كذلك، إذ الروح لا تمازج روحاً غيرها في الخلق، فروح سيّدنا آدم كانت خاصّة بجسده دون أن تشاركها روح ما، لسيّدنا محمد أو غيره، وهكذا في أولاده إلى عبدالله أبيه عليه السلام فإنّ جسده كان خاصّاً بروحه، والأرواح إن لم تكن مخلوقة قبل الأجسام فإن الله يخلق روح ذي الروح عندما يرسل إليه الملك لينفخها فيه بعض الأطوار التي قبل النفخ، وقد جاء في حديث الخلق: "ثم يرسل إليه الملك فَيَنفُخ فيه الرُّوح ..."[1]، فهي حادثة له في هذا الوقت لأنها اتصلت به من أبيه وأمه، وإن كانت مخلوقة قبل الأجسام فهي في أماكنها حتى يصل الجنين إلى طور نفخها فيه فيجيء الملك بها إليه، وليست محصولة له من آبائه، وكذا يقال في الهداية والعلم والنبوة التي لرسول الله، أنّها لم تكن في آدم عليه السلام زيادة على الخاصّة به ولا في أبنائه كذلك، وإلا فكيف تكون هداية رسول الله ونبوته وعلمه، أمانةً ووصفاً لمثل كلاب بن مرة، وهكذا ممن فوقه ومن تحته حتى تكون في عبدالله ثم تنقلب نُطفة شريفة وجسماً مطهراً، وهو سيّدنا محمد ﷺ وهذا لا يُعقل والمعنى لا ينقلب حساً، وإن ذهبنا على ما قال: إنّه الكوكب المتقدّم كان الأمر بعيد من ذلك، إذ كيف يحل هذا الكوكب في آدم وذرتيه إلى أن ينقلب نُطفة يصير بها خاتم النبيين، وعليه فما بقي إلا ما دَلَّ عليه الدليل من أنّ بني آدم لا يتحاشى منهم شيء، خُلِقوا من نُطَفِ آبائهم، وليست النُّطفة التي خُلق منها رسول الله هي نُطفة من آدم عليه السلام أو مُشتَرَكَة بينها وبين المخلوق منها من بني آدم الذي يُدلي إليه رسول الله بل كُلّ أبٍ نُطفته تصير ولده لصلبه لا يشاركها غيرها، وهكذا حتى إنّ النطفة التي خُلق منها عبدالله ليست هي النطفة التي خُلق منها رسول

(١) سبق تخريجه (ص:١٣٨).

الله بل هي التي انحدرت من صُلب عبدالله إلى آمنة، وأنشأ الله منها سيّد العالمين، وهذا الذي سمعته مُفَصّلاً يَدفع عنك أوهام المتوهمين، وخيالات المتخيلين. والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب.

استدراك:

التسعون: ثم استدركنا ببعض الأبحاث ما تقدّم، وهي ما يقال: إنّ الحجوجيّ وغيره قالا مخبرين عن آدم عليه السلام: (أنّه لما حضرته الوفاة أوصى أكبر أولاده سيّدنا شِيثاً عظيم الهداة أن لا يُضيع هذا النّور، والسر المصون، إلا في المطهرات من النساء الباهرات، ولم تزل هذه الوصية جارية إلى أن أدَّ الله النّور إلى عبدالمطلب وولده عبدالله)[1]. انتهى بعض كلامه.

نقد: وقوله هذا يقال عليه: هذه الوصية بهذا النّور الموصى به وإن حُمل على ما حُمل كما تقدّم، تقدّم أنّ محال الموصى به لا تقبله، وعلى فرض قبوله أو بعضه فلا يخلو أن تكون نتيجته خلق الذّات المحمدية منه، وهذا خلاف الإجماع، لأنّها إنّما خُلقت من نُطفة أبيه ذريّته الخاصة، وإمّا أن ينقلب ويستحيل إلى تلك النطفة الخاصة، وهذا من الاستحالة من ذات إلى ذات، فقد ذهب معناه الأصلي ولم تبق له نتيجة في الحقيقة، وخالف هذا الإدّعاء سنة الله في خَلق الحيوان فضلاً عن الإنسان، وإمّا أن تكون غايته أن لا خلق منه ولا انقلاب، وحينئذ ما فائدة تقلبه إلى هذا الوقت الآلاف من السنين. فإن قيل: هو ما كسا الله به الذَّات المحمدية من حُسن الخلق، والأوصاف السنية في الصغار، والهداية والنبوة والعلم والحكمة في الكبر، قيل: هذه الصفات طَبَعَهُ الله عليها حين صَوَّرَه وأحسن صورته وخلقه في أحسن تقويم، كما وهب له الهداية والنبوة بعد استكماله من العمر أربعين سنة، وقائل غير هذا يخبط خبط عشواء، ويركب متن عمياء، وهذا البحث هو التسعون من الأبحاث المتقدّمة.

الواحد والتسعون: ما يقال هذه الوصية الجارية مجراها من أبٍ إلى أبٍ إلى عبدالله أبِ رسول الله عليه السلام لا تكون إلا عن علم بالموصى به، إذ لا وصية لمجهول، وإذا عَلِمَ

---

(١) انظر: "المواهب اللدنيّة" (٤٥/١). وهي رواية موضوعة.

أهل هذه الوصية بذلك النّور المكنون، والسر المصون، والأمانة المحفوظة في أبدانهم التي يلزمهم الوفاء بها على أهلها لإعطاء عهودهم بذلك، فكيف لا يؤمنون بهذا النّور الذي تَحمّلوا عُهدَته، وحَملوا أمانَته من واحد إلى واحد، ويستفيض ذلك عنه في كل أجيالهم، وحتى لو قيل: لا ينفع ذلك إلا من آمن بالذّات المحمدية بعد وجودها ونبوتها، لقيل: ينفعهم بكونهم أخف من أهل الفطرة حيث آمنوا بالأنبياء قبلهم، وبما يأتي بعدهم، على أنّه يقال: وأقل من ذلك أن ينفع ذلك وأولادهم الذين أدركوا بعثة رسول الله، فلا يتأخر، ولا يتلكأ أحد منهم عن تصديقه حتى يموت كافراً أو حتى يُسلم بالسيف أو يَمضِي عليه زمان طويل.

الثاني والتسعون: ليس حديث أبي نعيم في "الدلائل" عن ابن عباس قال: قال رسول الله: "لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة، إلى الأرحام الطاهرة، مصفى مهذباً، لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما"[(١)]. انتهى.

لو صَحَّ، وإلا فأبو نعيم يروي الموضوعات والعجائب، دليلاً لهذه الوصية ولا هي دليلاً له بل مضمنةً أنّ الله حفظ نسبه من سفاح الجاهلية، وزناهم فلم يكن إلا نكاح، والنقل فيه محمول ولابد على أصوله، بمعنى أنّ كُلّ أبٍ من آبائه انتقل من صلب طيّب، إلى رحم طاهر بالنكاح خاليين من الزنا والسفاح، وهذا التأويل مُتعيّن لما تقدّم من أنّ نَقل رسول الله في تلك الأصلاب والأرحام غير ظاهر بل لا يتصور عادة كيفما سمينا ذلك المنقول نوراً أو لحماً أو نُطفة أو . . . أو . . . ، تأمّل ذلك أرشدني الله وإياك للصواب.

وبعد انتهاء هذه المناقضات بخصوص هذه الأحاديث التي ذكرها الحجوجيّ وغيره، وقد أخّرنا البحث معه فيما بقي منها عنده إلى مناسبة ذكره، كأحاديث نسبه عليه السلام على التعرض له في الهمزية وشرحها، وفي الأحاديث المتعلقة بمولده إلى إدراجها في

---

(١) انظر: "دلائل النبوة" (١/٥٧/ح١٥)، "البداية والنهاية" (٣/٣٦٩-٣٧١)، "المواهب اللدنيّة" (١/٤٦)، "اللآلـئ المصنوعة" (١/٢٤٣-٢٤٤)، "تنزيه الشريعة" (١/٣٢١/ح٢)، "إرواء الغليل" (٦/٣٣١-٣٣٢).

فصل البحث في مولد الشيخ ابن جعفر[1]، كما تختم هذه المناقضات بكلمات للشيخ الطالب عند تعرضه لكون رسول الله خاتم النبيين، وهو: (وإن كان آخر النبيين من حيث الوجود الجسمانيّ فهو أوّلهم من حيث الوجود الروحانيّ، وفي ذلك يقول ابن الفارض على لسانه[2]:

وإني وإن كنت ابن آدم صورةً فلي فيه معنىً شاهدٌ بأُبُوَّتي

بل نقول: هو أصل الكائنات كلها وأساسها والسبب في وجودها، كما وقع التصريح بذلك في عدة أحاديث، والكلام في ذلك مبسوط في "شرح عقود الفاتحة" للوالد)[3]. انتهى ما أردنا نقله منه.

وهذه المقالة قد اتفق عليها أهل هذا الشأن فنذير أن يخلو كتاب من كتبهم أو مدح من مدائحهم أو توحيد من توحيداتهم، وستسمعه عن بعضهم بكثرة متكررة، وقد قلنا على هذه الكلمات ونحوها ما تقدّم في معناها، وأحاديثها من المناقضات الدالة على بُطلانِهَا.

وقوله: (وقال ابن الفارض على لسانه . . .) الخ.

يقال عليه:

أولاً: اختلف الناس في ابن الفارض هذا، فقيل: الشاعر يتغزل بما يتغزل به الشعراء، وقيل: صوفيّ يتغنى بما يتغنى به أمثاله وعلى كلٍّ يقال.

ثانياً: إن عنى بمعنى هذا البيت أنَّه يتكلم على لسان رسول الله وهو ما صرَّح به المستشهد به، قيل له: إخبارك هذا بهذا يحتاج إلى ثبوته بدليل قاطع، وهو المناسب له، وأين المظنون فضلاً عن القاطع؟.

---

(١) الشيخ ابن جعفر هو: محمد بن جعفر بن إدريس الشّريف الكتّانيّ الحسنيّ الفاسيّ، أبو عبدالله الصوفيّ شيخ الجماعة الصوفيّة في عصره، له نحو (٦٠) كتاباً منها: "نظم المتناثر في الحديث المتواتر"، و"الدعامة في أحكام العمامة"، و"المولد النبويّ" وسماه "اليُمن والإسعاد بمولد خير العباد"، كلها مطبوعة، توفي بفاس سنة (١٣٤٥هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (٦/٧٢-٧٣).

(٢) انظر: "ديوان ابن الفارض" (ص: ٦٥).

(٣) انظر: "حاشية الشيخ الطالب على ميارة" (١/٩٣).

ثالثاً: سلمناه ولكن لو كان حقاً والإخبار به مطلوباً، ما ترك رسول الله التصريح به في خلال ما أوجب الله عليه من البيان.

ورابعاً: لو سلمنا تلك الدعوة وخضعنا فيها إلى التوكيل، فكيف قدم رسول الله هذا الوكيل على الذين معه الأشداء الرحماء بينهم.

وخامساً: سلمناه، ولكن التوكيل لا يتم إلا ببينة، وأين هي؟.

سادساً: الرسول عليه السلام لا يوكل فيما يعود على رسالته بالبطلان، وإن عنى به نفسه، فما معنى أبوته لآدم عليه السلام إن كانت الجسمانية، فباطلٌ لوجهين:

الأول: الفرع لا يتقدم على الأصل، ولا يكون أصلاً له.

الثاني: لا جسم لآدم سابق على جسم آدم عليه السلام وإن كانت الروحانية فقد تقدّم أنَّ الروح لا تُشتق منها أرواح، فلا تكون أباً لها، وإن كانت النُّورانيّة الأوليّة كانت باطلة، لأنَّها خاصة برسول الله عندهم وقد أُبطِلَت فبالأحرى أن تُبطل إذا نسبت له، كما يقال له: المعنى الذي في آدم والشاهد له بأبوته له، ما هو؟ فإن أجاب بما تقدّم أُجيب بما تقدّم، ويزاد عليه أنّ ذلك الشاهد خارج عن هيكل آدم عليه السلام.

وحيث انتهى بنا القول في هذا الفصل إلى هنا، أردنا أن نُتبعه بفصل نبحث ببعض ألفاظ مولد الشيخ محمد بن جعفر مع بعض الأحاديث والمعاني فيه مع ما بقي من مولد الحجوجيّ حيث تقتضي مناسبة ذلك.

فنقول وبالله نستعين:

فصلٌ

قال العلامة الشريف[(١)] الشيخ محمد بن جعفر الكَتَّانيّ في مولده، فصلٌ: قال في كتابه "اليُمن والإسعاد بمولد خير العباد" بعد ما قال في خطبته في صفة رسول الله: (من انتقل في الغرر الكريمة نوره، وأضاء الكون ميلاده وظهوره . . . .) الخ، الذي بحثنا فيه فيما تقدّم، وبعد كلماتٍ بعد الخطبة ما نصه: (فبدأ منها بخلق الحقيقة الأحمديّة، من أنواره الأحديّة الممديّة بأن تجلى تعالى لنفسه من نفسه في ملابس جلاله، وجماله وقدسه، فظهرت عن ذلك التجلي، وحدة هذه الحقيقة على أبدع مثال، وأنهى طريقة، تقديماً لها، واختصاراً ومحبة، وتمييزاً واستخلاصاً إلى أن قال: فكان ﷺ أوّل مخلوق على الإطلاق لم يَتقدَّمه قلم ولا لوح، ولا ماء ولا عرش ولا غيرها بإطباق نوراً بين يدي مولاه). إلى أن قال: (فكان تعالى لما خلق نوره وأنشأه، وعلى غير مثال سابق أبدعه وسوّاه، أودع فيه كل ما أراد إبرازه للوجود من الأزل إلى الأبد الممدود، حتى يكون منه المبدأ والمنتهى، ويوجد فيه كل ما يرام ويشتهى فتنسلت منه من أجل ذلك العوالم، وجميع الخلق وسائر المعالم فكان ﷺ لذلك أصل الأصول، ووصل الوصول، والمقَدَّم على كل من تَقَدَّم، والجنس العالي على جميع الأجناس، والأب الروحي لكل الموجودات والناس، والسبب في إيجاد كل موجود، وخروجه من العدم إلى الوجود، وقد نقل في "مطالع المسرات" عن سيدي عبدالنّور الشريف العمرانيّ عن شيخه أبي العباس الحماميّ عن شيخه أبي عبدالله بن سلطان[(٢)] قال: رأيت رسول الله في النوم فقلت: له يا سيّدي يا رسول الله، أنت مدد الملائكة والمرسلين؟ فقال لي: أنا مدد الملائكة والنبيين والمرسلين، وسائر خلق الله أجمعين، وأنا أصل الموجودات، والمبدأ والمنتهى وإلى غاية الغايات، ولا يتعداني أحد)[(٣)]. انتهى باختصار.

---

(١) هذا مما لا ينبغي في وصف هذا الصوفي الضال .

(٢) عبدالنّور العمرانيّ، والحماميّ، وابن سلطان: لم أقف لهم على ترجمة – حسب بحثي – والله أعلم.

(٣) انظر: "اليمن والإسعاد بمولد خير العباد" (ص: ٢-٤).

وهذا الأقوال الفاسدة هي عين قول غلاة المتصوفة القائلين بأن الخالق والمخلوق شيء واحد !
=

نقد: ونحن نقول عليه:

أولاً: هذا الشيخ الشريف مشهور الصّيت بالمغرب وبالخاصة بِفاس[1]، أدركناه إبّان الطلب يُدَرِّس بالقروييّن في حدود الثاني والثالث والعشرين بعد الألف والثلاثمائة، وقد سافر بعد ذلك إلى الحج بأسرته، وأقام بالمدينة ما شاء الله ثم بالشام، وكان ملحوظاً عند أمرائها كفيصل ثم بعد ذلك رجع إلى المغرب في حدود الخمس والأربعين فنزل بالدار البيضاء، ونحن إذ ذاك بها وزرناه غير أنّ الشيخ – رحمه الله – كان من المغفَّلين، ومن ذلك أنّه زاره بعض الناس ممن كان يحضر مجالسنا، ويسمع الاعتراض على شقاشق المتصوفة فسمعوه عند زيارتهم له يذكر مناقب الصوفية، وبالخاصة مناقب الشيخ ابن عيسى المكناسيّ[2] فذكر منها: أنّه يقول من قال: أنا عيساوي ولو هزلاً دخل الجنة، فقال رجل من الزائرين: أنا عيساويّ، ليحصل هذه المزيّة فلما خرجوا من عنده مروا بنا في دارنا، فقال بعضهم: إنّ صاحبك فلاناً قال: أنا عيساويّ حينما سمع من الشيخ المذكور المنقبة المذكورة فقلنا له: أأنت مسلم أم عيساوي؟ فقال: هذا سؤال مشكل أنا مسلم وعيساوي! فقلنا له: لا يجتمعان لأنّ الإسلام يحرم الميتة والدم المسفوح، ولم أستحضر الآن المزيد عليهما، والطريقة العيساويّة تجعل أكلهما والتلطخ بالمسفوح وما شاكل ذلك من الكرامات والمستحبات إن لم تكن عندهم من الواجبات، ومن أباح ما عَلِمَ تحريمه من الشريعة بالضرورة فقد كَفَر، فقال الرجل: حينئذ أنا مسلم لا عيساوي، وبعد كتبي هذا استحضرت بعض ما يزيد على تلك الكلمات وهو إنّ الهازل في دينه منافق، والمنافق في الإسلام في الدرك الأسفل من النار، وهؤلاء يجعلونه في بحبوحة الجنة !

تعالى الله عمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيرا .

(١) مدينة فاس القروييّن هي: إحدى مدن بلدة فاس، ومدينة فاس مدينتان مفترقتان مسوّرتان هما: عدوة القرويّين، وعدوة الأندلسيّين، ومن أمثال أهل المغرب فيها: (فاس بلد بلا ناس)، وكلتا عدوتي فاس في سفح جبل، وأُسِّسَت عدوة الأندلسيّين في سنة (١٩٢هـ)، وعدوة القرويّين في سنة (١٩٣هـ). انظر: معجم البلدان (٤/٢٣٠-٢٣١).

(٢) ابن عيسى المكناسيّ هو: محمد بن عيسى بن عامر المغربيّ المكناسيّ الصوفيّ، مؤسس الطريقة العيساويّة المعاصرة، وهي فرع من الطريقة الشاذليّة الصوفيّة، ولم أقف له على ترجمة.

وثانياً: قوله: في الخطبة (من انتقل في الغرر الكريمة نوره . . .) الخ.

يقال عليه: بعد ما تقدّم فيه، لم يَثبت حديث صحيح، فضلاً عن التواتر، اللائق بما قال أنّ في غرر وجباه آدم الطَيْئلاً وبنيه إلى أبِ رسول الله الطَيْئلاً أنواراً تُشَاهد للراءين في كل جيل، ولو كان بعض ذلك لتعجبت الأجيال فيه، ولما كان للعقلاء منهم وقفة وتلكؤ في الإيمان برسول الله، فإن أجيب بأنّ ذلك النّور معنويّ لا حسيّ، قيل: يحتاج إلى الدلائل الصحيحة عليه، أكثر مما يحتاج إليه الحسي هذا، مع ما تقدّم من تصريح بعضهم: أنّه كان يسطع ويلمع في جبهة آدم الطَيْئلاً وقول بعضهم: أنّه كان في ظهره لا في محل غُرَّتِه.

وثالثاً: قوله: (فبدأ منها بخلق الحقيقة الأحمديّة، من أنواره الأحديّة . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: فيه تناقض مع ما بعده، لأنّ الأنوار الأحديّة الصمديّة التي هي من تجلي الله لنفسه من صفات الله القديمة، والقديم لا يكون مخلوقاً، وصفات الرَّبِّ لا تنتقل للعبد.

رابعاً: هذا يؤيد القول المتقدّم، بأنّ الكناية في حديث جابر ﷺ الذي قيل فيه: "نور نبيّك من نوره"[1]، عائدةٌ إلى الله كما قدّمناه بل ما اجتمع معه في ذلك النّور من الجزئيات المتقدّمة كالعرش وقديمات، وهو مذهب الفلاسفة الأقدمين ومن نحى نحوهم.

خامساً: بين تخصيص الأحمدية بهذه الحقيقة، وبين تجزئتها إلى الكائنات كما تقدم، تناف لأن الواحد بالماهية لا يتجزأ إلى ماهيته وماهية غيره، والواحد بالشخص لا يتجزأ إلى نفسه وغيره، كما أن الواحد بالجنس لا يتجزأ إلى أنواعه وأنواع غيره.

سادساً: قوله: (فكان ﷺ أوّل مخلوق على الإطلاق . . .) إلى آخره.

نقد: يقال عليه: أحتَّى على المحل والمستقر الذي لا يوجد موجود إلا به، وكذا الزمان المعروف أو المقدر، وكل مستقر وزمان بحسب الوجود فيه.

سابعاً: قوله: (بإطباق . . .) إلى آخره.

---

(١) سبق تخريجه (ص: ١٢٠-١٢١).

نقد: يقال عليه: هو في عهدة قائله، إذ ليس ذلك بصحيح عند أهل التحقيق فضلاً عن إطباقهم عليه بل لو حُكِيَ في عكسه لكانت الحكاية أحق.

ثامناً: قوله: (نوراً بين يدي مولاه).

نقد: يقال عليه: ما قيل في قدّامه إذ أكثر هؤلاء لا يثبتون لله جهة، ولو أثبتها لنفسه كفوق عرشه، وحينئذ تنتفي النِّسَب السِّت إليه.

تاسعاً: قوله: (أودع فيه كل ما أراد إبرازه للوجود . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: هذا ينافي ما تقدّم في حديث جابر رضي الله عنه وغيره، من أنّ ذلك النّور انقسم إلى ما انقسم إليه من الكائنات، لأنّ هذا ودعت فيه الكائنات ولم ينقسم إليها، والوديعة غير المودع فيه وغير المنقسم إليه.

عاشراً: قوله: (من الأزل إلى الأبد الممدود . . .) الخ.

يقال عليه: قد يكون الصواب في التعبير مما لا يزال، إذ الأزل لا بداية له كما يلزم عليه أنّ ما على الله في الأزل غيره وذلك محال.

الحادي عشر: قوله: (إلى الأبد الممدود . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: إذا سلمنا أنّ الكائنات التي أبرزها الله تعالى في ذلك الوقت كانت مودعة في كُنهِ الحقيقة الأحمدية، فكيف يصح أن يُودع فيها المعدوم الذي بقي متعلقاً وجوده بالإرادة الإلهية في الأبد الممدود والمستقبل.

الثاني عشر: قوله: (حتى يكون منه المبدأ والمنتهى . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: هذه صفة الله سبحانه، لأنهّ لا أوّل قبله ولا معه، والآخر بعده ولا معه ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾[(١)]. ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[(٢)].

الثالث عشر: قوله: (يوجد فيه كل ما يرام ويشتهى).

---

(١) سورة الحديد، الآية (٣).

(٢) سورة النجم، الآية (٤٢).

نقد: يقال: إذا كان الضمير في: (فيه) عائداً على القدر المشترك بين الكائنات وهو النّور المجزأ إليها، فليس ذلك خاصاً بالنبي ﷺ بل ذلك منقسم على جزئيات ذلك القدر المشترك، بحسب ما أراد الله وقضى وقدّر، وأعطى وعمَّم وخصَّص، وإن كان الضمير عائداً إلى النّور المخصوص بالأحمدية، أو الذّات المحمدية، كان في الأوّل تسليمه، وفي الثاني بالإجماع الذي لا يخالف فيما منحه الله من الهِدايات والعطايا، والعلوم والمزايا إلى غير ذلك مما لا يحيط به إلا الله تعالى، ما يرام ويشتهى من ذلك، دون كل ما يرام ويشتهى من الكائنات إذ ليس فيه الجنة، وإن كان هادياً إليها ولا المستلذات من المأكولات والمشروبات، والمنكوحات والمركوبات، والملبوسات وغيرها، ولاسيما إذا أخذنا بعموم عبارته الشاملة للحرام والمكروه.

الرابع عشر: قوله: (فتنسلت منه من أجل ذلك سائر العوالم . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: تنسلت منه، لا يناسب إلا ما يصح أن يتنسل منه غيره كالحيوانات، ولو ادَّعى المجاز لكان بعيداً وبلا قرينة.

الخامس عشر: قوله: (فهو أصل الوصول . . .) الخ.

يقال عليه: إن راعينا إلى ما تنطبق عليه العبارة كان هو الله سبحانه الذي لا أصل يسبقه ولا فرع يلحقه، وإن قيّدناها بالنّور المدعى أوّليته كانت العبارة محتاجة إلى التقييد الكاشف لا إلى إشعار المقام به.

السابع عشر: تقدّم ما يفيد أنّه قدر مشترك بين الأصول، لا أصل تفرعت منه الأصول وتولدت منه.

الثامن عشر: تقدّم أنّه ظرف أُودِعَت فيه تلك الأصول، والظرف ليس أصلاً للمظروف ولا المظروف فرعٌ منه.

التاسع عشر: ما يقال إنّ أصل الأصول في الحقيقة هو نور الأحدية الذي برز بتجلي الذّات الأقدس إلى نفسها كما تقدّم، وهذا نور الله في الحقيقة، وإن سمّوه نور النبي ﷺ، وتقدّم ما في ذلك من كون القديم لا يصير حادثاً أو الحادث لا يرجع قديماً.

العشرون: إن عنى بقوله: (وصل الوصول إلى الله تعالى) كان ذلك حقاً، ولكن ليس خاصاً به، بل جعل الله لذلك طُرقاً وأسباباً، ودعاة وهداة من الأنبياء والمرسلين وخلفائهم، والملائكة والكتب المنزلة وإن تفاوتت، وقد كان رسول الله من أعظمها في ذلك، وإن عنى به إلى غير الله تعالى فقد جعل الله لذلك طُرقاً وأسباباً لا يحصيها إلا خالقها، وعلى كل احتمال فليس خاصاً برسول الله.

الواحد والعشرون: قوله: (المقدّم على كل من تقدّم . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: صريح العبارة ومقتضاها يقتضيان أنّه مُقدّم على المقدّم، والمقدِّم والمؤخِّر الأوّل والآخر وهو الله سبحانه – تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً –، بل المقدّم على كل من تقدّم في الحقيقة هو الله، وإن قلنا يفيد ذلك المقال، قلنا فيه ما تقدّم في نظيره.

الثاني والعشرون: قوله: (والجنس العالي على جميع الأجناس . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: الجنس عند المناطقة وغيرهم، هو ما يصدق على كثيرين مختلفين في الحقيقة وهم الأنواع، والنوع ما يصدق على كثيرين متفقين في الحقيقة وتحته أصناف، والصنف ما يصدق على كثير مختلفين في الصفة:

الأوّل: كالجسم.

والثاني: كالحيوان.

والثالث: كالعربي والزنجي.

وعليه فنور النبي ﷺ عندكم ينقسم إلى أنواع الخلائق ثم إلى أصنافهم، وإذاً ليس بخاصٍ برسول الله كما تزعمون، وكما قسمه حديث جابر المتقدّم وغيره إلى تلك الأنواع، والجنس يكون أعلى بالنسبة إلى جنس أسفل منه، وتحته أنواع كما يكون ذلك الجنس أسفل بالنسبة إلى ما فوقه.

الثالث والعشرون: قوله: (والأب الروحي لكل الموجودات . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: هذا ينافي ما أثبتُّم له من أنّه الأب الروحي والمادة.

الرابع والعشرون: هذا ينافي أن يكون أباً لمن لا روح فيه من الموجودات، كالجمادات والمائعات، إذ الروح لا تكون أباً لمن لا روح فيه، والمنفصل من الحي قد لا يستحيل إلى حي ككثير من الفضلات، وهذا لا معنى، لكونه ولداً لذي الروح ولا لكونه ذي الروح أباً له، وإنما هو منفصل عنه، وقد يستحيل إلى ذي روح كالنطفة، والبيضة، وهذا في هذه الحالة لا يُسمَّى ولداً، ولا المنفصل منه أباً إلا مجازاً، وإنّما يُسمّيان بذلك حقيقة عندما يصير ذا روح.

الخامس والعشرون: قوله: (والسبب في كلّ موجود).

نقد: يقال عليه: بين كونه سبباً في كل موجود، وبين كونه قدراً مشتركاً بين الموجودات، وهو المعبر عنه بأصل الموجودات كما تقدّم بيانه المرة بعد المرة تناف، إذ الجزء المشترك في المجزَّأ مع غيره من الأجزاء جزء من أجزاء الماهية والأصل، وفرق بين الأصل وما يتركب منه من الأجزاء وبين السبب، إذ:

الأوّل: داخل في الماهية وليس سبباً لها.

والثاني: خارج عنها.

السادس والعشرون: إن قلتم: إنّه سبب باعتبار أنّ الموجودات أو الدنيا كما قيل به، ويأتي القول فيه، إنما وجدت لأجله والاعتناء به و. . .، و. . .، كما قيل به.

قلنا: إذا كانت الموجودات مشتركة في قدر وأصل وهو النّور المتقدّم مع جزء منه المنسوب لرسول الله، طاحت تلك العلة إذ الموجود مع الشيء من عنصر واحد لا يصح أن يكون سبباً فيه لتنافي السبب والمسبب حينئذ كما أشرنا قبل إليه.

السابع والعشرون: ما نقله عن ابن سلطان: يقال عليه: أستروح الشيخ بهذا النقل واكتفى به عن أن يأتي هنا ببرهان القرآن أو السنة أو الإجماع بل وعن أن يأتي بخبر واحد صحيح أو حسن، وعن أن يأتي بحديث جابر ومثله، وإن كان فيه ما فيه، ولعل الشيخ ظهر له أنّ هذا الطريق وهذا المتن أقوى من كل طريق ومتن، وكل عاقل فضلاً عن عالم يعلم خلاف ذلك.

الثامن والعشرون: ما يقال: إنّ هذا السند فيه مجهول إلى مجهول، وهبه معروفاً عند الكاتب ومثله فلا يكفِ ذلك في التعويل عليه وعلى رواية متنه.

التاسع والعشرون: هذه الرواية منامية، والمنام لا يقوى قوة اليقظة إذ قد يحتاج إلى تأويلات وتعبيرات قد يخطأ فيها كبار المعبرين، وأعلام علماء الدين، وإن كانت صادقة من النبيّين والصدّيقين، كما أخطأ أبو بكر ﷺ في بعض التعبير لرؤية سيّد المرسلين[(١)].

الثلاثون: رؤية رسول الله في المنام ليست صادقة من كلّ وجه، لأنّه لو كان الشيطان لا يتمثل به فقد يكذب عليه، ويقول: أنا رسول الله كما يكذب عليه وعلى غيره في اليقظة.

الواحد والثلاثون: إنّ الرائي لم يشتهر عند الناس بالصدق فضلاً عن أن يكون معصوماً من الخطأ أو الكذب أو التعصب أو. . . أو. . . أو. . .، وحينئذ لا تُقبل رؤياه.

الثاني والثلاثون: يقبل المنام إذا لم يقصد اليقظة، وهذه الرؤيا مصادمة لما ثبت عن رسول الله يقظة كشمس على عالم، إذ الأوصاف المروية عن رسول الله في هذه الرؤية – حاشاه – أن يقولها لدلالة الدلائل التي جاءت عنه على خلافها[(٢)].

---

(١) قصة تعبير أبي بكر ﷺ للرؤية ثابتة في الصحيحين فقد أخرجها البخاريّ (ص:١٢١٤/ح٧٠٤٦)، ومسلم (ص:١٠٠٥/ح٢٢٦٩).

(٢) والرؤى المناميّة لا يثبت بها حكم شرعي، ولا يُرفع بها حكم شرعي، ولا يُستدل بها على حكم شرعي، ولا يُعتمد عليها بمجرد الظنون، ولا يُخالَف بها الشرع الثابت الصحيح ولا النقل الصريح، بل رؤيا المؤمن تسرّه ولا تغرّه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– في مجموع الفتاوى (٢٧/٤٥٧-٤٥٨): (فأمّا المنامات فكثير منها بل أكثرها كذب، وقد عرفنا في زماننا بمصر والشام والعراق من يَدَّعي أنّه رأى منامات تتعلق ببعض البقاع أنّه قبر نبيّ أو أنّ فيه أثر نبيّ ونحو ذلك، ويكون كاذباً، وهذا الشيء منتشر، فرائي المنام غالباً ما يكون كاذباً، وبتقدير صدقه فقد يكون الذي أخبره بذلك شيطان، والرؤيا المحضة التي لا دليل يدل على صحتها، لا يجوز أن يثبت بها شيء بالاتفاق، فإنّه قد ثبت في الصحيح عن النبيّ ﷺ أنّه قال: "الرؤيا ثلاثة: رؤيا من الله، ورؤيا مما يُحدّث به المرء
=

الثالث والثلاثون: قوله: (قال لي: أنا مدد الملائكة، والنبيّين والمرسلين، وسائر خلق الله أجمعين).

نقد: يقال عليه: الذي به الدلائل القاطعة والحس أنّ الله هو الممد لجميع خلقه، المستغني عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه، القائم على كل نفس بما كسبت إلى غير ذلك، ومن اعتقد غير هذا فقد حاد عن توحيد الإسلام.

الرابع والثلاثون: قوله: (أنا ممد الملائكة . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: المعروف في العلم ودلائله أنّ الملائكة هم الممدون لخلقه فيما جعلهم واسطة فيه، وإلا فلا إحاطة إلا إليه سبحانه، وهم الذين أمدوا رسول الله يوم بدر، ويوم حنين، وقد قال الله تعالى: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [1].

وقال: ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [2]، وقال: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [3]، وقال: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [4]، وقالت الملائكة للوط عليه السلام: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ﴾ [5]، وقال رسول الله ﷺ: "إنّ ربي أمرني أن أحرِّق قريشاً، فقلت: رَبِّ! إذاً يثلغوا رأسي فيدعوه خُبزةً، فقال: استَخرِجهُم كما استَخرَجُوكَ، وأنفِق فَسَنُنفِقُ عليك، واغزُهُم نُغزِكَ، وابعث جيشاً نبعث خمسةً مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك"[6]، إلى غير ذلك من

نفسه، ورؤيا من الشيطان"، فإذا كان جنس الرؤيا تحته أنواع ثلاثة فلا بد من تمييز كل نوع منها عن نوع، ومن الناس حتى من الشيوخ الذي لهم ظاهر علم وزهد من يجعل مستنده في مثل ذلك حكاية يحكيها عن مجهول ...) الخ.

(١) سورة آل عمران، الآية (١٢٤-١٢٥).

(٢) سورة التوبة، الآية (٢٦).

(٣) سورة الأنفال، الآية (١٢).

(٤) سورة العلق، الآية (١٧-١٨).

(٥) سورة هود، الآية (٨١).

(٦) صحيح مسلم (ص: ١٢٤١/ح٢٨٦٥).

إمداد الملائكة للنبيّين، وغيرهم من المؤمنين، وممن أراد الله إمداده من خلقه أجمعين، وقد أخذ الله الميثاق على الأنبياء أن يؤمنوا بكل رسول جاءهم، وأن ينصروه حينما يحتاج إلى نصرتهم كما قال:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ﴾[1] الآية.

وقد أمدّ الله رسوله بالمهاجرين والأنصار، وبخلفائه بعده في نصرة دينه وإمداده، وعليه فكيف ينكر هذا رسول الله ويعكس القول فيه، وقد دخل رسول الله مكة في جوار المطعم بن عدي وقد استجار بالغار، وقد أمدّه بالنصر أهله بنو هاشم ومن دخل معهم في حلفهم، وقال أُسيد بن الحضير الخزرجيّ ﷺ ممداً لرسول الله وناصراً له: (والله لَنَقْتُلَنَّهُ، إنَّك منافق تُجادل عن المنافقين)[2]، وقال عيسى للحواريين: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾[3] الآية، إلى غير ذلك مما لو تتبّعناه لطال، كما يقال من الممد لنوح عليه السلام حيث قال: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾[4]، ولإبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾[5]، وليونس حيث قال: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[6]، ولأيوب حيث قال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[7]، إلى غير ذلك، وعليه فلا ممد لأحد من خلق الله لخلقه إلا بواسطة جعلها الله في يده، وفي الحقيقة حتى هي منه:

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٨١).

(٢) صحيح البخاري (ص: ٤٣١/ح٢٦٦١)، ومسلم (ص: ١٢٠٥/ح٢٧٧٠).

(٣) سورة الصف، الآية (١٤).

(٤) سورة القمر، الآية (١٠).

(٥) سورة الصافات، الآية (٩٩).

(٦) سورة الأنبياء، الآية (٨٧).

(٧) سورة الأنبياء، الآية (٨٣).

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾[(١)]، ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[(٢)].

الخامس والثلاثون: نسبتم هذا الإمداد لكل الخلائق لرسول الله لتثبتوا له بها منزلة فوق منازل الخلائق يردها في أفواهكم، ويمحوها من اعتقادكم مقالة رجل قد اتفق عليها من يعبده وأتباعه المغفلون لو قالها وحده فضلاً عن غيره ألا وهو: التِّجَانيّ[(٣)] فقد صرّح في كتبه كما نقلوا عنه والعهدة عليه وعليهم أنّه ممد الكائنات بل صرّحوا أنّه سينادي يوم القيامة بين يدي الله على رؤوس الملائكة والنبيين والمرسلين، أنا ممدكم، وستأتي عبارته في ذلك كما ربما سيذكر معه من تقوّل هذه المقالة.

السادس والثلاثون: قوله: (أنا أصل الموجودات والمبدأ).

نقد: يقال عليه: جلّ ما تقدّم إن لم يكن كله يبيّن رد هذه الدعوى.

السابع والثلاثون: قوله: (المنتهى).

إن أراد به انتهاء الأنبياء به فهو الحق الذي لا يقبل غيره، وإن أراد به انتهاء هذا العالم الدِّنيوي فقد انتهى رسول الله وجاء بعده ما يقرب ألف وأربعمائة سنة، والكون على حاله لا يدري انتهاؤه إلا الله، فقد قال ﷺ: "خمس لا يعلمهن إلا الله" وذكر منهن: "قيام الساعة"[(٤)]، وقد قال الله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾[(٥)]، وإن أراد به المنتهى الذي يحمل إليه كل عامل عمله ليجزى عليه، فهذه المقالة قد كذَّبها الله بقوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾[(٦)]، بعد قوله: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾[(١)].

---

(١) سورة الأنفال، الآية (١٧).

(٢) سورة الأنفال، الآية (٦٣).

(٣) التِّجَانيّ هو: أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد التِّجَانيّ، أبو العباس الصوفيّ، شيخ الطائفة التِّجَانية بالمغرب، استقرّ بفاس إلى أن توفي بها سنة (١٢٣٠هـ)، له "وردٌ" في (١٠) ورقات، مخطوط في خزانة الرباط. انظر: الأعلام، للزركلي (١/٢٤٥).

(٤) صحيح البخاري (ص: ١٢/ح٥٠)، ومسلم (ص: ٢٥/ح٩).

(٥) سورة النازعات، الآية (٤٤).

(٦) سورة النجم، الآية (٤٢).

وإن أراد بذلك منتهى الكائنات، فغيبٌ لا يعلمه إلا الله، وقد جاء أنّها لا تنتهي إلا أن يريد الله، وإن أراد بالمنتهى ما ينتهي إليه الخلائق بعد جمعهم بين يدي خالقهم في العالم الأُخروي فهو الجنة والنار، وإن أراد منتهى رغبة الراغبين، ورجاء الراجين، وملجأ الخائفين فهو الله سبحانه، وإن أراد بالمنتهى ما ذكره بعض هؤلاء الغلاة من أنّ العالم كله سيرجع إلى نور الحقيقة المحمديّة، وهذا النّور يرجع إلى مصدره، وهو نور الأحديّة الذي برز من تجلي الله لنفسه بنفسه، وهذا تقدّم ما فيه من أنّه دعوى متناقضة حيث يدل على أنّ القديم يكون حادثاً ثم يرجع الحادث إلى القِدَمِ، وهي دعوى من أبطل الباطل.

الثامن والثلاثون: قوله: (وإلى غاية الغايات، ولا يتعداني أحد).

نقد: يقال عليه: هذا مما يرد ما هو الحق من أنّه خاتم النبوة، ويؤيد الدعوى الباطلة الأخيرة المقتضية أنّه نفس الرّب ﷻ.

التاسع والثلاثون: هذه الدعوى هي نفس دعوى النصارى في المسيح أنّه ابن الله، أي: بعض منه، أي: من ذاته أو من نوره القديم لا إنَّهم يعتقدون أنَّه تَولَّد منه كما يَتَولَّد الحيوان من غيره.

ثم قال الشيخ العلامة الشريف[٢] بعدما تقدم له، وبحثنا فيه معه: (وبعد عطر اللهم مجالسنا بطيب ذكره وثناه . . .) الخ، (فكل موجود حدث وكان دخوله في حيطة الإمكان في أي زمان، وأي مكان، حتى نفس الزمان والمكان، هو منه ﷺ وبه، وإليه انتسابه وبسببه، وكل كرامة ومنحة ونعمة، وفضيلة ومزية ورحمة في الوجود كله وبأجمعه، والعالم بتمامه سفله وأرفعه، كثرت أو قلّت، رقّت أو جلّت، صعدت أو نزلت، برزت أو خفيت، به كانت، وبوجوده وجدت، وبطلعته ظهرت، ومنه حصلت، وهو الواسطة في كل شيء، وبواسطته خلق كل شيء، وهو ﷺ المستمد من ربه تعالى بلا واسطة شيء، والممد بواسطته وبسببه كل شيء، فهو ممد أهل السموات والأرضين، وأهل

(١) سورة النجم، الآية (٤٠-٤١).

٢) وهذا صوفي ضال وقد جاء في الحديث : من بطأ به عمله = لم ينفع به نسبه .

[صحيح مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه]

الحُجُب السبعين، وأهل عالم الرقا، وكل من سفل أو صعد وارتقى، وهو السب في أعمال البرّ الصادرة من العالمين، والواسطة في نيل النبوة والرسالة للأنبياء والمرسلين، وفي نيل الولاية والقرب للأولياء والمقربين، والملائكة المكرمين، والسبب في علم الحقيقة الذي من خَلِيَ عنه تفسق، وفي علم الشريعة الذي من تباعد عنه تزندق، وفي كل نعمة وصلت أو تصل لكل منعم عليه من جميع الموجودات، والمخلوق الذي لم يحط بحقيقته وعظيم مرتبته أحد من المخلوقات، ولم ينعم الحق على خلقه بنعمة هي أتم وأكبر وأعظم وأفخر من نعمته عليهم بهذا الجناب العظيم، والرسول المبجّل الفخيم ﷺ فهو النعمة العظمى التي هي أساس جميع النعم، والوسيلة الكبرى التي يُستَدفَع بها عنا كل الأسواء والنقم، وهو المحسن الذي لا إحسان يماثل إحسانه إلينا، ولو من آبائنا وأمهاتنا وجميع أقربائنا، إذ هو السبب في وجودنا، وامتدادنا، وبقاء مهجتنا، وأرواحنا وعافيتنا وسلامتنا، وإذهاب الغمّ والبؤس عنّا، وفي تخليدنا إن شاء الله تعالى بمنه وحوله، وجوده وطوله في النعيم المقيم في الجنان، وفي نظرنا إلى وجه الكريم المنان، لا أحرمنا الله جميعاً آمين بجاه النبي الأمين، وهو الفاتح الذي فتح الله به باب الهدى بعد أن كان مرتجاً ومغلقاً، ومحى به الكفر والضلال بعد أن كان مطبقاً، وفتح به طرق العلم النافع، والعمل الصالح الناجع، وفتح به الدنيا والآخرة، والقلوب المنطمسة الشاغرة، وفتح به الأسماع والأبصار، والبصائر المحجوبة بالأغيار، وفتح به الأنبياء فكان أولهم خلقاً ونوراً، كما أنّه ختمهم فكان آخرهم بعثاً وظهوراً، وهو الرسول الذي شملت رسالته جميع العالمين، وكُلّف بالإيمان به كل الأنبياء والمرسلين، وجميع أممهم السابقين، وغيرهم من الخلائق أجمعين، والحبيب الذي لولاه لم تكن سماء ولا أرض، ولا طول ولا عرض، ولا جنة ولا نار، ولا عرش ولا كرسي، ولا جني ولا ملك ولا إنسي كما شهدت بذلك الأحاديث والأخبار، والكشف الصحيح من البصائر والاختبار)(١). انتهى بعض قوله.

نقد: ونحن نقول عليه:

أولاً: قوله: (وكل موجود حدث وكان دخوله في حيطة الإمكان . . .) الخ.

---

(١) انظر: "اليمن والإسعاد بمولد خير العباد" (ص: ٥-٧).

يقال عليه: بين قوله حدث وكان دخوله في حيطة الإمكان، تناف إذ حدوثه يلزم منه الدخول في حيطة الإمكان، وإلا ما حدث ولا كان، وعليه فدخوله في تلك الحيطة من تحصيل الحاصل وتضييع للوقت بذلك القيد في غير طائل.

ثانياً: هذه العبارة بقيدها تُخرِج لنا من الشمول ما لم يحدث بالفعل والموضوع في الممكن، مع أنّهم والكاتب معهم يقولون: بالشمول للمكن الواقع المتوقع فلو عُبِّر بـ (أو كان) بدل (وكان)، لكان شاملاً للوجهين، ولدفع بذلك هذين الاعتراضين عليه.

وثالثاً: قوله: (في أي زمان ومكان، حتى نفس الزمان والمكان).

نقد: يقال عليه: الزمان والمكان يُراد بهما دورة الفلك في الأوّل، ووجود الظروف التي تظرف فيها المظروفات بعد عدم الكل، وهذان حادثان قد يدخلان في الشمول على زعم أهل هذه الدعوى، وإن كانت باطلة في نفسها وعند غيرهم، ويراد بإلزام ما يصدق على الماضي والحال والمستقبل، كان مع دورة الفلك أو قبلها أو بعدها، كما يُراد بالمكان ما يستقرّ فيه الموجود كان قبل الظروف والمظروفات الحادثة أو معها وهما لازمان للوجود عقلاً، واللازم العقلي يستحيل انعدامه لاستحالته، وإلا لم يكن واجباً له، كما أنّ المحل لا يتصور وجوده وإلا خرج عن ماهيته إلى الممكن، وهو قلب الحقائق والقدرة، كالإرادة لا تتعلق بالواجب والمحال العقليين كما هو معروف في علم الكلام، وعليه فهذا الزمان والمكان بهذا الاعتبار لا يدخلان في شمولكم لسبقهما لكل كائن حادث ولملازمتهما لكل قديم، تأمّل.

رابعاً: قوله: (هو منه وبه).

نقد: يقال عليه: ما تقدّم أنّ (من) في مثل هذا الموضع للابتداء أو التبعيض، وهما يدلان على أن مدخولهما أصل لما دَلّ عليه من البعضية أو الابتدائية، وهما من أجزاء الماهية، وبه يدل على السببية، والسبب خارج عن الماهية، فيحصل التنافي بينهما.

خامساً: قوله: (وبه انتسابه وبسببه).

نقد: يقال عليه: انتسابه إليه إن كان بمعنى ما تقدّم من نسبة الجزء إلى الماهية جاء ما فيه من التنافي بينهما، وإن كان بمعنى أنّ كل موجود حتى الزمان والمكان ينسب إلى رسول الله بمعنى ما قلتم بل وبغيره، فليت شعري من نسبه إليه غيركم.

سادساً: وإن كان بمعنى نسبة المسبب إلى السبب ففيه اعتراضان:

الأول: التكرار بينه وبين ما يفيده وبه.

الثاني: كون النسبة إلى السبب أيضاً لم يتعرّض لها غيركم كالنسبة إلى الأصل بزعمكم المتقدمة.

سابعاً: قوله: (وكل كرامة ومنحة . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: هذا منه تكرار في المعنى لا فائدة فيه ولا حاجة لتعدد الألفاظ الدالة عليه، لأنها داخلة في النعمة، والفضيلة، والرحمة فَيُغني واحد منها عن هذا الإطناب الذي لا داعي له، كما أنّ بين كثير من ألفاظها الترادف المغني عن ذكر ألفاظه واحد منها.

ثامناً: قوله: (في الوجود كله).

يقال عليه: الشيخ - رحمه الله - لا يفارق هذا التكرار في كلامه لفظا ومعنى، فكما كرّر ما قبله كرّر قوله في الوجود وما بعده، إذ الوجود كله وأجمعه، والعالم بتمامه، كلها ألفاظ مترادفة يُغني بعضها عن بعض، فالتكرار حينئذ حشو وإطناب لا فائدة فيه، كما إنّ قوله: (سفله وأرفعه . . .) إلى آخر ما فصله إليه لا حاجة إلى التطويل به لكفاية لفظ من تلك الألفاظ المجملة في بيان الحكم المقصود عنه.

تاسعاً: قوله: (به كانت وبوجوده وجدت . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: هذا تكرار أيضاً من نمط ما قبله، إذ به وبوجوده وبطلعته ترجع إلى معنى واحد فلا فائدة في تكرارها إلا تكبير جرم الكتاب، وتكثير أوراقه وتناسق سجعه.

عاشراً: قوله: (ومنه حصلت . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: مناف لما قبله، إذ الأوّل: يدل على سببيته.

والثاني: على أصلته.

وقد تقدّم ما فيهما، كما أنّه مكرّر مع ما ذكره في الجمل الأولى التي كتبنا عليها قبل هذه، ومع أوّل هذه الجملة.

الحادي عشر: قوله: (وهو الواسطة في كل شيء . . .) الخ.

نقد: إن كان معنى الجملتين واحداً وهو: إنّه سبب في خلق كل شيء، كان التكرار لغير فائدة أيضاً، وإن كانت الجملة الثانية معنى وساطته انفصال كل شيء منه، جاء التنافي المتقدّم بين كون الشيء سبباً، وكونه جزءاً من أجزاء الماهية التي تسبب في وجودها.

الثاني عشر: قوله: (المستمد من ربه بلا واسطة شيء).

نقد: يقال عليه: كان عليه أن يبين هذا المدد الذي لا يستمده رسول الله إلا من ربه بغير واسطة، ولفظه يقتضي العموم وأنت إذا نظرت إلى المعقول، والمنقول، والقياس حكمت بأنّ رسول الله لا يستمد من ربه بلا واسطة إلا الوحي بالمشافهة من وراء حجاب كغيره، أو الإلهام، أو ما ليس في علمنا مما يعلمه الله كائناً بتلك الصفة، وما لا نعلمه وإن كنا لا ننفيه لا نثبته، وقلنا كغيره لأنّ ما ذكرناه من الوحي والإلهام، وما لا نعلمه لا يختص به رسول الله، وغير من الإمداد يتلقاها رسول الله، وغيره من خلائق الله كيفما كانت، وكيفما كانوا كأبدان الحيوانات وعناصرها، وخروجها على عالم الأرض، فإنّها اكتسبت ذلك بواسطة آبائها وأمهاتها – حاشا – الأصل فإنّه يكون بالوسائط كالمتولّد من التراب، والعفونات، واللحوم، والثمار وما على هذا القياس، وقد تشترك الواسطة وأن لا واسطة فيه كآدم عليه السلام فإنّ الله خلقه بيده، وجميع خلقه بواسطة الطين، وما يتم به ذلك الخلق، وكإمداده سبحانه إيّاه بِنِعَمٍ لا تُحصى كغيره، كنعمة النصر والحفظ، فقد استمدها منه بواسطة الملائكة والأنصار، كما قد يستمدها منه بلا واسطة، وكنعمة الأكل والشرب، واللباس والنكاح، وإطعام الأهل، وغيرها مما يحتاج إليها الخلق ولاسيما البشر في هذه الدنيا فإنّها مستمدة من الله بالوسائط المعروفة لها، له ولغيره. ولو تتبعنا ذكر أنواعها لطال بنا الأمر، وعليه فلا معنى لتخصيص رسول الله بتلقيه من الله بلا واسطة في بعض المتلقيات فضلاً عن كلها، فتأمّل.

الثالث عشر: قوله: (والممد بواسطته وبسببه كل شيء . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: لا برهان لكم معقول أو منقول يثبت هذه الدعوى، المعقول والمنقول، والحس والقياس، كلها تدل على أنّ ممد الأشياء هو إلهها، وقد جعل الله لإمداده لها وسائط، وهو المشاهد الأكثر، وقد لا يكون ذلك، والواحد من الأشياء بل أكثرها إن لم نقل كلها واسطة لبعضها بعضاً في إيصال ذلك الممد الإلهي لها، والرسول عليه السلام واسطة في الممد الحسي، والمعنوي، اللّذين جعلهما الله رهن يديه ليوصلهما إلى خلقه، لا أنهما واسطة في كل شيء كما تقولون، كما أنّ غيره يكون واسطة في إيصال بعض النعم إليه عليه السلام كما قدّمنا بعض ذلك، وهذا لا يخفى على عاقل فضلاً عن عالم منصف.

الرابع عشر: قوله: (وبسببه كل شيء . . .) الخ.

نقد: فيه منافاة مع ما قبله كما بَيَّنَّاه، وتكرارٌ مع ما تقدّم قبله المرة بعد المرة.

الخامس عشر: قوله: (فهو ممد أهل السموات والأرضين).

نقد: يقال عليه: معاذ الله أن يرضى الله ولا رسوله بهذه النسبة وإن جعلتموها قُربى منكم على الله ورسوله، إذ لا برهان على هذا من الله ولا رسوله غير بعض الكلمات اللائح عليها ظلام الوضع المنافية للكتاب والسنة، والإجماع والقياس، ولو كان يمد هذا كله لكان القيّم على خزائن الله، وكيف يكون وهو الذي أخبر عنه القرآن بأنّ الله أمره أن يقول: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ﴾[1] الآية، و﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[2]، ولا أخبرنا الله ورسوله بأنّه كان يمد العالم قبل وجوده لا خبراً صحيحاً، وكيف يصح إمداد المعدوم

---

(١) سورة الأنعام، الآية (٥٠).

(٢) سورة الإسراء، الآيات (٩٠-٩٣).

للموجود لو ثبت له الإمداد، والإمداد النّوري حول رَدّه وثبوت أصله نُدندن ونكتب ونسطر، ونشير ونعبر، كما أنّه لم يصح خبر من الله ورسوله عن ذلك بعد وجود رسول الله بل الذي صححه النقل والنظر والحس، أنّ رسول الله كان لا يمد هذه الأشياء، ولا يقدر على ذلك إلا الله سبحانه، وإنّما كان هو الممد من قبل الله بواسطة وبلاها، كما أنّه كان يمد بما في يده لا بكل شيء، كما تقدّم بعض ما استطاع إمداده ممن لقيهم في بلده وزمنه، مما لم يختص الله تعالى به وإلا فليس لأحد أن يتصف به إلا أن يكون على سبيل المعجزة لمثله، ولا تكون المعجزة أبداً إمداد العالم كله أو السموات والأرض منه بل ذلك مما يختص بالله.

السادس عشر: يظهر إنّه لا عمدة لهذا الشيخ فيما يقول ويكتب أعظم من تكراره تلك المقالة، والمدلول لا يكون دليلاً ولو تكرّر.

السابع عشر: الحُجُب السبعون إن كانت من نور الله الذاتي كان الحادث ممداً للقديم، والعبد ممداً للرّب، والمفتقر ممداً للمستغني عن كل ما سواه، وهذه طآمّة لا طآمّة فوقها، وإن كانت الحُجُب السبعون من الأنوار الحادثة كان إمداد من هو تحتها وعبدٌ للمحجوب بها محتاجاً له المحجوب بها.

(.......)[1]

التاسع عشر: قوله: (وكل من سفل أو صعد وارتقى).

نقد: يقال عليه: هذا تكرار يغني عنه ما كرّرَه المرة بعد المرة.

العشرون: قوله: (السبب في أعمال البرّ الصادرة من العالمين).

نقد: يقال عليه: هذا صحيح في أُمَّة الإجابة تارة بلا واسطة، كالمتلقيين عنه الغير المحتاجين إلى غيره، وبواسطة المتلقيين منه، أو المتلقيين منهم، أو على ما يزيد على ألف واسطة، وأمّا غيرها كالملائكة، وأهل الجنة، ومؤمنوا الأمم المتقدّمة فلكل منهم سبب في أعمال البرّ خاص به أو عام، دون سببية الرسول عليه السلام.

الواحد والعشرون: قوله: (والواسطة في نيل النبوة والرسالة للأنبياء والمرسلين).

---

(١) بياض في الأصل .

نقد: يقال عليه: ما معنى هذه الواسطة إن كانت بمعنى التبليغ لهم، فليس بجبريل ولا من الملائكة المرسلين إلى الملائكة – عليهم السلام – وإن كانت بمعنى الشفاعة لهم عند الله فنالوها بشفاعته فهذا لا برهان عليه، وقد كان رسول الله غير موجود حينما أراد أن ينبئهم، ولا حين نبأهم، ولا شفاعةٌ لغير موجود، والنّور السابق الذي تَدَّعون قد سبق ما فيه، وعلى تسليمه فالنّور جسم غير حي ولا عاقل ولا سميع ولا بصير، فكيف تُمَكّن منه الشفاعة، وإن كانت كما يقولون بمعنى إنّه أنابهم عنه فهم نوابه حتى يوجد فيجري فيها ما تقدّم زيادة على أنّه لم تثبت له النبوة إذ ذاك وسيأتي القول في: "كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد"[1]، وعلى أنّه أُعطيَ نبوة الجميع ليفرقها على مستحقيها وعلى أنّ هذا التفريق لا على طريق الاستقلال بل على سبيل النيابة، وتأتي لنا عودة إلى هذا إن شاء الله.

الثاني والعشرون: قوله: (وفي نيل الولاية والقرب للأولياء . . .)الخ.

نقد: يقال عليه: أمّا في أولياء أُمَّة الإجابة فصحيح على التفصيل المتقدّم، وأمّا في غيرهم كالملائكة فلا يدخل في ذلك كما قدمنا.

الثالث والعشرون: قوله: (والسبب في علم الحقيقة . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: حاشا لله أن يكون سبباً في علم هذه الحقيقة التي يلهج أهلها بذكرها ويجعلونها عنده توحيدهم ومعارفهم، وهي مبطلة لشرائع كتب الله وأنبيائه، وبالخاصة رسول الله، أمّا الشريعة التي من حاد عنها تزندق فهو السبب فيها حقاً، وهي نفس الحقيقة المطلوبة إذ الحقيقة هي ما حق وثبت ولا معنى للشريعة إلا ذلك مع جعله منهاجاً وطريقاً للتعبد لله، وأمّا حقيقتكم تلك فالواجب الاتصاف بالفسق اللازم على تركها عندكم بل اتِّبَاعها هو الفسق الأكبر الذي من أعظم أنواعه الكفر.

---

(١) رواه الترمذيّ (ص: ٨٢٣/ح٣٦٠٩)، وأحمد (١٧٦/٢٧/ح٣٤)، وابن أبي شيبة (٢٠٤/١٣/ ح٣٧٥٥٠)، وابن أبي عاصم (١٧٩/١/ح٤١٠)، والطبراني في "الكبير" (٩٢/١٢/ح١٢٥٧١)، و"الأوسط" (٢٧٢/٤/ح٤١٧٥). وصحّحه الألبانيّ في "السلسلة الصحيحة" (٤٧١/٤/ ح١٨٥٦).

الرابع والعشرون: قوله: (وصلت أو تصل لكل منعم عليه . . .) الخ.

يقال عليه: تقدّم ما في هذا من التكرار الممل كما تقدّم ما فيه من البحث والتفصيل.

الخامس والعشرون: قوله: (المخلوق الذي لم يحط بحقيقته . . .) الخ.

يقال عليه: هذه العبارة يُفهم منها انحصار هذا المخلوق الكريم في عدم إحاطة أحد بحقيقته من المخلوقين مع أنّ الأكثر إن لم نقل الكل من المخلوقات لا يحيط بحقيقته أحد من الخلائق، كالروح وكثير من اللطائف والكثائف، وكذا ما في العالم العلوي والسفلي، والدّنيوي والأُخروي، والملائكة وأهل الجنة والإنس والجنّ، وغير ذلك إلا ما شاء الله من ذلك مما لم نعلمه، والله المحيط بكل شيء لا سواه.

السادس والعشرون: قوله: (ولم يُنعم الحق على خلقه بنعمة هي أتم وأكبر . . .) الخ.

يقال عليه: هذا الإجمال يوضحه التفصيل وهو: إنّ هذا الرسول الكريم يشتمل على نِعَم ثلاث سانية فخيمة:

أولاً: ذاته التي هي مسكن روحه ولولاها لما تَمَّت نِعَمَهُ الثلاث.

ثانياً: روحه لولاها لما ظهر نعمة الذات والصفات، والروح أنعم وأفضل من الجسد.

ثالثاً: أوصاف روحه التي بها يكمل الجسد والروح، وهي النبوة والعلم، والهداية وحسن الخلق والأخلاق، والدعوة إلى سبيل الله بالموعظة الحسنة، وهذه هي الكبرى من تلك النِّعَم إذ بها يرفع شأن البدن والروح لا بمجردهما أو أحدهما، وعليه فهو نعمة كبرى تامّة باعتبار ما قلناه وتفصيل ما أجمله لكن بقي ما يقال لا يُسَلَّم الإطلاق في خلقه إذ المنعم عليه فرع عن أصول النعمة إليه، وإلا فليس به ونعمته ﷺ خاصة بأمّة الإجابة كما قدّمناه، وليست عامّة لجميع المخلوقات إلا على قول من قال: إنّه مرسل لجميع الموجودات وقد قدمنا رَدّ هذا القول، ولربما يجيء ما يؤكد رَدّه وعلى الصحيح الذي دلت عليه الدلال القاطعة لا يبقى لشمول هذه النعمة لجميع الموجودات ما يثبتها فضلاً عن أن يُصحِحَهَا، وإذا قال قائل: إنّ هؤلاء يُعمّمُون هذه النعمة لا بهذا المعنى بل بمعنى كونه أصل الموجودات وسببها وممدها إلى آخر ما قالوا، ويقولون: قلنا لو صَحّ

هذا لصح لهم ذلك البناء، لكن أين صحته، وثبوته بالدلال اللائقة به؟ وعليه لم يبق لهذه النعمة بالنسبة إلى غير الأمّة إلا النظر في أفضليتها على نعمة غيره من الملائكة والأنبياء، وذلك في الحقيقة ليس عليهم إذ لا نعمة تصل إليهم بسبب تلك الأفضلية، وقد قدّمنا الخلاف في الأفضلية بين الرسل مطلقاً والملائكة، ورَجّحت الدلائل المتقدّمة أفضلية الملائكة، كما رَجّحت أفضلية النبي ﷺ على الأنبياء، فتأمّل ذلك، والله يوفقنا إلى الصواب.

السابع والعشرون: قوله: (فهو النعمة العظمى التي هي أساس جميع النعم . . .) الخ.

يقال عليه: تقدّم ما فيه من أنّ الله تعالى هو مُسبل النعم وحده وموصلها إلى خلقه بواسطة وبغيرها، ومن جملة هذه الوسيطة رسول الله فيما جعله الله واسطة فيه لا في جميع النعم.

الثامن والعشرون: ما يقال: إنّ هذا مكرّر أيضاً مع ما تقدّم له المرة بعد المرة.

التاسع والعشرون: ما يقال قد عَبّر فيما تقدّم أنّه عليه السلام سبب أعمال البرّ، وهنا قال: (أساس جميع النعم)، وهذا يُفيد أنّه أصلٌ وسببٌ في عمل الخير لا في عمل الشر، وهو مناقض لما أطلقه وأطلقوه من أنّه أصلٌ وسببٌ لكل موجود كائن ما كان.

قوله: (والوسيلة الكبرى والتي يُستَدفَع بها عنا . . .) الخ.

يقال عليه: هذا من التنافي في الأخبار والأوصاف، لأنّه إذا كان سبباً وأساساً لجميع الموجودات التي منها الأسواء والنقم، فكيف يدفع عنّا ما هو من نوره ومن سببه إلا أن يدعي أنّ هذا مُستثنى من تلك الكليات المتكررات، وحينئذ يقال لهم: أين الاستثناء؟ وكيف تصح دعواكم؟ وأنتم تقولون أسوأ المخلوقات وأشدها نقمة وهي جهنم، أنّها خُلقت من نوره! وأنّه السبب في خلقها! نعم، على مذهب أهل الحق من أنّه لم يثبت أنّ الله جعل لمخلوق ما التصرف في ملكه كله، وأنّه برز من أصله، وأنّه لولاه ما وجد، يكون رسول الله سبباً لنا في النعم، ودافعاً عنّا الأسواء والنقم التي جعل الله دفعها في يده، وأقدره عليه في بعض خلقه لا في كله، كما جعل ذلك لغيره من أهله لذلك لا في غير ما جعله في يده، ولا في غير مقدر له ولا في كل خلقه، فقد نزلت به عليه السلام الآفات والنقم كغيره من أفضل خلق الله، وغيرهم، فلم يدفع منها الكثير النازل

عليه ولا على غيره ممن احتاج إلى دفعها عنه. الثلاثون: قوله: (وهو المحسن الذي لا إحسان يماثل إحسانه إلينا . . .) الخ.

نقد: صحيح، ولكن بالنسبة إلى أُمّة الإجابة لا إلى جميع الكائنات كما تزعمون، والتقييد ب (إلينا) حسن لو لم يخالفه إطلاقكم فيما تقدم ويأتي.

الواحد والثلاثون: قوله: (إذ هو السبب في وجودنا وإمدادنا . . .) الخ.

نقد: لله دَرّ[1] هذا الشيخ لا يغفل عن التكرار لغير فائدة.

الثاني والثلاثون: قوله: (وبقاء مهجتنا وأرواحنا وعافيتنا . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: ذلك البقاء لإبقاء الله لها، حيث أجّلها إلى أجل معلوم كغيرها من جميع الكائنات التي كتب عليها الموت، والارتحال إلى غير هذا العالم أو الفناء بالكلية، وبكونه كتب عليها أن لا تفنى، ولا تموت حتى تقضى المآرب وحاجات، وتنتهي منها لا لكون بعض النبيين – عليهم السلام – أو الفضلاء معهم أو رحلوا قبلهم.

الثالث والثلاثون: ما يقال السلامة من الآفات بالعافية هو كغيره من الله، وكذا يقال فيما بعده، وإن كان قد يكون بعض المخلوق سبباً في إذهاب ذلك، ولاسيما رسول الله وإن كان الكل أصله من الله.

الرابع والثلاثون: قوله: (وفي تخليدنا إن شاء الله . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: السبب في دخول الجنة والتخليد فيها من أوّل وهلة هو: الإيمان والعمل الصالح، والرسول سبب فيه، فهو سبب السبب، وكِلَا السببين والمسبب عنهما عائدٌ إلى مَنِّ الله وفضله، كما أنّ كونه عليه السلام سبباً في ذلك خاص بالأمّة التي أجابته له لا أنّه في كل العوالم الذي أنتم بصدد إثبات تلك السببية له.

الخامس والثلاثون: قوله: (وهو الفاتح الذي فتح الله به باب الهدى بعد أن كان مرتجاً ومغلقاً . . .) الخ.

---

١) هذا تكرار فاحش وغليظ ... فكيف يون رسول الله ﷺ سبب وجودنا وإمدادنا ؟!
فكيف يُقال : لله دَرُّه ؟!

تعقيب: يقال عليه: فتح باب الهداية به لاشك فيه، ولكنَّه خاص بأمته لا عام لكل الوجود كما زعم زاعموه، كما أنّ تفسير الفتح لما أُغلق من أنّه غير هذا ربما يأتي في ذكر صلاة الفاتح، ويأتي البحث فيه.

السادس والثلاثون: قوله: (ومحى به الكفر والضلال بعدما كان مطبقاً).

تعقيب: يقال: محا به بعض الكفر والضلال لا كله، لأنّه رحل إلى الله وقد محا كثير الكفر من جزيرته لا كله، بدليل ما بقي بعده من المنافقين، وما زاغ بعده من المرتدين الذين لولا جهاد أصحابه فيهم لما عبدالله في تلك الجزيرة ولكن محوه منها، وإن كان قد تطلع له رأس في بعض الأزمنة فيأتي الله بمن يمحوه، كما محا الكثير منه أصحابه، والتابعون لهم بإحسان، ولكن بالنسبة إلى ما لم يُمح يَقرُب من نسبة العشر إلى العشرة، ولاسيما في زماننا هذا الذي عم الكفر والطغيان جميع البلاد، ولم يبق إلا مصداق قوله ﷺ: "بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء"[(١)]، وقوله: "لا تزال طائفة من أُمّتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله"[(٢)]، وما قيل عنه إذا صَحّ: "إن أُمّتي لا تجتمع على ضلالة"[(٣)]، وعليه فلا ينبغي إطلاق العبارة، تأمّل.

السابع والثلاثون: قوله: (وفتح به طرق العلم . . .) إلى قوله: (المنطمسة الشاغرة).

نقد: يقال عليه: صحيح بالنسبة إلى أُمّة الإجابة لا لكل العوالم، وما بعده فهو في القيد سواء.

الثامن والثلاثون: قوله: (وفتح به الأنبياء . . .) إلى آخره.

---

(١) صحيح مسلم (ص: ٧٤/ح١٤٥).

(٢) صحيح البخاري (ص: ١٢٥٩/ح٧٣١١)، ومسلم (ص: ٧٨/ح١٥٦).

(٣) رواه ابن ماجه (ص: ٦٥١/ح٣٩٥٠)، وابن أبي عاصم (١/٤١/ح٨٢)، وصحّحه العلامة الألبانيّ.

نقد: يقال عليه: بعضه صحيح وهو: ختم الأنبياء، وبعضه لا ككونه أوّلهم نوراً إذ فيه المعلول المتقدمة والآتية.

التاسع والثلاثون: قوله: (وهو الرسول الذي شملت رسالته جميع العالمين . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: ما فيه مع تكراره.

الأربعون: قوله: (والحبيب الذي لولاه لم تكن سماء ولا أرض ولا طول . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: هذا مكرر معناه المرة بعد المرة، حيث يقول الكاتب وغيره، وهو السبب في الموجودات، وسيأتي زيادة البيان لهذا الموضوع ورده عند قول البردة[1]:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة مَن ... لولاه لم تخرج الدنيا من العدمِ

الواحد والأربعون: قوله: (كما شهدت بذلك الأحاديث والأخبار . . .) الخ.

تعقيب: تقدّم ما في تلك الأخبار من الوهن والضعف وما يقتضي الوضع، والتناقضات التي كادت أن تزيد على المائة، وإن عادوا إلى هذه الأخبار عدنا إلى إبطالها.

الثاني والأربعون: قوله: (والكشف الصحيح من البصائر والاختبار).

نقد: يقال عليه: الكشف الصحيح لا يخالف البراهين القاطعة كالقرآن والسنة، ولو صَحّ هذا الكشف لما خفي على أهله عدم صحة تلك الأخبار، ويأتي لنا عودة إلى البحث فيه عندما يذكر.

---

(١) انظر: " قصيدة البردة" (ص: ٦).

فصلٌ

ثم قال الشيخ بعدما تقدّم (والفاصلة التي يفصل بها وهي: عَطّر الله مجالسنا ...) الخ، (ثم إنّ هذا النّور الكريم، والفضل المتكثر العميم بعدما اقتبس الحق تعالى منه ما اقتبس من العوالم، وأوجد ما أراد إيجاده بواسطته من المخلوقات والمعالم، جعل الحق تعالى القبس الأخير منه في ظهر آدم عليه السلام وصلبه بإزاء فؤاده ولبه، فكان لإضاءته وشدته يلمع ويضيء كالشمس في جبهته، وكان خلف طينته على ما ذكره الشيخ محي الدين ابن العربي ونقله عنه شارح الاكتفاء بعد أن مضى من عمر الدنيا سبع عشرة ألف سنة بالوفاء، ثم إنّ ذلك النّور انتقل منه إلى أعز ولده ووصيه من بعده وهو: سيّدنا شيث عليه السلام النبي الرسول الهمام، ولما حضرت سيّدنا آدم الوفاة أوصاه فذكر الوصية التي ذكر الحجوجيّ الجارية في آبائه) إلى قوله: (وطهّر الله نسبه الشريف أُمًّا وأباً من سفاح الجاهلية ودنسهم ومذامِّهم العظيمة) غير أنّ هذا الشيخ عَلّل هذا التطهير بقوله: (لحملهم النّور المحمدي . . .)[1] الخ.

نقد: ونحن نقول عليه: أولاً: قوله: (بعدما اقتبس الحق تعالى منه . . .) الخ.

يقال عليه: هذا مناف لما دَلّت له دلائلهم كحديث عبدالرزاق وغيره، من أنّ النّور قدر مشترك بين الرسول وغيره جزء إلى أجزائه كما تقدّم ذلك، والاقتباس يدل على أنّ النّور للنبي ﷺ خاصة ثم اقتبس منه أنوار خلقت منها الأشياء، ففرق بين التجزئة والاقتباس، كما أنّ الاستعارة تفيد ما يفيده الاقتباس، ونزيد عليه بأنّ أخذها مصحوب بنية الردّ كما هو مقصد اللفظ، ففرق بينها وبين الأوّل أيضاً، وإن كان لا ردّ عندهم في الاستعارة وغيرها.

ثانياً: قوله: (جعل الحق تعالى القبس الأخير منه . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: هذا مخالف لما قدمه في الخطبة حيث قال: (من انتقل في الغرر الكريمة نوره، وأضاء الكون ميلاده . . .) الخ، من أنّ ذلك كان في جبهة آدم وغرر أبنائه لا في ظهره، كما هو مخالف لما تقدّم عن الحاتميّ أنّه كان في غرة آدم، ولما ذكر في

---

(١) انظر: "اليمن والإسعاد بمولد خير العباد" (ص: ٧-٨).

الحجوجيّ كما تقدّم عن غيره "أنّ آدم العَلَيْهِ لَمَّا نُفخ فيه الروح جعل ذلك النّور في جهته يلمع ويلوح"[١] كما هو مخالف لما ذكره الحجوجيّ عن غيره أنّه كان في ظهره ثم في جبهته ثم في أصابعه حيث كان في الجبهة ثم رد إلى ظهره حين خرج إلى الدنيا ومارس أعمالها، ووجه المخالفة بينه وبين هذا، وإن أجيب عنه بأنّه وإن كان في ظهره امتد شعاعه إلى الجبهة عدم ذكرهم ذلك بما ذكره هذا الشيخ، وعدم ذكره أنّه لَمَّا خرج إلى الدنيا رجع إلى ظهره بل صَرَّح بأنّه يضيء في جبهته.

ثالثاً: قوله: (وكان خلف طينته).

يقال عليه: تقدّم، وبالعهد بالقِدَمِ أنّ هذه الطينة لم يتضح شأنها ولا صح خبرها، وذلك أنّ المخلوق من الطين هو آدم، وما سواه من أبنائه من النُّطَف، وقد قدّمنا هذا البحث فلا نطول بذكره.

رابعاً: تقييده أخذ الطينة بمرور السبعة عشر ألف عام من عمر الدنيا، يقال عليه: من أنبأك بهذا؟ إذا كان الله أو المبين عنه، فأين ذلك النبأ أو البيان الذي لا يرد؟ وإذا أخبرك به أهل الجيولوجيا، فمن أنبأهم به؟ فليس إلا مخيلتهم والخيال لا قيمة له منكم ومنهم، كيف وقد اختلفوا في عمر الأرض التي هي مركز الدنيا وما عليها يرجع إليها، فقيل: ثلاثمائة ألف سنة، وقيل أكثر، ومن قال أنّ المراد بعمر الدنيا بدأ عمر آدم فيها لم يحققوا أيضاً حساب ذلك، وقد جاء عن بني إسرائيل (أنّ عمرها سبعة آلاف سنة، ونحن في الألف الأخيرة منها)[٢]، لأنّ ما مضى من ذلك أكثر من هذا العدد لدلائل ذكرها المؤرخون، وأهل الآثار القديمة ليس الموضوع لذكرها، كما أنّنا جاوزنا الألف السابعة على قوله إلى الثامنة، كما أنّه لم يذكروا لهذه الطينة أنّها خُلقت منها الذّات التي أخذت لها بزمان قريب أو بعيد ولا كيفية هذا الخلق فكل ما في القصة مجهول.

---

(١) سبق تخريجه (ص: ١٤٧).

(٢) رُوِيَ مرفوعاً وموقوفاً ولا يصح، بل هو موضوع من قبيل الإسرائيليات كما ذكر المؤلف هنا، فقد رواه الطبراني في "الكبير"(٨/٣٦١/ح٨١٤٦)، والحاكم (٢/٧٠٣/ح٤٢٣٠)، وأورده ابن الجوزي في "الموضوعات" (٣/٥٦١/ح١٧٩١)، وحكم عليه الألباني بالوضع في "السلسلة الضعيفة" (٨/١٠١-١٠٧/ح٣٦١١).

الخامس: قوله: (ولما حضرت سيّدنا آدم الوفاة أوصاه . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: قد كفى ما كتبناه على كلام الحجوجيّ في هذه الوصية عن أن نعيد فيها القول.

السادس: قوله: (لحملهم النّور المحمديّ . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: اختص بهذا التعليل عن الحجوجيّ وهو تعليل يقال عليه: هذه القصارة إذاً لازمة لكل صلب ورحم حمل ذلك النّور دون غيرهما، فليست بلازمة بل قد وقد، وعليه فكل أولاد سيّدنا آدم لصلبه دون شيث الحامل لذلك النّور وأولادهم إلى يوم القيامة الذين لم يحملوا ذلك النّور يمكن أن تحصل لهم تلك الطهارة أو لا تحصل، ثم هكذا يقال في أولاد شيث وأولادهم غير الحامل لذلك النّور، ثم هكذا إلى أولاد إدريس، وأولاد نوح، وأولاد إبراهيم، وإسماعيل – عليهم السلام – وهلم جرّا إلى عبدالله بن عبدالمطلب بل كل من لم يحمل ذلك النّور من غير الحاملين عرباً وعجماً يجري عليهم ذلك الإمكان إلا الأنبياء – عليهم السلام – فحاشاهم أن يولدوا من سفاح، وأن يلدوا منه مباشرة.

إضراب: بل أُمَّه عليه السلام آمنة بنت وهب . . .

(........)[1]

إلى كذا يجري في نسبها ذلك، وهكذا أولاد عبدالمطلب كحمزة والعباس – رضي الله عنهما – لانعدام تلك العلة فيهم، وهذا اللازم على تلك العلة لا هو معتقدنا بل هو الغالب في بني آدم النكاح لا السفاح، والصحيح أنّ أنكحت الكفار صحيحة، كما أنّ تلك العلة ليست بثابتة على التخفيف، وعليه فلا يمنع أن يكون بعض أجداد رسول الله غير الأنبياء – عليهم السلام – أن يقع منهم غير النكاح، نعم، إذا صح ما روي أنّ رسول الله قال: "لم أزل أُنقل من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة"[2] الحديث، انتفى ذلك عنهم، وكما يجوز أن يلد الكفار النبي عليه السلام بدليل إبراهيم عليه السلام

(١) بياض في الأصل .

(٢) سبق تخريجه (ص: ١٥٢).

وقد ولده آزر، وسيأتي ردّ شبه من خالف هذا، كذلك يجوز أن يلد ابن السفاح المؤمن ولو كان نبياً بالنكاح ولاسيما إن حسنت حاله بالإيمان أو الصلاح، وهو أحرى من الكافر إن كان مؤمناً، وسيأتي البحث في الحديث المتقدّم، وبصحته يكون ذلك مزية لرسول الله خصه الله بها، ولو كان ذلك لازماً لآباء الأنبياء – عليهم السلام – لما كان له بذكر ذلك فضيلة، ثم ذكر الشيخ أنّ نسب رسول الله إلى آدم كل أهله مؤمنون، وهم أفضل أو من أفضل أهل كل زمان إلى غير ذلك مما ذكر وأطال وأطنب، وقد تركنا ذكره هنا لنجمعه مع ما قيل فيه في همزيّة البوصيريّ وشرحها عند قولها[1].

نَسَبٌ تحسبُ العُلا بحُلاه   قلدتها نجومها الجوزاء

ثم ذكر بعد الفاصلة وهو قوله: (عطّر اللهم مجالسنا) ما نصه: (ولما قدّر الله تزوج سيّدنا عبدالله بسيّدتنا[2] آمنة العظيمة الجاه وبنى بها، وواقعها انتقل ذلك النور المكرم

---

(١) انظر: "القصيدة الهمزيّة" (ص: ٧).

(٢) ووصفه هنا أبوَي بأنهما من سَادَتِنَا، لا يصح، ولا يجوز، ولا يُسَلّم له، وذلك لأنّ أبوَي النبيّ ماتا على الكفر قبل أن يُدركا الإسلام، ووصف الكافر حينئذٍ بالسيّد لا يصح ولا ينبغي إطلاقه عليه، بل هو مخالف لما ورد من النهي عن ذلك في حق المنافق الذي أظهر الإسلام وأبطن الكفر، فكيف بالكافر الذي أظهر وأبطن الكفر، فهو داخل فيه من باب أولى؛ وإليك بيان ذلك من الأدلة الصحيحة، وأقوال أهل العلم في المسألة باختصار غير مخل:

أ- فمن الأدلة الصحيحة ما يلي:

١- روى أبو داود (ص: ٧٠١/ح٤٩٧٧)، والإمام أحمد (٣٨/٢٢-٢٣/ح٢٢٩٣٩)، والبخاري في "الأدب المفرد" (ص: ٢٧٤/ح٧٦٠)، والحاكم (٤/٤٥٣/ح٧٩٤٦)، والبيهقي في "الشعب" (٦/٥٠٩/ح٤٥٤٢): عن عبدالله بن بريدة عن أبيه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تقولوا للمنافق: سَيِّدَنا، فإنَّه إن يَكُ سَيِّدَكُم، فقد أسخطتُم ربَّكُم ﷻ"، وفي رواية: "إذا قال الرجل للمنافق: يا سَيِّد، فقد أغضب ربه تبارك وتعالى"، وصحّحه العلامة الألباني في "السلسلة الصحيحة" (١/٧١٣/ح٣٧١).

٢- وروى الإمام مسلم (ص: ١٠٧/ح٢٠٣) عن أنس ﷺ أنّ رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: "في النار" فلمَّا قَفَّى دعاه فقال: "إنَّ أبي وأباك في النار".

=

٣- وروى الإمام مسلم أيضاً (ص: ٣٩٢/ح٩٧٦) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "استأذنت ربي أن أستَغفِرَ لِأُمِّي فَلَم يَأذَن لِي، واستَأذَنتُهُ أن أَزُورَ قَبرَهَا فَأَذِنَ لِي، فزوروا القبور فإنّها تُذَكِّرُكُم الموت".

ب- ومن أقوال أهل العلم في المسألة ما يلي:

١- قال الإمام النوويّ في "شرح مسلم" (٧٩/٣)، عند حديث "إنَّ أبي وأباك في النار": (فيه أنّ من مات على الكفر فهو في النار ولا تنفعه قرابة المقربين، وفيه أنّ من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار، وليس هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة، فإنّ هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء -صلوات الله تعالى وسلامه عليهم-. وقوله ﷺ: "إنّ أبي وأباك في النار" هو من حسن العشرة للتسلية بالاشتراك في المصيبة، ومعنى "قَفَّى": وَلَّى قفاه منصرفاً).

٢- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٢٤/٤-٣٢٧) بعد سؤال له: (هل صح عن النبي ﷺ أن الله -تبارك وتعالى- أحيا له أبويه حتى أسلما على يديه ثم ماتا بعد ذلك؟

فأجاب: لم يصح ذلك عن أحد من أهل الحديث بل أهل المعرفة متفقون على أنّ ذلك كذب مختلق، وإن كان قد روى في ذلك أبو بكر - يعني الخطيب - في كتابه "السابق واللاحق" وذكره أبو القاسم السهيلي في "شرح السيرة" بإسناد فيه مجاهيل، وذكره أبو عبدالله القرطبي في "التذكرة" وأمثال هذه المواضع فلا نزاع بين أهل المعرفة أنّه من أظهر الموضوعات كذباً كما نص عليه أهل العلم، وليس ذلك في الكتب المعتمدة في الحديث لا في الصحيح، ولا في السنن، ولا في المسانيد ونحو ذلك من كتب الحديث المعروفة، ولا ذكره أهل كتب المغازي والتفسير، وإن كانوا قد يروون الضعيف مع الصحيح، لأن ظهور كذب ذلك لا يخفى على متدين، فإن مثل هذا لو وقع لكان مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله، فإنّه من أعظم الأمور خرقاً للعادة من وجهين: من جهة إحياء الموتى، ومن جهة الإيمان بعد الموت، فكان نقل مثل هذا أولى من نقل غيره، فلما لم يروه أحد من الثقات علم أنه كذب، والخطيب البغداديّ هو في كتاب "السابق واللاحق" مقصوده أن يذكر من تقدم ومن تأخر من المحدثين عن شخص واحد، سواء كان الذي يروونه صدقاً أو كذباً، وابن شاهين يروي الغث والسمين، والسهيليّ إنما ذكر ذلك بإسناد فيه مجاهيل، ثم هذا خلاف الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع).

=

إليها فحملت به ﷺ) إلى أن قال: (ونودي في الملكوت والملك الظاهر بالبشر ألا إنّه قد حملت آمنة بسيّد البشر، وأصبحت أصنام الدنيا منكوسة، وأسرة ملوك الأرض معكوسة، وكل ملك من ملوك الدنيا أصبح أخرس قد منع من النطق يومه ذلك، وحل بينه وبين ما يريده منه هنالك، ولم تبق دابة لقريش إلا نطقت تلك الليلة وقالت: حمل برسول الله وربِّ الكعبة، وهو إمام الدنيا، وفي رواية: أمان الدنيا، وسراج أهلها، وكذا لم تبق في تلك الليلة دار إلا أشرقت ولا بقعة إلا دخلها النّور وابتهجت، وفرّت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات، وكذلك أهل البحار صار يبشر بعضهم بعضاً بظهور خير أهل الأرض والسموات، واخضرت الأرض طولها والعرض، وحملت الأشجار بأنواع الفواكه والثمار، وسميت تلك السنة سنة الفتح والابتهاج لما أنّه حمل فيها بصاحب الهواء والتاج) إلى أن قال: (وأذن الله في تلك السنة للحاملات من نساء الدنيا أن يحملن ذكوراً كرامة له عند ذكرها في الصحف منشوراً) إلى أن قال: (وولد في التاسع، وقيل: عشرة أشهر وجرى عليه في "الإبريز"[(١)] نقلاً عن العارف بالله أبي فارس مولانا عبدالعزيز ﷺ) إلى أن قال: (أخرج أبو نعيم عن عمرو بن قتيبة[(٢)] قال: سمعت أبي – وكان من أوعية العلم – قال: (لما حضرت آمنة الولادة قال الله لملائكته: افتحوا أبواب السماء كلها، وأبواب الجنان، وألبست الشمس يومئذ نوراً عظيماً . . .)[(٣)]

٣- قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/٤٢) عند تفسير الآية الكريمة رقم (١١٩) من سورة البقرة: (قلت: والحديث المروي في حياة أبويه ﷺ ليس في شيءٍ من الكتب الستة ولا غيرها، وإسناده ضعيف، والله أعلم).

(١) انظر: "الإبريز من كلام سيدي عبدالعزيز" (ص: ١٦٧).

(٢) عمرو بن قتيبة هو: عمرو بن قتيبة الصوريّ الشاميّ، روى عنه النسائيّ، صدوق، من الحادية عشرة. انظر: تقريب التهذيب (ص: ٧٤٣/ترجمة: ٥١٣١).

(٣) عزاه ابن جعفر والحجوجيّ هنا لأبي نعيم وبعد البحث عنه لم أجده في كتب أبي نعيم ولا في غيرها، فلعله وهمٌ ممن عزاه أو إلصاقٌ بأبي نعيم كما أُلصق حديث جابر بن عبدالله ﷺ في خلق نور النبي ﷺ بالحافظ عبدالرزاق، وهما من وضع الصوفيّة، وذكره السيوطيّ في "الخصائص الكبرى" (١/٨٠-٨١) وعزاه لأبي نعيم، وذكره القسطلانيّ في "المواهب اللدنيّة" (١/٦٥) وعزاه لأبي نعيم أيضاً، وقال بعد أن ذكر الحديث: (وهو مطعون فيه).

الحديث. انتهى ما أردنا نقله عنه من كلامه الفاصل بينه بقوله: (عطّر اللهمَّ مجالسنا . . .) الخ[١].

نقد: ونحن نقول عليه:

أولاً: قوله: (ولما قَدّر الله تزوج سيّدنا عبدالله بسيّدتنا آمنة . . .) الخ.

تعقيب: يقال عليه: قد يكون صواب العبارة المفيد للمراد أن يقول: (ولما أنجز الله ما أراد وقدره من تَزَوّج السيدين عبدالله وآمنة انتقل ذلك النّور . . .) الخ، لأنّ التزوج ليس مجامعاً للتقدير ولا قريباً منه، ولا هو نفس التزوج كما تقتضيه عبارته.

ثانياً: ما يقال في قوله: (وواقعها) من أنّه مستغني عنه بوجهين:

الأول: قوله: (وبنى بها).

الثاني: ما يطلب من اللياقة في التعبير لاسيما في هذا المقام من ترك التصريح من استعمال الكنايات.

ثالثاً: قوله: (انتقل ذلك النّور إليها). يقال عليه: ما تقدّم.

رابعاً: قوله: (ونودي في الملكوت والملك الظاهر . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: من هذا المنادي؟ ومن هو المنادى؟ ومن المخبر بذلك؟ ومن هو المخبر إذ ذاك؟ فإن كان الله سبحانك فلا يخبر الأنبياء، والنبي ﷺ حينئذ في أوّل أطواره الرحمية بقي بينه وبين التهيؤ لإخبار الله له نحو أحد وأربعين سنة، وإن كان الملائكة فكذلك وعلى تقدير إخبارهم به لغير نبي فكيف يصدق المخبر بأنّه أخبر من قبلهم وهو إذ ذاك يعبدالأصنام غالباً، وإن كان هذا الإخبار صادراً عن الله ورسوله بعد نبوته، فأين ما يدل على صحته عنهما؟ فلو ظهر وجوده، أو قدر ثبوته ولم نعلمه فعلى الرأس والعين، ولكن ما لا نعلمه لا نقفوه، فإن قفوناه فإمّا جهلاً فداخلون في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[٢]، وإمّا عمداً ففي قوله ﷺ: "من كذب عليّ متعمداً،

---

(١) انظر: "اليمن والإسعاد بمولد خير العباد" (ص: ١٠-١٣).

(٢) سورة الإسراء، الآية (٣٦).

فليتبوأ مقعده من النار"[(١)]، كما أنّ الإخبار بما ذكر مرتّب على النداء المذكور فيحتاج إلى ثبوته بالدليل لا بمجرد الدعوى، سواء قلنا المنادي هو الله أو ملائكته، والمنادى هم أهل الملك والملكوت كما هو الظاهر من العبارة أو خاصٌ ببعضهم، وبهذا البحث نفسه يبحث في قول الحجوجيّ هنا في مولده: (ونودي في السماء وصفاحها، والأرض وبقاعها ألا إنّ النّور المكنون قد وضع الليلة في بطن آمنة المصون، كما يجري هذا البحث في قول الحجوجيّ بعد هذا، وتبرقع عرش الرحمن بالوقار، وتدرع كرسيه بالفَخَار، والجنان تزخرفت، والحور من القصور أشرفت، ونوي يا رضوان، افتح أبواب الجنان، ويا مالك أغلق أبواب النيران). انتهى.

على أنّ المناسب أن يتصف العرش كالكرسي بالفَخَار لا بالسكينة والوقار، وأخال القوم يراعون السجع أكثر مما يراعون المعنى، على أنّ المناسب أيضاً هو فتح الجنة والنار معاً، والأولى: لمن أطاع الله والرسول، والثانية: لمن عصى الله والرسول، كما هو الكائن لا إغلاق النار الموهم بأنّ أحداً لا يدخلها بوجود أو بعثة هذا الرسول[٢].

خامساً: قوله: (وأصبحت أصنام الدنيا منكوسة . . .) إلى قوله: (وحيل بينه وبين ما يريد هنالك).

نقد: يقال عليه: ما تقدّم فيما قبله من الأبحاث، ويزاد عليه ما يقال: مَن هذا الذي جَبَى أقطار الأرض كلها في صباح تلك الليلة فوجد كل أصنام الدنيا منكوسة، وأسرة ملوكها معكوسة، والسنة ملوكها بَكمى، فإن كان من قبل الله ورسوله فعلى الرأس والعين إن وجد، وإن كان بالرمي جُزافاً وبالغيب رجماً فلا سبيل إلى تسليمه.

سادساً: قوله: (ولم تبق دابّة لقريش . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: من البحث ما فيما قبله ويزاد عليه ما يقال: لم خص الدّابة هنا بقريش، وقد عَمَّمَها الحجوجيّ في دابّة الأرض مع أنّ ما للحجوجيّ أنسب، وإلا فأي فرق بين دابّة

---

(١) صحيح البخاري (ص: ٢٠٦/ح١٢٩١)، ومسلم (ص: ٨/ح٢).

٢) بل يكفي في نقد مثل هذه الأخبار أنه لا دليل عليها من الكتاب والسنة اللذيم هما طريقا معرفة الأمور الغيبية لا غير .

ودابّة، والكلّ عندهم مرسل إليه رسول الله، ومخلوق من نوره، وممده بمدده.

كما يقال: من هذا الذي لاقى كل فرد من أفراد دواب الأرض تلك الليلة وأفصحت له بما ذكر وكان يعرف لغاتها، فإن كان ذلك من عند الله فقد تقدم جوابه قبله، وإن كان من مخيلة ما لا يراقب الله أو من أبِي مُرّة أو بعض جنوده – لعنهم الله – ولا أخاله إلا منهم، اللهمّ إذا ثبت دليله ولم نقف عليه، فغفرانك اللهمّ.

سابعاً: قوله: (ولم تبق دار إلا أشرقت، ولا بقعة إلا دخلها النّور وابتهجت . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: كل ما قيل فيما قبله حكماً وعلةً، ويزاد عليه: أنّه أطلق، والحجوجيّ قيّد بالمدينة، وتقييده ضعيف لشتراك كل الدور والنواحي في العلل المتقدمة، ولأنّه لا فرق بين مكة والمدينة، إذ مكة أولى بذلك لوضع النّور بها في بطن آمنة تلك الليلة.

ثامناً: قوله: (وفرّت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات).

نقد: يقال عليه: ما تقدّم فيما قبله من الأبحاث، ويزاد عليها: أنّه لا يمكن عادة أن تجتمع وحوش المشرق والمغرب في ليلة واحدة إلا أن يريد الله، وأيّ دليل ينبئنا بأنّ الله أراد ذلك وفعله، كما أنّه إذا لم يكن المخبر بذلك هو الله سبحانه فمن ذا الذي حضر إذ ذاك مؤتمر أولئك الوحوش وسمع بشارتهم لبعضهم بعضاً، وعرف لغاتهم وأخبر بذلك، ولكن من هو المخبر من لقيه، ومن بعده إلى الآن.

تاسعاً: قوله: (وكذا أهل البحار صار يشير بعضهم لبعض بظهور خير أهل الأرض والسموات . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: ما قيل فيما قبله من الأبحاث والزيادة.

العشرون: قوله: (واخضرت الأرض طولها والعرض . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: ما قيل فيما قبله، ويزاد إنّ هذه المعجزة كما قبلها ينبغي أن تثبت بالبرهان إذ الأصقاع التي لا تنبت شيئاً والتي لا تخضر في ذلك إلا بأن يعمها اخضرت الأرض طولها والعرض، كما أن الشجر الذي لا يثمر في ذلك الوقت منها.

الواحد والعشرون: قوله: (وسميت السنة . . .) الخ.

تعقيب: يقال عليه: ليتكم بينتم من سماها بتلك التسمية؟ وفي أيّ وقت سمّيت؟ ومن شعر بعلة اخضرارها وإثمارها إذ ذاك؟ الكل مجهول، والله المستعان.

الثاني والعشرون: قوله: (وأذن الله تلك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكوراً . . .) الخ.

نقد: فيه ما في قبله من الأبحاث، ويزاد عليها أنّ راويه كما يأتي للشيخ هذا وعند الحجوجيّ، أبو نعيم الأصبهانيّ، وقد قال الحجوجيّ: (في سنده مقال)، وأبو نعيم هذا يروي الموضوعات ويسكت عليها.

الثالث والعشرون: قوله: (في التاسع، وقيل عشرة أشهر . . .) الخ.

تعقيب: يقال عليه: ما الدليل للشيخ الدّباغ على مخالفة ما قال الناس، وهي عادة الله الغالبة في وضع حمل النساء، فإن كان خبراً صحيحاً غفل عنه غيره، فينبغي بيانه منه، أو من الكاتب، وإن كان الكشف الصوفيّ فالكشف لا يُقَدَّم على المعروف، وليس من غير الأنبياء بيقينيّ، ولم تثبت حقيقة كشف الدّبّاغ إلى الوقت الذي وضع فيه رسول الله، وما ذكر عن أبي نعيم بعد، قد قدمنا القول فيه قبل هذا.

الرابع والعشرون: قوله: (السلام عليك يا من الله يعطي مَنّاً وفضلاً، وهو لوساطته العظمى القاسم . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: هذا منه تبع لمذهب القاسميّة الزاعمين أنّه عليه السلام القاسم لأمداد الخزائن الإلهية على أجناد الدوائر الملكية من الكثائف واللطائف، وسيأتي ما فيه.

الخامس والعشرون: قوله: (السلام عليك من جميع الخلائق . . .) الخ.

تعقيب: يقال عليه: صحيح إن ثبت أنّ جميع الخلائق حمّلوه تبليغ هذه الأمانة وإلا فلا، فإنّ من أكثر الخلائق ما لا روح فيه، وهذا لا يمكنه عادة التسليم، كما أن كثيراً من ذوي الأرواح لا يسلم على رسول الله، كالكفار، والدواب، وخشاش الأرض، وكثير من العقلاء لا يدرون أو لا يدر ما عندهم في ذلك، وعليه فالصواب والصدق في كل شيء. وقد قدمنا أننا ندرج في البحث مع صاحب المولد وهو الشيخ الشريف المتقدم بعض المقالات للسيّد الحجوجيّ في مولده، وقد قدمنا بعضها فلنذكر ما بقي منها المتعلق به البحث.

السادس والعشرون: ذكر الحجوجيّ عن "شرح المواهب اللدنيّة" عن العباس رضي الله عنه أنه: "لما بنى عبدالله بآمنة أحصوا مائتي امرأة من بني مخزوم، وبني عبد مناف مِتنَ ولم يتزوجن أسفاً على ما فاتهن من عبدالله، وأنّه لم تبق امرأة في قريش إلا مرضت ليلة دخل عبدالله بآمنة"[(١)]. انتهى.

تعقيب: ونحن نقول: عليه الزوج ذكراً أو أُنثى يُرغب فيه لجماله أو لماله أو لحسبه أو لدينه وعبدالله عليه السلام[(٢)] لم يثبت أنه كان أجمل قريش بحيث تفتن بحسنه النساء أكثر من غيره، كيوسف عليه السلام ولا تثبت أنّه أكثر قريشاً مالاً، ولا أنّه أفضل نسباً وحسباً من بني هاشم، ولا أنّه أكثر إيماناً وأشد تمسكاً بدين الله من قومه وعشيرته حتى يرغب فيه الراغبات لعلة أكثر من غيره، وتوصلهن تلك الرغبة إلى تلك الحالة من المرض والتبتل إلى الموت بل كان له حظه من الجمال والغنى الوسط، والنسب الذي لقومه، والدين الذي لقومه، مع مخالفة ما ذكر للعادة إذ رغبة النساء وغيرهن في صاحب هذه العلل لا تبلغ بهم وبهنّ هذه الحالة من موت العدد مع التبتل، ومرض كل نساء قريش لذلك لاسيما في قبيلة كقريش، وما أخبر الله ولا رسوله بأنّ صواحب يوسف بلغت بهنّ الفتنة منه هذا المعنى، نعم قد يقال: وهو الظاهر من إيرادهم هذا الكلام هنا إنّ سبب تلك الرغبة هو طموحهن ومحبتهن للتزوج بعبدالله ليلدن خير خلق الله، وهذا مؤذن بأنّه سيولد لعبدالله ذلك النبي الكريم، وشاع ذلك شيوعاً، وذاع ذيوعاً، ولاسيما في قريش[٣]، وكون هذا العدد من النسوة على هذه الحالة فيهم دالّ على أن ذلك الشيوع شائع في الرجال والنساء بل في الرجال بالأحرى لأنهم أولى بتلقي الأخبار والاكتراث بها،

(١) انظر: "شرح المواهب اللدنيّة" (١/١٩٣). ولم أجد له تخريج في كتب الحديث.

(٢) ذكر المؤلف هنا (عليه السلام) ولعلها سبق لسان أو قلم، وإلا فلا ينبغي أن تُطلق على كافر، وقد سبق التنبيه والإشارة على مثل هذا قريباً في (ص: ١٨٠-١٨٢).

بل تأمل قول المؤلف بعد ذلك بيسير واصفا عبد الله بأنه : (كان له حظه من الجمال والغنى الوسط، والنسب الذي لقومه، والدين الذي لقومه)

ولم تكن قريش يومئذ على دين سوى الشرك بالله وعبادة الأصنام !

٣) بل هذا كله من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى ؛ فكيف يعلم بها مشركو قريش ؟!

ولاسيما إن كانت عربية، وعليه فما بالهم بعد حصول هذا العلم لهم بهذا المصطفى الكريم تأخروا وتلكئوا عن الإيمان به حين ما أرسله الله إليهم، ولم يألف القياد إليه إلا الواحد بعد الواحد أو الجمع القليل بعده بل الراوي نفسه إن صح عنه ذلك، وإلا فالقصاص يكذبون على من شاءوا من الصحابة وغيرهم لم يُظهر إسلامه ظهوراً تاماً إلا بعدما مَرَّ من عُمُرِ النبي ﷺ نحو الستين سنة، ومن نبوته نحو العشرين، وكان من مقتضى ذلك أن يُسلم قبل ذلك إن كان من المحصِينَ وسمع ذلك منهم بقربه، وهذا الإحصاء قد يكون في زمن الواقعة وهو الظاهر من عبارة شارح "المواهب"[(١)]، وقد يكون إنما تفكر في ذلك بعد النبوة بقليل أو كثير فرووا عن الراوي ذلك بقيده المتقدم، ولو كان ذلك مروياً بطريق صحيح إلى رسول الله لما أهمله أهل الصحيح.

السابع والعشرون: هذه المناقب التي وقعت عند وضع النّور في بطن آمنة المصون، ينبغي أن تقع أحرى ولو مع غيرها عند ميلاد رسول الله، وأحرى من الأحرى المتقدم عند بعثه بالرسالة ونزول القرآن والنّور المبين عليه، لأنّ الرغبة تزيد بزيادة الفضل وتعظم بظهوره على الغير.

الثامن والعشرون: قال الحجوجيّ: (وله في كل شهر من شهور حمله الزكية نداء في الأرض، ونداء في السماء العالية أن أبشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم، والسيّد الذي أُحِلَّت له ولأمته الغنائم . . .) الخ.

تعقيب: يقال عليه: هذا زيادة منه على النداءات المتقدمة، وفيه ما فيها مع عدم ثبوت الأحاديث فيه وفيها.

التاسع والعشرون: وذكر الحجوجيّ أيضاً حديث آمنة في شأن ولادتها عن كعب الأحبار، وأبي نعيم، وفي أبي نعيم ما تقدّم، وفي كعب الأحبار ما لا يجهله عالم من التساهل في الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ورفع الإسرائيليات.

---

(١) شارح "المواهب اللدنيّة" هو: أبو عبدالله محمد بن عبدالباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقانيّ المالكيّ، المتوفى سنة (١١٢٢هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (٦/١٨٤).

الثلاثون: قد ذكر في آخر هذا الحديث: "أنها سمعت منادياً يُنادي حينما غشيتها السحابة عند ولادته، وحملته ومنادياً يُنادي طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها، وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته، ويعلمون أنّه سُمِّيَ فيها الماحي لا يبقى شيء من الشرك إلا مُحِيَ في زمانه . . ." إلى آخره[1].

تعقيب: ونحن نقول عليه: هذا الحديث تقدّم ما في رواته، وقد قال الحجوجيّ نفسه: (قد تُكُلِّمَ في سنده) أيضاً.

الواحد والثلاثون: ما يقال في قوله: "طوفوا بمحمد . . ." الخ، من أنّه قد رأى أهل المشرق والمغرب، وأهل البحار محمداً ﷺ قبل أن يراه بعض أهله وجيرانه وقبيلته.

الثاني والثلاثون: قوله: "ليعرفوه باسمه . . ." الخ.

يقال عليه: ما الفائدة في معرفتهم له؟ فإن قيل: لعموم رسالته لهم، قيل: تقدّم ما فيه.

الثالث والثلاثون: قوله: "ويعلمون أنّه سُمِّيَ فيها الماحي".

نقد: يقال عليه: ما الدليل الذي خص تسميته الماحي بأهل البحار مع أنّ رسول الله أطلقه حيث ذكر بعض أسمائه وقال فيها: "وأنا الماحي"[2].

الرابع والثلاثون: قوله: "لا يبقى شيء من الشرك إلا مُحِيَ في زمانه".

نقد: يقال عليه: ما مُحِيَ من الشرك في زمانه إلا ما كان في جزيرة العرب مع بقية منه قد محاها أصحابه، وإن كان المراد بزمانه زمان المجاهدين من أصحابه وأتباعه، فالشرك كان أكثر من الإسلام في أوائل جهادهم وفي وسطه وآخره، وحيث تقهقر الإسلام زاد الشرك على ما كان عليه حتى كان المسلم الحقيقي غريباً كما قال ﷺ: "وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء"[3].

---

(١) انظر: "المواهب اللدنيّة" (١/٦٥-٦٦). ولم أجد له تخريج في كتب الحديث.

(٢) صحيح البخاري (ص: ٥٩٤/ح٣٥٣٢)، ومسلم (ص: ١٠٣٤/ح٢٣٥٤).

(٣) سبق تخريجه (ص: ١٧٦).

الخامس والثلاثون: ذكر عن الخطيب البغداديّ . . .

(.......)[١]

وقال فيه بنفسه: (قد تُكلم في سنده) أيضاً، ما يناقض ما رواه عن أبي سعيد المتقدّم: "من أنّ سيّد الرسل لما ولد رأته أمّه مندرجاً في ثوب أبيض، وتحته حريرة خضراء" حيث قال في حديث الخطيب: "قالت: ثم انجلى عَنّي فإذا به قد قبض على حريرة خضراء"[٢]، فأخبرت في الأول: "بأنّ الحريرة تحته"، وفي الثاني بقولها: "فإذا به قد قبض على حريرة خضراء".

السادس والثلاثون: في حديث الخطيب هذا "وأعرضوه على كل ذي روحاني" زاد أي: "من فيه روح من الجن والإنس والملائكة، والطيور والوحوش . . ." الخ.

تعقيب: وفيه ما تقدّم في مثله من أبحاث المناسبة له، وجهل فائدة الإعراض على هذه الأشياء، وإن أجيب بما تقدّم أجيب به.

السابع والثلاثون: ذكر فيه أن المنادي قال للطائفين به بعد هذا العرض: وأعطوه خلق آدم، ومعرفة شيث إلى آخر ما ذكر من خصال الأنبياء ومن جملتها خُلُق آدم، وهو إن كان بضمتين فَخُلُق رسول الله الذي قال فيه الله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٣]، يغني عن طلب الزيادة فيه والاحتياج إلى غيره، وإن كان بالفتح والسكون، فآدم طوله ثلاث وستون ذراعاً، ويكفي هذا في مخالفة خلق رسول الله لخلقه إذ ليس فيه هذا

(١) بياض في الأصل .

(٢) لم أجده عند الخطيب البغداديّ، وإنما رواه الحافظ أبو نعيم في "دلائل النبوة" (٢/٦١٠-٦١٢/ ح٥٥٥)؛ وذكره الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية" (٩/٤٠٧-٤١١) وعزاه لأبي نعيم، وقال في آخره: (هكذا أورده وسكت عليه، وهو غريبٌ جدًّا)، وذكره السيوطيّ في "الخصائص الكبرى" (١/٨١-٨٣)، والقسطلانيّ في "المواهب اللدنيّة" (١/٧٩-٨٠) وعزياه أيضاً للحافظ أبي نعيم، ولم يُعَقِّبَا عليه بشيء، ويغلب عليه الوضع والكذب.

(٣) سورة القلم، الآية (٤).

القدر، ومنها: فصاحة صالح مع أنّ رسول الله قال: "أنا أفصح من نطق بالضاد"[(١)]، ومنها: حب دنيال عليه السلام[(٢)]، وقد أعطي رسول الله الخلّة التي هي أرفع أقسام المحبة.

ومنها: زهد عيسى، وعصمة يحيى، وقد اشترك كل الأنبياء في العصمة من الذنوب كما اشتركوا في الزهد، فلم يبق إلا الزهد والعصمة المختصان بعيسى ويحيى، ومعلوم أنهما لم يعطهما رسول الله، إذ رسول الله كان متزوجاً وله أولاد وله خيل ودواب إلى غير ذلك، ولم يكن لعيسى شيء من ذلك، ويحيى كان حصوراً لا يأتي النساء وكان رسول الله بخلاف ذلك.

ومنها: وقار إلياس مع أنّ وقار إلياس لا يستبدل بغيره ولا يحتاج إلى زيادة.

ومنها: صوت داود وقد كان رسول الله كالأنبياء حسن الوجه، حسن الصوت، ولكنه أخبر بقوله للقاري: "لقد أوتيت مزماراً من مزامير داود"[(٣)] أو كما قال، الدّال على اختصاص داود بزيادة في حسن صوته.

ومنها: جهاد يوشع[(٤)] والذي تدل عليه الأخبار أنّ يوشع عليه السلام لم يصل إلى جهاد رسول الله لاسيما إن روعي فيه جهاد خلفائه.

---

(١) من ناحية الرواية لا أصل له كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٢٨/١)، وأمّا من ناحية المعنى فمعناه صحيح، فرسول الله ﷺ أفصح من نطق بالضاد وباللغة العربيّة مطلقاً. وأورده الشوكانيّ في "الفوائد المجموعة" (٤١٣/٢/ح١٠٢١) وقال: (لا أصل له، ومعناه صحيح).

(٢) دنيال هو: نبيّ عليه السلام من أنبياء بني إسرائيل، ويقال: دانيال. انظر: تفسير الطبري (٣٢٢/٥)، الجواب الصحيح (١٣٨/٣)، البداية والنهاية (٣٧٥/٢).

(٣) صحيح البخاري (ص:٩٠٣/ح٥٠٤٨)، ومسلم (ص:٣٢١/ح٧٩٣).

(٤) يوشع عليه السلام هو: يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام - وهو فتى موسى عليه السلام والخليفة بعده، نبّأه الله عز وجل في زمن موسى وكان بعده نبيّاً، وهو الذي استوقف الشمس. انظر: تاريخ دمشق (٢٦٥/٧٤/ترجمة: ١٠٢١٣)، البداية والنهاية (٢٢٧/٢).

الثامن والثلاثون: قوله: (في هذا الحديث نفسه "وإذا بقائل يقول: بَخٍ بَخٍ، قبض محمد ﷺ على الدنيا كلها ولم يبق خلق من أهلها إلا دخل طائعاً في قبضته . . ."[1]) الخ.

نقد: يقال عليه: الوجود يكذبه فإنّ أكثر أهل الدنيا لم يدخلوا في قبضته مكرهين فضلاً عن طائعين لا في زمانه، ولا بعد زمانه.

التاسع والثلاثون: قال: (في هذا الحديث "عن آمنة ثم احتمله فأدخله بين أجنحته ساعة ثم رَدّه إليّ")[2]، وهو مناف لحديثيّ أبي سعيد والخطيب من أنّه نُودي أن يطاف به في مشارق الأرض ومغاربها، والبحار وعرض على الروحانيين.

الأربعون: ذكر عن الزركشيّ[3] عن ابن عباس رضي الله عنه أنّ رضوان عليه السلام[4] قال في أذنه لَمّا ولد: "أبشر يا محمد فما بقي لنبي علم إلا وقد أعطيته، فأنت أكثرهم علماً وأشجعهم قلباً"[5].

نقد: هذا الحديث ينظر فيه بأمرين:

---

(١) انظر: "المواهب اللدنيّة" (١/٦٦).
وقد قال القسطلاني بعدما روى الحديث: (وفيه نكارة).

(٢) سبق تخريجه (ص:١٩١).

(٣) الزركشيّ هو: العلامة محمد بن بهادر بن عبدالله التركيّ الأصل، بدر الدين أبو عبدالله المصريّ الزركشيّ الشافعيّ، توفي بالقاهرة في ثالث رجب سنة (٧٩٤هـ). انظر: الدرر الكامنة (٣/٣٩٧/ترجمة: ١٠٥٩)، شذرات الذهب (٨/٥٧٢-٥٧٣).

(٤) رضوان عليه السلام: لم يثبت هذا الاسم لخازن الجنة، وإنما هو مشتهر بين أهل العلم بذلك، وليس عليه دليل صحيح صريح يعتمد عليه، والله أعلم. انظر: الموضوعات (٢/٥٤٥/ح١١١٨)، الفوائد المجموعة (١/١٢٠/ح٢٥٣)، السلسلة الضعيفة (١٢/٧٩١/ح٥٨٧٠).

(٥) أورده السيوطيّ في "الخصائص الكبرى" (١/٨٤) وقال في آخره: (قال ابن دحية في التنوير: هذا حديث غريب)، والقسطلانيّ في "المواهب اللدنيّة" (١/٦٦). ولم أجد له تخريج.

الأول: الاحتياج إلى صحته وثبوته.

الثاني: لو فرضت لكان محمولاً على غير ظاهره بل على المستقبل حينما يمنحه الله الحكمة والعلم، ويرشحه للنبوة والرسالة، لا في هذا الوقت وما بعده إلا الرسالة إذ الرسول كان لا يعلم من ذلك شيئاً إلى نبوته، وسيتضح هذا بعد – إن شاء الله –.

الواحد والأربعون: وذكر عن ابن عائذ(١) أنّ أوّل ما تكلم به رسول الله حين خَرَجَ من بطن أمه: "الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً"(٢).

وفيه أبحاث:

الأول: مخالفته لما ذكر بعد عن شواهد النبوة أنّه ﷺ لما وقع على الأرض رفع رأسه وقال بلسانٍ فصيح: "لا إله إلا الله، وإني رسول الله"(٣).

الثاني: لو وقع هذا لشاع إذاً في مكة وغيرها، ولتحركت في ذلك أفكارهم ومن سمعه وتشوفت إليه، والنفوس تتشوف إلى الغريب، وكيف لا وهذا أعظم وأظهر مما وقع عند البناء بآمنة.

الثالث: الدواعي تتوفر على نقل هذا بالتواتر أو القرآن، كما نقل ذلك عن عيسى عليه السلام لا بمثل هذه الكلمات.

الرابع: كون رسول الله تكلم في المهد لم نقف إلا على نسبته للواقديّ(٤)، وهو معلوم بالأكاذيب والموضوعات، وإلا على ما نسبه إليه الحجوجيّ كما تقدّم.

---

(١) ابن عائذ هو: أبو أحمد محمد بن عائذ بن عبدالرحمن بن عبيد الله القرشيّ، ويقال: أبو عبدالله الدمشقيّ، صاحب المغازي، توفي سنة (٢٣٣هـ). انظر: تهذيب الكمال (٢٥/٤٢٧/ ترجمة: ٥٣١٧)، سير أعلام النبلاء (١١/١٠٤/ترجمة:٣٣).

(٢) انظر: "دلائل النبوة" (١/١٣٩-١٤٥)، "تاريخ دمشق" (٣/٤٧٣-٤٧٩)، "المواهب اللدنيّة" (١/٨١). ولم أجد له تخريج.

(٣) انظر: "شرح المواهب اللدنيّة" (١/٢٧٧). وهو كسابقه.

(٤) الواقديّ هو: أبو عبدالله محمد بن عمر بن واقد الواقديّ المدينيّ، صاحب المغازي، المتفق على ضعفه، قال الإمام أحمد بن حنبل: (هو كذّاب، كان يقلب الأحاديث، يلقي حديث =

الخامس: تقدّم لنا أنّ هذا الأمر تتشوف إليه النفوس، وعليه فكيف يضرب عليه السلام ويحصر التكلم في المهد في ثلاث بقوله: "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة"(١)، مع أنّ تكلمه أحرى بأن يكون المقدّم عليها فضلاً أن يذكر بينها، وحتى لو سلّمنا أن الحصر وقع لعلة إضافية لكان ذكر تكلمه أولى بأن يستدرك من طفل صاحبة الأخدود ولا يترك ذكره لمثل الواقديّ، وابن عائذ.

وأقول: وما تركناه مما نقله الحجوجيّ وغيره هنا، يقال عليه: ما صَحّ دليله فيها ونعمت، وما لم يصح ففي عهدة ناقله والقائل به.

فصلٌ: فيما بقي من كلام الشيخ ابن جعفر، وجعلنا له فصلاً دفعاً لطول الكلام بإدراجه في الأول، وعليه فلننقلب إلى تتمة ما قاله الشيخ الشريف – رحمه الله – في مولده بعدما تقدّم.

فنقول: قال – رحمه الله – بعد الفاصلة وهي: (عطّر اللهمّ مجالسنا بطيب ذكره وثناه . . .) الخ.

(ثُم ليلتا المولد الشريف المكرم، والمعراج النبوي المعظم، يظهر أنهما خير ليالي الدنيا بلا تردد ولا ثنيا، لما ظهر ووجد فيهما مما لم يكن ظهوره ولا وجوده في غيرهما، وكذا اليوم الذي يسفر أنّ عنه أفضل الأيام، كما ينبغي الجزم به في هذا المقام، وإذا كان هكذا فهما جديران باتخاذ أمثالهما من بعدهما عيداً من الأعياد، وموسماً من مواسم الخير والاجتهاد، فتحترم وتعظم، ويتلى فيها كتاب الله المعظم، ويعمل في محجة ما يدل على الفرح والسرور بفضيلتها، والشكر له تعالى على ما أنعم به في نظيرتها، وأول مبدئيتها مما لا ينكره شرع، ولا يستوحه قبل فاعله زجر ولا ردع، إلى أن قال عن الشيخ سيدي

ابن أخي الزهري على معمر، ونحو ذا)، توفي في ذي الحجة سنة (٢٠٧هـ). انظر: "تهذيب الكمال" (٢٦/١٨٠/ ترجمة: ٥٥٠١)، "سير أعلام النبلاء"(٩/٤٥٤/ترجمة: ١٧٢)، "تهذيب التهذيب" (٥/٧٦٢/ ترجمة: ٧٣٠٩).

(١) صحيح البخاري (ص:٥٧٩/ح٣٤٣٦)، ومسلم (ص:١١١٨/ح٢٥٥٠).

حمدون عن الشاميّ[١] في سيرته أنّ بعض المشايخ رأى النبي ﷺ قال: فذكرت له ما يقول الفقهاء في عمل الولائم في المولد فقال رسول الله ﷺ: "من فرح بنا فرحنا به"[٢][٣]، ثُم ذكر ما يؤيد ذلك وهو ما أخرجه الديلميّ عن جابر بن عبدالله ﷺ مرفوعاً: "أنا أشرف الناس حسباً ولا فخر، وأكرم الناس قدراً ولا فخر، أيّها الناس من أتانا أتيناه، ومن أكرمنا أكرمناه، ومن كاتبنا كاتبناه، ومن شيّع موتانا شيّعناه، ومن قام بحقنا قمنا بحقه ..." الحديث[٤]، ولاشك أنّ مجازات النبي ﷺ لمن عامله بشيء تكون أفضل من عمله) إلى أن قال: (فكيف بسيّد ملوك الدنيا والآخرة، وبمن مفاتح الخزائن الإلهية كلها في يده، ينفق منها حيث يشاء، وكيف شاء بدء أمره وآخره[٥]، وقد أكثر الناس من الكلام على عمل المواليد على ما جرت به العوائد، وقياده بما لا ينكر شرعاً، ولا طبعاً، ولا يخرج المروءة) قال في خاتمته: (وانحط كلام المحققين والأكابر من أهل الباطن والظاهر على أنه لا بأس بذلك، وأنه يرجى لفاعله بفعله ونيته الثواب الجزيل) إلى أن قال: (وما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ولا يقال فيه إنّه بدعة مكروهة أو مستحسنة، وإذا أدركت رحمة الله كافراً قطع عمره في عداوته، وفعل ما بلغ إليه جهده من إذايته، وهو أبو لهب فإنّه أخبر أخاه سيّدنا العباس في المنام: "أنّه يخفف عنه العذاب في كل

(١) الشاميّ هو: شمس الدين محمد بن يوسف بن عليّ بن يوسف الشاميّ الصالحيّ الدمشقيّ، من تلاميذ الحافظ السيوطيّ، صاحب السيرة الشاميّة المعروفة بـ"سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد"، مطبوع، توفي سنة (٩٤٢هـ). انظر: شذرات الذهب (٣٥٣/١٠)، الأعلام، للزركلي (١٥٥/٧).

(٢) لم أجد له تخريج في كتب الحديث.

(٣) انظر: "سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد" (٤٤١/١). وقد تقدّم الكلام على الرؤى والمنامات، وأنه لا يثبت بها حكم شرعي، ولا يعوّل عليها ولا عبرة بها، في (ص:١٦١).

(٤) انظر: "مسند الفردوس" (٤٥/١/ح١١١)، وقد تفرد به الديلميّ، وما تفرد به فهو ضعيف أو موضوع كما هو مشهور عند أهل العلم.

(٥) هذا من الغلو الفاحش في وصف رسول الله ﷺ .

ليلة الاثنين بالتمام لإعتاقه لِثُوَيبَة[١] أمته لما بشرته بولادته"[٢] فما ظنّك بمؤمن صدّقه في مقالته، ولبّاه في دعوته، وفعل ما بلغ إليه جهده في محبته، وما ينبغي أن يفعل فرحاً بمجادته)[٣].

ثم ذكر ما أخرجه أبو نعيم عن وهب بن منبّه[٤]: (أنّ رجلاً من بني إسرائيل ما ترك شاذة ولا جادة، فمات فألقوه على مزبلة، فأوحى الله إلى موسى أَنِ اخرُج فَصَلِّ عليه، فقال: موسى يا ربّ، إنّه عصاك مائتي سنة، فأوحى الله إليه: إنّه كان كلما نَشَرَ التوراة ورأى فيها اسم محمد قَبَّلَهُ ووضعه بين عينيه، فشكرتُ ذلك له، وغفرتُ له، وَزَوَّجتُه سبعين حوراء)[٥].

---

(١) ثويبة هي: ثويبة الأسلميّة مولاة أبي لهب، أرضعت النبي ﷺ واختلف في إسلامها، ذكرها ابن مندة وأبو نعيم، وقال أبو نعيم: لا أعلم أحداً أثبت إسلامها غير المتأخِّر يعني: ابن منده، وفي باب من أرضع النبي ﷺ من طبقات ابن سعد ما يدل على أنها لم تُسلم، ولكن لا يدفع قول ابن منده بهذا، توفيت سنة (٧هـ). انظر: معرفة الصحابة (٣٢٨٤/٦)، أسد الغابة (٤٧/٧)، الإصابة (٣٦/٨/ ترجمة:٢١٢).

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، وإنما روى البخاريّ (ص: ٩١٢/ح٥١٠١) حديثاً قريباً معناه من هذا الحديث ولكن ليس فيه تخفيف العذاب عن أبي لهب في كلّ ليلة الاثنين، ولفظه قال البخاريّ: قال عروة: "وثويبة مولاةٌ لأبي لهب، وكان أبو لهب أعتقها فأرضعت النبي ﷺ فلما مات أبو لهب أُرِيَهُ بعض أهله بِشَرِّ حِيبَةٍ، قال له: ماذا لقيت؟ قال أبو لهب: لم أَلقَ بَعدَكُم غير أنّي سُقيتُ في هذه بِعَتاقَتِي ثُويبة".

(٣) انظر: "اليمن والإسعاد بمولد خير العباد" (ص: ١٦-١٨).

(٤) وهب بن منبّه هو: وهب بن منبّه بن كامل بن سيج بن ذي كبار، العلامة، الأخباريّ، القصصيّ، أبو عبدالله الأبناويّ اليمانيّ الذِّماريّ الصنعانيّ، أخو: همام بن منبّه، كان كثير العلم بالإسرائيليات، وصحائف أهل الكتاب، قال الإمام أحمد: (كان من أبناء فارس له شرف)، توفي سنة (١١٠هـ) وقيل غير ذلك. انظر: تهذيب الكمال (١٤٠/٣١/ترجمة: ٦٧٦٧)، سير أعلام النبلاء (٥٤٤/٤/ ترجمة:٢١٩).

(٥) انظر: "حلية الأولياء" (٤٢/٤)، وهي من القصص والروايات الإسرائيليّة.

قال الشيخ: (وقد أورد هذا السيوطيّ في "خصائصه الكبرى"[(١)]، والسخاويّ في "القول البديع"[(٢)]، والحلبيّ[(٣)] في "السيرة"[(٤)]، وسيدي ابن عبّاد في "رسائله الكبرى"[(٥)] وغيرهم، فانظر إلى هذا القدر العظيم الراضي الذي انسحب على هذا الرجل العاصي حتى انمحت أوزاره، وتحولت من الشقاوة إلى السعادة داره، بتقبيله للاسم الكريم العظيم الذي وضعه على عينيه للمحبة التي انطوت فيه والتعظيم، وصلاته عليه محبة، وبمضي عمره كله في طاعته وفي الإكثار من الصلاة والتسليم عليه، وإكرام قرابته وذويه، وكل من هو منه وإليه)، وقد ذكر بعد هذا شيوخاً استحسنوا عمل المولد وجعلوه من البدع الحسنة وأسماؤهم مذكورة في مولده اختصرنا ذكرها، إلى أن قال: (وزعم التاج الفاكهانيّ[(٦)] من أصحابنا المالكية أنّ عمله بدعة مذمومة دنيئة، قال في شرح "المواهب اللدنيّة" وتكفّل السيوطيّ برد ما استند إليه حرفاً حرفاً، زاده الله عنايةً ولطفاً)[(٧)][(٨)]. انتهى.

نقد: ونحن نقول عليه بتوفيق الله:

---

(١) انظر: "الخصائص الكبرى" (١/٥٠).

(٢) انظر: "القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع" (ص:١٧٤).

(٣) الحلبيّ هو: علي بن إبراهيم بن أحمد بن علي بن عمر نور الدين بن برهان الدين الحلبيّ القاهريّ الشافعيّ، أبو الفرج الصوفيّ، صاحب "إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون" المعروف بـ"السيرة الحلبية" مطبوع، توفي بالقاهرة في شهر شعبان سنة (١٠٤٤هـ). انظر: شذرات الذهب (١/٨٠/ ترجمة: ٤٥)، الأعلام، للزركلي (٤/٢٥١).

(٤) انظر: السيرة الحلبيّة "إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون" (١/١٢٣).

(٥) انظر: "الرسائل الكبرى" (ص:١٨٨).

(٦) التاج الفاكهانيّ هو: تاج الدين أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخميّ الإسكندريّ المالكيّ، المعروف بابن الفاكهانيّ، كان شيخاً فقيهاً مالكياً نحوياً، له ديانة وتصوّن ومصنفات، توفي سنة (٧٣١هـ). انظر: الدرر الكامنة (٣/١٧٨/ترجمة: ٤١٨)، شذرات الذهب (٨/١٦٩).

(٧) انظر: "شرح المواهب اللدنيّة" (١/٢٦٢).

(٨) انظر: "اليمن والإسعاد بمولد خير العباد" (ص: ١٨-٢٠).

أولاً: قوله: (يظهر أنهما خير ليالي الدنيا . . .) الخ.

يقال عليه: كان الناس في أخذ ورد في شأن ليلة المولد فإذا بالشيخ أضاف إليها ليلة المعراج، والغالب أن يكون له فيها تبع، وإذا فُتِحَ الباب ولم يكن به بوّاب ولا حجاب الحق بذلك النيروز[1]، وكل ما أحدثه مفتر كذّاب كَزَمَانِنَا هذا فقد اتسع الخرق على الراقع، وتأخر فيه الشريف وتقدّم الوضيع، فإنّا لله الذي كلنا إليه راجعون.

ثانياً: قوله: (يظهر أنهما خير ليالي الدنيا).

يقال عليه: من أين جاء هذا الظهور لخيرهما على غيرهما؟ فإن كان الدليل الذي لا يُرَدّ، فماله ترك مداده في الدَّوَاة[2]، وإن كان بما علله به بقوله: (لما ظهر ووجد فيهما مما لم يكن ظهوره ولا وجوده في غيرهما).

فيقال عليه: الظهور في ليلة المولد وفي المعراج البدن الساري في الملكوت الأعلى، وهذا الظهور ليس خاصاً بهاتين الليلتين وبيوميهما بل ظهر عليه السلام الظهور الأول: وهو في بطن أمه وقد تقدّم عندهم ما يدل على أن ما وقع في هذا الظهور من خوارق العادات، وحركة أهل الأرض والسموات ربما لم يقع في غيره.

ثم ظهر الظهور الثالث: وهو اصطفاؤه للرسالة من الله، وقد تحركت لهذا الظهور الأفكار، ونزل لأجله ملائكة السماء، وكلام الله الذي: ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ ﴾[3]، إلى غير ذلك مما هو معلوم عند أهل السماء والأرض، وعند من أُرسل إليهم من الثقلين، ثم ظهر عليه السلام.

---

(١) النيروز ونورز: دخل في النوروز، واحتفل بعيد النوروز، وفلاناً أهداه هدايا النوروز، النوروز أو النيروز بالفارسية: اليوم الجديد وهو أوّل يوم من أيام السنة الشمسية الإيرانية، ويوافق اليوم الحادي والعشرين من شهر مارس من السنة الميلادية، وعيد النوروز أو النيروز أكبر الأعياد القوميّة للفرس. انظر: المعجم الوسيط (ص: ٩٦٢).

(٢) الدَّوَاةُ: بالفتح المَحبَرَة، وجمع الدَّوَاةِ دُوِيٌّ. انظر: لسان العرب (١٤٦٥/٢).

(٣) سورة فصلت، الآية (٤٢).

الظهور الرابع: وهو ما تقدّم من إسرائه.

ثم ظهر الظهور الخامس: وهو الهجرة إلى المدينة ورفع السيف إلى نصرة دين الله، حتى دخل الناس إلى دين الله أفواجاً، وانتشر دينه ونوره من مشارق الأرض إلى مغاربها، ومن وسطها إلى جنوبها وشمالها، طوعاً وكرهاً، ورضوخاً وعلماً، ثم ظهر عليه السلام.

الظهور السادس: حيث انتقل إلى الفردوس الدار العالية، المنازل السنية التي يُرى فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

والثاني: هو الولادة كما تقدّم، وعليه فكيف تختص هاتان الليلتان بالأخيريّة على غيرهما من هذه الأيام والليالي، والعلة مشتركة بين الجميع بل أحرى في غيرهما.

ثالثا: ما يقال: هذا منه وممن وافقه عليه خلاف نظر القرآن في ليلة القدر، ونص الحديث الصحيح في أنّ أفضل الأيام العشر الأوائل من ذي الحجة كما روى البخاريّ في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله قال: "ما العمل في أيام أفضل منه في هذه قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله يا رسول الله قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء"[(١)]، وللحديث الصحيح في عاشوراء وعرفة[(٢)]، حيث قال عليه السلام: "أمّا يوم ...".

(.......)[(٣)]

ولو سلمت الخيرة فيهما مماثلة لما ذكرنا أو زائدة أو ناقصة لما لزم بل ولا جاز أن يتخذوهما عيداً مادام لم يدل له دليل صحيح من الشرع، وقد تقدّم ما في ليلة القدر، والتسع الأول من ذي الحجة، وعاشوراء، وعرفة، ومع ذلك لم تتخذ أيامها عيداً لكل مسلم، وعرفة إنما يجتمع فيها لأداء فريضة الحج المشترط فيه الوقوف بها.

---

(١) صحيح البخاري (ص: ١٥٦/ح٩٦٩).

(٢) صحيح مسلم (ص: ٤٧٦-٤٧٧/ح١١٦٢)، بلفظ: سئل عن صوم يوم عرفة، فقال: "يُكَفِّر السنة الماضية والباقية"، وسئل عن صوم يوم عاشوراء، فقال: "يُكَفِّر السنة الماضية".

(٣) بياض في الأصل .

رابعاً: ما يقال قلتم: (إنهما جديران باتخاذ يوميهما عيداً أو . . .) ولكني أراكم اتخذتم يوم الميلاد عيداً وأهملتم يوم المعراج فلم تتخذوه عيداً كذلك.

خامساً: قوله: (والشكر له تعالى على ما أنعم به في نظيرتها . . .) الخ.

يقال عليه: الذي أنعم به عليه في يوم نبوته، واصطفاه رسولاً لخلقه أعظم من نعمة الميلاد، إذ بالأوصاف يعظم الشأن وتكتسب المعالي لا بالميلاد، إذ الكل ممن تعالت أوصافه، وتقدمت أحواله وأعماله أفضل من غيره ولو لم يولد، وليس كل من ولد يستحق ذلك التعظيم وتلك الأفضلية سواء تكاملت أوصافه وأعماله أو تناقصت أو تباعدت من حيز الكمال فالمدار على الأوصاف لا على غيرها، فمن هؤلاء رسول الله وقد ولد من أبوين، ومنهم عادم الولادة للأب دون الأم كعيسى عليه السلام، ومنهم عادم الولادة للأبوين كآدم عليه السلام، ومن هذا القبيل الملائكة وأهل الجنة، وأكثر الثقلين كالحيوان ولدوا ولا مزية لهم حيث عدموا تلك الصفات، وهكذا يقال في الزمان فإنه لا يستقل بتشريف من ولد فيه إذا كان فاضلاً، فكم من كافر ولد في رمضان وفي الأيام الفاضلة أو فاجر ولم يساوي من ولد في جمادى الأولى أو الثانية وهو كامل الأوصاف المتقدّمة وكهذا يقال في المكان، فقد ولد أكثر الأنبياء في غير مكة وبيت القدس وهم أفضل ممن ولد في مكة سوى رسول الله وكانت الأبوّة والولديّة والزوجيّة لا تفيد ما تفيده أوصاف الكمال من الفضل، فقد ولد لآزر إبراهيم عليه السلام ولم ينفعه لتجرده عن أوصاف الكمال، كما كان لنوح ابن مجرد عنها فلم تنفعه أُبوته، وكان نوح ولوط -عليهم السلام- زوجين لامرأتين كافرتين فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً، وكانت آسية زوجاً لفرعون فلم تغن عنه من الله شيئاً، وبالجملة فالمدار على الصفات لا على الذوات ولا على غيرها كما تقدّم، فلولا صفات الكمال لما كان لأبدان الأنبياء والعلماء وغيرهم شأن يعتبر بل الرفعة والعزة في الدنيا والآخرة إنما تكون بتلك الصفات، أمّا في الآخرة فبالعلم والعمل به، وأمّا في الدنيا فبهما، أو بكرم، أو غنى، أو شجاعة، أو إمارة، أو جاه، أو جبروت، أو جمال مفرط، وأمثال ذلك لا بما تقدّم ويشمله غير الصفات المذكورة إذا كان مجرد الولادة لرسول الله كمجرد إسرائه به إلى السماء جدير بهذا التعظيم فما أجدر رسالته وهدايته، و، و به، واليوم تابع لما يقع فيه، وكاد المكان والذات والتابع للمعظم بِعِظَم تعظيم تبعية بقدر ذلك المعظم والتابع للأعظم كذلك،

وغير صفات الكمال مثل ما قدمنا لا تشرف المنسوب إليها كتشريف الصفات المتقدمة، وإنما تزيد الجميل بعض الجمال كالكسوة الجميلة للجميل، والرائحة الطيبة للطاهر، وكالأعمال الصالحة في الأزمنة والأمكنة الفاضلة، وعليه فيوم نبوة رسول الله وبعثه إلى الخلائق أولى بهذا التعظيم على زعمكم، وإلا فالتعظيم هو ما كان عليه رسول الله أو أُمِرَ به.

سادساً: ما يقال لهؤلاء السادات هذه الجدارة جدارة بالتعظيم لهاتين الليلتين ويومهما، لِمَ أهمل شأنها رسول الله وأصحابه وأهل القرون الخيّرة، وأعلم الأمة المقتدى بهم والمقتفى أثرهم، والمقلدة مذاهبهم والمتبعة آراءهم؟ ولم يتفطنوا لها فتوى ولا عملاً وفتح الله عليكم بهذا النوع من الإلهام والتشريع والعمل، ولعل الجواب ما اعتمدتم عليه من بعض الدلائل المتقدّمة التي لا تسمن ولا تغني من الجوع بل تهزل وتجوع وحينئذ تُسألون بـ لِمَ لَمَ يعتمد عليها من نسبتموها إليه ويعمل بها؟ وهم لا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم.

سابعاً: قوله: (مما لا ينكره شرع . . .) الخ.

يقال عليه: هي لا تخلو كما لا ينكره شرع غالباً في الأزمنة الغابرة فضلاً عن أزمنتنا والحكم للغالب على أنها لو فرضت كلها خالية من الشرور والاختلاط بها، كما هو الواقع الآن وقبله.

ثامناً: ما نقله عن سيرة الحلبيّ (من أن بعض المشايخ سأل النبي ﷺ).

يقال عليه: الرؤية ليست بحجة لاسيما إذا خالفت اليقظة، وقد تقدّم أنه ليس كل من قال رأيت رسول الله مُصَدَّقاً، كما أن قوله في القصة "من فرح بنا فرحنا به"[1]، يكون دليلاً لما زعموه إذا ثبت أن ما يُفعل في المولد فَرَحٌ برسول الله وهو غير مسلم.

تاسعاً: قوله: (ثم ذكر ما يؤيد ذلك . . .) الخ.

يقال عليه: التأييد بهذا الحديث لا يظهر لوجهين:

---

(١) سبق تخريجه (ص: ١٩٤).

الأول: أنه حديثٌ رواه الديلميّ، وهو يروي الموضوعات ويسكت عليها بل ويستدل بها كما قال الحفاظ.

الثاني: لم يتعرض فيه لذكر الفرح المؤيد لما قبله من رؤيا ولا ذكر ما يدل على حسن ما يفعل في المواليد، وإنما ذكر فيه ما ترى من أن رسول الله يجازي الحسنة بالحسنة مع أنه كان يجزي السيئة بالحسنة، ويعفو ويصفح، ويفعل الخير والمعروف مع من لم يفعله معه.

عاشراً: قوله: (ولاشك أن مجازات النبي ﷺ لمن عامله بشيء تكون أفضل ...) الخ.

يقال عليه: مسلم ولكن إذا كان العمل يرضاه الله ورسوله، وهذا العمل لم يتفق الناس على أنه كذلك بل أرجح الدلائل والأكثر من أهل العلم على خلافه.

الحادي عشر: قوله: (وبمن مفاتح الخزائن الإلهية كلها في يده، ينفق منها حيث يشاء وكيف شاء، بدء أمره وآخره ...) الخ.

يقال عليه: خاصم هؤلاء القرآن قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾[٤]، إلى غير ذلك، وهو يدل على أنّ الخزائن لله لا لغيره، وعنده لا عند غيره، ولا يعلمها إلا هو، والإنفاق من الخزائن فرع عن علمها وعلم ما تنفق عليه، وذلك مؤذن بالإحاطة بالعلم وليست لأحد في بعض الأشياء فضلاً عن جامعها، وإنما هي لله وحده، وفي البخاريّ عن رسول الله أنه قال: "يد الله ملأى لا يَغيضُها نفقةٌ، سَحَّاءُ الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، وكان عرشه على الماء، وبيده الميزان يَخفضُ

(١) سورة المنافقون، الآية (٧).

(٢) سورة الحجر، الآية (٢١).

(٣) سورة الأنعام، الآية (٥٩).

(٤) سورة المائدة، الآية (٦٤).

ويَرفعُ"[١]، وأجمع من يعتد بإجماعه على أنّ الله هو المنفق لخزائنه بلا واسطة أو بواسطة بعض خلقه لخلقه، ولم يجعل ذلك كله لأحد من خلقه ينفقه حيث شاء وكيف شاء.

الثاني عشر: قوله: (وقد أكثر الناس من الكلام على عمل المواليد . . .) الخ.

يقال عليه: هذا الخلاف مما يقتضي كل مسألة عندهم ليست بمتفق على جوازها فضلاً عن مندوبيتها، وتأتي زيادة على هذا.

الثالث عشر: تقييدهم عمل هذه المواليد بخلوها عما ينكر شرعاً، ويخرم المروءة متفق عليه، ولكنه في الواقع لا تخلو منه إلا نادراً، ولا حكم للنادر، وقد تقدّم ما في فرضها أو بعضها خالية عن ذلك.

الرابع عشر: قوله: (وانحط كلام المحققين والأكابر من أهل الباطن . . .) الخ.

يقال عليه: كون هؤلاء هم المحققون في عهدة قاله بل لو أنصف الناس لاستراح القاضي، ومن الإنصاف هنا أن ينصف غير هؤلاء بالتحقيق.

الخامس عشر: قوله: (وما رآه المسلمون حسناً . . .) الخ.

يقال عليه: أي ما أجمع عليه المسلمون أو لم يجمعوا، ولكن جمهورهم راجح الدليل، وهنا لا إجماع ولا جمهورية مع الرجحان، بل الآخر مع انتفاء الدليل أو رجحانه.

السادس عشر: قياسه ما يفعل في المواليد من حيث الإثابة عليه من الله، قياساً أوّلويّاً من قصة أبي لهب حين أخبر أخاه العباس ﷺ في المنام بعد موته: "أنّه يخفف عنه العذاب في كل ليلة الاثنين لإعتاقه ثويبة أمته لما بشرته بولادته"[٢]، إلى قوله: (أن يفعل فرحاً بمجادته).

يقال عليه: ما حكي عن أبي لهب لا تثبت به الحجة، لأنَّ في المنام ما فيه، وإن كان مع أفضل من أبي لهب وما وقفنا إلا على الحكاية المناسبة أو على لفظ بعضهم وصحّ عن أبي لهب أو عن العباس.

---

(١) صحيح البخاري (ص: ٨٠٦/ح٤٦٨٤).

(٢) سبق تخريجه (ص: ١٩٥).

السابع عشر: هذا القياس لا يصح لأن ما وقع من أبي لهب قربة لأهله وأبيه، إذ لا قربة لله لأنّه كافر إذ ذاك، ولا لرسول الله لأنّه ليس برسول إذ ذاك، ولا له يقين بأنّه سيكون رسولاً، وما يُفعل في المواليد عندكم قربة لله ولرسوله، والطاعة لله لا تقاس على غيرها، وعند من يقول إنّها ليست بقربة بل يقول لا فائدة لقياسها بها إلا الإشتراك في الثواب، ولا ثواب في هذه ولا في هذه.

الثامن عشر: إذا سلمنا هذه الحكاية، وسلمنا أنّه أُثيب عليها بتخفيف العذاب ليلة الاثنين، لكن فرق بَيِّن بينهما بأنّ هذا كافر عمل خيراً متفق على خيريته فأثابه الله بما شاء، والأكثر أن يثيب الله الكافر على فعل الخير في الدنيا نعمة عليه أو دفع نقمة عنه في مقابلها، وقد يؤخر الله له ذلك إلى الآخرة، وإن كان معذباً على كفره دائماً كالتخفيف من العذاب عن أبي طالب كما جاء في الصحيح[1]، وإنّ عمل المولد ليس بقربة فافترقا، وليس عند من قال بالقربة دليل غالب.

التاسع عشر: إذا كانت قصة أبي لهب هذه صحيحة، فَلِمَ لم تُروى بالتواتر؟ وبالأقل بالخبر الصحيح عن رسول الله عمن رآه مسلماً من قبل الرسول، كما أخبر بذلك في الصحيح عن عمه أبي طالب بأنّ شفاعته تنفعه بتخفيف العذاب عنه.

العشرون: (ما أخرجه عن أبي نعيم عن وهب بن منبّه . . .) الخ.

أبو نعيم تقدّم ما فيه، ووهب بن منبّه يخبر بالعجائب والموضوعات، وأكثرها من الإسرائيليات وربما نسب رفعها إلى رسول الله.

الواحد والعشرون: إذا كانت قصة هذا الإسرائيلي صحيحة[2] فحقها أن تُروى بالتواتر، والأقل بالأخبار الصحيحة، وشيء من ذلك لم يكن.

الثاني والعشرون: لو كان ذلك صحيحاً لكان القياس عليه الأحرى أن يغفر الله لمن لم يترك شاذة ولا جادة من الأمة المحمدية، ويزوجه سبعين حوراً بتقبيل اسم رسول

---

(١) صحيح البخاري (ص:٦٥٢/ح٣٨٨٥)، ومسلم (ص:١١٠/ح٢١٠) بلفظ: "لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فَيُجعل في ضحضاح من نارٍ يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه".

(٢) سبق تخريجها (ص: ١٩٦).

الله، ووضعه على عينيه مهما رآه في المصحف الكريم، كما يكون بالأولى تقبيل جسد رسول الله، بل أولى من الكل تقبيل اسم الله في التوراة والقرآن وغيرهما كذلك وأحرى، وشيء من ذلك لم يثبت.

الثالث والعشرون: إذا سلمنا ذلك كله كان ذلك من الله توجهاً بخصوص ذلك العبد برحمته، كما كان ذلك منه في الذي "رأى كلباً يأكل الثرى من العطش، فأخذ خُفَّهُ فجعل يغرف له به الماء حتى أرواه، فَشَكَرَ الله له ذلك فأدخله الجنّة"[(١)]، وذلك نادر وليس بكليّة مطردة ولا حكم للنادر، وعليه فلا قياس على النادر مع أن هذين فَعَلا قربة بالاتفاق، ومسألتكم مختلف فيها، والراجح أنّها ليست بقربة.

الرابع والعشرون: والشيوخ الذين ذكر أنهم استحبوا المولد وألّفوا فيه ظاهر أنهم من المتساهلين في تمييز الصحيح من غيره، والقوي من الضعيف، وقد ذكر منهم ابن عَبَّاد ووصفه بأنّه العارف وابن العارف الأكبر، ولكن نحن لا ننكر معرفته وعرفان غيره، ولكن ذلك لا يعصمهم من الخطأ وتسليم الخطأ خطأ، وإليك بعض ذلك الخطأ المسلّم منه، فقد نقل في "شرح الحِكَم العطائية" عند قولها: (من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل) بعد كلام منه قوّى به ما بعده عن "شارح المجالس" ما نصه: (العارفون قائمون بالله، قد تولى الله أمرهم فإذا ظهرت منهم طاعة لم يرجو عليها ثواباً، لأنهم لم يروا أنفسهم عُمَّالاً لها، وإن ظهرت منهم زلة فالديّة على القاتل لم يشاهدوا غيره في الشدة والرخاء . . . إلى آخر كلامه، ثم نقل عن ابن عبدالرحمن السّلميّ، وأبي نعيم الأصبهانيّ عن يوسف بن الحسين الرازيّ[(٢)] قال: عارضني بعض الناس في كلام وقال لي: لا تستدرك مرادك من عملك إلا أن تتوب، فقلت مجيباً: لو أن التوبة تطرق بابي ما أذنت لها على أني أنجو بها من ربي، ولو أن الصدق والإخلاص كانا عبدين لي لبعتهما زهداً مني فيهما، لأني إن كنت عند الله في علم الغيب سعيداً مقبولاً لم أتخلف باقتراف الذنوب والمآثم، وإن كنت عنده شقياً مخذولاً لم تسعدني توبتي

---

(١) صحيح البخاري (ص: ٣٤/ح١٧٣)، ومسلم (ص: ٩٩٦/ح٢٢٤٤).

(٢) يوسف بن الحسين الرازيّ هو: يوسف بن الحسين بن علي أبو يعقوب الرازيّ، شيخ الصوفيّة، توفي سنة (٣٠٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/٢٤٨/ترجمة: ١٥٣).

وإخلاصي وصدقي . . .) إلى آخر كلامه الذي لا يخالف أوّله[١]، ثم بعد هذا هدّد ابن عَبَّاد من أنكر هذا أو نسبه لنفسه قبل أن يصل إلى مقامه[٢]، فهذه نبذة من عرفان سَيِّدَي العارفين عند هذا الشيخ وغيره، واختصرنا ذلك هنا، وقد رددنا هذا بأبسط رَدٍّ وأوضح بحث عليه وعلى أصحابنا في كتابنا المسمّى "توفيق الله في الرد على حِكَمِ ابن عطاءِ الله"[٣].

الخامس والعشرون: قوله: (وزعم التاج الفاكهانيّ).

هذا ستقف عليه عندما ينقله السيوطيّ وغيره ويبحث فيه ونبحث معه، وترى ما حكاه في شرح "المواهب" من رَدّ السيوطيّ حرفاً حرفاً، ويا ليت شارح "المواهب" دعا بالخير لِكُلٍّ من الراد والمردود إذ الغاية ما يكون في جانب المردود عليه الخطأ في الاجتهاد، وللمجتهد المصيب أجران وللمخطأ أجر، ولكنّ التَّعصب يُعمي ويُصم.

السادس والعشرون: ما ذكره ابن حجر، والسيوطيّ خَرَّجَا عمل المولد على أصلين ثابتين إلى آخره.

تعقيب: يقال عليه: سيأتي البحث في ذلك حينما يكتب كلامهما وتخريجهما في جملة ما أنكره السيوطيّ في كتابه في ذلك وهو "حسن المقصد في عمل المولد" ونحن الآن نشرع في كتابته ونختم به الاعتراض على الشيخين الحجوجيّ، وابن جعفر.

فنقول بعون الله وتوفيقه:

---

(١) انظر: "شرح الحكم العطائيّة" (ص: ٨٩-٩٠)، "حلية الأولياء" (١٠/٢٣٩).

(٢) انظر: "شرح الحكم العطائيّة" (ص: ٩٠-٩١).

(٣) الكتاب مخطوط.

فصلٌ

في كلامه، ونصه: (الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد: فقد وقع السؤال عن عمل المولد النبويّ في شهر ربيع الأول، ما حكمه من حيث الشرع؟ وهل هو محمود أو مذموم؟ وهل يثاب فاعله أو لا؟.

الجواب عندي: إنَّ أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس، وقراءة ما تيسر من القرآن، ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبي ﷺ وما وقع في مولده من الآيات ثم يمد لهم سِمَاط[1] يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك، هو من البدع الحسنة التي يُثاب عليها صاحبها لما فيه من تعظيم قدر النبي ﷺ وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف. . . انتهى بعض كلامه، وقد ذكر أنَّ أوّل من أحدث عمل المولد الملك المظفّر أبو سعيد[2] –صاحب إِرِبِل[3]–، قال ابن كثير –رحمه الله–: (وألَّفَ له أبو الخَطَّاب ابن دِحيَةَ[4] في المولد النبويّ "التنوير في مولد البشير النذير" المتوفى – رحمه الله – بمدينة

(١) السِّمَاطُ هو: ما يُمَدُّ عَلَيهِ الطَّعام، والعامة تَضُمُّه، والجمعُ: أَسمِطَةٌ، وسِماطَاتٌ. انظر: تاج العروس (١٩/٣٨٦).

(٢) الملك المظفَّر أبو سعيد هو: مُظفر الدِّين، أبو سعيد كُوكبُري بن علي بن بكتكين بن محمد التركمانيّ، صاحب إِربِل، وأمّا احتفاله بالمولد فكان الخلق يقصدونه من العراق والجزيرة، وتُنصب قِبَاب خَشَب له ولأمرائه وتُزَيَّن، وفيها جوق المغاني واللّعب، ويعمل ذلك أياماً، ويُخرِجُ من البقر والإبل والغنم شيئاً كثيراً فَتُنحَر وتُطبَخ الألوان، ويعمل عِدّة خِلَع للصوفيّة، توفي في رمضان سنة (٦٣٠هـ) ودُفِنَ بالكوفة. انظر: وفيات الأعيان (٤/١١٣)، سير أعلام النبلاء (٢٢/٣٣٤/ترجمة: ٢٠٥).

(٣) إِربِل: بالكسر ثم السكون ثم باء مكسورة، من الرَّبَل أو الرِّيَال، وهو نوع من أنواع النبات، وهي قلعة حصينة، ومدينة كبيرة على تلٍّ عالٍ من التراب وهي من أعمال الموصل وبينهما مسيرة يومين، وقد قام بعمارتها الأمير كُوكبُري فأقام بها، وأكثر أهلها من الأكراد، وتقع في شمال العراق شرقي مدينة الموصل. انظر: معجم البلدان (١/١٣٧).

(٤) أبو الخَطَّاب بن دِحيَة هو: مجد الدين، أبو الخَطَّاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد الجُمَيِّل بن دِحيَة بن خليفة بن فروة الكلبيّ، المعروف بذي النسبين، الأندلسيّ البلنسيّ الدانيّ، هكذا ساق نسبه، وما أبعده عن الصحة والاتصال! وكان يكتب لنفسه: ذو =

عَكَّا[١] وهو محاصر للفرنج سنة ثلاثين وستمائة، فأجازه على ذلك بألفِ دينار)[٢]، ثم ذكر عن ابن كثير له أوصافاً جميلة)[٣]، قال: وقال سبط ابن الجوزيّ[٤] في "مرآة الزمان": (حَكَى بعض من حضر سِمَاط المظفر في بعض الموالد أنّه عد في ذلك السِّمَاط خمسة آلاف رأس غنم مشويّ، وعشرة آلاف دجاجة، ومائة فرس، ومائة ألف زبدية، وثلاثين ألف صحن حلوى، وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم، ويعمل للصوفيّة سماعاً من الظهر إلى الفجر، ويرقص بنفسه معهم، وكان يصرف على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، وكانت له دار ضيافة للوافدين من أيّ جهة على أيّ صفة، فكان يصرف على هذه الدار في كل سنة مائة ألف دينار، وكان يستفك من الفرنج في كل سنة أُسارى بمائتي ألف دينار، وكان يصرف على الحرمين والمياه بدرب الحجاز في كل سنة ثلاثين ألف دينار، هذا كله سوى صدقات السّر)[٥]، إلى أن قال:

النسبتين بين دِحيَة والحسين - رضي الله عنهما - وهو متهم في نقله، دخل فيما لا يعنيه، توفي سنة (٦٣٣هـ). انظر: وفيات الأعيان (٣/٤٤٨/ترجمة: ٤٩٧)، سير أعلام النبلاء (٢٢/٣٨٩/ترجمة: ٢٤٨).

(١) عَكَّا أو عَكَّة: بفتح أوله، وتشديد ثانيه، اسم بلد على ساحل بحر الشام من عمل الأردن، وهي من أحسن بلاد الساحل في أيامنا هذه وأعمرها، وهي مدينة حصينة كبيرة، ولم تكن على هذه الحصانة حتى قدمها ابن طولون. انظر: معجم البلدان (٤/١٤٣-١٤٤).

(٢) انظر: "البداية والنهاية" (١٧/٢٠٥-٢٢٥).

(٣) انظر: "الحاوي للفتاوي" (١/١٨٩).

(٤) سبط ابن الجوزيّ هو: شمس الدين يوسف بن قُزغُلي بن عبدالله التركيّ العونيّ، أبو المظفَّر الهبيريّ البغداديّ الحنفيّ، سبط أبي الفرج ابن الجوزيّ، صَنَّف تاريخاً كبيراً في أربعين مجلداً سمّاه "مرآة الزمان في تواريخ الأعيان" ، توفي سنة (٦٥٤هـ) بدمشق. انظر: وفيات الأعيان (٣/١٤٢/ترجمة: ٩٦)، سير أعلام النبلاء (٢٣/٢٩٦/ ترجمة: ٢٠٣).

(٥) انظر: "مرآة الزمان" (٢٢/٣٢٣-٣٢٥).

قال ابن خَلِّكَان[١] في ترجمة الحافظ أبي الخَطَّاب ابن دِحيَة: (كان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء، قدم من المغرب فدخل الشام والعراق، واجتاز بإِرِبِل سنة أربع وستمائة فوجد ملكها المعظم مظفَّر الدين بن زين الدين يعتني بالمولد النبويّ فعمل له كتاب "التنوير في مولد البشير النذير" وقرأه عليه بنفسه فأجازه بألف دينار، قال: وقد سمعناه على السلطان في ستة مجالس في سنة خمس وعشرين وستمائة)[٢][٣]. انتهى.

قال السيوطيّ – رحمه الله – بعدما تقدم المختصر بعضه والمذكور بنصه بعضه قال: (وقد ادَّعى الشيخ تاج الدين عمر بن علي اللخمي الإسكندريّ، المشهور بالفاكهانيّ من متأخري المالكية أنّ عمل المولد بدعة مذمومة، وألَّف في ذلك كتاباً سَمَّاه "المورد في الكلام على عمل المولد" وأنا أسوقه هنا برمته، وأتكلم عليه حرفاً حرفاً)[٤].

وقد ذكر السيوطيّ الكتاب بخطبته واختصرنا منه الخطبة دفعاً للتطويل، ونص ما بعد الخطبة على نقل السيوطيّ: (أمّا بعد: فإنه تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول، ويسمونه المولد هل له أصل في الشرع أو هو بدعة وحدث في الدين؟ وقصدوا الجواب عن ذلك مبيَّناً والإيضاح عنه معيَّناً.

فقلت وبالله التوفيق: لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطَّالون، وشهوة نفسٍ اعتنى بها الأكّالون، بدليل أنَّا إذا أدرنا عليه الأحكام الخمسة قلنا: إمّا أن يكون واجباً أو مندوباً أو مباحاً أو مكروهاً أو محرماً، وهو ليس بواجب إجماعاً ولا مندوباً، لأنّ حقيقة المندوب: ما طلبه الشرع من غير ذم

---

(١) ابن خَلِّكَان هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خَلِّكَان، ومعناه خليل الزين، شمس الدين، أبو العباس البَرمَكِيُّ الإِربِليُّ الشافعيُّ، توفي بدمشق سنة (٦٨١هـ). انظر: تاريخ الإسلام (٥١/٦٥/ترجمة: ٦)، الوافي بالوفيات (٧/٢٠١/ترجمة: ٩٥٥).

(٢) انظر: "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" (٣/٤٤٩–٤٥٠/ترجمة: ٤٩٧).

(٣) انظر: "الحاوي للفتاوي" (١/١٩٠).

(٤) انظر: المصدر السابق (١/١٩٠).

على تركه، وهذا لم يأذن فيه الشرع، ولا فعله الصحابة، ولا التابعون المتديِّنون – فيما علمت – وهذا جوابي عنه بين يدي الله تعالى إن عنه سئلت.

ولا جائز أن يكون مباحاً، لأن الابتداع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين، فلم يبق إلا أن يكون مكروهاً أو حراماً، وحينئذ يكون الكلام فيه في فصلين والتفرقة بين حالين:

أحدهما: أن يعمله رجلٌ من عين ماله لأهله وأصحابه وعياله لا يجاوزون في ذلك الاجتماع على أكل الطعام، ولا يقترفون شيئاً من الآثام، فهذا الذي وصفناه بأنّه بدعة مكروهة وشناعة، إذ لم يفعله أحد من متقدمي أهل الطاعة الذين هم فقهاء الإسلام، وعلماء الأنام، سُرُجِ الأزمنة، وزين الأمكنة.

والثاني: أن تدخله الجناية، وتقوى به العناية، حتى يعطي أحدهم الشيء ونفسه تتبعه، وقلبه يولمه ويوجعه لما يجد من ألم الحيف، وقد قال العلماء: أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف، لاسيما إن انضاف إلى ذلك شيء من الغناء مع البطون الملأى بآلات الباطل من الدفوف والشَّبابات، واجتماع الرجال مع الشباب المُرد، والنساء الغانيات، إمّا مختلطات بهم أو مشرفات، والرقص بالتثنّي والانعطاف، والاستغراق في اللهو ونسيان يوم المخاف.

وكذلك النساء إذا اجتمعن على انفرادهن رافعات أصواتهن بالتَّهنيك والتطريب في الإنشاد، والخروج في التلاوة والذكر المشروع والأمر المعتاد، غافلات عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[1].

وهذا الذي لا يختلف في تحريمه اثنان، ولا يستحسنه ذوو المروءة الفتيان، وإنما يحل ذلك بنفوس موتى القلوب، وغير المستقلين من الآثام والذنوب، وأزيدك أنهم يرونه من العبادات لا من الأمور المنكرات المحرمات، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ.

---

(١) سورة الفجر، الآية (١٤).

ولله دَرّ شيخنا القشيريّ[١] حيث يقول فيما أجازناه:

قد عرف المنكر واستنكر ... المعروف في أيامنا الصعبة

وصار أهل العلم في وَهدَةٍ[٢] ... وصار أهل الجهل في رُتبَة

جازوا عن الحق فما للذي ... ساروا به فيما مضى نسبة

فقلت للأبرار أهل التقى ... والدِّين لما اشتدت الكُربة

لا تنكروا أحوالكم قد أتت ... نوبتكم[٣] في زمان الغربة

ولقد أحسن الإمام أبو عمرو بن العلاء[٤] حيث يقول: (لا يزال الناس بخير ما تُعُجِّبَ من العَجَب!).

هذا مع أنَّ الشهر الذي ولد فيه ﷺ وهو ربيع الأول هو بعينه الشهر الذي توفي فيه، فليس الفرح فيه بأولى من الحزن فيه، وهذا ما علينا أن نقول، ومن الله نرجو حسن القبول)[٥]، هذا ما أورده الفاكهانيّ في كتابه المذكور.

قال السيوطيّ وأقول: (أمّا قوله: (لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة).

فيقال عليه: نفي العلم لا يلزم منه نفي الوجود، وقد استخرج له إمام الحفاظ أبو

---

(١) القشيريّ هو: تقي الدين محمد بن علي بن وهب بن مطيع، المشهور بابن دقيق العيد، القشيريّ المنفلوطيّ المصريّ، المتوفى سنة (٧٠٢هـ). انظر: الوافي بالوفيات (٤/١٣٧/ترجمة: ١٧٤٣).

(٢) الوَهدَةُ هي: الأرض المنخفضة، والمكان المنخفض كأنَّه حُفرَة. انظر: تاج العروس (٩/٣٣١).

(٣) النوبة هي: النّازِلة من المهمّات والحوادث. انظر: المصدر السابق (٤/٣١٧).

(٤) أبو عمرو بن العلاء هو: أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبدالله بن الحصين بن الحارث بن تميم التميميّ النحويّ البصريّ المقرئ، أحد أئمَّةِ القرَّاءِ السبعة، كان رأساً في حياة الحسن البصريّ مقدماً في عصره، توفي سنة (١٥٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٦/٤٠٧/ترجمة: ١٦٧).

(٥) انظر: "المورد في عمل المولد" ضمن كتاب "رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبويّ" (١/٨-١٤).

الفضل أحمد بن حجر أصلاً من السنة، واستخرجت له أنا أصلاً ثانياً وسيأتي ذكرها بعد هذا.

وقوله: (بل هو بدعة أحدثها البطَّالون) إلى قوله: (ولا العلماء المتديِّنون).

يقال عليه: قد تقدّم أنه أحدثه ملك عادل عالم، وقصد به التقرب إلى الله تعالى، وحضر عنده فيه العلماء والصلحاء من غير نكير منهم، وارتضاه ابن دحية وصنف له من أجله كتاباً، فهؤلاء علماء متدينون رضوه وأقروه ولم ينكروه.

وقوله: (ولا مندوباً لأنّ حقيقة المندوب: ما طلبه الشرع).

يقال عليه: إنّ الطلب في المندوب تارةً يكون بالنص، وتارةً يكون بالقياس، وهذا وإن لم يرد فيه نص ففيه القياس على الأصلين الآتي ذكرهما.

وقوله: (ولا جائز أن يكون مباحاً، لأنّ الابتداع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين).

كلام غير مسلم لأنّ البدعة لم تنحصر في الحرام والمكروه، بل قد تكون أيضاً مباحة، ومندوبة، وواجبة.

قال النوويّ في "تهذيب الأسماء واللغات": (البدعة في الشرع هي: إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله ﷺ وهي مُقَسّمة إلى حسنة وقبيحة)[1].

وقال الشيخ أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام في "القواعد": (البدعة منقسمة إلى واجبة، ومحرمة، ومندوبة، ومكروهة، ومباحة، قال: والطريق في ذلك أن نعرض البدعة على قواعد الشريعة، فإذا دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، أو في قواعد التحريم فهي محرمة، أو الندب فمندوبة، أو المكروه فمكروهة، أو المباح فمباحة، وذكر لكل قسم من هذه الخمسة أمثلة) إلى أن قال: (وللبدع المندوبة أمثلة منها: إحداث الرُّبط والمدارس، وكل إحسان لم يعهد في العصر الأوّل، ومنها: التراويح، والكلام في دقائق التصوّف، وفي الجدل، ومنها: جمع المحافل للاستدلال في المسائل إن قُصِدَ بذلك

(١) انظر: "تهذيب الأسماء واللغات" (٣/٢٢-٢٣).

وجه الله تعالى)[١][٢].

وروى البيهقيّ بإسناده في مناقب الشافعيّ عن الشافعيّ قال: (المحدثات من الأمور ضربان:

أحدهما: ما أُحدث مما يخالف كتاباً، أوسنةً، أوأثراً، أوإجماعاً، فهذه البدعة الضلالة.

والثاني: ما أُحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا، وهذه محدثة غير مذمومة، وقد قال عمر ﷺ في قيام شهر رمضان: "نعمت البدعة هذه"[٣]، يعني أنها محدثة لم تكن، وإذا كانت فليس فيها رَدّ لما مضى)[٤]، هذا آخر كلام الشافعيّ.

فَعُرِفَ بذلك منع قول الشيخ تاج الدّين: (ولا جائز أن يكون مباحاً) إلى قوله: (وهذا وصفناه بأنّه بدعة مكروهة) إلى آخره، لأنّ هذا القسم مما أُحدث وليس فيه مخالفة لكتابٍ، ولا سنةٍ، ولا أثرٍ، ولا إجماع، فهي غير مذمومة كما في عبارة الشافعيّ، وهو من الإحسان الذي لم يُعهد في العصر الأوّل، فإنّ إطعام الطعام الخالي عن اقتراف الآثام إحسان، فهو من البدع المندوبة كما في عبارة ابن عبد السلام)[٥].

(وقوله: (والثاني) إلى آخره؛ هو كلام صحيح في نفسه غير أنّ التحريم فيه إنما جاء من قبل هذه الأشياء المحرمة التي ضُمّت إليه لا من حيث الاجتماع لإظهار شعائر المولد، بل لو وقع مثل هذه الأمور في الاجتماع لصلاة الجمعة مثلاً، لكانت قبيحة شنيعة، ولا يلزم من ذلك ذم أصل الاجتماع لصلاة الجمعة، كما هو واضح، وقد رأينا

---

(١) انظر: "القواعد الكبرى" الموسوم بـ "قواعد الأحكام في إصلاح الأنام" (٣٣٧/٢-٣٣٩).

(٢) وللإمام الشاطبيّ – رحمه الله تعالى – كلام نفيس في الرَّدِّ على من قَسَّم البدع خمسة أقسام، ولم يعدّها قسماً واحداً مذموماً، وقد هدم الإمام الشاطبيّ هذا التقسيم وقوّض دعائمه، فراجعه إن شئت في كتابه "الاعتصام" (٣١٣/١-٣٣٣).

(٣) صحيح البخاري (ص: ٣٢٢/ح٢٠١٠).

(٤) انظر: "معرفة السنن والآثار" (٤٠٨/٤/٦٦٣٤ ، ٦٦٣٥)، "المدخل إلى السنن الكبرى" (ص: ٢٠٦).

(٥) انظر: "الحاوي للفتاوي" (١٩٢/١- ١٩٣).

بعض هذه الأمور يقع في ليالي من رمضان عند اجتماع الناس لصلاة التراويح، فهل يتصور ذم الاجتماع لأجل هذه الأمور التي قُرِنَت بها؟ كلا بل نقول أصل الاجتماع لصلاة التراويح سنة وقربة، وما ضُمّ إليها من هذه الأمور قبيح شنيع، وكذلك نقول أصل الاجتماع لإظهار شعار المولد مندوب وقربة، وما ضُمّ إليه من هذه الأمور مذموم وممنوع.

وقوله: (مع أنَّ الشهر الذي ولد فيه . . .) إلى آخره.

جوابه أن يقال:

أولاً: إنَّ ولادته ﷺ أعظم النّعم علينا، ووفاته أعظم المصائب لنا، والشريعة حثت على إظهار شكر النّعم، والصبر والسكون والكتم عند المصائب، وقد أمر الشرع بالعقيقة عند الولادة، وهي إظهار شكر وفرح بالمولود، ولم يأمر عند الموت بذبح ولا بغيره بل نهى عن النياحة وإظهار الجزع، فَدَلّت قواعد الشريعة على أنّه يحسن في هذا الشهر إظهار الفرح بولادته ﷺ دون إظهار الحزن فيه بوفاته[1].

وقد قال ابن رجب في كتاب "اللّطائف" في ذم الرافضة حيث اتخذوا يوم عاشوراء مأتماً لأجل قتل الحسين رضي الله عنه: (لم يأمر الله ولا رسوله باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتماً، فكيف بمن دونهم)[2].

وقد تكلّم الإمام أبو عبدالله ابن الحاج[1] في كتابه "المدخل على عمل المولد" فأتقن الكلام فيه جداً، وحاصله مدح ما كان فيه إظهار شِعَارٍ وشُكر، وذَمّ ما احتوى عليه من محرّمات ومنكرات، وأنا أسوق كلامه فصلاً فصلاً)[2].

---

١) لم يظهر لي وجه تغليب الفرح في شهر ولادته ﷺ على الحزن ، وأما ذكره للعقيقة : فهي ليست فرحا وسرورا كما ذكر المؤلف، وأنما هي تكليف شرعي لفك الرّهان الذي ارتُهن به المولود عند ولادته .

(٢) انظر: "لطائف المعارف" (ص: ١١٣).

(قال: فصلٌ في المولد: ومن جملة ما أحدثوه من البدع مع اعتقادهم أن ذلك من أكبر العبادات وإظهار الشعائر ما يفعلونه في شهر ربيع الأول من المولد، وقد احتوى على بدع ومحرمات جملة، فمن ذلك استعمال المغاني، ومعهم آلات الطرب من الطار المصرصر والشبابة، وغير ذلك مما جعلوه آلة للسماع ومضوا في ذلك على العوائد الذميمة في كونهم يشغلون أكثر الأزمنة التي فضّلها الله تعالى وعظّمها ببدع ومحرمات، ولاشك أنّ السماع في غير هذه الليلة فيه ما فيه، فكيف به إذا انضم إلى فضيلة هذا الشهر العظيم الذي فضّله الله تعالى وفضّلنا فيه بهذا النبي الكريم، فآلة الطرب والسماع أيّ نسبة بينها وبين تعظيم هذا الشهر الكريم الذي مَنّ الله علينا فيه بسيّد الأولين والآخرين، وكان يجب أن يزاد فيه من العبادات والخير شكراً للمولى على ما أولانا به من هذه النعم العظيمة، وإن كان النبي ﷺ لم يزيد فيه على غيره من الشهور شيئاً من العبادات[٣]، وما ذاك إلا لرحمته ﷺ لامته ورفقه بهم، لأنه – عليه الصلاة والسلام – كان يترك العمل خشية أن يُفرض على أمته رحمة منه بهم، ولكن أشار ﷺ إلى فضيلة هذا الشهر العظيم بقوله للسائل الذي سأله عن صوم يوم الاثنين: "ذاك يوم ولدت فيه"[٤]، فتشريف هذا اليوم متضمن لتشريف هذا الشهر الذي ولد فيه، فينبغي أن نحترمه حق الاحترام، ونفضّله بما فضّل الله به الأشهر الفاضلة وهذا منها لقوله ﷺ: "أنا سيّد ولد آدم ولا فخر"[٥]، "آدم فمن دونه تحت لوائي"[٦]، وفضيلة الأزمنة

---

(١) ابن الحاج هو: أبو عبدالله محمد بن محمد بن محمد بن الحاج العبدريّ الفاسيّ المالكيّ المغربيّ، نزيل مصر، المشهور بابن الحاج، المتوفى سنة (٧٣٧هـ). انظر: الدرر الكامنة (٤/٢٣٧/ترجمة: ٦٢٧).

(٢) انظر: "الحاوي للفتاوي" (١/١٩٣).

(٣) ومن شكر الله تعالى اتباع نبيه ﷺ ، ومن اتباع النبي ﷺ فعل ما فعل وترك ما ترك ، وعلى هذا مشى أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان ألى يومنا ؛ وليس المنطلق والعقل من منابع التشريع الإسلامي بل مرد كل عبادة إلى النص الشرعي .

(٤) صحيح مسلم (ص: ٤٧٧/ح١١٦٢).

(٥) سبق تخريجه (ص: 66).

(٦) رواه أحمد (٤/٣٣٠/ح٤٢٧). وحسّن إسناده محققوا المسند.

والأمكنة بما خصّها الله به من العبادات التي تُفعل فيها لما قد عُلِمَ أنّ الأمكنة والأزمنة لا تُشَرَّف لذاتها، وإنما يحصل لها التشريف بما خُصّت به من المعاني فانظر إلى ما خَصّ الله به هذا الشهر الشريف، ويوم الاثنين، ألا ترى أنّ صوم هذا اليوم فيه فضل عظيم لأنّه ﷺ ولد فيه، فعلى هذا ينبغي إذا دخل هذا الشهر الكريم أن يُكرّم ويعظّم ويُحترم الاحترام اللائق به، اتّباعا له ﷺ في كونه كان يخص الأوقات الفاضلة بزيادة فعل البر فيها وكثرة الخيرات، ألا ترى إلى قول ابن عباس ﷺ: "كان رسول الله أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان"[(١)]، فنمتثل تعظيم الأوقات الفاضلة بما امتثله ﷺ على قدر استطاعتنا)[(٢)(٣)].

(**فصلٌ**: فإن قال قائل: قد التزم - عليه الصلاة والسلام - في الأوقات الفاضلة ما التزمه مما قد علم، ولم يلتزم في هذا الشهر ما التزمه في غيره؟.

فالجواب: أنّ ذلك لِمَا عُلم من عادته الكريمة أنّه يريد التخفيف عن أمته سيما فيما كان يخصه، ألا ترى إلى أنه ﷺ حرّم المدينة مثل ما حرّم إبراهيم مكة، ومع ذلك لم يشرع في قتل صيده، ولا في قطع شجره الجزاء تخفيفاً على أمته ورحمة بهم، فكان ينظر إلى ما هو من جهته وإن كان فاضلاً في نفسه فيتركه للتخفيف عنهم، فعلى هذا تعظيم هذا الشهر الشريف إنما يكون بزيادة الأعمال الزاكيات فيه والصدقات إلى غير ذلك من القربات، فمن عجز عن ذلك فأقل أحواله أن يجتنب ما يحرم عليه ويكره له تعظيماً لهذا الشهر الشريف، وإن كان ذلك مطلوباً في غيره إلا أنه في هذا الشهر أكثر احتراماً، كما يتأكد في شهر رمضان وفي الأشهر الحرم، فيترك الحدث في الدين، ويجتنب مواضع البدع وما لا ينبغي، وقد ارتكب بعضهم في هذا الزمان ضد هذا المعنى، وهو أنه إذا دخل هذا الشهر العظيم تسارعوا فيه إلى اللهو واللعب بالدف والشبابة وغيرهما، ويا ليتهم عملوا المغاني ليس إلاّ بل يزعم بعضهم أنه يتأدّب فيبدأ المولد بقراءة الكتاب العزيز، وينظرون إلى من هو أكثر معرفة بالهنوك والطرق المهيجة لطرب النفوس، وهذا

---

(١) صحيح البخاري (ص: ٢/ح٦)، ومسلم (ص: ١٠٢٠/ح٢٣٠٨).

(٢) انظر: "المدخل على عمل المولد" (٢/٢-٣).

(٣) انظر: "الحاوي للفتاوي" (١/١٩٣-١٩٤).

فيه وجوه من المفاسد، ثم إنَّهم لم يقتصروا على ما ذكر، بل ضم بعضهم إلى ذلك الأمر الخطر، وهو أن يكون المغني شاباً لطيف الصورة، حسن الصوت والكسوة والهيئة، فينشد التغزل، ويتكسر في صوته وحركاته، فيفتن بعض من معه من الرجال والنساء فتقع الفتنة في الفريقين، ويثور من المفاسد ما لا يُحصى، وقد يؤول ذلك في الغالب إلى فساد حال الزوج وحال الزوجة، ويحصل الفراق والنكد العاجل، وتشتت أمرهم بعد جمعهم، وهذه المفاسد مركبة على فعل المولد إذا عمل بالسماع، فإن خلا منه وعمل طعاماً فقط، ونوى به المولد، ودعا إليه الإخوان، وسَلِمَ من كل ما تقدّم ذكره، فهو بدعة بنفس نيته فقط، لأن ذلك زيادة في الدين، وليس من عمل السلف الماضين، واتباع السلف أولى، ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد، ونحن تبع فيسعنا ما وسعهم)[1]. انتهى.

وحاصل ما ذكره أنه لم يذم المولد، بل ذم ما يحتوي عليه من المحرمات والمنكرات، وأول كلامه صريح في أنه ينبغي أن يُخص هذا الشهر بزيادة فعل البر، وكثرة الخير والصدقات وغير ذلك من وجوه القربات، وهذا هو عمل المولد الذي استحسنّاه ليس فيه شيء سوى قراءة القرآن، وإطعام الطعام، وذلك خير وبر وقربة.

وأمّا قوله آخراً: (إنه بدعة).

فإمّا أن يكون مناقضاً لما تقدّم، أو يُحمل على أنه بدعة حسنة كما تقدّم تقريره في صدر الكتاب، أو يُحمل على أن فعل ذلك خير، والبدعة منه نية المولد كما أشار إليه بقوله: (فهو بدعة بنفس نيته فقط) وبقوله: (ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد) فظاهر هذا الكلام أنه كره أن ينوي به المولد فقط، ولم يكره عمل الطعام، ودعاء الإخوان إليه، وهذا إذا حقق النظر لا يجتمع مع أول كلامه لأنه حث فيه على زيادة فعل البر، وما ذكر معه على وجه الشكر لله تعالى إذ أوجد في هذا الشهر الشريف سيّد المرسلين ﷺ وهذا هو معنى نية المولد، فكيف يذم هذا القدر مع الحث عليه أولاً، وأما مجرد فعل البر وما ذكر معه من غير نية أصلاً فإنه لا يكاد يتصور، ولو تصور لم يكن عبادة ولا ثواب فيه، إذ لا عمل إلا بنية، ولا نية هنا إلا الشكر لله تعالى على ولادة

---

(١) انظر: "المدخل على عمل المولد" (٢/٣-١٠).

هذا النبي الكريم في هذا الشهر الشريف، وهذا معنى نيّة المولد، فهي نيّة مستحسنة بلا شك، فتأمّل)[١].

(ثم قال ابن الحاج: (ومنهم من يفعل المولد لا لمجرد التعظيم، ولكن له فِضَّة عند الناس متفرقة كان قد أعطاها في بعض الأفراح أو المواسم ويريد أن يستردها ويستحيي أن يطلبها بذاته، فيعمل المولد حتى يكون ذلك سبباً لأخذ ما اجتمع له عند الناس، وهذا فيه وجوه من المفاسد:

منها: أنه يتصف بصفة النفاق، وهو أن يظهر خلاف ما يبطن، إذ ظاهر حاله أنه عمل المولد يبتغي به الدار الآخرة، وباطنه أنه يجمع به فِضَّة.

ومنهم: من يعمل المولد لأجل جمع الدراهم، أو طلب ثناء الناس عليه ومساعدتهم له، وهذا أيضاً فيه من المفاسد ما لا يخفى)[٢]. انتهى.

وهذا أيضاً من نمط ما تقدّم ذكره، وهو أن الذَّمّ فيه إنما حصل من عدم النيَّة الصالحة لا من أصل عمل المولد)[٣].

(وقد سئل شيخ الإسلام حافظ العصر أبو الفضل أحمد بن حجر عن عمل المولد فأجاب بما نصه: (أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرى في عملها المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة وإلا فلا، قال: وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت وهو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: "هو يوم أغرق الله فيه فرعون، ونجى موسى فنحن نصومه شكراً لله تعالى"[٤]، فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما مَنَّ به في يوم معيّن من إسداء نعمة، أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة،

---

(١) انظر: "الحاوي للفتاوي" (١/١٩٤-١٩٥).

(٢) انظر: "المدخل على عمل المولد" (٢/٢٥).

(٣) انظر: "الحاوي للفتاوي" (١/١٩٥-١٩٦).

(٤) صحيح البخاري (ص: ٣٢١/ح٢٠٠٤)، ومسلم (ص: ٤٦٢/ح١١٣٠).

والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود، والصيام، والصدقة، والتلاوة، وأيّ نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم، وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء، ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أيّ يوم من الشهر بل توسع قوم فنقلوه إلى يوم من السنة وفيه ما فيه، فهذا ما يتعلق بأصل عمله، وأمّا ما يُعمل فيه فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدّم ذكره من التلاوة، والإطعام، والصدقة، وإنشاد شيء من المدائح النبويّة، والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للآخرة، وأمّا ما يتبع ذلك من السماع واللهو وغير ذلك، فينبغي أن يقال: ما كان من ذلك مباحاً بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه به، وما كان حراماً أو مكروهاً فيمنع، وكذا ما كان خلاف الأولى)[(١)]. انتهى.

(قلت: وقد ظهر لي تخريجه على أصل آخر، وهو ما أخرجه البيهقيّ عن أنس أن النبي ﷺ: "عَقَّ عن نفسه بعد النبوة"[(٢)]، مع أنّه قد ورد أن جده عبدالمطلب عَقَّ عنه في سابع ولادته[(٣)]، والعقيقة لا تعاد مرة ثانية، فيحمل ذلك على أن الذي فعله النبي ﷺ إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمة للعالمين، وتشريعاً لأمته كما كان يصلي على نفسه، لذلك فيستحب لنا أيضاً إظهار الشكر بمولده بالاجتماع وإطعام الطعام، ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرات؛ ثم رأيت إمام القراء الحافظ شمس الدين ابن الجزريّ[(٤)] قال في كتابه المُسَمَّى "عرف التعريف بالمولد الشريف"

---

(١) انظر: "الحاوي للفتاوي" (١/١٩٦).

(٢) رواه عبدالرزاق (٤/٣٢٩/ح٧٩٦٠)، والبزار (١٣/٤٧٨/ح٧٢٨١)، والطبراني في "الأوسط" (١/٢٩٨/ح٩٩٤)، والبيهقي في "السنن" (٩/٣٠٠). وحسّنه العلامة الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٦/٥٠٢/ح٢٧٢٦).

(٣) رواه البيهقيّ في "دلائل النبوة" (١/١١٣)، وابن عساكر (٣/٣٢/٧٩-٨٠). وحكم عليه الحافظ ابن حجر بأنّه "حديث مرسل". انظر: "فتح الباري" (٧/١٦٣/تحت حديث: ٣٨٥١).

(٤) ابن الجزريّ هو: شمس الدّين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، المعروف بابن الجزريّ الشافعيّ العُمَرِيّ الدمشقيّ، مقرئ الممالك الإسلامية، شيخ الإقراء في زمانه، توفي سنة (٨٣٣هـ). انظر: الضوء اللامع (٩/٢٥٥/ترجمة: ٦٠٨).

ما نصه: (قد روئِيَ أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له: ما حالك؟ فقال: في النار إلا أنه يخفف عني كل ليلة اثنين، وأمص من بين أصبعي ماء بقدر هذا - وأشار لرأس أصبعه - وإن ذلك بإعتاقي لِثُويبَة عندما بشرتني بولادة النبي ﷺ وبإرضاعها له[١]، فإذا كان أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه جوزي في النار بفرحه ليلة مولد النبي ﷺ به، فما حال المسلم الموحد من أمة النبي ﷺ يسر بمولده، ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبته ﷺ، لَعَمرِي إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله جنات النعيم))[٢][٣].

أقول: ثم نقل السيوطيّ بعد هذا عن شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقيّ[٤]: أنه قد صح أن أبا لهب يخفف عنه العذاب إلى آخر ما قالوا فيه.

كما أردف كلام ابن ناصر بما حكاه الأدفُويّ[٥] بسنده عن محمد بن إبراهيم السبتيّ[٦]، من أنه كان يقول بما يفعل بالمولد ويقوّيه؛ اختصرنا ما حكاه عن هذين الشيخين.

ثم قال السيوطيّ - رحمه الله - فائدة: قال ابن الحاج: ((فإن قيل ما الحكمة في كونه ﷺ خص مولده الكريم بشهر ربيع الأول، وبيوم الاثنين، ولم يكن في شهر رمضان

---

(١) سبق تخريجه (ص:١٩٥).

(٢) انظر: "عرف التعريف بالمولد الشريف" (ص: ٢٢).

(٣) انظر: "الحاوي للفتاوي" (١/١٩٦-١٩٧).

(٤) شمس الدين بن ناصر الدين هو: محمد بن عبدالله بن محمد بن أحمد بن مجاهد بن يوسف بن محمد بن أحمد القيسيّ الدمشقيّ الشافعيّ، الشهير بابن ناصر الدين، توفي سنة (٨٤٢هـ). انظر: الضوء اللامع (٨/١٠٣/ترجمة: ٢١٥).

(٥) الأدفُويّ هو: جعفر بن ثعلب بن جعفر بن علي بن المطهر بن نوفل الأدفُويّ الشافعيّ، بضم الفاء نسبة إلى "أدفُو" بلد بصعيد مصر، مات بالطاعون بالقاهرة سنة (٧٤٨هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٩/٤٠٧/ترجمة: ١٣٤٦).

(٦) محمد بن إبراهيم السبتيّ هو: محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر، أبو الطيب السبتيّ المالكيّ، نزيل قوص، توفي سنة (٦٩٥هـ). انظر: الوافي بالوفيات (٢/٧-٨/ترجمة: ٢٥٤).

الذي أنزل فيه القرآن، وفيه ليلة القدر، ولا في الأشهر الحرم، ولا في ليلة النصف من شعبان، ولا في يوم الجمعة وليلتها، فالجواب من أربعة أوجه:

أولاً: ما ورد في الحديث من أن الله خلق الشجر يوم الاثنين، وفي ذلك تنبيه عظيم وهو أن خلق الأقوات والأرزاق والفواكه والخيرات التي يمتد به بنو آدم، ويحيون وتطيب بها نفوسهم.

الثاني: أن في لفظة ربيع إشارة وتفاؤلاً حسناً بالنسبة إلى اشتقاقه، وقد قال أبو عبد الرحمن الصَّقلِّيّ[1]: (لكل إنسان من اسمه نصيب).

الثالث: أن فصل الربيع أعدل الفصول وأحسنها، وشريعته أعدل الشرائع وأسمحها.

الرابع: أن الحكيم سبحانه أراد أن يشرف به الزمان الذي ولد فيه، فلو ولد في الأوقات المتقدّم ذكرها لكان قد يتوهم أنه يتشرف بها))[2][3]. انتهى ما ذكره السيوطيّ في "حسن المقصد في عمل المولد" بلفظه إلا في قليل من جمله فقد اختصرنا لفظها.

تعقيب: ونحن نقول عليه:

أولاً: قوله في الاعتراض على قول الفاكهانيّ: (لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب، ولا سنة . . .) الخ.

يقال عليه: نفي العلم لا يلزم منه نفي الوجود، وقد استخرج له ابن حجر أصلا.

نقد: يقال عليه من جهتنا سيأتي ما فيه عند ذكره له.

ثانياً: قوله في الاعتراض على قوله: (بل هو بدعة أحدثها البطالون) إلى قوله: (ولا العلماء المتديِّنون).

يقال عليه: (قد تقدّم أنه أحدثه ملك عادل عالم، وقصد به التقرب إلى الله وحضر عنده فيه العلماء والصلحاء . . .) الخ.

---

(١) لم أقف له على ترجمة – حسب بحثي – والله أعلم.

(٢) انظر: "المدخل على عمل المولد" (٢/٢٦-٢٩).

(٣) انظر: "الحاوي للفتاوي" (١/١٩٧).

نقد: يقال عليه: من جانبنا لا يلزم من كون هذا الإمام عادلاً عالماً موصوفاً بأوصاف الخير التي ذكر له ابن كثير وغيره كسبط ابن الجوزيّ، أن يكون معصوماً من الخطأ ولا مغفّلاً في بعض اجتهاداته إن كان مجتهداً، ولا في بعض مقلداته إن كان مقلداً، إمّا باتفاق، وإمّا على خلاف، والراجح خلاف ما هو عليه فيها كبعض هذه الصنائع الخيرية، والأفعال المعروفية التي حكيتم عنه بواسطة غيركم التي منها: أنه كان ينحر للمولد مائة فرس، وهذه يقول المحققون: إنّها وإن كانت خيراً في ظاهر الأمر، وإظهاراً لمحبة رسول الله في رأي العين، وفكر كثير من الناس فغيرها خير منها وأفضل، إن لم يكن واجباً، وكيف لا والوقت يومئذ يقتضي أن يكون واجباً، وذلك أن مائة فرس في مولد واحد ثم هكذا إلى أربع مواليد، وخمس مواليد يتوفر بترك نحرها نحو خمسمائة فرس أو أزيد أو أنقص على حسب العدد، وهذه الخمسمائة فرس تربط، ويستعد بها للجهاد، وإعلاء كلمة الله، ودفع المتكالبين على أهل الإسلام، ولاسيما في وقت هذا الإمام حينما هجم التتار وتيمورلنك[1] على ديار الإسلام حتى وصل إلى الشام، وهجم قبله في وقته الصليبيون ونزلوا بجنودهم ببلد الشام، كما أن الخمسة آلاف من الغنم تذبح في كل مولد، وغير ذلك من آلاف الدجاج، والأطعمة ولو فرقت لهذا المعنى لكان ذلك خيراً أو واجباً من إفنائها لما ذكر كما قبلها بل لو صرفت على ضعفاء المسلمين، وعلمائهم وأشرافهم، وفيهم المحتاجون السائلون والذين: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾[2]، لكان الصرف واجباً تارة، ومستحباً أُخرى، وأفضل من غيره، ودعوى أن رعية زمانه كانت في أرغد عيش لا يصح، إذ غالب أهل الدنيا إن لم نقل كلهم لا يخلون من محتاج وفقير حتى في زمان الرسول كرسول الله، ودعوى أن الله تعالى

---

(١) تيمورلنك هو: تيمور بن أيتمش قنلغ بن زنكي بن سنيا بن طارم بن طغريل بن سنقور بن التاخان المغوليّ، الطاغية تيمور كوركان، ومعناه باللغة العجمية "صهر الملوك" ومعنى "تيمور" بالتركية: الحديد، ومعنى "لنك" بالفارسية: الأعرج، أي: "تيمور الأعرج" كان مغري بقتل المسلمين وغزوهم وترك الكفّار، توفي سنة (٨٠٧هـ). انظر: النجوم الزاهرة (١٢/٢٠١)، الضوء اللامع (٣/٤٦/ ترجمة: ١٩٢).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٧٣).

قال: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1]، ومحبة رسول الله بِرّ، والإنفاق فيها من المحبوب دليل على نيلها.

يقال عليها: نعم بلا شك إن كانت في موضوعِها، وموضوعُها الذي أمر رسول الله أن تنفق فيه أمراً محتماً أو مندوباً الدال على محبته الصافية الوافية هو ما تقدم ومثله، وهذا الموضوع الذي صرفت فيه بسبب المولد النبوي لم يصح عن رسول الله الأمر به، ولو صَحّ لقُدِّم عليه من قبل الله ورسوله أهم منه، وهذا فعل رسول الله، والأمة التابعة له بل الأنبياء والمرسلون بأجمعهم فإنهم كانوا لا يصرفون الأموال على مواليدهم وموالد غيرهم كهذا الصرف وهذا النحو، ولا صح عنهم أنهم أمروا بذلك أو أوصوا به من بعدهم، وبهذا المعنى من سَمَّى المخالف للواضح والمقدِّم لغير الأهم باطلاً أصاب، وسَمَّي من يتسارع لذلك ويحدثه، ويعجبه أكل ما يؤكل عنده من غير الثقات إلى أهم منه أكلاً أصاب، مع أن الغالب قبل زماننا وفيه لا تجد من يفعل ذلك إلا للأكل، وما يتبعه من تحسين الأموال وغيرها، ومن غفلة هذا الإمام وهو الملك المظفر ما حكيتم عنه عن غيركم أنه كان يقيم مهرجاناً للصوفية من الظهر إلى الفجر، يغنون فيه بالسماع، ويرقصون فيه، ويرقص معهم إلى آخره؛ إذ كل عاقل يتفكر في الأمور من أولها إلى آخرها، فضلاً عن عالم إن لم ير هذا منكراً يراه بدعة لا مستحسنة وخلاف السنة من المبتدعات في الدين لا خير فيه، إما مكروهاً، وإما حراماً، والصوفية غالب أحوالهم خارجون فيه عن الكتاب والسنة إذ لم يدل عليها كتاب ولا سنة، ولو كان في ذلك خير لما سبقوا إليه رسول الله وأصحابه وأعلم الملَّة، وقد نَصّ أهل العلم والتاريخ على أن التصوّف مبنيّ على مذهب الباطنيّة[2]، وسَمَّى ابن العربيّ المعافريّ[1] التصوّف قاصمة، وبيّن العاصم منها في كتابه "العواصم من القواصم"،

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٩٢).

(٢) مذهب الباطنيّة هو: مذهب أهل التخييل وهم: المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلِّم ومتصوّف ومتفقّه، فإنهم يقولون: إن ما ذكره الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور لا أنه بيَّن به الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح به =

وشبّه القرطبيّ[٢] وغيره الرّقاصين منهم بأهل السامريّ عُبّاد العجل حيث رقصوا حوله[٣]، وأفتى شيخ الإسلام الفِشتَاليّ[٤] في بلد المغرب في آخر الستمائة وأوائل السبعمائة، بأنّ الإنتماء إلى الصوفية والدخول في طريقهم حرام، ويكفي اللبيب ما في "المدخل" لابن الحاج في هؤلاء الرّقاصين، كما يكفي في جملتهم ما في "تلبيس إبليس" لابن الجوزيّ، فقد نقل فيه عن ابن عقيل الحنبليّ[٥]: (لا أقل حياء من ذي شيبة يرقص)[٦] أو كلمة نحوها، ولا دليل لهم على رقصهم في حَجَلِ[١]

الحقائق، وغلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية على قسمين: باطنية الشيعة، وباطنية الصوفيّة، كابن سبعين، وابن عربي، يقولون: الوجود واحد، وجود المخلوق هو وجود الخالق، فيجب عندهم أن يكون كلّ موجود عابداً لنفسه، شاكراً لنفسه، حامداً لنفسه. انظر: مجموع الفتاوى(٥/٣١-٣٢ ، ١١/٥٣٩-٥٤١)، درء تعارض العقل(١/٨-١١).

(١) ابن العربيّ المعافريّ هو: القاضي أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أحمد، المشهور بابن العربيّ، المعافريّ الأندلسيّ المالكيّ، صاحب كتاب "العواصم من القواصم" كان فقيهاً عالماً، وزاهداً عابداً، توفي بفاس سنة (٥٤٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/١٩٧/ترجمة:١٢٨).

(٢) القرطبيّ هو: شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، أبو عبدالله الأنصاريّ الخزرجيّ القرطبيّ، إمام متبحر في العلم، له تصانيف تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله، وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان "الجامع لأحكام القرآن" وقد حكى فيه مذاهب السلف كلها، توفي في أوائل سنة (٦٧١هـ). انظر: تاريخ الإسلام (٥٠/٧٤/ترجمة: ٢٦)، الوافي بالوفيات (٢/٨٧/ترجمة: ٤٧٢).

(٣) انظر: "الجامع لأحكام القرآن" (١٣/٢٢٤-٢٢٥، ١٤/١٢٤-١٢٥).

(٤) الفِشتَاليّ هو: محمد بن أحمد بن عبدالملك الفِشتَاليّ أبو عبدالله، قاضي الجماعة بفاس، توفي سنة (٧٧٧هـ). انظر: الدرر الكامنة (٣/٣٣٠/ترجمة: ٨٨٩).

(٥) ابن عقيل الحنبليّ هو: علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن محمد بن عبدالله أبو الوفاء الظَّفَريّ الحنبليّ البغداديّ، شيخ الحنابلة، توفي في جمادى الآخرة سنة (٥١٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/٤٤٣/ترجمة: ٢٥٩).

(٦) انظر: "تلبيس إبليس" (ص: ٢٦٢).

جعفر رضي الله عنه[٢] ولا ما ذكروا معه، وربما يبحث فيه عند ذكر ما يقتضيه، والإمام العادل المذكور أخبر بأنه كان يرقص معهم بنفسه، كما أنّ إقامة السماع والرقص من الظهر إلى الفجر على بدعته، واستثقاله خارج عن سنن التكليف، ومخالف لنفي الحرج وإرادة اليسر بالأمة، لما فيه من شدة المشقة وطول زمان العبادة الممل، وكثرة التعب فيها المخل، هذا على ما نعتقده من خلاف ظاهر العبارة من تعميم ذلك في هذا الوقت من أوله إلى آخره، لأن القوم إذ ذاك لم يبلغ بهم الجهل والحماقة إلى الاستغراق في تلك الحالة ذلك الزمان دون أن يصلُّوا الصلوات في أوقاتها، ولو كان ظاهر العبارة هو الموافق للواقع لكان هؤلاء من تاركي بعض قواعد الإسلام لِلَهوهِم لأنّه وإن كان فيه بعض العبادة فالنسبة إلى إخراج الصلاة عن وقتها يصير لهواً فيه الوزر لا الأجر.

الثالث: وقوله على قول الفاكهانيّ: (ولا التابعون المتديِّنون) بعد قوله: (بل حضر عنده فيه العلماء والصلحاء من غير نكير منهم، فهؤلاء علماء متديِّنون رضوه وأقروه ولم ينكروه).

نقد: يقال عليه: الفاكهانيّ عبّر بالتابعين المتدينين بعد الصحابة لا بلفظ العلماء المتدينون كما قال السيوطيّ، وتعبير الفاكهانيّ يحتمل قصره على التابعين وهم المدركون للصحابة، وهؤلاء لم يثبت عن واحد منهم ذلك، ويحتمل أن يكون بمعنى التابعين لهم بإحسان، وهذا الوصف لا يتحقق فيهم من كل وجه إلا إذا اتبعوهم في كل ما كانوا عليه من الدين، والعلماء التابعون في لفظ السيوطيّ وقصده هنا خاصون بالجماعات الحاضرة مولد المظفّر ومهرجانه، وهم بصفتهم هذه غير التابعين المدركين للصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين بالقيد المتقدم، حيث ندب هؤلاء إلى هذا المولد، وجعلوه من المتابعات إلى الشرع وأهله بإحسان، مع أنه لا أصل واقع منهم لهذا التبع فيكون بتبعيته تابعين بإحسان.

---

(١) الحَجلُ هو: أن يرفع رِجلاً ويَقفِز على الأُخرى من الفَرَح، وقد يكون بالرِّجلَين إلاَّ أنَّه قَفز. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٤٦/١).

(٢) رواه أحمد (٢١٣/٢/ح٨٥٧)، والبزّار (٣١٦/٢/ح٧٤٤)، والبيهقيّ في "السنن" (٦/٨/ ح١٦١٨٨)، وقال محققوا المسند: (إسناده ضعيف). وسيأتي لفظ الحديث كاملاً (ص: ٢٦١).

وبالجملة فالتابعون في كلام الفاكهانيّ خَصّص أو عَمّم مقيّد بقوله: (لم يفعله) فيخرج عن هذا القيد الفاعلون، والسيوطيّ عَبّر عن التابعين في كلام الفاكهانيّ بالعلماء المتدينين فيدخل فيهم الحاضرون الناصرون لمولد المظفر، وهو تناف في المعنى إذ لا يدخل الفاعل في غير الفاعل.

وعليه فينتج من ذلك أنه لا اعتراض على الفاكهانيّ بما اعترضه السيوطيّ عليه، بعد أن جاء بلفظ عام يشمل من حضر من الفاعلين بدل اللفظ الخاص بالتابعين بقسميه وقيده عند الفاكهانيّ، تأمّل ذلك.

الرابع: قوله: (وحضر عنده العلماء والصلحاء من غير نكير منهم . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: العلماء والصلحاء ليسوا بمعصومين ماداموا لم يكن منهم إجماع متحقق، وهنا لا إجماع فضلاً عن تحققه، وعليه فيحتمل أن تكون تلك الشرذمة الحاضرة منهم مجتهدة ولا يلزم اجتهادها كل مجتهد ولا مقلد، إذ قد يكون خطأً، وأن تكون منكرة لذلك ولكن غُلبت على أمرها، والمغلوب معذور، ويحتمل أن تكون غير مغلوبة على النكير، ولكن رأته لا يفيد قال الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾[1]، وَشَرَطُوا في تغيير المنكر الظنّ في إفادته وإلا لم يجب، ويحتمل أنهم رأوا في تغييره أعظم منكر يعود أو مع غيرهم، وهذا قد يحرم معه التغيير، ويحتمل أنهم اختلفوا فمنهم المنكِر بلسانه ولم يقدر على غير ذلك، أو غَيّر بقلبه حيث لم يقدر على التغيير بلسانه، ومنهم المستحسن لذلك وقد تقدّم ما فيه، ويحتمل أنهم منكرون لذلك بقلوبهم لعدم قدرتهم على ذلك، ولكنهم تأولوا بأنّ ذلك الحضور يلزمهم دفعاً لما يقع لهم من المفسدة، ويحتمل أنهم كغيرهم سارعوا إلى مرضاة السلطان وتحسين كل ما أعجبه لاسيما إن كان له وجه ولو غير صحيح كهذه القضية، وهذا الصنف كثير في القدم والحدوث، ولاسيما في هذه الأزمنة والناس سراع على أهل الدنيا، وراغبون في قربهم بأي شيء كان، وأمّا تناولهم الطعام فيحتمل أن المتناول منهم تأوّل بأن ذلك الطعام قد فات ولزمت القيمة الآخذ له فيباح له تناوله فقط، وقد يتأوّل غيره هذا التأويل ويزيد عليه بأنّه مال ربما ضاع لأربابه فيأكله ويخرج ما قدر على إخراجه صدقة على أهله لمن يستحقها، وقد إعتَلَّ

(١) سورة الأعلى، الآية (٩).

بعضهم بالصيام ليدفع عن نفسه تناول هذا الطعام، كما وقع ذلك لبعض علماء فاس مع السلطان المرينيّ(١)، فقد وقعت منهم هذه التأويلات الثلاث في طعامه مع أنه طعام فيه شبهة لا هو متخلص إلى الحرام، وهذا الطعام المذكور في الموضوع إن كان من حلال مال المظفّر فلا نهي في تناوله ولا أخذه، وإن كان من بيت المال فالذي ينبغي فيه التأويلات التي ذكرنا عن علماء فاس، وإن كان حراماً صرفاً، وهذا بعيد من هذه القضية فينبغي أن تجري فيه التأويلات المذكورة، وإن كان الأحسن فيها والورع الترك، والله الموفق للصواب.

وهذا في غير الصنف الأخير وإلا فما احتاجوا إلى تأويل، لأنّ حجتهم في استحسان ذلك رغبتهم، وعليه فلا حجة في حضور هؤلاء العلماء، ولا في إحداثهم ما ذكر لو أحدثوا أو أعانوا.

الخامس: قوله في الاعتراض على الفاكهانيّ: (ارتضاه ابن دحية . . .) الخ.

تعقيب: يقال عليه: ارتضاء ابن دحية ما فعله المظفّر وتصنيف الكتاب له في ذلك ليس بحجة الإرتضاء ولا التصنيف، إلا إذا سلمته الحجة، ويا ليت السيوطيّ – رحمه الله – ذكر ما في ذلك الكتاب هنا حتى يسلم أو يعارض، نعم له العذر في ترك ذكره إذ لم يطلع عليه، كما يقال فيه: لو كان في ذلك الكتاب حجج لا تقهر لما خفيت على أهل العلم، وحفاظ الحديث في الصدر الأول وغيره، وغاية ما يكون هو ما يحكم به الظنّ القوي فيه عند المستحسنين لهذا الإحداث، وما يؤيد ذلك عندهم من الانتقالات النّورية، والدعاوى المتناقضة التي قدمنا الكثير منها، وتنافيه على إنّ ابن دحية –رحمه الله– قد يكون من الصنف المسارع من العلماء لمرضاة الملوك، وقد يحمله على ذلك، أو يكون هو مجرد الحامل له طوافه ببلد المغرب والمشرق، وجوبه تلك الأقطار الذي يحوجه مع الغربة إلى المواساة، وحينما سمع بولوع هذا الملك بهذا المولد وتقريبه لمن يحسنه له دعته الحاجة إلى تحسينه بما يكمل به التخمين من كتابة الحجة

---

(١) لم يتبين لي من قصد المؤلف هنا بالسلطان المرِينيّ، فهناك أكثر من واحد من بني مَرِين يُلَقّب بالسلطان المرِينيّ ممن حكموا المغرب الأقصى، وكانت عاصمة حكمهم مدينة فاس.

عليه، والتصنيف في إظهار حسنه، ومن يواسي ابن دحية في غربته هذه بمائة دينار فضلاً عن ألف دينار التي أخذها من المظفّر في نظير تصنيفه كتابه هذا له.

السادس: وما نقله عن ابن خَلِّكَان من أنّ السلطان قرأ علينا هذا الكتاب في ست مجالس سنة خمس وعشرين وستمائة.

تعقيب: يقال عليه: كتاب السلطان أو وما ارتضاه من الكتب مقبول كيفما كان لاسيما إن كان في مثل هذا الأمر المحبوب لكل من لا يعير التحقيق والبحث إلتفاته، وإنما قد يسمع أو لا يسمع تأليف غير السلطان لاسيما إن كان فقيراً.

السابع: قوله في الاعتراض على الفاكهانيّ: (ولا مندوباً لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشرع).

يقال عليه: إن الطلب في المندوب تارة يكون بالنص، وتارة يكون بالقياس، وهذا وإن لم يرد فيه نص ففيه القياس على الأصلين الآتي ذكرهما.

نقد: يقال عليه: من قبلنا إذا سلمتم أنه لا نص من الشرع في الطلب وما بقي بأيديكم إلا الاعتماد على القياس الآتي لكم ذكره، قلنا لكم: يأتي ما يقال في قياسكم حيثما تأتون به.

الثامن: قوله في الاعتراض على قول الفاكهانيّ: (ولا جائز أن يكون مباحاً لأن الابتداع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين، كلام غير مسلم لأن البدعة لم تنحصر في الحرام والمكروه . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: من جهتنا بل البدعة الدينية منحصرة في المحرم والمكروه، كما قال الفاكهانيّ، ويأتي تفصيل ذلك.

التاسع: قد استدلّ السيوطيّ على أن البدعة الدينيّة لا تنحصر في المحرم والمكروه بكلام النوويّ، وعز الدين ابن عبدالسلام، حيث لم يحصرها في ذلك، وكذا ما نقله عن الشافعيّ، والظاهر إن لم يكن الواجب أن يحمل كلام هؤلاء الأئمة على البدعة اللغويّة

التي هي أعم من الدينيّة، كما حَمَلَ ذلك عليها الشاطبيّ، وقد تبع بعضهم ما ذكره السيوطيّ ها هنا من أنّ البدعة تنقسم إلى الأحكام الخمسة، وأخاله ابن غازي[(١)] ناظماً لها بقوله:

كـــن تابعـــاً ووافقـــا مـــن اتبـــع — وقَسِّـــمَن بخمســـة هـــذي البـــدع

واجبـــة كمثـــل كتـــب العلـــم — ونقـــط مصـــحف لأجـــل الفهـــم

مندوبـــة كمثـــل الكـــانس — والجســـر والمحـــراب والمـــدارس

مباحـــة كمثـــل المنخـــول — وذات كـــره كخِـــوَانِ[(٢)] المأكـــل

محرمـــة كالاغتســـال بالفتـــات — ونســـاء كاســـيات عاريـــات

أقول: وهذا التقسيم يؤذن بأن هذه البدعة ليست خاصة بالبدعة الشرعيّة بل ما يعمها وغيرها، بمعنى أنها لم تكن في زمان رسول الله عنده وعند أصحابه كانت من الشرعيّات أو اللغويّات، ويدل لذلك أن تمثيلهم لبعضها بالـمُنخَل[(٣)]، وخِوَان المأكل، والاغتسال بالفتات، والنساء الكاسيات العاريات ليس من العبادات المتقرّب بها إلى الله حتى تكون بِدَعاً دينية، وهذا التقسيم لا يلائم إلا اللغويّة، وإن كان البعض منه واجباً ككتب العلم، ونقط المصحف، أو مستحبًّا كالجسر، وبناء المدارس إذا لم تدع الحاجة إليها، وإلا كانت واجبة، فإنه لا يسمى بدعة باعتبار السنة إذ هو منها لأنه إن كان واجباً فمن باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وإن كان مستحباً فمن باب ما لا يتم المحبوب إلا به فهو من بابه، وهما معاً داخلان في المصالح المرسلة، وإن كان من حيث اللغة داخلين في البدعة، وأمّا المحرم، والمكروه، والمباح، فلا يكون ذلك إلا داخلاً في البدعة اللغويّة كما يدخل فيها الواجب والمستحب باعتبار كونها لغويّة، فالتقسيم

---

(١) ابن غازي هو: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثمانيّ المكناسيّ، من فقهاء المالكيّة، توفي بفاس سنة (٩١٩هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (٥/٣٣٦).

(٢) الخِوَان: هي ما يوضع عليه الطعام عند الأكل، ويطلق على مائدة الطعام. انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/٨٩)، لسان العرب (٦/٤٣٠٥).

(٣) الـمُنخَل هو: من نَخَلَ الشيء يَنخُلُه نَخلًا، وتَنَخَّلَه وانتَخَلَه: صَفَّاه واختارَه، والنُّخَالَة: ما تُنُخِّلَ منه، ونَخلُ الدَّقِيقِ: غَربَلَتُه، والمُنخَل: بالضّمّ وتُفتَحُ خاؤُه: ما يُنخَل به. انظر: لسان العرب (٦/٤٣٧٨).

للأحكام الخمسة بالنسبة إلى البدعة اللغويّة، وأمّا الشرعية فلا يخرج تقسيمها على المحرم والمكروه، والمحرم منها كالزيادة في الفرائض والنقصان منها، والمكروه كالزيادة في الأذكار المحدودة وفي الأذان على اثنتين في الجمعة تخصيصاً للجمعة[1] بذلك، وكالمنصت فيها، قس على ذلك، وهذه الأقسام التي تؤخذ من كلام هؤلاء الأئمة في التقسيم اللغويّ فتمثيلهم للواجب بكتب العلم، ونقط المصحف، بدعة لغويّة لا شرعيّة لما تقدّم من أنه من باب ما لا يتم الواجب إلا به، وكذا يقال في تمثيلهم للمندوب بالكانس وما بعده، غير أن الجسر والمدارس ليسا بدعة شرعيّة لما تقدّم أيضاً كالكانس، واختلف في المحارب، وتمثيلهم للمحرم والمكروه بما تقدّم فشرعية ولغويّة، وتمثيلهم للمباح بالمناخل لغويّة فقط، وفي تمثيلهم للمكروه بِخِوَان المأكل النظر إلى اللغويّة فقط دون الشرعيّة.

وقد اختصرنا الكلام على هذه المسألة هنا، واتكلنا على تفصيل الإمام الشاطبيّ لها في "الاعتصام" وردّه على القَرَافيّ[2]، وشيخه عز الدين ابن عبد السلام، في ذلك فليطلبه من أراده فهو شاف للغليل، وزاد لما اعتمد عليه السيوطيّ من كلام هؤلاء الشيوخ من أن البدعة الشرعيّة تنقسم إلى الأحكام الخمسة.

(..........)[3]

عاشراً: قوله عن ابن عبدالسلام: (وللبدع المندوبة منها إحداث الرُّبط ...) الخ.

يقال عليه: بعدما تقدّم الدال على أن هذه بدعة لغويّة إن كان قصده به رُبَط الجهاد، فهي من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وإن كان قصده بها رُبَط

---

(١) هذه بدع محرمة وليست مكروهة ، ووجه تحريمها كون النبي ﷺ سماها ضلالة فقال : " **كلُّ بدعة ضلالة** " .

ومعلوم أن البدع فيها نوع من الاستدراك على الشرع فكيف تكون مكروهة فحسب ؟!

(٢) القَرَافيّ هو: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبدالرحمن بن عبدالله بن يلين الصنهاجيّ البهفشيميّ البهنسيّ القَرَافيّ المالكيّ، توفي بدير الطين ظاهر مصر، ودُفِن بالقرافة سنة (٦٨٤هـ). انظر: تاريخ الإسلام (٥١/١٧٦/ترجمة: ٢٢٦).

(٣) بياض في الأصل .

المتصوّفة المتربطة، وأصحاب الخلوة، فقد اختلف في كونها مندوبة كما قال الشيخ، وهذا القيل استدل له بالصُّفَّة التي كانت في مسجد رسول الله، وكان فيها الغرباء من الصحابة إلى آخر ما قالوا في ذلك، وقيل: إنها ليست مندوبة بل مكروهة ما لم تؤد إلى حرام وإلا حرمت، وهذا القول هو الراجح، وقد تكفل الشاطبيّ بهذه المسألة وتفصيلها وردّ القول الأول، وترجيح الثاني بما يعلم بالوقوف عليه، كما أن ابن الجوزيّ تعرض لما يدل للقول الثاني، واختاره فيما يتضح من كلامه، وكل ما ذكر بعد هذه كالتراويح فبدعة لغويّة لا شرعيّة.

الحادي عشر: ما ذكره عن عمر ﷺ من أنّه قال في التراويح: "نعمت البدعة"[1].

يقال عليه: لا دليل فيه على أن البدعة الشرعيّة تكون حسنة إذ التراويح في الواقع ليس الجمع لها ببدعة بل وقع من رسول الله ﷺ بأصحابه كما في الخبر الصحيح، غير أنه بعد ذلك خاف أن يُفرض عليهم ذلك فنهاهم عنه[2]، فَتُرِك الجمع إلى زمن عمر فجمعهم في التراويح على إمام فقال: "نعمت البدعة" يعني بذلك اللغويّة، وإبداع من حيث انقطاع في زمن رسول الله بعد أن كانت، وزمن أبي بكر اشتغاله بأهل الأمر كجهاد أهل الردة، وفي زمن عمر ردهم إلى سنة الجمع في التراويح لذهاب علة النهي، وهو الخوف من أن تفرض عليهم إذ لا فرض بعد وفاة رسول الله، فهي في الحقيقة بدعة لغويّة، وقد كنا اعددنا هذا الجواب على هذا المقال، وبعد ذلك وقفنا على الشاطبيّ في "الاعتصام" لم يختر إلا هذا الجواب.

الثاني عشر: قوله: (فعرف بذلك منع قول الشيخ . . .) الخ.

يقال عليه: وقد عُرِف من البحث المتقدّم أن معنى قول الشيخ الفاكهانيّ هو الصواب، وأن تقسيم البدعة إلى الأحكام الخمسة هو في البدعة اللغويّة.

الثالث عشر: قوله: (وهو من الإحسان الذي لم يعهد في العصر الأول . . .) الخ.

---

(١) سبق تخريجه (ص: ٢١٢).

(٢) صحيح البخاري (ص: ١٤٨/ح٩٢٤)، ومسلم (ص: ٣٠٨/ح٧٦١).

يقال عليه: إطعام الطعام الخالي عن اقتراف الآثام باعتبار عمومه في الأوقات هو المعهود في العصر الأول، نعم، إطعامه في وقت معينة كليلة المولد بنية التقرب به إلى الله هو الذي لم يعهد في العصر الأول، وعليه فالجدال في هذا المخصوص هل هو بدعة حسنة أو لا حسنة، تمسكتم بما ظهر لكم دليلاً، وتمسك خصمكم بأنّ الإقتداء بأهل العصر الأول في ذلك أحسن من غيره، إذ هو مُناف لما وقع منهم من الترك وإذاً فهو بدعة شرعيّة كما هو بدعة لغويّة، وليست بمستحسنة إذ لو كانت مستحسنة لما سبقتموهم إليها.

الرابع عشر: قوله في الاعتراض على قول الفاكهانيّ الثاني: (هو كلام صحيح في نفسه . . .) الخ.

يقال عليه: وإن كان ما اختلط به من المنهيات لا يقدح في ندب أصله كما لا يقدح ذلك في صلاة الجمعة إذا اختلط بها، وكذا صلاة التراويح، ولكن إذا كان سبب المنهيات مندوباً ترك ذلك المندوب ليترك مسببه، وإن كان واجباً فإن كان له بدل كمكان تصلى فيه الجمعة بلا حضور من هو سبب النهي انتقل الناس من ذلك المكان إلى بدله المذكور، وإن لم يكن له بدل فالواجب لا يترك لأجل ذلك المنهي، وهذا التفصيل مع عدم القدرة على دفع ذلك المنهي وإلا وجب دفعه في الصورتين وعمل العمل الصالح على حدته، وهذا لو سلم لكم أن منه الأصل المذكور، وإلا فالخصم لا يسلم لكم ذلك، بل يقول: إن الأصل منهي عنه بترك فعله من رسول الله وأصحابه، وبقي ذلك فهو مطلوب الترك إذ تجرد عن كل منهي عنه فضلاً أن يختلط به.

الخامس عشر: قوله: (ولا يلزم لذلك ذم الأصل . . .) الخ.

يقال عليه: صحيح ولكن إذا كان الأصل لا ذم فيه كهذه الأمثلة، أمّا الحالة هذه فخصومكم لا يسلمون لكم عدم ذم المولد حتى تبنوا عليه ما ذكرتم، والخصم لا يلزمه إلا ما سلم.

السادس عشر: قوله في الاعتراض على الفاكهانيّ قوله: (أنّ الشهر الذي ولد فيه وهو ربيع هو بعينه الشهر الذي توفي فيه . . .) الخ.

جوابه أن يقال:

أولاً: إنّ ولادته ﷺ أعظم النعم علينا . . .) الخ.

يقال عليه من قبلنا أولاً: العلل التي ذكرها لاستحباب إقامة المولد لا تسلم عند الخصوم حتى يحتج عليهم بها.

ثانياً: إذا نهى رسول الله عن إقامة المأتم بالنوح ومثله، فقد نهى عن إحداث البدع "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ"[1]، وإقامة المولد على النحو المعروف لم يكن من فعل رسول الله ولا أمره، فتساوى المولد والمأتم في النهي عند خصومكم، وعليه فقياس الفاكهانيّ وفاة النبي ﷺ على مولده المؤذن بأنه ينبغي لكم أن تقيسوا هذا على هذا قياس ترك أو فعل.

ثالثاً: مادام ينفعكم هذا الفرق والاحتجاج بما ذكره ابن رجب وغيره عن الرافضة، وفاعل المأتم لا يقيمه كإقامة الرافضة له بل يقيمه بإطعام الطعام وحشد أهل الخير غالباً وغيرهم لأكله، وتلاوة القرآن، والاستغفار، والدعاء، والتضرع إلى الله بأن يرحم ميتهم، ويغفر له، وذكر بعض المواضيع إلى غير ذلك، وقد أحدثه الكثير من الناس كما سنعود إلى ذكره عند ذكر المواسم حين يقول لكم: أنا قائس فعلي هذا على فعل المولد لو فعله تذكرة لوفاة رسول الله، مع أنه شاع اليوم في وفاة الآباء والأشياخ كما يأتي، فما كان جوابكم هو جوابه، والاعتراض على الفاكهانيّ بهذا الفرق حينئذ يجاب عنه بما قدّمناه، وذكر السيوطيّ هنا كلام صاحب "المدخل" في ليلة المولد كما تقدّم، ونحن نبحث معه في بعض ما ظهر لنا فيه البحث ثم نعود إلى اعتراضات السيوطيّ عليه وعلى الفاكهانيّ، فنقول:

السابع عشر: قوله: (ولاشك أن السماع في غير هذه الليلة فيه ما فيه، فكيف به إذا انضم إلى فضيلة هذا الشهر العظيم الذي فضله الله، وفضلنا فيه بهذا النبي الكريم . . .) الخ.

تعقيب: يقال عليه: هذا الكلام منه يوهم أنّ ربيع الأول فضّله الله بوجهين:

الأول: النص على ذلك منه، أو من رسوله الذي لا يقوم له جدال، ولا يطعن فيه.

---

(١) صحيح البخاري (ص: ٤٤٠/ح٢٦٩٧)، ومسلم (ص: ٧٦٢/ح١٧١٨).

الثاني: بولادة النبي ﷺ والأوّل لا يدل له كتاب ولا سنة صحيحة، ولو دَلّ عليه لما بَخِل به مفضلوا ليلة المولد على غيرها على أنفسهم بل كان إتيانهم به وتقديمه على غيره خيراً لهم من حُمُرِ النَّعم، ومن الذهب الإبريز، والثاني إنما جعلوه دليلاً بأفكارهم التي يذكرونها المرة بعد المرة حتى إنهم حكوا عن صاحب "المعيار"(١) أنه بيَّن هذا الاستدلال بنحو عشرين وجهاً، ونحن وإن كنّا لا ننكر فضيلة ليلة المولد لهذه الأبحاث، ولكن لا نعطيها ما أعطته النصوص الكتابية والسنية الصريحة من الفضل لغيرها وغير يومها، كليلة القدر، وأوائل ذي الحجة، ورمضان وغيرها، كما لا نعطي ليومها وشهرها ما أعطت النصوص لغيرهما كشهر رمضان، والأشهر الحرم، وكيوم النحر، وعرفة، وعاشوراء؛ وانظر ما يقول هؤلاء لأهل الأقوال التي أنكرت أن يكون رسول الله ولد في ربيع الأول بل في غيره، وما يجيبون به عن هدمهم ما بنوه من هذه القاعدة، وهي تفضيل ربيع الأوّل على غيره من الشهور لعلة الميلاد المذكور التي بلغوا فيها إلى أن جعلوها أفضل مما فضلته نصوص الكتاب والسنة.

البحث مع الحلبيّ: وإليك الخلاف في الشهر المولود فيه ﷺ مختصراً، وقد قال الحلبيّ في سيرته بعد أن ذكر القول بأنه في ربيع الأوّل: (والخلاف في اليوم الذي ولد فيه في ربيع أهو يوم اثنتي عشر ليلة مضت من ربيع، أو هو عشر ليال مضت منه، أو ولد لسبع عشر ليلة خلت منه، أو لثمان مضت منه، أو لليلتين خلتا منه، أو لثمان عشرة ليلة خلت منه، أو لاثنتي عشرة بقين منه، وقيل: لاثنتي عشرة، وزاد غيره: لسبع منه)(٢).

أقول: وهذه الأقوال قد يرى في بعضها التكرار كما يدل الاختلاف فيها على ضعف تعيينها وعدم مبالات الرسول ﷺ بذلك التعيين، ولو كان عند الله ورسوله

---

(١) صاحب "المعيار" هو: أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبدالواحد بن عليّ الونشريسيّ التلمسانيّ الفاسيّ، وكتابه "المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوي علماء إفريقية والأندلس وبلاد المغرب"، مطبوع، توفي بفاس سنة (٩١٤هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (١/٢٦٩).

(٢) انظر: "السيرة الحلبيّة" (١/٨٥).

بتلك المنزلة التي فاقت فيها سائر أيام وليالي الدنيا، بل والآخرة كما يظهر من عبارتهم فضلاً لاعتنى بها وبين فضلها ذلك الله ورسوله، وعينتها الشريعة وبينت ما يطلب لأجلها، ويعتقد فيها كما زعمتم، وشيء من ذلك لم يكن.

وهذا نص ما ذكره الحلبيّ: (وقيل: لثمان ليالٍ خلت من رمضان، وصحّحه كثير من العلماء، وهذا هو الموافق لما تقدّم من أن أمه ﷺ حملت به في أيام التشريق، أو في يوم عاشوراء، وأنه مكث في بطنها تسعة أشهر كوامل، لكن قال بعضهم: إنّ هذا القول غريبٌ جدًّا، ومستند قائله أنه أوحي إليه ﷺ في رمضان فيكون مولده في رمضان، وعلى أنها حملت به في أيام التشريق الذي لم يذكروا غيره، يعلم ما في بقية الأقوال، وقيل: ولد في صفر، وقيل: في ربيع الأخير، وقيل: في محرم، وقيل: في عاشوراء، أي: كما ولد عيسى عليه السلام، وقيل: لخمس بقين منه، وذكر الذهبيّ: أن القول بأنه ولد ﷺ في عاشوراء من الإفك[1]، أي: الكذب، وفيه إن كان ذلك لأنه لا يجامع أنها حملت به ﷺ في أيام التشريق، وأنه مكث في بطنها تسعة أشهر كوامل لا يختص الإفك بهذا القول، بل يأتي فيما عدا القول بأنه ولد في رمضان، ثم رأيت بعضهم حكى أنه حمل به في شهر رجب، وحينئذ يصح القول المشهور بولادته في ربيع الأول، وعن ابن عباس رضي الله عنه: (ولد يوم الاثنين في ربيع الأوّل، وأنزلت عليه النبوة يوم الاثنين في ربيع الأوّل، وهاجر إلى المدينة يوم الاثنين في ربيع الأوّل، وأنزلت عليه النبوة يوم الاثنين في ربيع الأوّل، وتوفي يوم الاثنين في ربيع"[2]، قال بعضهم: وهذا غريبٌ جدًّا)[3]. انتهى ما ذكره الحلبيّ من الخلاف في الشهور.

وهي خمسة: رمضان، محرم، صفر، ربيع الأوّل، ربيع الثاني، والأقوال سبعة بزيادة قولي عاشوراء، وخمس بقين من المحرم، كما ذكر أربعة أقوال في حمله رجب، أو أيام التشريق، أو عاشوراء، أو ربيع الأوّل، ونحن نبحث معه في كلامه هذا أبحاثاً:

---

(١) انظر: "سير أعلام النبلاء" (السيرة النبوية: ١/٣٤).

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخه (٣/٦٨). وقال الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية" (٣/٣٧٦) بعد أن ذكره: (وهذا غريبٌ جدًّا).

(٣) انظر: "السيرة الحلبية" (١/٨٥).

الأوّل: قوله: (أنّي يوم عاشوراء).

يقال عليه: تقسيم الكلام إلى موضوع الحمل والولادة، وذكر يوم عاشوراء بعد ذكره أولاً في الولادة، يدل على أن هذا في الحمل، وإليه يعود قوله: (لكن قال بعضهم: إن هذا القول غريب جدًّا) ولا يعود إلى ما قبله من الحمل أيام التشريق لتصحيح كثير من أهل العلم له، وقد ذكر الذهبيّ كما ترى أنه منفيّ عنه المتعلق بهذه الأقوال كلها، اللهمّ إلا أن يقال الغرابة على القول بها لا تنافي الصحة، فقد يكون الغريب صحيحاً كما يكون المشهور ضعيفاً.

الثاني: قوله: (ومستند قائله أنه أوحي إليه ﷺ في رمضان . . .) الخ.

تعقيب: يقال عليه: هذا القول منه لا يعود إلى ما قبله من الحمل في عاشوراء، ولا من الولادة فيها لأنّ الثاني سيذكره بعد، ولأنّ الأوّل إنما يناسب الولادة في شوال لقولهم: (مكث في بطن أمه تسعة أشهر كوامل) وإنما يناسب القول الأوّل بأنه ولد في رمضان، ولكن لا يلزم من كون بعضهم استدلّ للولادة في رمضان بهذه المقالة أن تكون هي دليل المصحِّحين لا غير حتى يعترض عليها، بل يكفيهم دليلاً أن يصح الحمل في أيام التشريق مع مكثه في بطن أمه ﷺ تسعة أشهر كوامل، وقد صحَّحوا هذا القول كما سيزاد في توضيحه.

الثالث: قوله: (على أنها حملت به في أيام التشريق الذي لم يذكروا غيره . . .) الخ.

تعقيب: يقال عليه: إذا لم يذكروا غيره لم يبق للغير قيمة، سواءٌ قلنا أنه في ليلة عاشوراء، أو ربيع، أو رجب، وهذا معنى قوله: (يعلم ما في بقية الأقوال).

الرابع: ما نقله عن الذهبيّ مما يفيد أن الإفك لا يختص بالقول بأنه ولد في عاشوراء، بل يأتي فيما عدا القول بأنه ولد في رمضان.

يقال عليه: واضح على سبيل الإجمال أن القول الذي لا إفك فيه هو أن الولادة في رمضان، ونحن نفصل لك ذلك: وهو ما يقال قد ذكروا للحمل أربعة أشهر كما تقدّم منها ما قيل: أنه في رجب وهو المشهور عند أهل المواليد، وعليه فإن كان الحمل في أوّل ليلة من رجب كانت الولادة في آخر يوم من ربيع الأوّل، أو أوّل يوم من ربيع

الثاني، لما صَحّ عنه أنه ﷺ مكث في بطن أمه تسعة أشهر كوامل[١]، وهو الموافق لعادة الولادة غالباً، وإن كان في الليلة الثانية من رجب كان في أوائل ربيع الثاني بلا شك، وهكذا في الرابعة، والخامسة إلى تمام الشهر تكون الزيادة على حسب ذلك، حتى إنه لو علقت به في آخر يوم من رجب كان في آخر يوم من ربيع الثاني، أو أول يوم من جمادى الأولى، أو الأقوال كلها بأنها كانت في ربيع دون آخر يومين مثلاً، أو يوم منه مخالفة لما ذكر لأن مدة الوضع إذاً ناقصة نقصاناً بيّناً عن تسعة أشهر كوامل، مع ضعف القول بأن الحمل في رجب.

ومنها ما قيل: أنه في يوم عاشوراء، يقال عليه: تكون الولادة يومئذ في حدود العشر من شوال، ولا تقولون به ولا غيركم فيما نعلم.

ومنها ما قيل: أنها في ربيع الأوّل، وعليه تكون الولادة في آخر ذي القعدة، أو أول يوم من ذي الحجة، وهذا كالأوّل.

ومنها ما قيل: أنه في أيام التشريق، فتكون الولادة في أوائل رمضان، وهذا الذي يوافق ما صححه كثير من العلماء كما تقدّم، ويوافق مدة الحمل العادية والمذكورة لأهل التاريخ والسير[٢]، ويؤيده ما ذكر الحلبيّ عن الذهبيّ أن هذا القول خالص من الإفك، كما يؤيده أن البناء بها والحمل كان عند الجمرة الوسطى، وهذا يناسب أيام التشريق، وغير هذه الشهور لم نقف على من نسب إليها الحمل، وعلى فرض نسبته إليها أو بعضها، نقول: لو فرضناه في ربيع الثاني لكانت الولاة في آخر ذي الحجة إذا كان الحمل في أول يوم من ربيع الثاني، وهكذا حتى لو فرض أنه في آخر يوم من ربيع الثاني كان في آخر يوم ذي الحجة، أو أوّل يوم من المحرم، والحمل بهذا الشهر لا تقولون به، والولادة في المحرم والقول بها في شدة الضعف كما تقدّم بل قد حكم عليها بالإفك كما تقدّم، وهكذا لو فرضناه في جمادى الأولى كانت الولادة في المحرم، وفيه ما تقدّم فيما

(١) لم أجد له تخريج في كتب الحديث ولا غيرها، وإنما ذكره أهل السير والتاريخ، ولعلهم بنوا قولهم هذا على عادة مدة الحمل والولادة. والله أعلم.

(٢) كُتِبَ على هامش المخطوط ما نصه: (وكل هذه الاحتمالات تؤدي إلى الولوج في باب ضيق، ومسلك شائك، مع ... [كلام غير واضح] ... الأدب إلى مر بعيد).

قبله على أن ذلك الحمل إنما هو مفروض، ولو فرضناه في جمادى الثانية لكانت الولادة في صفر، وقد تقدّم ما قيل فيما قبله، ولو فرضنا في شعبان كانت الولادة في آخر يوم من ربيع الثاني لا في أوائله، ولا في أواسطه، ولو فرضناه في رمضان كانت الولادة في جمادى الأولى على النمط الذي ذكرنا، ولو فرضناه في شوال كانت الولادة في جمادى الثانية على النحو المتقدّم، ولو فرضناه في ذي القعدة كانت الولادة في رجب على نحو ما تقدّم، ولو فرضناه في أول يوم من ذي الحجة كانت الولادة في آخر يوم من شعبان ونحوه، وإذا قلنا بأنه في أيام التشريق جاءت الولادة في رمضان على النحو الذي صَحّحَ أهل العلم، ولم تخالف المدة وجاء تأييد ذلك بما تقدّم، ولو قيل: سلمنا الحمل في أيام التشريق لترتبت عليه الأقوال في أنه ولد في المحرم أو في يوم عاشوراء أو صفر أو ربيع الأوّل على الخلاف في أيامه، لقلنا: إن كانت هذه الأقوال ترتب ما ادعته من الولادة في هذه الأوقات على حمل أيام التشريق في السنة الواحدة، فباطل في ذلك يكون الوضع إمّا لأقل من شهر أو شهرين أو ثلاث ونيف، وهذا لا يقع فيما جعله الله للنساء من الوضع إلا أن تكون معجزة أو على ما يريد الله، وإن كان الترتيب بعد تمام السنة والشروع في التي بعدها يكون ذلك الحمل المبارك مكث في بطن أمه تسعة أشهر كوامل.

فتأمّل هذا التفصيل تجد الأقوال كما قال الذهبيّ: (لا يصح فيها إلا القول الذي صحّحه كثير من العلماء، ولا يخلو من الإفك إلا هو)، كما أن القول بأنه ولد في ربيع الأوّل وأن ليلته ويومه أفضل أيام الدنيا ولياليها بأسرها، وأن ربيع الأول يسري له ذلك الفضل حتى يكون أفضل الشهور، وعلى الأقل مثلها يحتاج إلى إثبات علة هذا التفضيل فيه، وهي حصول المولد فيه، وأنت ترى ما تقدّم يهدم هذا الحصول كما يهدم ما بنوا عليه من الفضائل المتقدّمة، ومن مطلوبية الأعمال التي تعمل فيه فضلاً عن عملها في نظائره، كما تهدم تخصيصه بعمل خير دون غيره، بل هو على هذا أُسوة الشهور الغير المنصوص على أفضليتها على غيرها، كما أن لياليه وأيامه أُسوة الأيام والليالي الغير المنصوص على أفضليتها على غيرها، وعليه فما ذكره ابن الحاج هنا وسَلَّمَه له غيره كالسيوطيّ وغيره، لا يُسَلَّم، والله أعلم.

الثامن عشر: قوله: (الذي مَنَّ الله علينا فيه بسيّد الأوّلين والآخرين . . .) الخ.

يقال عليه: ما تقدّم يؤذن بأن الشهر الذي مَنَّ الله عليه فيه بولادة سيّد المرسلين هو رمضان، كما يدل ما تقدّم من أنه لا مدار في الحقيقة إلا على صفة الكمال لا على الولادة ولا الزمان ولا المكان وغيرهما، وهذا يدل على أن المنّة الكبرى علينا هي نبوة سيّدنا محمد ﷺ وهي في رمضان، لا في شهر ربيع ولا غيره، ولا التفات إلى الأقوال الشاذة.

التاسع عشر: قوله: (كان يجب أن يزاد فيه . . .) الخ.

يقال عليه: هذا مبحوث فيه من وجهين:

الأول: ما تقدّم من أن سبب هذه الزيادة فيه لم يثبت باتفاق، ولا هو راجح على غيره بل ولا هو مساوٍ له.

الثاني: كون رسول الله لم يزد فيه شيئاً بالأعمال الفاضلة على غيره من الشهور، دليل على أنه لا يخص بعمل دونها، والمخصص له بذلك مخالف لما كان عليه رسول الله ﷺ والمقتدي بالكتاب والسنة يسعه ما وسع رسول الله ﷺ.

العشرون: قوله: (بأن رسول الله ﷺ كان يترك العمل خشية أن يُفرض على أمته . . .) الخ.

يقال عليه: مسلم أن رسول الله كان يترك بعض الأعمال لذلك، كالجماعة في التراويح، ولكن إذا دَلّ دليل على أنه ترك ذلك لذلك، كنصه عليه في صلاة التراويح بقوله: "خيفة أن تُفرض عليكم"[(١)]، أمّا إذا لم يدل دليل على أن الترك لذلك فمن لنا بأن النبي ﷺ ترك ذلك لذلك أو لغيره، ككونه منهياً عنه أو مباحاً، وهذا لا يتأتى في العبادات والفضائل، وفيما قال الشيخ فتحٌ لباب أجوبة المحدِثين في المولد وغيره، بأن يقولوا: بأنما ترك رسول الله ﷺ ما عملنا مما ليس بمنهي عنه من الخير ولو خَصّصنا به أوقاتاً أو أمكنةً لخوفه أن يُفرض علينا، وقد ماتت هذه العلة بوفاة رسول الله ﷺ فهو إذاً داخل في هذه العلة، وقياس على مسألة التراويح، وهذا مقول عليه.

---

(١) سبق تخريجه (ص: ٢٣٠).

هَب أنَّ خيرَكم خيرَكم في نفسه، ولكن إحداثكم لكم، وتخصيصه بصفات أو أمكنة أو أزمنة، يدل على أنه لو كان خيراً ولو بما ذكر ما سبقتموه إليه ولا أصحابه، ولا أكثر علماء الأمة، والابتداع في غير الدين قد تقدّم أنه تعتريه الأحكام الخمسة، وهو في الدين لا يخرج عن كونه محرماً أو مكروهاً، ولو كان خيراً في نفسه لكان خارجاً عن السنة حيث أهملته بتلك الصفة، وقد روي أنّ مالكاً – رحمه الله – كان كثيراً ما ينشد:

وخيرُ أمورِ الدِّينِ ما كان سُنَّةً ... وشَرُّ الأمورِ المحدَثَاتُ البَدَائِعُ[(١)]

وقيل: إنه كان يقول هو وغيره: (إن الله تعالى أكمل الدِّين، فمن زاد فيه أو نقص، فقد زعم أن محمداً خان الرسالة)[(٢)].

الواحد والعشرون: قوله: (ولكن أشار ﷺ إلى فضيلة هذا الشهر).

يقال عليه: لو احتجنا إلى الإشارة، مع أن هذا الشهر لو كان أفضل من الشهور التي نصّ رسول الله على أفضليتها، وأفضلية أيامها ولياليها كما تقدّم لبيَّنَها، وهو المكلف بالبيان الواضح، وهو لا يتم إلا بالعبارات لا بالإشارات.

الثاني والعشرون: قوله: (بقوله للسائل الذي سأله عن صوم يوم الاثنين: "ذلك يوم ولدت فيه")[(٣)] الخ.

يقال عليه: فحوى هذا الجواب من رسول الله ﷺ أن هذا يوم مبارك وولد فيه رسول الله ﷺ لا أنه يوم اكتسب البركة من مولد رسول الله فيه فقط، وإلا كان هذا المعنى على تسليمه خاصاً بذلك اليوم الذي ولد فيه رسول الله بوجود العلة فيه دون ما بعده وما قبله، فكأنه فيهما لم يكن مباركاً ولا معظماً لخلوه من علتيهما مع أن يوم الاثنين عظّمه الله تعالى في الجاهليّة[(٤)] وفي الإسلام، كما عظّم يوم الجمعة كذلك

---

(١) انظر: "الاعتصام" (١٤٢/١)، "نفح الطيب" (٣٠٧/٥).
(٢) انظر: "الاعتصام" (٦٢/١).
(٣) سبق تخريجه (ص: ٢١٦).
(٤) لم أجد دليلاً يدل على تعظيم يوم الاثنين في الجاهليّة قبل الإسلام. والله أعلم.

تعظيماً يفوق يوم الاثنين كما دلت عليه الدلائل في محلها، وإن كُنَّا لا ننكر أن يزيد فضلاً بميلاد رسول الله فيه زيادة على نحو ما قدّمناه في الزمان والمكان.

الثالث والعشرون: قوله: (فتشريف هذا اليوم متضمن لتشريف هذا الشهر).

يقال عليه: تقدّم أن الصحيح هو كون هذا اليوم الشريف بنفسه وبميلاده عليه السلام خاصاً برمضان، فإذاً الشرف به هو رمضان لا ربيع الأوّل.

الرابع والعشرون: يؤخذ من كلامه أن تشريف يوم الاثنين غير الذي ولد فيه رسول الله لا دليل له، وقد يبحث فيه بما تقدّم.

الخامس والعشرون: يؤخذ من هذا أيضاً أن يوم الاثنين الغير المقارن للميلاد لا يعظم تعظيم المقارن ولا يشرف به ذلك الشهر؛ لعدم وجود مقارنة العلة المذكورة له، والحكم يدور مع العلة وجوداً أو عدماً.

السادس والعشرون: على هذا يقال لكم: علة المولد هل هي سارية في الاثنين وشهره الغير المقارن للعلة المذكورة أو لا سارية؟ فإن قلتم سارية، قيل لكم: كيف يسري الحكم المعلول في معلوله دون وجود علته، ويلزمكم على تسليم ذلك لكم أن تكون شهور السنة كلها كشهر المولد في التعظيم لوجود علة ذلك مكررة في كل شهر منها نحو الخمس مرات، وإن قلتم لا سارية، قيل لكم: فلم يعظم يوم الاثنين وأنتم مقرون بنفي ذلك التعظيم إلا أن تجيبوا بأنه معظم في نفسه، والعلة المذكورة إنما تزيده تعظيماً، قيل لكم: قد خرجتم عن أصلكم مِن أنه لم يعظم إلا لها.

السابع والعشرون: يقال لكم: إذا كان يوم اثني عشر من المولد من الشهور التي بعد شهر مولد رسول الله، أو يوم كذا أو كذا على حسب ما قيل من الأقوال فيما تقدّم، لم يوافق يوم الاثنين سواء قلتم العلة سارية أو لا سارية، فَلِمَ تعطون ذلك اليوم من التعظيم ما تعطونه ليوم المولد الموجودة فيه العلة مع أنه مفقودها؟ وليس باليوم المقارن لها ولا بنظيره، كما يقال لكم: من لا يعتبر يوم الولادة في النظير كان يوم الاثنين أو غيره وإنما يعتبر شهرها، ومنكم من لا يعتبر هذا الشهر فيعملان المولد في غير نظير يومها وفي غير شهرها، ولا أخال هؤلاء يجيبون بدليل مسكت إلا أن يقولوا: نحن نتبرك

بهذا العمل، ونتضرب به صدف الوقت أو لم يصادفه، فيقال لهم: يرجع البحث معكم في هذا الابتداع الذي ابتدعتموه ولم تدعموه ولو بدعامة واهية.

الثامن والعشرون: قوله: (فينبغي أن نحترمه حق الاحترام ونفضله بما فضل الله به الأشهر الفاضلة وهذا منها).

تعقيب: يقال عليه: ليس في أيدينا تفضيل شيء كشيء أو على شيء حتى نفضل ربيع الأول بما فضلت به الأشهر المفضلة أو نفضله عليها بل التفضيل بيد الله، وقد فضل تلك الأشهر بما خصها به، ونص على ذلك بلسان كتابه، ولسان رسوله، وهما لنا أسوة، ولم نقف على تصريح منهما بفضائل هذا الشهر المساوية للأشهر الفاضلة أو الفائقة له في ذلك.

التاسع والعشرون: قوله: (وهذا منها لقوله عليه السلام: "أنا سيّد ولد آدم ولا فخر")[1] الخ.

تعقيب: يقال عليه: تعليل لسيادة رسول الله على ولد آدم – عليهم السلام – لا شائبة خصوصية فيه لهذا الشهر بكونه من الأشهر الفاضلة بل رسول الله سيّد ولد آدم في الأيام كلها، والشهور، والأعوام، والدنيا، والآخرة، وكونه ولد في ربيع لا يُسَلَّم كما تقدّم، وعلى تسليمه، فلم يَرِد نص لا يُرَدّ بأن وقت ولادته عليه السلام خير من الأوقات كلها، وكالأوقات المنصوص على فضلها، وعلى تسليمه، فالخصم لا يُسَلِّم لكم أن شهرها كشهر رمضان أو ذي الحجة مثلاً، وأن يومها كيوم النحر مثلاً، أو ليلها كليلة القدر، وإذا سَلَّم لكم هذا تسليماً جدليًّا لم يُسَلِّم لكم أن يكون أفضل منه، ولا أنّ يوم الولادة كيوم الشفاعة، والحوض المورود، واللواء الممدود، وإن لا ننكر فضل الولادة، ولكن نبحث في الدعوى المصادمة للدلائل الصحيحة الصريحة.

الثلاثون: قوله: (وفضيلة الأزمنة والأمكنة بما خصها الله به من العبادات التي تفعل فيها . . .) الخ.

---

(١) سبق تخريجه (ص: ٦٦).

تعقيب: يقال عليه: أخبر هنا بأن الأزمنة والأمكنة تُفَضّل وتُشَرّف بما خصها الله بها من العبادات، وفيه بعض التنافي لما يذكره بعد من تشريفها بما هو أعم من العبادات كالولادات.

الواحد والثلاثون: قوله: (فانظر إلى ما خص الله به هذا الشهر الشريف ويوم الاثنين . . .) الخ.

تعقيب: يقال عليه: إن الخصم يقول: نظرنا وانتظرنا إلى بيان ما خص الله به هذا الشهر ويوم الاثنين فلم تزد على الصيام في يوم الاثنين، وفضل صيام يوم الاثنين قال خصمكم: ليست الولادة علته قطعاً ولا ظناً قوياً، بل تقدّم أنه يوم مبارك قبل الولادة وبعدها[1]، على أنّ فضيلة صومه لا تفوق فضل صوم يومي عاشوراء وعرفة، وعشر أوائل ذي الحجة، وبالأحرى صوم رمضان، فقد جاء . . .

(.........)[2]

وفضل صيام يوم الاثنين ليس خاصاً بشهر المولد على أنه لم يُتَّفق على أنه ربيع كما تقدّم، وعليه فأيّ شيء خص به ربيع دون غيره من الشهور الفاضلة وغيرها.

الثاني والثلاثون: قوله: (لأنه ﷺ ولد فيه فعلى هذا . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: إذا كانت علة الانبغاء المذكور ما ذكر من الولادة، فَلِمَ لم يعظّمه رسول الله تعظيماً ظاهراً لأمته المبتغى اللائق به؟ وَلِمَ لم يعظم ميلاد عيسى وموسى وإبراهيم -عليهم السلام-؟ وميلاد بناته؟ والحسن والحسين؟ وغيرهما، كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، مع أنهم ذوو الفضائل صفةً وزماناً ومكاناً وولادةً رضي الله عنهم.

الثالث والثلاثون: قوله: (ألا ترى إلى قول ابن عباس رضي الله عنه: "كان رسول الله أجود الناس بالخير")[3] الخ.

---

(١) سبق الكلام عليه (ص:٢٣٨).

(٢) بياض في الأصل .

(٣) سبق تخريجه (ص:٢١٥).

بحثٌ: يقال عليه: سلمنا هذا، ولكن أين ما خص به رسول الله ليلة مولده وشهرها على أنه ربيع الأول؟ وإنما جاء عنه ﷺ أنه كان يعمر أيام السنة بالأعمال الصالحة العامة كانت ربيعاً أو غيره، والتي كان يُخَصّصها بشيء من الخصائص معروفة، كوجوب الصيام في رمضان، وتأكيد استحبابه في الأشهر الحرم، وذي الحجة، وعاشوراء، وعرفة، ويوم الاثنين مع التفاوت في فضلها، وكالتراويح في رمضان، وليلة القدر فيه، وعيد الفطر كذلك، والأضحية في ذي الحجة، والحج والعمرة فيه.

الرابع والثلاثون: قوله: (فإن قال قائل قد التزم ﷺ في الأوقات الفاضلة . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: إنّما دَلَّ الدليل على ترك رسول الله له مخافة أن يُفرض علينا، كالجماعة في صلاة التراويح مسلم، كما أن الله سبحانه خَفَّفَ عنَّا الدِّين، وما جعل علينا فيه من حرج، وبما يسكت عنه، كما قال رسول الله: "وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها"[1]، فكذلك رسول الله كان يطلب لنا التخفيف وكفى في ذلك مراجعاته ربه ليلة الإسراء في التخفيف من الصلاة، وما لم يدل دليل على أنه ترك للتخفيف ينظر في وجه تركه، فقد يكون لكونه لم يُشرع فيه شيء خاص به كما هنا، فإذا أحدثناه بعلة التخويف المذكور كُنَّا مُحدِثين البدع المنهي عنها كراهة أو حرمة، وهو اللائق بهذا الموضوع لا بالقياس على مسألة الخوف.

الخامس والثلاثون: قوله: (فالجواب أن ذلك لما علم من عادته الكريمة أنه يريد التخفيف عن أمته سيّما ما كان يخصه).

تعقيب: يقال عليه: لا معنى لقوله: (سيّما فيما كان يخصه) هنا، لأن ما يخصه إن كان واجباً لا يجوز له تركه بوجه من الوجوه، وإن كان مندوباً فإنه وإن جاز له تركه، فتخصيصه به دافع لعلة خوف فرضه علينا وإرادة التخفيف عنَّا، تأمّل ذلك.

---

(١) رواه البزّار (١٠/٢٦/ح٤٠٨٧)، والطبرانيّ في "الكبير" (٦/٢٥٠/ح٦١٢٤)، و"الأوسط" (٨/٣٨١/ح٨٩٣٨)، والدارقطنيّ (٥/ح٤٣٩٦، ح٤٨١٤)، والحاكم (٢/٤/ح٣٤٧٧)، والبيهقيّ في "السنن" (١٠/١٢). وحسّنه النوويّ في "جامع العلوم والحكم" (٢/٨١٧/ح٣٠)، والألبانيّ في "شرح العقيدة الطحاويّة" (ص:٣٣٨).

السادس والثلاثون: قوله: (ألا ترى إلى أنه ﵇ حَرَّم المدينة مثل ما حَرَّم إبراهيم مكة . . .) الخ.

تعقيب: يقال عليه: التحريم هنا والتخفيف في بعضه والتثقيل في غيره ليس إلا الله سبحانه، ونسبة التحريم في مكة لإبراهيم ﵇ وفي المدينة له، بمعنى أنه كان على يديهما، والأوّل في رسالة إبراهيم، والثاني في رسالة رسول الله - عليهم السلام - والتحريم والتحليل لا يدخله الاجتهاد، ولا يرجعان إلّا إلى الوجه لا إلى تلقاء الأنفس، ويوضح هذا أن الله تعالى قال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا ﴾[1]، ويقول: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾[2] الآية، ويقول: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾[3]، ويقول في دعاء إبراهيم ﵇: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾[4]. إلى غير ذلك، وعليه فتحريم المدينة من الله كتحريم مكة، وكذا التخفيف والتثقيل، على أنه لو سلم ظاهر الحديث لما كان فيه دليل على أن التخفيف في حرم المدينة هو من رسول الله فقط، كما في تركه الجماعة للتراويح.

السابع والثلاثون: قوله: (فكان ينظر إلى ما هو من جهته وإن كان فاضلاً في نفسه فيتركه للتخفيف عنهم . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: ليس على إطلاقه، وإلّا لم يبق عمل فاضل من جهته إلا تركه لأجل أمته، وهذا باطل، بل قد يكون ذلك تارةً إذا دَلّ عليه الدليل كما تقدّم.

الثامن والثلاثون: قوله: (فعلى هذا تعظيم هذا الشهر الشريف إنما يكون بزيادة الأعمال . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: تقدّم أنه لا دليل على أن هذا الشهر يطلب تعظيمه على غيره من الشهور، ولا أنه مساوٍ للمعظم بالنص منها، كما تقدّم أن رسول الله لم يخصه

(١) سورة العنكبوت، الآية (٦٧).

(٢) سورة المائدة، الآية (٩٥).

(٣) سورة المائدة، الآية (٩٦).

(٤) سورة إبراهيم، الآية (٣٧).

بشيء من الأعمال دون غيره، وهو صريح ما قاله قبل في جواب إن قال قائله: (ففي كلامه –رحمه الله– تناف بالنظر إلى أقواله بزيادة الأعمال الزاكيات فيه . . .) الخ، وتقدّم ما في علة تعظيمه على سائر الشهور.

التاسع والثلاثون: قوله: (إلّا أنه في هذا الشهر أكثر احتراماً).

بحثٌ: يقال عليه: إذا كانت حرمة هذا الشهر كحرمة رمضان وغيره من الأشهر المعظمة، وإلّا فكغيره من غيرها وقد تقدّم ما في ثبوتها.

الأربعون: قوله: (وهذه المفاسد مركبة على فعل المولد إذا عُمِلَ بالسماع . . .) الخ.

يقال عليه: ليت الأمر وقف على ما ذكره الشيخ، ولكنه لم يقف عند ذلك بل ترتب على إحداث المولد النبوي مواليد وأعياد أحدثت بعد فتح باب هذا الإحداث:

فمنها: عيد السابع والعشرين من رمضان، فقد زيد فيه من البدعة ما هو معروف.

ومنها: عيد النواصب في يوم عاشوراء.

ومنها: عيد ليلة المعراج.

ومنها: عيد ليلة النصف من شعبان.

ومنها: عيد ميلاد المسيح.

ومنها: عيد رأس السنة العجمية.

ومنها: عيد ميلاد الملوك.

ومنها: عيد مولد الأمراء والأميرات، وعيد العرش.

ومنها: عيد النصر.

ومنها: عيد الاستقلال.

ومنها: عيد الانبعاث، وعيد العملة، وعيد النقابات، وعيد الشباب، وعيد الاتحاد، وعيد مواليد الأزواج، وعيد مواليد الآباء، وعيد مواليد الشيوخ، إلى غير ذلك.

كما أحدث بهذا الفتح مآتم وسمّوها مواسم:

منها: ما يقام بالأحزان، كما تم عاشوراء للروافض.

ومنها: ما يقام بالأفراح كمواسم أهل القبور، ومواسم الآباء، والشيوخ.

وهذا النوع كثير جداً لا تكاد غالباً تخلو منه بلد، وأهل هذه الأعياد والمواسم يتفانون في مفاسدها، فأخفّهم الرَّقَّاصون على السماع، ثم المدَّاحون بالقصائد الشعرية، كأصحاب البردة والهمزية، وقراء المواليد في أيامها.

ومع ذلك ففي الأولى من المفاسد ما ذكره الشيخ وغيره، ويزاد على ذلك ما لم يذكر، وقد يؤخذ بعضه مما سنذكره بعد.

وأمّا الثانية: ففيها ما في قبلها من الأصل والزيادة، كما فيها ما يؤذن بالكفر، وهذا الكفر سببه ذلك، وقد ذكر البعض من ذلك، وسيذكر الباقي على سبيل الإجمال، وعند المقتضى.

ومنهم: الشدَّاخون رؤوسهم بالشفر ومثل ذلك، والدماء تسيل على وجوههم والجراحات تفتح لذلك على رؤوسهم.

ومنهم: الأكَّالون للجيف، والشرَّابون للماء الحار في نظر الرائي.

ومنهم: المجتمعون الشَّادُّون للرِّحال للقبور بنية إحياء المولد النبوي عليها أو الموسم لأربابها، فتراهم يتقربون إليها بالذبائح والهدايا، ويطوفون حولها كالكعبة، ويعتقدون أنها متصرفة في ملك الله، كما اعتقد سلفهم أن المتصرف في ملك الله هو رسول الله كما يأتي، وقد قدّمنا ما يدل عليه عندهم، ويتسابقون على الخيول بين يدي أولئك المعبودين حتى أن في زمن أشياخهم ومواسمهم لا تكاد تجد فرساً يمكنه أن يصل إلى تلك الأمكنة الخبيثة بجموعهم يتأخر عن ذلك، ولا ترى فرساً ربط في سبيل الله، بل إذا ربط تعففاً عن المسألة وقضاء للحاجة لابد أن تحضر هذه المخازي ما أمكنه، زد على ذلك ما يعم أكثر هذه المحدثات إن لم نقل كلها من الجهل، والخلو من التوحيد والتعبد لله، بل أكثر هؤلاء قلوبهم خالية من الإيمان، وأن الذي معهم مجرد الانتساب إلى الجنسية الإسلامية، والقلوب من ذلك والجوارح خالية لا رب له في الحقيقة إلا أولئك المعبودون، لا يزكون ويدفعون أموالهم بطيب أنفسهم لأبناء وسدنة أولئك المحرومين، ولا يكادون يتصدقون على مسكين أو يرحمون محتاجاً قد زاد على كفرهم القديم لأهل

هذه، وكفر الشيوعيين الزائغين الذين رفعوا رؤوسهم في هذا الإبَّان وصرَّحوا بالانسلاخ من الإسلام، عموم الفسق ليلاً ونهاراً، وتحرير النساء من قيود الحياء، وجلباب المروءة، وجعل الشورى بين أيديهن، وملازمتهن للرجال جنباً لجنب، ومعانقتهن للأحدان في مرأى ومسمع من كل أحد، وجماعهن في الأسواق، وقوارع الطرق، والنَّادِيَات والمجتمعات، وذهاب الغيرة من النفوس حتى أنَّ الرجل يرى امرأته في أقبح من تلك الأحوال ويتحقق إباحتها لفرجها وعرضها، وتترك أولادها للضياع، وقتلهم والتبري منهم، وهو نشيط يضحك، بل هو على صفتها مع غيرها، فكثر أولاد الزنى، وأعقمت النساء، وانسد باب النكاح إلا نادراً، وفتحت أبواب الفسق والخناء على مصراعيها، وصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، بل صار من أوجب الله عليه تغيير هذه المناكر يحض عليها، ويحث على فعلها، ويتهدد من تركها، وتُتلى خُطَب الجُمُعَات بأمر من له ذلك الشأن في التحريض على ذلك.

(........)[(١)]

وقد عم هذا العباد حتى صار هؤلاء الفساق وهم أكثر الخلق اليوم لا تحاشي جاهلاً، ولا عالماً، ولا ذا قوة، ولا ضعيفاً إلّا من عصمه الله، يجتمعون اجتماعات لا تكاد تحصى، وهم على أزياء تلك الكفرة مع الشابات الفاتنات المتبرجات لا عورة منهم مستورة، ولا فتنة منهم مطمورة بين الشعور المتدلية، والنهود العارية، والفروج وما حولها لكل ناظر متمثلة، فيراقون متعانقين إذا أخذت منهم النشوة أعلاها، والفتنة منتهاها، أطفئوا الأضواء فركب بعضهم بعضاً للفاحشة، وقد فتحت هذه الكليّة الخبيثة، وأغدقت كليات العلم والحكمة الصالحة، وذل أهلها، وقبح شأن الدَّاعين إليها مع أن وجودهم في هذه الأزمنة كعنقاء المغرب أو الكبريت الأحمر، فاللهمَّ غياث المستغيثين لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا على أحد من خلقك ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[(٢)].

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) سورة الممتحنة، الآية (٥).

الواحد والأربعون: قول السيوطيّ على كلام ابن الحاج: (إن في كلامه تنافياً حيث ذكر في أوله أنه ينبغي أن يخص هذا الشهر بزيادة فعل البر، وكثرة الخير والصدقات ...) الخ، وذكر في آخره (أن إطعام الطعام وغيره في تلك الليلة بنيَّة المولد بدعة ...) الخ، إذ القُرَب التي تختص بها تلك الليلة، وشكر الله على نعمة المولد، تشمل إطعام الطعام وما معه بنيَّة المولد، وما ذكره بعد هذا يخرجه من شمول القربات له.

يقال عليه: أمّا تخصيص تلك الليلة بشيء من أفعال البرّ، وكذا تخصيص شهرها فقد تقدّم ما فيه.

كما يقال عليه: قد لا تكون منافاة بين أول كلامه وآخره، بحيث يخصص عموم أوله بغير ما دل عليه آخره، وتصريحه بالأخير دليل على أن قصده ما ذكرنا.

الثاني والأربعون: قول السيوطيّ: (وهذا هو عمل المولد الذي استحسناه، فإنه ليس فيه شيء سوى قراءة القرآن، وإطعام الطعام ...) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: إدخاله هذا في عموم كلام ابن الحاج صحيح، لو لم يذكر ابن الحاج ما يستثنيه به، ولكنه ذكره كما ترى.

الثالث والأربعون: قول السيوطيّ: (يحمل على أنه بدعة حسنة).

نقد: يقال عليه: تقدّم أن القُرَب الدِّينيَّة لا تكون بدعة حسنة، ولا قبيحة على ما هو الحق.

الرابع والأربعون: قول السيوطيّ: (فظاهر هذا الكلام أنه كره أن ينوى به المولد فقط ...) الخ.

تعقيب: يقال عليه: لا يلزم من كونه جعل طعاماً تلك الليلة ودعا إليه الإخوة أن يكون بنية المولد، بل تارة ينويها وهو محط النزاع بينك وبينه، وتارة لا ينوي بذلك أنه يجعل مولداً لرسول الله، وإنما ينوي به أن يتصدق بذلك الطعام على غيره، وينوي تلك الصدقة شكراً لله على نعمة رسول الله ووجوده، إذ إطعام الطعام تعتريه الأحكام الخمسة، فقد يكون واجباً: كإطعام المضطرين، ومستحباً: كإطعام الجار والضيوف، وهاتان قربتان يصح أن ينوي بفعلهما الشكر لله على أيّ نعمة حصلت له، كما ينوي

بهما امتثال أمر الله، فقد يكون مراد الشيخ ابن الحاج بإطعام الطعام المذكور هاتين الصورتين، فلا يكون في كلامه تناف، وقد يكون مباحاً: كإطعام الناس لتأليفهم لعشرةٍ أو تجارة مثلاً، ويكون مكروهاً: كإطعام الناس لينشروا ذكره ويجلبوا به عندهم الثناء، ويكون حراماً: كإطعام من يعينه على الظلم، وعليه فلا يلزم ابن الحاج التنافي ولا وقوع الإطعام بغير نيَّة أصلاً حتى يعترض عليه بأنه لا يتصور وقوع فعل بلا نيَّة.

الخامس والأربعون: قول السيوطيّ: (ولا نيَّة إلّا الشكر لله على ولادة هذا النبي الكريم في هذا الشهر الشريف ...) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: لا يلزم من الشكر لله بالقربات أن تكون تلك القربات هي العمل الذي يقع في المولد من إطعام الطعام وما معه، بل قد تكون نافلة وصياماً، وصدقة وصلاة عليه، ومجرد قول القائل: الحمد لله، والشكر لله، وهذه القربات على هذا النمط لا تنكر في أيام المولد ولا في غيرها.

وقوله: (فهذه نيَّة المولد).

يقال عليه: موضوع النزاع هو جعل الولائم بنيَّة المولد لا غير الولائم من مثل ما ذكرنا من القربات، وإن صحبها نيَّة المولد مع ترك إظهار ذلك بالاجتماعات، وتعيين الأمكنة والأوقات، ثم ذكر السيوطيّ كلاماً لابن الحاج ختم به ما تقدّم عنه.

ونص ما نقله عن ابن الحاج هنا: (ومنهم من يفعل المولد لا لمجرد التعظيم، ولكن له فِضَّة عند الناس إلى آخر كلامه).

تعقيب: ونحن نقول عليه: كلام مسلم في زمانه، فكيف بزماننا الذي عَمَّ فيه الفساد برّاً وبحراً، وانتشر النفاق والرياء، وعبدت الدنيا حتى صارت المواليد تجعل لما قال الشيخ وزيادة، كالتوصل للأغراض الفاسدة من النساء والمردان بسبب تلك الاجتماعات، وقد رأينا من الناس من مات فَأثَرَ ولده على حسابه، بحيث جعل له موسماً يدخل عليه أموالاً طائلة، بل شيوخ كثيرة يعرف بهذا الحال، ولاسيما أبناء القبور المعظمة فإنهم بمواسم آبائهم، ونشر الدعاوي لهم بأنهم لا يصل إلى الخلائق عطاء، ولا يدفع عنهم ضر، ولا يولد لهم ولد، ولا يصح لهم مريض، ولا تنتج لهم مواشي إلى غير ذلك إلّا بواسطة آبائهم، وهي دعوى فتحها لهم من افترى على رسول الله أنه قاسم

الخزائن الإلهية على أجناد الدوائر الملكيّة، بحيث جعلت في يده دون إلهه، فاستغنى هؤلاء الكذّابون المعبودون بكذبهم عن طلب العلم لانسلاخهم من الدِّين بالكليّة إلّا في بعض المظاهر النفاقيّة، أو إلّا بعض النادر منهم حيل بينه وبين معتقدهم، وعن طلب الدنيا بوجوهها المباحة بما ضربوه من الجزية على من هم من بني آدم كالأنعام، وبما يأخذونه وجوباً عليهم، وإلّا هلكوا ثمناً لربوبيتهم، وآبائهم، وعبادتهم الكاذبة فيما يزعمون أخذاً مستمراً إلى يوم القيامة إلّا أن يشاء الله ما يشاء، لا يصدهم عن ذلك إيمان، ولا علم، ولا حياء، ولا مروءة، ولا حشر، ولا نشر.

السادس والأربعون: قول السيوطيّ: (وهو أن الذَّمّ فيه إنما حصل من عدم النيَّة الصالحة لا من أصل عمل المولد . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: من أنصف كلام ابن الحاج علم أن الذَّمّ عنده يتوجه إلى ما ذكر وإلى أصل عمل المولد.

السابع والأربعون: سَلَّمَ السيوطيّ كلام ابن الحاج إلّا ما ذكره في إطعام الطعام بنيَّة المولد خالياً عن المفاسد المذكورة، وأنه مكروه فلم يُسَلِّمه له.

وأقول: لِمَ لَمْ يتعرّض السيوطيّ لأبحاثنا مع ابن الحاج؟ فإن كان لكونه لم يُوفَّق لها، فلا يُكلّف الله نفساً إلا وسعها، وإن كان عدم توفيقه لها كلها أو بعضها من البعيد لكونه متبحراً في العلم، وإن وُفِّق لها على الوجهين المتقدمين فمطلوب منه أحد أمرين:

إمّا أن يردها بما يرد أو يُسَلِّم أو يجيزها، فيرجع عما بناه عن تعظيم المولد تعظيماً يفوق كل الشهور أو يساوي أفضلها، وسكوته بقيد التوفيق يكون لا محالة من باب حُبِّك الشيء يُعمي ويُصم.

الثامن والأربعون: قول الحافظ ابن حجر الذي نقله السيوطيّ عنه هنا: (في شأن ما يفعل في المولد بعد كلمات تدل على أنه بدعة متفق عليها، لكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرّى في عملها المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة، وإلا فلا . . .) الخ.

تعقيب: يقال عليه: على ما هو الحق أن البدعة الحسنة لا تكون في الدِّين.

التاسع والأربعون: قول الحافظ: (قد ظهر لي تخريجه على أصل ثابت . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: هذا التخريج لا يُسَلَّم له، كما لا يُسَلَّم له أن ذلك أصله، وذلك بأن يقال:

أولاً: في صوم رسول الله عاشوراء قياساً على صوم موسى عليه السلام لا يصح عند منكري القياس في الدِّين، وعند مثبتيه كذلك لعدم الاشتراك في علة الأصل، وهي ما مَنَّ به في يوم معيَّن إذ هي خاصة بموسى عليه السلام حيث أغرق الله عدوه في ذلك اليوم، فلم يبق إلا أن يقال: صام رسول الله تبعاً لموسى، بناءً على أن شرع من قبلنا شرع لنا، وهذا يرده أنه كان يصوم عاشوراء، كما كان يُصام في الجاهلية هو وأصحابه، ودخل المدينة على ذلك فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فصامه، أي: دام على صيامه، وقال: "نحن أحق بموسى منكم"[1]، حيث أخبروه أنه صامه لنجاته في ذلك اليوم، وإغراق فرعون، وليس ذلك اقتداءً بهم حتى يكون شرع من قبلنا شرعاً لنا في هذه الصورة أو في غيرها، وأمّا على أن شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا فواضح عدم الإقتداء بهم، وعلى الوجهين فصيام عاشوراء سببه الأول:

صيام قومه وغيرهم له في الجاهلية، وتأكّد ذلك بصيام موسى عليه السلام قصد قربة الصيام ثم رضي الله منه هذا القصد وأمره به، فصار مأموراً به من قبل الشريعة، وإن كان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، وعليه فلا تخريج، ولا قياس، ولا متابعة شرع من قبلنا في هذه الصورة، وهذا كله تمهيد للتخريج الذي ذكر الحافظ، وهو أن ما يُفعل في المولد مخرج على صيام يوم عاشوراء، ومقيس عليه للعلة المشتركة، وهو الشكر على ما مَنَّ به في يوم معيّن، لكن إن كان القياس على صوم رسول الله عاشوراء فباطل من وجهين:

الأوّل: خلو الأصل من تلك العلة.

الثاني: عدم قياس رسول الله هذا القياس، وإن كان على صوم موسى فباطل عند من ينفي القياس، كما يقال: هذا فيما قبله، وعند مثبتيه باطل أيضاً من وجهين:

---

(١) سبق تخريجه (ص: ٢١٧).

الأوّل: أن أهل القياس لا يقيسون على خارج من شريعتهم.

الثاني: لو صح هذا القياس لقاسه رسول الله، وأصحابه، وأهل قرون الخير، وأعلم الأمة، وقد نقل عن المازَريّ[1] وغيره ما يفيد ما ذكرناه في صيام رسول الله عاشوراء، تأمّل ذلك يظهر لك ما في تخريج الحافظ.

على أنَّ أصح القياس إن جاز هنا قياس مولده ﷺ على مواليد ما قبله، والنبيين والمرسلين في الترك إذ لو ثبت عنهم لشاع وذاع، ولجاءت به النصوص، والإهمال دليل على عدم الثبوت، وعمل الزاعمين النصرانيّة مولد عيسى ﷺ هو من تلقاء أنفسهم لا من عمله ﷺ ولا بأمره، كمبتدع عندنا، على أن هذا القياس والتخريج عند الحافظ لنظير ليلة المولد في الأزمنة بعدها لا لها، وهو لا يصح، لأنه إن قيس على مواليد الأنبياء أنتج العكس، وإن قيس على صوم يوم عاشوراء أنتج ما تقدّم من عدم الصحة فيهم، وإن قيس على مولده أنتج خلاف القياس، إذ الأصل المتروك لا المفعول، فافهم ذلك، والله الموفق للصواب.

الخمسون: قوله: (فينبغي أن يتحرّى اليوم بعينه . . .) الخ.

يقال عليه: كيف يصح التحرّي مع الأقوال المتقدّمة التي يصحّح كل من قال بواحد منها قوله، بل تقدّم أنَّ الصحيح إذ ذلك في أوائل رمضان، ولم يعينوا ذلك اليوم من عدد الأيام وإن عُيّن بأنه يوم الاثنين.

الواحد والخمسون: قول الحافظ: (وأمّا ما يعمل فيه فينبغي فيه . . .) الخ.

يقال عليه: ما ذكره هنا في حكم ما يعمل فيه من أنه إذا خلا من النهي حرمة أو كراهة أو خلافاً للأولى مندوب إليه، وهو موضوع الخلاف عندهم، وقد تقدّمت الدلائل الدالة عن النهي عنه كغيره إن تفاوت النهي، كما أن اجازته الأمداح النبويّة

---

(١) المازَريّ هو: أبو عبدالله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميميّ المازَريّ المالكيّ، مصنف كتاب "المعلم بفوائد شرح مسلم"، توفي بمدينة المهديّة من إفريقية في ربيع الأول، سنة (٥٣٦هـ). ومازَر: بليدة من جزيرة صقليّة بفتح الزاي، وقد تُكسر. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/١٠٤/ترجمة:٦٤).

هنا، يقال عليها: لعلها عنده كما يظهر من كلامه ليست كأمداح الغلاة مثل البوصيريّ، كالمواليد التي الكلام في شأنها، إذ هي دالة على غلوٍّ لا يقبله الشرع. انتهى كلام ابن حجر، وما كتب عليه من قبلنا.

ثم قال السيوطيّ بعد: قلت: (وظهر لي تخريجه على أصل آخر . . .) الخ.

وهذا يقال عليه: سترى ما في هذا الأصل من الأبحاث والتوهينات فضلاً عن الفرع، وبعون الله نستعين، وعليه نتكل.

الثاني والخمسون: قوله: (وهو ما أخرجه البيهقيّ عن أنس ﷺ) الخ.

يقال عليه: هذا الأصل لا يصح عند أهل العلم، بل هو منكر بشهادة ما تسمعه عنهم.

قال الشوكانيّ: (وروي عن الشافعيّ أن العقيقة تلزم من تلزمه النفقة، ويجوز أن يعق الإنسان عن نفسه إن صحَّ ما أخرجه البيهقيّ عن أنس أن النبي ﷺ: "عَقّ عن نفسه بعد البعثة"[١]، ولكنه قال: إنّه منكر، وفيه عبدالله بن مُحَرَّر، بِمُهمَلَات، وهو ضعيف جداً كما قال الحافظ[٢]، وقال عبدالرزاق: (إنما تكلموا فيه لأجل هذا الحديث)، قال البيهقيّ: وروي من وجه آخر عن قتادة عن أنس: (وليس بشيءٍ)[٣]، وأخرجه أبو الشيخ من وجه آخر عن أنس، وأخرجه أيضاً ابن أيمن في مُصَنّفه، والخلاّل من طريق عبدالله بن المُثَنَّى عن ثمامة بن عبدالله عن أنس عن أبيه به، وقال النوويّ في "شرح المهذَّب": (هذا حديث باطل)[٤]، وأخرجه أيضاً الطبريّ، والضِّيَاء من طَرِيقٍ فيها ضَعف)[٥].

---

(١) سبق تخريجه (ص: ٢١٨).

(٢) انظر: "لسان الميزان" (٤/٥١٨/ترجمة:٤٣١٤). وقال في "التقريب" (ص:٥٤٠/ ترجمة:٣٥٩٨): (متروك).

(٣) انظر: "السنن الكبرى" (٩/٣٠٠).

(٤) انظر: "المجموع شرح المهذَّب" (٨/٤١٢).

(٥) انظر: "نيل الأوطار" (٥/١٥٣-١٥٤).

الثالث والخمسون: قوله: (أن النبي ﷺ عَقّ عن نفسه) إلى قوله: (والعقيقة لا تعاد فيحتمل . . .) الخ.

يقال عليه: لو سلّمنا ثبوت هذه العقيقة لما دلت على المقصود، والقياس إمّا:

أولاً: فإن رسول الله ﷺ لم يعمل مولداً دعا إليه الناس حتى يتم القياس.

وإمّا ثانياً: فإنه لم يكرر ذلك ثانياً وثالثاً إلى وفاته.

وإمّا ثالثاً: فإنه ما أمر أمته ولا أصحابه بذلك.

وإمّا رابعاً: فإن المقتدين بسنته بكل حال لم يفهموا عنه ذلك فضلاً عن أن يعملوا به.

وإمّا خامساً: فلا يتم لكم القياس إن سلمناه إلا إذا عققتم عن رسول الله بكبش مثلاً، وأنتم لا تعقون به بل تعملون الطعام والأعراس من غير تَحَرٍّ قصد العقيقة عنه، ومنكم من عق عنه بمائة فرس، وخمسة آلاف كبش.

الرابع والخمسون: قوله: (كما كان يصلي على نفسه . . .) الخ.

يقال عليه: صلاته على نفسه سؤال الرحمة والفضل منه لا شكراً في مقابلة نعمة أنعم بها الله عليه في يوم معيّن حتى يتم القياس، وإن كان شكراً لله لازماً لكل طاعة من الطائعين.

الخامس والخمسون: قوله: (فيستحب لنا أيضاً إظهار الشكر بمولده . . .) الخ.

يقال عليه: قد تقدّم ما فيه، ثم قال السيوطيّ: (ثم رأيت إمام القراء الحافظ شمس الدين الجزريّ) إلى آخر ما ذكر عنه من قصة أبي لهب التي تقدّمت ذكرها ببعض المخالفات في الألفاظ، وبعض الزيادات، وقد تقدّم القول في ذلك مستوفي فلا نطنب بإعادته.

السادس والخمسون: ثم قال السيوطيّ: (فائدة: قال ابن الحاج: فإن قيل: ما الحكمة في كونه ﷺ خص مولده الكريم بشهر ربيع الأول . . .) الخ.

بحثٌ: يقال: من أدراه بأن حكمة التخصيص هو ما أجاب به، والتخمين والظنّ المجرد عن المقوي له لا يعد من مسائل العلم والحكمة.

السابع والخمسون: قوله: (والجواب من أربعة وجوه).

يقال عليه: عبارة جوابه تقتضي أن الوجوه الأربعة مترادفة، وعائدة كلها إلى الحكمة المذكورة في كل من التخصيص بالاثنين وغيره، مع أن الوجه الأول إنما هو في الاثنين خاصة، والثاني والثالث في ربيع فقط، والرابع فيهما معاً.

الثامن والخمسون: قوله: (في الوجه الأول: كما ورد في الحديث: "أن الله خلق الشجر يوم الاثنين")[1].

بحثٌ: يقال عليه: يظهر أنه أراد بذلك أن منافع الشجر والأقوات خلقت يوم الاثنين، ولكن في عبارته إسقاط فلذلك لم يظهر منها هذا المعنى، كما يظهر أنه أراد أن بهذه الأشياء يمتد بنو آدم ويحيون وتطيب نفوسهم، فكذلك برسول الله يحصل ذلك، ولكن ليس في العبارة ما يوضح هذا، فلو أتى بما يوضحه لكان من أبين الخطاب وفصله.

التاسع والخمسون: قوله: (الثاني: أن في لفظة ربيع إشارة وتفاؤلاً حسناً بالنسبة إلى اشتقاقه . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: الإشارات ولو بلغت ما بلغت ما قامت مقام العبارات، وإن كان بعضها مبيناً لما وضع له، كالإشارة إلى نَعَم، ولا بالرأس مثلاً، ومنها ما هو مبيّن لبعض المعنى بما لزم للعبارة من حيث الزمان مثلاً، كإدخال جزء من الليل في الصيام المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾[2].

ومنها: ما هو كالورد يشم ولا يحك، وهو الإشارة القريبة من اللفظ.

---

(١) صحيح مسلم (ص: ١٢١٦/ح٢٧٨٩).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٨٧).

ومنها: ما هو تخمين لا يشم ولا يحك بل إمكان وجود معناه بعيد، وربما كانت هذه منه، وهذا التفصيل للإشارة الحسية والمعنوية، وما ذكره عن أبي عبدالرحمن الصقليّ ليس بلازم، بل أكثر الأسماء والألقاب المحمودة وضعت لمسمياتها من غير مناسبة بينها وبينها.

الستون: قوله: (الثالث: إن فصل الربيع أعدل الفصول . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: فصل الربيع لم يتقدّم له ذكر في السؤال حتى يجاب عنه بهذا الجواب.

الواحد والستون: القائل بأنه ولد في ربيع النبوي الصحيح خلافه كما تقدّم، وهكذا يقال في فصل الربيع لخلو القول بهما عن دليل، ولأن في كلام هؤلاء إذا سلمناه لهم في حمل رسول الله إلى وضعه تناقضاً بل إذا سلمنا البداية بطلت النهاية والعكس بالعكس، وذلك بأنهم قالوا: إن الليلة التي حمل فيها برسول الله اخضرت الأرض طولها والعرض إلى آخر ما عند أهل المواليد، واخضرار الأرض طولها وعرضها لا يكون بدؤه إلا في فصل الشتاء ثم يمتد إلى غاية فصل الربيع، ولا يكون في الصيف، ولا في الخريف، وإلا كان أبهر خارق للعادة، ونقل بتواتر أهل الأرض إلى ما بعدهم، وشيء لم يثبت فكان الصواب الرجوع فيه إلى العادة، وعليه فالحمل في أول شهر الشتاء وهو نوفبر، إذا كان وضعه لتسعة أشهر كما جاء في وضع رسول الله لا يمكن أن يوضع عادة في فصل الربيع التالي، لفصل الحمل لقصره عن التسعة أشهر وما قاربها بل قد يكون في بعض التقادير أنه ولد لثلاثة أشهر ونيف، وذلك مخالف للرواية والعادة، فإن حملنا فصل الربيع على العام المقبل كانت الولادة فائقة السنة مرة بشهرين، ومرة بثلاث وقس على ذلك، ولولا التطويل لذكرنا هنا كل التقادير الدالة على مخالفة العادة والدليل، فأنت إذا أثبت لهؤلاء كون الحمل كان في إبان اخضرار الأرض بطل قولهم، وولد في فصل الربيع، وإن أثبت لهم هذا الأخير أبطلت قولهم حمل به في زمن اخضرار الأرض، فإن قلت: يحمل هذا على أن القول به باطل، قلنا: وأي دليل صحح هذا وأبطل ذلك بل كلاهما متساويان في إمكان الصحة والبطلان.

الثاني والستون: قوله: (الثالث: أن فصل الربيع أعدل الفصول وأحسنها . . .) الخ.

يقال عليه: ماذا يريد بالأعدلية إن كانت عائدة إلى اعتدال الحرارة والبرودة ففي الخريف كذلك، وإن أراد بها اعتدالية الزمان فكذلك الاعتدال يكون فيهما معاً، وعليه

فَلِمَ خصّ فصل الربيع بهذا التشبيه دون الخريف، هذا كله مع تسامح في مثل هذه الأخبار، وإلا فأي وحي يسفر لنا عن هذا، هو المراد من مقدّر الأشياء سبحانه.

الثالث والستون: قوله: (الرابع: إذ الحكيم سبحانه أراد أن يُشرّف . . .) الخ.

يقال عليه: أولاً: من لنا بأن هذا هو مراد الحكيم سبحانه.

ثانياً: هذا التشريف للربيع النبوي بمولد رسول الله متوقف على صحة ولادته فيه، وقد تقدّم أنه غير صحيح.

ثالثاً: سلمناه، ولكن التشريف الخاص لربيع الأول بتلك الولادة الشريفة لا يساوي تشريف رمضان، ولا المحرم، ولا ذا الحجة، فضلاً عن أن يفوقها في التشريف دَلّ على ذلك النصوص، ودَلّ لمن شرفه فوقها أفكاره وهي لا تساوي النصوص.

الرابع والستون: قد تقدّم عند أهل العلم ما يصحح أن رسول الله ﷺ ولد في رمضان، وهو من أشرف الأزمنة، وعليه فقد بطل جواب الشيخ بأنه لم يولد في الزمن المشرف لئلا يتوهم أنه شرف به.

الخامس والستون: قد تقدّم أن المدار في التشريف على الأوصاف الكاملة كانت في الشخص أو الزمان أو المكان، فالشخص يتشرف بالعلم والحكمة، وبحسن الخلق، وغيرها من الأوصاف السانية المتعلقة بذاته لازمة له أو عارضة، وقد يزيد شرفاً بخارج عنها كمكانه الشريف كأهل الجنة فإنهم يتشرفون بسكناها زيادة على ما شرفوا به في أنفسهم، وكأبناء أو سكان الأراضي المقدسة من المؤمنين في الأرض كمكة، والمدينة، وبيت المقدس، وبالزمان كون الصحابة في زمن رسول الله ﷺ فإن تلك المعية تزيدهم شرفاً، وميلاد المولود في الأيام المعظمة كرمضان، ويوم الاثنين، ويوم الجمعة، وفي أيام ذي الحجة، وزد على ذلك ما يضاهيه، والنسبة قد يزيد الشريف شرفاً نسبةً إلى آباءٍ مشرفين كالأنبياء، والعلماء، والصلحاء[1].

---

١) أصل هذا كله قول الله تعالى : { إنَّ أكرمكُم عند الله أتقاكُم } فالعبرةُ بالتَّقوى لا بمجرد النسب الشريف ، وقد قال رسول الله ﷺ : " **من بطَّأ به عمله = لم يُسرع به نسبه** "

كما أن المكان قد يشرف بأوصاف فيه: ككونه نافعاً لخلق الله كمعادن الذهب والفِضَّة، والملح، والحديد، والنحاس، وقس على ذلك، وككونه مضافاً إلى معلوم الشرف عند الناس كبيت الله، ودار الله وهي: الجنة أو ولي الله.

وبما فيه: ككونه سكنى أولياء الله كالجنة، ومحل بيت الله، ومناسك العبادة لله كمكة وما حولها، ومناسك الحج أو بمجرد اختيار الله له أن يكون محل عبادته أو فرائضه، كمكة وما حولها، ورمضان، وأوقات الصلاة، أو يجعل الله تربته طيبة، كالأمكنة التي تدفن بها الأنبياء، أو بتقديس الله له وجعل البركة فيه، كالأرض المقدسة من المدينة و الشام، أو ببث الخيرات فيه، كالمياه، والبساتين، والأرزاق، وطيب التربة، وقد قال الله في أرض سبأ: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[1].

وأمّا الزمان فقد يزيد شرفاً باختيار الله له أن يكون زمناً لفرائضه، وبالأحرى إذا وقعت فيه بالفعل وكذا بمولد الأنبياء والمرسلين كمولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين إن صَحّ.

وعلى ما فصلناه يعلم ما في كلام الشيخ ابن الحاج فيما تقدّم من أن المكان لا يشرف إلا بما احتوى عليه.

السادس والستون: بما تقدّم قبله يعلم ما في قول ابن الحاج من أن رسول الله لم يولد في الأزمنة الفاضلة لئلا يتوهم أنه شرف بها، وهو يزعم وغيره أنه ولد يوم الاثنين مؤذن أن يوم الاثنين ليس بفاضل منذ خلقه الله حتى ولد فيه رسول الله، وعلى هذا يقتصر فضله على يوم الميلاد ولا يتعدى إلى نظيره فيما بعد لانعدام العلة فيه، والحكم لا يفارق علته ولا تفارقه، كما أن بما كتبناه على هذه الفائدة يعلم ما في كلام الشيخ ابن الحاج، وتسليم السيوطيّ له، والله أعلم.

أقول: ثم رجعنا بعدما كتبناه على السيوطيّ فيما اعترضه على الفاكهانيّ، واعترضه بما اعترضه به إلى الباقية من مولد الشيخ جعفر – رحمه الله – فقلنا:

---

(١) سورة سبأ، الآية (١٥).

فصلٌ

في قوله: (وقد جرت العادة أيضاً بالقيام عند قراءة مولده – عليه الصلاة والسلام – لدى ذكر الوضع الشريف، وما يتبعه من حسن التوصيف، وهذا القيام يفعله السلف، وإنما عمل به من بعدهم من الخلف، وليس هو في الحقيقة للذات المحمدية كما توهمه قوم في البرية فاعترضوا وأطنبوا وإلى إنكار فعله ذهبوا، وإنما هو قيام فرح، وسرور، وابتهاج، وطرب، وحبور ببروزه ﷺ لهذا الوجود، وإشراق نوره فيه على كل موجود، وشكر الله تعالى على ما به أولى) إلى أن قال: (والقيام والرقص ونحوهما فرحاً بالمصطفى ﷺ أو بما هو منه أو راجع إليه، له أصل أصيل في الشرع الشريف يعتمد ويعول عليه، فقد لعبت الحبشة بحرابهم المستلزم للزَّقْبهم واضطرابهم لما قدم الطَّيْلاٰ المدينة فرحاً بقدوم طلعته المباركة، وعزته الفخيمة أخرج ذلك أبو داود في سننه[1] . . .) الخ، ثم ذكر حديث لعب الحبشة بالمسجد يوم العيد[2]، إلى أن قال: وفي حديث أحمد، وابن ماجه عن قيس بن سعد بن عبادة: أنه الطَّيْلاٰ: "كان يُقَلَّسُ أي: يُضرب بين يديه بالدُّفِّ، والغناء يوم الفطر")[3] الخ، ثم ذكر (أن ذلك لم يكن إلا للفرح به، والسرور به) إلى أن قال: (وليس المقصود من لعب الحبشة في المسجد مجرد التدريب كما ادَّعاه بعضهم، لأن المسجد ليس محلاً لذلك، ولا جرت العادة فيه بما هنالك، وكذلك لما قدم المدينة خرج جوارٍ من بني النَّجَّار في الطرقات يضربن بالدُّفُوف، ويقلن بالأصوات المرتفعات:

نحن جوارٍ من بني النَّجَّار ... يا حبذا محمد من جار

زاد بعضهم:

فمرحباً بذا النبي المختار ... ومرحباً بسيّد الأبرار

---

(١) انظر: "سنن أبي داود" (ص: ٨٩١/ح٤٩٢٣). وصحّحه العلامة الألبانيّ.

(٢) صحيح البخاري (ص: ١٥٩/ح٩٨٨)، ومسلم (ص: ٣٥٦/ح٨٩٢).

(٣) رواه أحمد (٢٢٦/٢٤/ح١٥٤٧٩)، وابن ماجه (ص: ٢٣١/ح١٣٠٢). وضعّفه العلامة الألبانيّ في "السلسلة الضعيفة" (٢٧٨/٩/ح٤٢٨٥).

ذكره أبو سعد النيسابوريّ[١] في "شرف المصطفى"[٢] وغيره[٣]، وأخرجه البيهقيّ، وشيخه الحاكم عن أنس رضي الله عنه[٤]، وانظر فهل ذلك أيضاً إلا فرحاً برؤية جماله، وابتهاجاً بقدومه وإقباله)[٥].

(وفي ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه أنه عليه السلام: مَرَّ ببعض أزقة المدينة فإذا هو بجوار يضربن بدفهن ويغنين ويقلن:

نحن جوارٍ من بني النَّجَّار يا حبذا محمد من جار

فقال عليه السلام: "اللهُ يعلَمُ أنِّي لأُحِبُّكُنَّ"[٦]، وانظر أيضاً فقد ورد عن عدة من الصحابيات أن كل واحدة منهن نذرن لله تعالى إذا رَدَّه سالماً من بعض أسفاره أو من بعض الغزوات أن تضرب بالدُّفِّ على رأسه الشريف فرحاً برجوعه سالماً آمناً مطمئناً، فأمرهن عليه السلام بأن يوفين بنذرهن بالتمام ... الخ، ثم ذكر عن الترمذيّ عن بريدة قال: خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت: يا رسول الله إني كنت نذرت إن رَدَّك الله صالحاً أن أضرب بين يديك بالدُّفِّ وأتغنى،

---

(١) أبو سعد النيسابوريّ هو: عبدالملك بن محمد بن إبراهيم بن يعقوب أبو سعد بن أبي عثمان، النيسابوريّ، المعروف بالخركوشيّ، وخركوش: سكة بنيسابور، له عدة مؤلفات منها: "شرف المصطفى" مطبوع، توفي سنة (٤٠٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢٥٦/١٧/ترجمة: ١٥٣).

(٢) انظر: "شرف المصطفى" (٣٧٢/٢-٣٧٣).

(٣) انظر: "البداية والنهاية" (٤٩٣/٤-٤٩٤)، و"الخصائص الكبرى" (٣١٣/١).

(٤) انظر: "دلائل النبوة" (٥٠٨/٢)، ولم أجده في "المستدرك" وإنما هو وهمٌ أو خطأ ممن عزاه للحاكم، كما نبّه على ذلك العلامة الألبانيّ، وحكم على الحديث بأنّه "منكر". انظر: "السلسلة الضعيفة" (١٩/١٤-٢٣/ح٦٥٠٨).

(٥) انظر: "اليمن والاسعاد بمولد خير العباد" (ص: ٢٠-٢٢).

(٦) انظر: "سنن ابن ماجه" (ص: ٣٣٠/ح١٨٩٩)، "مسند أبي يعلى" (١٣٤/٦/ح٣٤٠٩)، "المعجم الصغير" (٦٥/١/ح٧٨)، "عمل اليوم والليلة" (ص: ١٩٠/ح٢٢٩)، "حلية الأولياء" (٣/ ١٢٠)، "دلائل النبوة" (٥٠٨/٢)، وصحّحه العلامة الألبانيّ في "السلسلة الصحيحة" (٤٣٧/٧/ح٣١٥٤).

فقال لها رسول الله: "إن كنت نذرت فاضربي وإلّا فلا" فجعلت تضرب ... الحديث، قال الترمذيّ: (حسن صحيح غريب من حديث بريدة)[١]، وقد أورده سيدي ابن عبّاد في "رسائله الكبرى" بمعناه مستدلاً به على أنّ من أحدث لهواً مباحاً عند فرحه بزمان ولادته ﷺ ولو من غير التزام ولا نذر، أيّ شيء يمنعه منه، قال: لولا التفقهات المباركة التي الوقوف معها واعتمادها من أعظم البدع في الدِّين)[٢][٣].

ثم ذكر: (ما أخرجه العقيليّ، وأبو نعيم، عن جابر ﷺ (أن جعفراًﷺ لـمّا قدم من الحبشة تلقاه رسول الله ﷺ محجل، يعني: مشى على رجل واحدة)[٤]، ثم ذكر في: (مسند أحمد، أن زيد بن حارثة وجعفراً وعلياً حَجَلوا حين قال للأول: "أنت مولاي"، والثاني: "أنت أشبهت خَلقِي وخُلُقِي"، وللثالث: "أنت مني وأنا منك"[٥]، إلى أن قال: وقال الحافظ: (هو رقص بهيئة مخصوصة، ولاشك أن رقص سيّدنا جعفر عند قدومه من الحبشة كان إجلالاً وإعظاماً وفرحاً برؤياه ...)[٦] الخ، إلى أن قال: (فليكن القيام والرقص فرحاً بزمن ولادته، وتشرف الكائنات بطلعته كذلك من غير فارق هناك، ولذا صدر في هذا الموضوع من غير ما واحد ممن يقتدى به علماً وديناً وورعاً، وأضحى جمهور الأمة له بذلك مُتَّبِعاً، وهب أن هذا القيام كان الآن لذاته ﷺ فإنه لا يكون فيه بأس ولا حرج، ولا إلتباس لإطباق السلف ومن بعدهم من الخلف، وأئمة المذاهب في المشارق والمغارب على استحباب القيام عند زيارته ﷺ ومواجهة وجهه الشريف،

---

(١) انظر: "سنن الترمذيّ" (ص: ٨٣٩/ح٣٦٩٠)، "مسند الإمام أحمد" (٣٨/٩٣/ح٢٢٩٨٩)، "صحيح ابن حبان" (١٠/٢٣٢/ح٤٣٨٦)، "سنن البيهقيّ" (١٠/٧٧). وصحّحه الألبانيّ في "السلسلة الصحيحة" (٤/١٤٢/ح١٦٠٩).

(٢) انظر: "الرسائل الكبرى" (ص:١٨٤).

(٣) انظر: "اليمن والاسعاد بمولد خير العباد" (ص: ٢٢-٢٣).

(٤) انظر: "كتاب الضعفاء" (٤/١٣٩٦/ترجمة: ١٨٦٠)، "معرفة الصحابة" (٢/٥١٢/ح١٤٣٥). وقال ابن الجوزي في "العلل المتناهية" (٢/٩٦/ح٦٦٢): (هذا حديث لا يصح، ولا يُعرف ...) الخ.

(٥) سبق تخريجه (ص: ٢٢٤).

(٦) انظر: "فتح الباري" (٧/٥٠٧).

والمثول لدى قبره الطاهر المقدس المنيف، ثم ذكر ما معناه أن رسول الله ﷺ قام لنساء الأنصار وصغارهم، ولفاطمة(١)، وعليّ، والعبَّاس، وكذلك لغيرهم من بعض الناس، وللملائكة المكرمين الذين يصحبون جنازة اليهود(٢)، كما أمر بالقيام لسعد بن معاذ رضي الله عنه بقوله: "قوموا لسيّدكم"(٣)، ونفى أن يكون أمر لهم بلقياه لإنزاله عن دابته، بل ذلك لتعظيمه وإجلاله، وأنه ﷺ إنما كان يكره قيامهم له تواضعاً لا غير)(٤). انتهى منه البعض بلفظه والبعض بمعناه.

تعقيب: ونحن نقول عليه: أولاً: قوله: (وقد جرت العادة أيضاً).

يقال عليه: هذا يفهم منه أن العادة جرت بالقيام عند ذكر الوضع والسلام على رسول الله في قراءة المولد، كما جرت بإقامة المولد نفسه، وقراءة ما يقرأ فيه من أحاديث المواليد وأمداحها، والعادة لا دخل لها في تشريع الأحكام الشرعية، وإلا لكان كل ما

---

(١) انظر: "سنن الترمذي" (ص: ٨٧١/ح٣٨٧٢)، "الأدب المفرد" (ص: ٣٥٥/ح٩٤٧). وصحّحه العلامة الألبانيّ. وأمّا بالنسبة لقيامه ﷺ لنساء الأنصار وصغارهم، ولعليّ، والعبَّاس رضي الله عنهما، فلم أجد ما يدل على ذلك حسب بحثي. والله أعلم.

(٢) صحيح البخاري (ص: ٢١٠/ح١٣١١)، ومسلم (ص: ٣٨٦/ح٩٦٠).

(٣) لم يرد في كتب الحديث بهذا اللفظ، بل لا أصل له، كما بيّن ذلك العلامة الألبانيّ في "صحيح الأدب المفرد" (ص: ٣٥١-٣٥٢/ح٧٢٣)، و"السلسلة الصحيحة" (١/١٤٣-١٤٦/ح٦٧)، و"السلسلة الضعيفة" (٣/٦٣٥-٦٣٧/ح١٤٤٣). والحديث الوارد في قصة سعد رضي الله عنه لفظه: "قوموا إلى سيّدكم"، وفي بعض الألفاظ: "قوموا إلى سيّدكم فأَنزِلُوهُ"، فكان القيام لإنزاله من على دآبته حينما قدم على النبيّ ﷺ وهو جريح لا يستطيع النزول بمفرده في قصة حكمه على يهود بني قريظة، فأمر النبيّ ﷺ حين قدومه وكان قد قدم على حمار له، جماعة من الأنصار بأن يَنزِلُوه ويحملوه، وليس المراد بالقيام له من أجل القيام للقادم وتعظيمه، ومما يذكر في هذا الباب أن الصحابة رضي الله عنهم مع شدّة تعظيمهم للنبيّ ﷺ لم يرد عنهم أنهم كانوا يقومون له، بل كان يكره ذلك منهم وينهاهم عنه. انظر: صحيح البخاري (ص: ٥٠٢/ح٣٠٤٣)، ومسلم (ص: ٧٨٤/ح١٧٦٨)، "السلسلة الصحيحة" (١/٦٩٨/ح٣٥٨).

(٤) انظر: "اليمن والاسعاد بمولد خير العباد" (ص: ٢٣-٢٦).

جرت به العادة ولو كان حراماً مطلوباً، وهذا لا قائل به، نعم يقال: إن الشيخ - رحمه الله - بعد الاستدلال على ما جرت به العادة لا مستدلاً بمجردها، وعليه فننقل الكلام معه إلى ذلك الاستدلال.

ثانياً: قوله: (وهذا القيام لم يفعله السلف).

تعقيب: يقال عليه: إذاً هو كأصله، وهو إحداث المولد وما يتعلق به فالإعتراض عليه اعتراض عليه.

ثالثاً: قوله: (وليس هو في الحقيقة للذات المحمدية . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: لا أدري لِمَ نفى كونه للذات المحمدية مع أنه يصح عندهم أن تجيء الذات المحمدية يقظة إلى هؤلاء المشتغلين بهذه المواليد وبالأوراد، وقد يكفي نسبة ذلك لهم ما قيل: إن رسول الله يُرى يقظة، ويؤم من أراد من الصالحين وأمكنتهم، وأذكارهم، ومواسمهم، وقد شاع أنه شرب من خصة بجامع القرويين، واتكأ على حائط من ضريح لبعض المشهورين بالصلاح ببلد تَادَلَة[1] فساخ به الحائط.

وأجمع التِّجانيّون[2] على أنه يحضر وسط حلقتهم لبعض أذكارهم على إزار ينشر بينهم، ولا يفارقهم حتى يتموا ما هم فيه، إلى غير ذلك من الحكايات التي التطويل بذكرها عبث، وبعيد إن لم يقل بهذا في مثل مولده أن لا يسلمه لمن يعتقد علو مرتبته عليه، وفوقيّة قطبانيته على أمثاله.

رابعاً: قوله: (فاعترضوا وأطنبوا . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: إذا اعترض الأصل لم يسلم منه الفرع لبنائه عليه، وقد تقدّمت وجوه اعتراضهم على الأصل.

---

(١) تَادَلَةُ: بفتح الدال واللام، من جبال البربر بالمغرب قرب تلمسان وفاس. انظر: معجم البلدان (٢/٥-٦).

(٢) التِّجانيّون هم: من ينتسبون للطريقة التِّجانيّة الصوفيّة، ومؤسس الطريقة هو: أحمد بن محمد التِّجانيّ، المتوفى سنة (١٢٣٠هـ). انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (٢/٦٠٤-٦٥٣).

خامساً: قوله: (إنما هو قيام فرح وسرور . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: عللوا بما شئتم لما أحدثتم وأبرزتم، فإن قلتم الفرح والسرور، قيل لكم: فَلِمَ لم تقوموا قبل الوضع وبعده، والسلام لتلك العلة، والمقام واحد، والخطاب واحد، والحالة متحدة، كما يقال لكم: وَلِمَ لم تقوموا عندما تذكرون الله في هذا المولد وغيره؟ نعم، وهو أحق بتلك العلة، كما يقال لكم: إن غيركم يقوم للإجلال والتعظيم للفرح والسرور بما ذكر، كالذاكرين الذين يقومون عند قولهم: (السلام عليك يا عين العيون، السلام عليك يا روح الأرواح).

سادساً: قوله: (إنما هو قيام فرح . . .) الخ.

بحثٌ: هذا الحصر يفيد عدم صحة تعليل المذكور بالإجلال والتعظيم، كما يفيد أن العلتين لا تناسبان القعود، وعليه فيكون غير القيام للسلام لا فرح فيه ولا سرور، ولا تعظيم ولا إجلال، كما يقال: إذا صحت علة الإعظام والإجلال فلم خصت بالقيام المذكور، وَلِمَ لم تراع في جانب الله فيما يذكر وهو أولى أن يراعى ويقدم ويعظم على غيره.

سابعاً: قوله: (وبإشراق نوره فيه على كل موجود . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: هذه الكلية وهذا العموم يشملان حتى الله ﷻ والجنة، وهل هما محتاجان إلى نور أحد: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]، وداره أنور من كل حادث، وحتى جهنم، والشياطين، وأخس الحيوانات، والقاذورات، وقس على ذلك ما لا يناسبه ذلك النور، وهذا ينبغي أن لا يطلق فيه هذا الإطلاق المؤدي إلى ما يناسب ولا يعرف.

ثامناً: قوله: (والقيام والرقص ونحوهما فرحاً بالمصطفى . . .) الخ.

تعقيب: يقال عليه: قد يكون نحوهما الغناء والضرب بالآلة دُفّاً وغيره، وقد يدعي أهل المواليد أن ما يفعلون بها من فنون اللّعب، وشدخ الرؤوس، وأكل الميتة، وقس على ذلك ما هو مشهور عندهم يدخل في هذا المعنى.

---

(١) سورة النور، الآية (٣٥).

فإن قيل: الفرق بينهما أمران:

الأول: الدليل الذي يأتي به الشيخ بعد لا يَعُمُّ كل ما يفعله أولئك، وهم يجيبون عن هذا بأنه وإن لم يشمله فهو قياس عليه بجامع الفرح والسرور في كُلّ.

الثاني: أن شدخ الرؤوس، وأكل الميتة، منهي عنه فلا يشمله الدليل الآتي.

والجواب من غير هؤلاء عنهم: بأن المولد المذكور إمّا حرام لما يمازجه من المحرمات أو مكروه لما تقدّم، وقد تسبب في المواليد المحرمة حيث فتح به بابها فما كان جوابكم هو جوابه، وسبب الشيء كهو في الحكم.

تاسعاً: قوله: (أو بما هو منه أو راجع إليه له أصل أصيل في الشرع).

بحثٌ: يقال عليه: لا يدري دراية بيّنة معاد الضميرين في: (منه وإليه) فإن كان للقيام والرقص ونحوهما، فالأولى بالضمير أن يكون (منهم وإليهم) إلّا أن يجاب بأنه بمعنى ما ذكر، وعليه فيكون الذي منه والراجع إليه هو ما ذكرناه في نحوهما فيكون تكراراً في المعنى، كما يلزم على عمومه أن يدخل فيه ما تقدّم من الإدّعاءين والأجوبة، وإن كانا راجعين إلى آله وذرياته فيدخل في ذلك ما يفعله الروافض وغيرهم في حق آل البيت من ذلك، فقد أبعد الشيخ النجعة وندب إلى مطلق البدعة، وإن كان بمعنى ما منه وإليه هو كتاب الله العزيز، وحديث الرسول الصحيح، فهذا أيضاً جعل المولد له على تلك الكيفية يدخل في موضع البحث الذي لا جدال عند المحققين بأنه بدعة عندما يقصد به ما قصد بما قبله.

عاشراً: قوله: (فقد لعبت الحبشة بحرابهم . . .) الخ.

نقد: يقال عليه: هذا هو الأصل الأصيل في جواز القيام والرقص ونحوهما.

ونحن نقول عليه: لا يكون الأصل دليلاً للفرع عموماً أو قياساً إلا إذا شمله العموم وجمعتهم العلة في القياس، وأنت إذا نظرت إلى الأصل والفرع تجدهما متباينين في المعنى والعلّة، فرقص الحبشة ليس هو رقص الفقراء والمتصوّفة ولا أهل المواليد، لأنه بالحراب والدّف، والاضطراب والتمايل إلى اليمين والشمال، والارتفاع بكل الجسد والانحطاط بكله، وتتابع البعض للبعض كأنه يريد ضربه، والمشي والسرعة إلى أمام ثم الانقلاب بها

إلى خلف، وأكثر ما يفعل ذلك للتدريب على الحرب، وقد يكون مجرد لعب، والرقص المذكور انهزاز من أسفل إلى أعلى تارة بقوة، وتارة بحركة غير قوة مع تراص أهله ولصوق بعضهم ببعض وهم دائرة واحدة كالحلقة، بل تُسَمّى حالهم هذه بالحلقة والعمارة، وهناك غالباً قوّالون يغنّون لهم على حسب ما حفظوا وناسب الوقت كان من الأشعار الحكمية أو الباطلة، ولاشك أن هذه الحالة ليست نفس لعب الحبشة ولا جزءاً منها، وعليه فلا يستدل لها بها إلا إذا كانت على شكلها، وهي لم تكن عليه كما رأيت، كما أن القياس عليها لا يصح لأن علّة الأصل وهي الفرح بالعيد، غير علّة الفرع وهي الفرح بمولد رسول الله، ولا أن الأصل وقع مرة بين يدي رسول الله فيما ظهر، والفرع تستدلون له مكرراً في جميع الأزمنة، ولا يتم القياس إلا إذا عم حكم الأصل حكم الفرع، كما أن فرعكم تعتقدون أنه قربة، والأصل مباح لا غير، ولا قياس للقربة على الإباحة، فإن قلتم: قد يكون هذا الأصل مندوباً إليه باعتبار الفرح بالعيد وبمن شرع على يده الحاضر لوقوع هذا الأصل وهو الرسول – عليه الصلاة والسلام –، قلنا: ومن يسفر لنا عن تلك النيّة من أولئك الحبشة عندئذٍ، وعلى تسليمه فهو في المباح الذي ينقلب من الإباحة إلى غيرها بالنيّة، ومباحكم هذا لا ينقلب إلى قربة عند المحققين والأكثرين من أهل العلم، كما تقدّم عند ابن الحاج أن نيّة المولد تخرج ما يفعل فيه إلى حيز النهي، وقد تقدّم ما في رَدّ السيوطيّ عليه، وتقدّم أن هذا النهي غالباً يكون حراماً لأنه فتحٌ لأبواب المواليد التي لا يفارقها الحرام.

كما يقال: كيف تفطنتم لقياس الرقص المذكور لو فرض نقياً من كل قذر وقبيح إلى القياس على لعب الحبشة أو شموله، ولم يتفطن غيركم من رسول الله وأصحابه، ومن تبعهم في تركه إليه، ولو كان خيراً ما سبقتموهم إليه.

الحادي عشر: ما استدل به للرقص والغناء من حديث: "أنه كان يُقَلَّسُ له، أي: يُضرب بين يديه بالدُّفِّ والغناء يوم الفطر"[(١)]، سيذكر ما فيه حينما يذكر أحاديث الدُّف والغناء.

الثاني عشر: قوله: (وليس المقصود من لعب الحبشة التمرين . . .) الخ.

---

(١) سبق تخريجه (ص: ٢٥٩).

بحثٌ: يقال عليه: ما المانع أن يكون هو المقصود، أهو الفرع والفرح المذكور.

فإن كان قوله: (أن المسجد ليس محلاً لذلك).

فيقال عليه: وكذلك ليس محلاً لذلك بقيد الفرح بمن كان، مع أنه إذا أجاز رسول الله فيه ذلك اللعب، جاز كان لهذا أو ذاك، ما لم يتضح قصد المنهي عنه بذلك ولو لم يكن مُعَدّاً لهذا ولا ذاك.

الثالث عشر: قوله: (وكذلك لمّا قدم المدينة خرج جوارٍ من بني النجّار . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: بعدما يظن أن الحديث بعده هو نفسه في المعنى:

أولاً: هذه الأحاديث ما المانع من إخراجها في الصحيح.

ثانياً: رواتها لا يقتصرون على الصحيح بل يروون الضعيف والمنكر.

ثالثاً: سلمناه ولكن قد يقال: إنّ هذا كان قبل أن يتبين رسول الله جميع الأحكام، وتتفصل له من قبل الله.

رابعاً: ما يقال: إن هذا كان قبل نزول الحجاب.

خامساً: قد تكون هذه الأصوات ليس بها فتنة على أنها لو كانت فالرسول معصوم منها، والصحابة معه لاسيما في تلك الحالة محفوظون منها.

سادساً: ما تستدلون له قربة عندكم، وهذا مباح لا غير، إلا أن تبحثوا بما تقدّم فيبحث معكم بما تقدّم عليه.

سابعاً: الدليل لا يدل للمدلول، لأن المدلول الرقص والسماع، وهاهنا الدّفّ والسماع.

ثامناً: لا دعوى للقياس هنا لختلاف الجميع، لأن علتكم الفرح بالمولد، وعلة هؤلاء الفرح بالقدوم، وقد اعتبرت، ولو اعتبرت علتكم إذ ذاك لفعل معلولها ولكنه لم يفعل.

الرابع عشر: قوله: (وقد ورد عن عدة من الصحابيات أن كل واحدة منهن نذرت . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه:

أولاً: في أسانيد هذا الوارد ما تقدّم من أنه لم يرو في الصحيح، ولم يلتزم رواته رواية الصحيح، ولا وصفوا بالاقتصار عليه، حتى أنّ في تصحيحات الترمذيّ ما فيها عندهم فضلاً عن غيرها.

ثانياً: يقال فيما قبله من الوجوه.

ثالثاً: إن في هذه النذر نذير غير القربة، والنذر عند الجمهور فيما نعلم إن لم يكن عند الكل لا يكون إلا في مندوب لا في مباح كهنا إلا أن يجاب بجوابين:

الأول: كون المنذور انصرف عن الإباحة إلى الندب بنيّة سلامة رسول الله والفرح بها.

الثاني: ما تقدّم من أن الأوامر والنواهي لم تَكمُل إذ ذاك.

الخامس عشر: قوله عن ابن عباد: (أي شيء يمنعه منه . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: المانع له منه: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ"[(١)].

وخيرُ أمورِ الدِّينِ ما كان سُنَّةً　　　وشَرُّ الأمورِ المحدَثَاتُ البَدَائِعُ

وغير ذلك مما تقدّم، وقد يأتي بعضه.

وقوله: (لولا التفقهات المباركة).

يقال عليه: هذه التفقهات إذا كانت مانعة من غير موجب، فأيّ بركة فيها حتى يصفها بالمباركات.

كما أن قوله: (من أعظم البدع)، فأين من هو من أعظم السنن؟ ولعله ما نقله وسلّمه في شرحه "لحكم ابن عطاء الله" عن أبي نعيم، من أنه لا يكترث بالعمل أمراً ونهياً، وأنه يزهد في التوبة والزهد، وكذلك ما نقله عن غيره من أنّ الدّيّة على القاتل، وقد بَيَّنَّا ذلك وأبطلنا معناه في كتابنا "توفيق الله في الرَّدِّ على حكم ابن عطاء الله".

السادس عشر: ما استدللتم به من فرد وفرد، ومدلولكم رقص وسماع من جمع.

---

(١) سبق تخريجه (ص: ٢٣٢).

الثامن عشر[١]: ما أخرجه عن العقيليّ، وأبي نعيم: "أن جعفراً لما قدم من الحبشة تلقاه رسول الله محجلاً"[٢].

بحثٌ: يقال عليه: ما قيل في الرواة قبله، وقد تقدمت ترجمة أبي نعيم الدالة على أنه لا يتحرى من رواية الموضوع.

التاسع عشر: ما رواه عن هذين الراويين، وعن مسند الإمام أحمد، بعد أن يقال: وفي مسنده الضعيف والموضوع، لا ينهض له حجة على الرقص المذكور فضلاً عن السماع وحده، إذ لم يذكر ذلك في الدليل بأنه غير الرقص المذكور، نعم إذا أرادوا الدلالة به عليه فليرقصوا كرقص هؤلاء الصحابة برفع رجل والجري على أخرى، وشتان ما بين الرقصين المدلول والدال عليه، وإن أرادوا القياس الشبيهي والمعنوي فلا يصحان للتباين في الأول، ولختلاف العلة في الثاني، إذ في الدليل الفرح بما قيل لهم من رسول الله، وفي المدلول بمولد رسول الله، وقد رضي منهم رسول الله حجلهم وأهمل ذكر رقصهم، ولم يأمر به، ولا قاساه على حجلهم، ولا قلتم إنه مباح فقط، في قوله ﷺ: "وما سكت عنه فهو رحمة لكم غير نسيان"[٣]، بل هو داخل في عموم النهي في قوله: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ"[٤]، وقد وقع الحجل من كل واحدٍ بحدته من هؤلاء، ورقصكم يقع من جماعة على الوصف المتقدّم على أنكم تستدلون له مكرراً في جميع الأزمنة حيثما تدور وقته في السنة، وأهل الحجل لم يتكرر منهم ولا من غيرهم، ولم يتخذوه سنة، وأنتم تزعمون أن رقصكم قربة، وحجلكم مباح فقط.

العشرون: قوله: (ولذا صدر في هذا الموضوع من غير ما واحد ممن يقتدى به . . .) الخ.

تعقيب: يقال عليه: إن كان يريد بالجمهور جمهور المتصوفة، أو هم والدّهماء فلا حجة في فعلهم وقولهم، وقد عارضهم السلف وجمهور الخلف من أعلم الأمة

---

(١) هكذا في المخطوط، ولعل السابع عشر سقط سهواً، أو يكون الثامن عشر هو السابع عشر.

(٢) سبق تخريجه (ص: ٢٦٠).

(٣) سبق تخريجه (ص: ٢٤٣).

(٤) سبق تخريجه (ص: ٢٣٢).

والمجتهدين، وناهيك بابن الجوزيّ، والقرطبيّ، والمزنيّ[١]، وابن الحاج، وابن القيم وأضرابهم، فكل أنكر ذلك الرقص وذلك السماع بما لا مزيد عليه من البيان والوضوح، وبينوا مفاسده، وأنه لا يماثل ما سمعه رسول الله من الغناء، ولا ما أباحه منه في الأعراس، ومثلها من ضرب الدُّفّ، وبعض الغناء، ولولا خيفة التطويل لكتبنا نصوصهم التي لا يرتاب فيها مرتاب من أنها الحق والصواب.

وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله - في "مدارج السالكين" بعد كلام طويل في السماع: (وهيهات هيهات أن يكون أحد من أولياء الله المتقدمين حضر هذا السماع المحدث المشتمل على هذه الهيئة التي تفتن القلوب أعظم من فتنة المشروب - حاشا - أولياء الله من ذلك، وإنما السماع الذي اختلف فيه مشايخ القوم اجتماعهم في مكان خال من الأغيار يذكرون الله، ويتلون شيئاً من القرآن ثم يقوم بينهم قَوّال ينشدهم شيئاً من الأشعار المزهدة في الدنيا المرغبة في لقاء الله، ومحبته وخوفه، ورجائه والدار الآخرة، وينبههم على بعض أحوالهم من عذرة، أو غفلة، أو بُعد، أو انقطاع، أو تأسُّف على فائت، أو تدارك لفارط، أو وفاء بعهد، أو تصديق بوعد، أو ذكر قلق، أو شوق، أو خوف فرقة أو صد، وما جرى هذا المجرى فهذا السماع الذي اختلف فيه القوم، لا سماع المكاء والتصدية، والمعازف والخماريات، وعشق الصور من المردان والنسوان، وذكر محاسنهم ووصالها وهجرانها، فهذا لو سُئِل عنه من سُئِل من أولي العقول لقضى بتحريمه، وعُلِمَ أن الشرع لا يأتي بإباحته، وأنه ليس على الناس أضر منه، ولا أفسد لعقولهم وقلوبهم، وأديانهم وأموالهم، وأولادهم وحريمهم منه. والله أعلم)[٢]. انتهى.

وأقول: لقد تنازع مجيزكم ومحرمهم، ولا قاضي لتنازع المسلمين في مثل ذلك إلا الشرع، وقد حكم لهم عليكم بما يعلم بالوقوف عليه، والسلام.

---

(١) المزنيّ هو: أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق المزنيّ المصريّ، تلميذ الشافعيّ وصاحبه، توفي بمصر سنة (٢٦٤هـ). انظر: وفيات الأعيان (٢١٧/١/ترجمة: ٩٣).

(٢) انظر: "مدارج السالكين" (٤٠٧/١-٤٠٨).

الواحد والعشرون: قوله: (وهب أن القيام الآن كان لذاته فإنه لا يكون فيه بأس . . .) الخ.

نقد: يقال عليه:

أولاً: ظاهر من قوله (الآن) أنه يريد قيام المولد عند السلام على رسول الله، وحينئذ يعارض بأنّ ذلك عندهم من المستحبات كما صرَّح به في جانب المقيس عليه، وهو القياس للسلام عند قبره ﷺ وحكمه عليه أنه لابأس به، ولا حرج يؤذن بإباحته، وهي منافية لندبه.

ثانياً: التسليم أن القيام في المولد لذاته لا يسلم، لأن رسول الله لا يخرج جسده من قبره قبل حشره، ولا روحه المقدسة من جنته فيحيى حياة ذاتية يَسرِ بها إلى أهل المواليد، وأهل الأوراد وغيرهم من المدعين ذلك، وقد ألفنا في رد هذا كتاب "الاستفاضة في أن النبي لا يرى بعد وفاته يقظة".

ثالثاً: سلمناه ولكن قياسهم هذا على المسَلِّمين على رسول الله عند قبره لا يسلم لوجود الفارق من وجهين:

الأول: أن المُسَلِّمين عند القبر لم يسلموا على ذاته مباشرة بل بواسطة القبر، ولو اعتبرنا ذاته قائمة هناك لترتب على ذلك أن من دخل إلى مسجد رسول الله لا يخرج إلا باستئذانه، وأنه لا ينبغي أن يصلي أحد بينه وبين القبلة ما لم تكن ضرورة، وأن لا يستدبره أحد من الجالسين لصلاة وغيرها، إذ لا يحمل أن يكون رسول الله في وسط حلقة من الناس يستقبله بعضها، ويستدبره الآخر لغير ضرورة، وقس على ذلك.

الثاني: أن الداخلين لمسجد رسول الله لاسيما الغرباء تطلب منهم تحية المسجد أولاً، ثم السلام على رسول الله، ولا يصلون إلى محل السلام بين يدي روضته إلا سائرين قائمين فمن الأحب والأنسب أن يسلموا عليه على هذه الصفة التي وصلوا بها إليه وهي القيام، ولذلك استحبها أهل العلم، وإن جاز أن يجلسوا ويسلموا ولكن حسن الأدب واللياقة أن يكون ذلك على تلك الحالة، وعليه فهم قادمون على رسول الله والقادم هو المطلوب منه السلام لا الجالس في محله فإنما عليه الرد، وفرق بين مسألة

المولد وهذه إذ في الأولى على زعمكم رسول الله هو القادم على المسَلِّمين فهو المطلوب منه البدأة بالسلام، وفي الثانية بالعكس فاتضح الفرق بين المقيس والمقيس عليه في الجلوس والقيام، فالقادم يناسبه أن يسلم من قيام، والجالس المسلم عليه لا يطلب بالقيام لرد سلام المسلم عليه من جلوس ولا قيام.

الثاني والعشرون: قوله: (وقد ثبت في الصحيحين قيامه ﷺ لنساء الأنصار وأبنائهم)[1].

بحثٌ: يقال عليه:

أولاً: من المتنازع في قيام الأفضل للمفضول، وإنما النزاع عند الناس في عكسه الذي هو مقتضى حديث النهي عن قيام الصحابة لرسول الله، كما أنه لا نزاع في قيام أحد لأحد حيث انتفت علة النهي عن ذلك الآتية.

ثانياً: قيام رسول الله لهؤلاء الصحابة وغيرهم لا يقاس عليه قيام غيره له، للنهي عنه ما لم تنتف علته، وهنا لو فرضنا انتفاء هذه العلة لما صح القياس، إذ لا دليل على أن رسول الله موجود عند قيامكم للسلام، كما أن قيامه للتوراة لا دليل فيه على زعمتكم إذ قيامكم لم يكن لوجود رسول الله، ولا للتوراة، ولا للفرقان.

الثالث والعشرون: قوله: (وقيامه للملائكة المكرمين الذين يصحبون جنازة من مات ولو من اليهود الغير المحترمين).

بحثٌ: يقال عليه: قيام رسول الله للجنائز وأمره بذلك، قيل: على جهة الاستحباب، وقيل: على الوجوب، ثم قيل: نسخ، وقيل: غير منسوخ، وهو لكل جنازة مسلمة وكافرة، نعم علّة القيام إن جاء بها تصريح عن رسول الله بواسطة أصحابه فبها ونعمت، وإن لم يجيء ذلك فتعليلهم بأن القيام للملائكة الذين يصحبون الجنائز، يقال عليه:

---

(١) لم أجده في الصحيحين ولا في غيرهما - حسب بحثي - وسبق التنبيه عليه (ص: ٢٦١). والله أعلم.

أولاً: يحتاج إلى إثبات صحبة الملائكة لجنازة الكافر دائماً أو في حال رفعها والسير بها، سَلَّمناه ولكن إذا كانت هذه هي علة القيام فلم لم تطرد فيقوم رسول الله وغيره على سبيل الندب أو الإيجاب كما تقدم في أكثر الأحوال، لأن الملائكة لا تفارقه وغيره في أكثرها، ودعوى أنه لا يطلب القيام إلا لمن يصاحب الجنائز منه، تحتاج إلى دليل التخصيص على أن قيام رسول الله لذلك ما يفيدكم من حيث الاستدلال لقيامكم المولدي، إذ هذا لون، وذاك لون، وبينهما بون.

الرابع والعشرون: قوله: (وقد صَحّ أمره أيضاً بالقيام لأهل السِّيدَة والاحترام في قوله: لمن حضر من الأنصار . . .)[1] الخ.

بحثٌ: يقال عليه: الذي دلّت عليه القرائن إذ ذاك أن سعد بن معاذ ؓ كان مجروحاً جرحاً خطيراً فجيء به محمولاً على حماره، فالأمر بقيام إخوانه إليه ليعينوه على النزول لا للإجلال والتعظيم كما قلتم، وعلل لكم ذلك الحافظ بأن رسول الله تواضع في حقه فنهاهم عن القيام لإجلاله وتعظيمه، وهذا حق للغير أمرهم به، ولكن ردّ عليه هذا، ورجَّح ما قلناه ابن سلطان[2] في شرح "الشمائل" حيث قال: (وأغرب ابن حجر) وحكى عنه هذا الإغراب المحتوي على هذا المعنى بقوله: (ووجه غرابته أنّ الحديث بعينه يرد عليه، لأنه يدل على أنّ القيام لم يكن متعارفاً بينهم، وعلى التنزل فلو أراد قيام التعظيم لما خص قومه به بل كان يعمهم وغيرهم، فالصواب أن المراد بالقيام الذي أمرهم به هو إعانته حتى ينزل عن حماره لكونه كان مجروحاً مريضاً)[3]. انتهى.

أقول: وقد يضم إلى هذه العلة الواضحة أن رسول الله قال لهم ذلك ليعرفوا قدره عند الله ورسوله، وقدر ما يحكم به على بني قريضة إذ رضوا بحكمه، وكانوا حلفاء الأوس،

---

(١) سبق تخريجه (ص:٢٦١).

(٢) ابن سلطان هو: نور الدّين مُلاّ علي قاري بن سلطان بن محمد أبو الحسن الهرويّ الحنفيّ، سكن مكة، وصنّف كُتباً كثيرة منها: "شرح الشمائل المحمديّة"، مطبوع، توفي سنة (١٠١٤هـ). انظر: البدر الطالع (ص:٤٨٤/ترجمة:٣٠٩).

(٣) انظر: "جمع الوسائل في شرح الشمائل" (٢/١٣٦).

فربما حَنَّ بعضهم إلى بعض حلفائه حين يحكم عليهم بالحكم القاسي، وقد جيء به لذلك كما وقع فرضوا بذلك، وتطيب له نفوسهم، وهو من علم الحكمة.

وعليه فيقال لهؤلاء: ما الفائدة لكم في هذه القصة وهي من واد، وقصتكم من واد، إذ فيها القيام من موجود لموجود، وفي قصتكم القيام منه لمفقود، والأولى أمر بها رسول الله، وقصتكم أهملها بل دَلّ الدليل على النهي عنها كما تقدّم.

الخامس والعشرون: قوله: (وإنما كان يكره قيامهم له تواضعاً . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: إذا نهى عن ذلك تواضعاً منه وامتثلوا نهيه، فَلِمَ لم تمتثلوا أنتم نهيه فيما هو أولى بالامتثال.

السادس والعشرون: نهيه عليه السلام عن القيام له تواضعاً منه، لا ينافي تعليل الحديث الدال عليه، وهو لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك، بأنه تشبيه بالقيام للجبابرة من الملوك وغيرهم، ذلك القيام الذي يوجدونه كلما رأوهم، وكلما قعدوا على رؤوسهم وبين أيديهم ومن خلفهم، قد اتسعوا فيه إلى أن صاروا يقومون على أقدامهم في انتظار مجيئهم الساعات، واليوم، ولمثل صلاة الجمعة، وربما ما وصلوها قط لاشتغالهم بذلك إلى غير ذلك مما يكلفونهم به رجالاً ونساءً، ولو لم يخش منه التطويل لكتب في نحو الدفتر، وقد قال رسول الله ﷺ: "من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار"[(١)]، فسد رسول الله هذا الباب عن أمته بالنهي عنه فامتثل أصحابه ومن وفقهم الله، وأبى الجبابرة والمعجبون بأنفسهم إلا سنتهم تلك، وربما زادوا على من قبلهم فيها، وقد يتصف بهذه البلية الأمراء والجبابرة الأغنياء والمعجبون بأنفسهم لعلم لم ينفعهم الله به، وبنسب يفتخرون به ويعتقدون وجوب تعظيمهم والقيام لهم على تلك الحالة،

(١) رواه أبو داود (ص: ٩٤٥/ح٥٢٢٩)، والترمذيّ (ص: ٦١٩/ح٢٧٥٥)، وأحمد (٣٩/٢٨/ح١٦٨٣٠)، والبخاريّ في "الأدب المفرد" (ص: ٣٧٣/ح٩٧٧)، والطبرانيّ في "الكبير" (٣٦٢/١٩/ح٨٥٢)، و"الأوسط" (٢٨٢/٤/ح٤٢٠٨). وصحّحه العلامة الألبانيّ في "السلسلة الصحيحة" (٦٩٤/١/ح٣٥٧).

وقد وقع بفاس في زمن السلطان أبي عِنَان الـمَرِينِيّ[١]: (أن مزوار الشرفاء بفاس إذا دخل مجلس السلطان قام له السلطان وجميع من في مجلسه إجلالاً له إلا الشيخ الـمَقَّرِّيّ[٢] فلا يقوم معهم، فأحسّ المزوار من ذلك، وشكى للسلطان فقال له السلطان أبو عِنَان: هذا رجل وارد علينا نتركه على حاله حتى ينصرف، فدخل المزوار يوماً فقام له السلطان وغيره على العادة فنظر المزوار إلى الـمَقَّرِّيّ فقال له: أيها الفقيه مالك لا تقوم كما يفعل نصره الله وأهل مجلسه إكراماً لجدي وشرفي، ومن أنت حتى لا تقوم لي فنظر إليه الـمَقَّرِّيّ فقال له: أما شرفي فمحقق بالعلم الذي أنا أبثه، ولا يرتاب فيه أحد، وأمّا شرفك فمظنون، ومن لنا بصحته منذ أزيد من سبعمائة عام، ولو قطعنا بشرفك، لأقمنا هذا من هنا، وأشار للسلطان أبي عِنَان وأجلسناك مجلسه، فسكت المزوار)[٣]. انتهى.

ونحن نقول عليه: لقد ناقش الرَّهُونيّ[٤] ومن تبعه كلام الـمَقَّرِّيّ وعدُّوه جفاءً للشريف، ولم يذكروا أجفى منه في جانب من تعصبوا له، وهو أنه خالف شريعة جدّه حيث كان يكره أن يقوم الناس إليه، وحيث قال: "من أحب أن يتمثل له الرجال فليتبوأ مقعده من النار"[٥].

---

(١) أبو عِنَان الـمَرِينِيّ هو: فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبدالحميد أبو عِنَان الـمَرِينِيّ، المتوكّل على الله، من ملوك الدولة الـمَرِينِيَّة بالمغرب، له آثار من مدارس وزوايا، توفي سنة (٧٥٩هـ). انظر: الدرر الكامنة (٢١٩/٣/ترجمة: ٥٣١).

(٢) الـمَقَّرِّيّ هو: أبو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن عبدالله بن داود القرشيّ الـمَقَّرِّيّ المالكيّ الصوفيّ، توفي سنة (٧٥٩هـ)، وهو جدّ المؤرخ صاحب كتاب "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب". انظر: نفح الطيب (٢٧٩/٥).

(٣) انظر: "نفح الطيب" (٢٨١/٥).

(٤) الرَّهُونيّ هو: محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف، أبو عبدالله الرَّهُونيّ المالكيّ المغربيّ، توفي بوزان سنة (١٢٣٠هـ). انظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (١٢٩/٨).

(٥) سبق تخريجه (ص: ٢٧٦).

ونحن – إن شاء الله – إن أحيانا الله حياة طيّبة، نتعرض لهذا البحث من الرَّهُونيّ ومن تبعه، ونذكر ما تيسر من البحث فيه في غير هذا الموضع، وقد ألف في ذلك تأليفاً سماه "البراهين البينات في أن الأنساب ظنيات لا قطعيات"، رحمه الله تعالى وأتبعنا إليه مسلمين.

كما أن بعض من أعجبه علمه وزهوه بنفسه والحاملة له، قيل له: ألا تصلي في الصف الأول فقال: أأصلي مع الدّبّاغين، والخرازين؟! أو كلمة نحوها، ومثلها من سئل شيئاً فقال: ألمثلي يقال هذا! وأنا مجتهد الدنيا على الإطلاق! وقس على ذلك، فهذا وما شاكله هو المنهي عنه لا القيام لمن لا يتصف بتلك الصفة ولا يحبها لأجلهم ولأجلها بل يقام له لغرض من الأغراض كالتسليم له إن كان ضيفاً، وقدومه من سفر، وإعانة له على أمره، وإزالة وحشته كغربته، وإجلاله وتعظيمه لعلمه أو أبوته، وأمثال ذلك كان من فاضل المفضول أو العكس أو من مساوٍ.

السابع والعشرون: لم يصرحوا بحكم قيامهم هذا في المولد، وربما أخذوا من كلام بعضهم أنه الاستحباب، وقد يتوهم الجهال وجوبه، ويحكمون على تاركه بحكم الحرام وما فوقه، حضرنا مولداً[١] لهم وقام الكل عند السلام، ولم يقم شيخ مسن من أهل العلم، فقال فيه بعضهم:

﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[٢]، هذا مع ما تقدّم لك من أنّ قيامهم ذلك منهيٌّ عن أصله فضلاً عنه، وقد تقول بهذه المناسبة وأنت تنكر عليهم الرقص، والسماع، والمواليد وما احتوت عليه، ولقد كنت فاعلها ومستحسنها ومتعبداً بها فما هذا وذاك، فتجاب من قبلنا: بأننا لـمّا بلغنا سنّ الرشد لم نَرَ بين أيدينا من الخير إلا تعلم القرآن الكريم فأخذنا بتعليمه، أمّا الشر وقتئذ فقريب

(١) المعروف عن أهل السنة والجماعة تحذيرهم من الجلوس عند أهل البدع ، فكيف بمجالس بدعهم ؟! ومن ذلك ما جاء عن ابن سيرين عندما جاءه أحد المبتدعة فلم يسمع منه شيء ولا حتى آية أو حديث ؛ بل وضع إصبعيه في أذنيه وعزم عليه أن يخرج من عنده .
انظر الاعتصام للشاطبي (٢/٧٩٢)

(٢) سورة الحجر، الآيات (٣٠-٣١).

من شر الجاهلية، وأمّا العلم فقد يضم إلى بلادنا بلاد شاسعة كلها شاغرة عن العلم لا تكاد ترى فيها معلماً أو متعلماً وغيرها من البلاد يندر وجود ذلك، وعلى تقدير وجود متصف بذلك فقد يكون الوصول إليه أمنع من عقاب لاسيما من عديم المال والجاه، وإذا قُدِّرَ لك الوصول لا تجد إلا منتسباً للعلم بعيداً منه في الحقيقة لا تكاد تحصل منه على ثمرة، وإذا وجدت من تجني منه بعضها وجدته مقلداً لمتصف أو مذهب، ولا تسمع بمجتهد إلا في الذين رحلوا من هذه الدار، وإذا ألقيت نفسك في أحضان كل هؤلاء تجدهم منتسبين إلى التصوّف يعتقدون وجوب ذلك، وتسليم أحكامه ومقدماته يجادل في علم الكتاب والسنة وما يتبعهما، ولا يجادل فيه عندهم إلا كافر أو جاهل اشتد جهله، وحينئذ لا يقبل في نظرهم قبولاً تاماً إلا من دخل في نسبتهم وبالخاصة في طريق شيخهم، ولا يذكر بالعلم والصلاح إلا من اتصف بذلك، وحتى إن وجد فرد مجرد عن هذه النسب ربما لا تراه إلا أنقص منهم عبادةً وعلماً، وبالجملة فالعليم المتوفر الشروط عزيز فدعتنا الضرورة والخروج من حيز الجهل المحض إلى التعلق بأذيال المتقدمين – رحمهم الله – وسمعنا من أقوالهم العلمية، وفعلنا أفعالهم الصوفية فرقصنا معهم، وفعلنا فعلهم وكان ذلك خيراً لنا من الجهل المحض، بل الجهل المحض خير من فعلهم ذلك، ومن اعتقادهم الفاسد البيِّن، وأيُّ خير يحادي من أعطى صفة الخالق للخلق بلا شك كما كان ذلك منا اعتقاداً بأن فعلنا خير وصدق في الأوّل، كما صدق في الثاني باعتبار إخلاص النية لله فيه وإن أخطأنا في كثير منه فقد أصبنا في الأكثر من ذكر الله، والتأدّب ببعض آداب القوم فإنه حسن، وقد كان الصحابة ﷺ يعبدون الأصنام ثم مَنَّ الله عليهم بدين خير الأنام، فكذلك لم نزل نتقلب في هذه الأقطار ونطلب ما تيسر لنا من العلم، وننظر في كتب العلماء الأعلام التي كنا لا نسمع لها حِسّاً حتى فتح الله البصيرة، وأنار بفضله ما أنار به السريرة، فعدنا إلى بدئنا فخلصناه من شوائب الخطأ، زاد الله قلوبنا وأبداننا علماً وصلاحاً، وبدّل سيئاتنا حسنات، وشؤمنا بركات، آمين.

أقول: ومما استدل به هؤلاء على الرقص قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾[1]، قائلين غاية ما في الرقص ذكر الله قياما.

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٩١).

ونحن نقول عليه: إن الآية كما في الصحيح نزلت في الصلاة ومراتبها من قيام، وعجز عنه إلى القعود، وعنه إلى الاضطجاع، ولئن سلمنا أنها تَعم مطلق الذكر لَمَا عمت الرقص المذكور، لأنه قيام الاضطراب لا قيام فقط، وإلا صحت الصلة لمن قام فيها يضطرب في قيامه يميناً وشمالاً، ولا يهتز إلى علو ثم ينسفل إلى سفل بقوةِ اختيار، وذلك لا نعلم القائل به، كما رأيت في بعض الكتب استدلال بعضهم لذلك بحديث موضوع، وهو أن رسول الله عليه السلام قد أُنشد بين يديه:

قد لسعت حية الهوى كبدي ... فلا طبيب لها ولا راقي

إلا الحبيب الذي قد شغفت به ... فعنده رقيتي وترياقي

فتواجد حتى سقط رداؤه وقطعوه سبعين قطعة إلى آخر ما قال القائل[١]، وهذا لا يصح كما قدمنا، كما رأيت لبعض الطوائف المميزين أنفسهم بالعمائم الخضر استدلاله لاتخاذها وللرقص بأن هناك ملائكة - عليهم السلام - حول العرش على رؤوسهم عمائم خضر مصطفين يتمايلون كتمايلهم للرقص، وهذا أيضاً من الخرافات، ولو سلمناه لما كان لهم في الملائكة أسوة، وقد رأيت لبعضهم أيضاً أن الزَّبد لا يخرج من الحليب إلا بالحركات القوية فكذلك زبد الذنوب لا يخرج من النفس إلا بها، وهي عندهم حركة الرقص، وهذا لا شيء، لا من حيث القائل ولا القول، وهو قياس فاسد لا نُطَوِّل ببيانه.

أقول: وقد ذكروا بحلقة الرقص المسماة بالعمارة عندهم أجراً من تلقاء أنفسهم، وهو تكفير ذنوب ثمانين سنة للمرة الواحدة.

(........)[٢]

ثم نعود إلى كلام الشيخ ابن جعفر، فنقول: ذكر بعدما تقدّم له فصلاً ضَمّنه بعض الخلاف في وقت ميلاد رسول الله، وما وقع زمان ولادته من خوارق العادات والإرهاصات التي إن صح دليلها قبلت على الرأس والعين، ومن لم يظهر لها دليل ففي

---

(١) انظر: "تنزيه الشريعة" (٢/٢٣٣/ح٧٢)، "السلسلة الضعيفة" (٢/٣٤/ح٥٥٨).

(٢) بياض في الأصل .

عهدة قائلها، كما ضَمّنه أن رسول الله ولد مختوناً مسروراً مع ما يخالفه حاكياً له بصيغة التضعيف.

ونحن نقول عليه: إن الخلاف في وقت ولادته فقد تقدّم القول فيه مستوفى، وأمّا ولادته مختوناً مسروراً فالمحققون من حفاظ الأمة أنكروا ذلك والأحاديث المروية فيه[١].

(........)[٢]

ثم ذكر فصلاً بعد هذا ضَمّنه إرضاع النبي ﷺ ومرضعاته، كما ضَمّنه ما حكاه عن ابن عباس رضي الله عنه: "أن الجنّ والطير تنافست في إرضاعه"[٣]، وعدم صحة هذا واضح، وما تقدّم من أبحاث يجري هنا مع زيادة البعد في أن يكون رسول الله رضيع الجنّ، وكون الطير لا ترضع أولادها فضلاً عن غيرها، لكونها لا ثدي لها ولا لبن، وإنما تبيض ويفقس بعضها عن فراخها.

كما ضَمّنه أن رسول الله تَكلّم في المهد، وذكر الخلاف في كلامه وأجاب: بأنه تَكلّم بالكل، وقد تقدّم ما في هذا، مع أن الواقديّ معروف عندهم بالكذب.

كما ضَمّنه ما ذكر ابن سبع[٤]: "أن مهده عليه السلام كان يتحرك بتحريك الملائكة له"[٥]، وابن سبع مشهور بالوضع.

كما ضَمّنه ما ذكره عن رجال لا يتحرون الصحيح ولا يبالون غاية المبالات بالموضوع: "أن رسول الله ﷺ كان يحدثه القمر وهو في مهده، ويلهيه عن البكاء، وأنه

---

(١) انظر: "العلل المتناهية" (١/١٧١/ح٢٦٤)، "السلسلة الضعيفة" (١٣/٥٧٥-٥٨٧/ح٦٢٧٠).

(٢) بياض في الأصل .

(٣) انظر: "نزهة المجالس" (٢/٧٨)، "تاريخ الخميس" (١/٢٢٣)، "شرح الزرقاني على المواهب اللدنيّة" (١/٢٦٤).

(٤) ابن سبع: لم يتبين لي من قصد به المؤلف.

(٥) انظر: "الخصائص الكبرى" (١/٩١)، "المواهب اللدنيّة" (١/٨١).

عليه السلام كان يناغيه أي: يحادثه ويحاكيه ويشير إليه بأصبعه، فحيث أشار إليه مال، وأنه كان يسمع وجبته، أي: سقطته حين يسجد تحت العرش"[١]. انتهى.

ونحن نقول عليه: بعد ما قلنا في رواته أن القمر لا حياة فيه يُحَدّثُ بها غيره، ويقصد بها غيره، عما يعتريه من بكاء وغيره.

ثانياً: أن القمر لا يميل عن منزله بإشارة أو غيرها، ونسبة ذلك تحتاج إلى دليل لا يُرَدّ.

ثالثاً: سماعه وجبته عند سجوده تحت العرش، يتوقف على إثبات سجوده ذلك كما جاء في الشمس.

ثم ذكر فصلاً بعد هذا في ما كان من سيرته عليه السلام بعد ولادته إلى أن توفي، وضَمّنه قوله: ("وشَبّ رسول الله ﷺ شباباً لا يشبه شباب الغلمان، فكان يشبّ في اليوم شباب الصبي في شهر ...")[٢][٣] الخ.

ونحن نؤخر البحث معه في هذا القيل إلى ما يذكر – إن شاء الله – عند تعرض الغير له في شرحه الهمزية.

ثم ذكر فصلاً بعده ضَمّنه قوله: (وكان كالشمس أو القمر، بل أحسن منهما نوراً وإشراقاً ...)[٤] الخ.

كما ضَمّنه قوله: (ولم يكن لجسمه الطاهر المنور ظل لا في شمس ولا في قمر، لأنه كان نوراً والنور يكشف الظلمة، ويزيل ما ينشأ عنها من الوصمة، وما قام قط مع شمس أو سراج إلا غلب ضوءه ضوء الشمس أو ذلك السراج ﷺ

---

(١) رواه البيهقيّ في "دلائل النبوة" (٢/٤١)، وابن عساكر (٤/٣٦٠). وانظر: "السلسلة الضعيفة" (١٠/٤٦٦/ح٤٨٦٣).

(٢) انظر: "تاريخ الطبريّ" (٢/١٥٩)، "دلائل النبوة" للبيهقيّ (١/١٣٤-١٣٥)، "تاريخ دمشق" (٣/٩٣).

(٣) انظر: "اليمن والاسعاد بمولد خير العباد" (ص: ٣١-٣٢).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص: ٣٧).

وقد كان يرى من خلفه وورائه، كما يرى من أمامه وتلقائه، ويرى في الليل وفي الظلمة الشديدة كما يرى في النهار وفي الأضواء العديدة، ويبصر ما لا يبصرون، ويعلم ما لا يعلمون، ويسمع ما لا يسمعون، ويدرك ما لا يدركون، وأقدره الله في أعضائه كلها على ما لا يقدرون، وما تشاء بقط كغيره من الأنبياء . . .)[١] الخ.

(وفي الإبريز: (أنّ سبابة يديه كانت مساوية لوسطاها)[٢] إلى أن قال: وقد اشتهر أنه كان إذا مشى في الصخر ربما أثر فيه، وإذا مشى في الرمل لم يكن لقدميه فيه بيان، قال: ولكن لم يوقف لذلك على أصل ولا سند، ولا خُرِّجَ في شيء من كتب الحديث التي تعتمد، إلا أنه وجد ما يشهد له من حيث الجملة، وإن لم يعتبر دليلاً من الأدلة، وهو وجود أنواع من الآثار في عدة صخور وأحجار صحت نسبة بعضها لبعض الأنبياء كخليل الله، ولغيرهم من كثير من أهل الله، وما أوتي نبيٌّ معجزة من المعجزات إلا وأوتي نبينا مثلها أو ما هو أبين من الآيات)[٣]. انتهى.

بحثٌ: ونحن نقول عليه:

أولاً: قوله: (وكان كالشمس أو القمر بل أحسن منهما نوراً وإشراقاً . . .) الخ.

يقال عليه: قد يحمل قوله: (كان كالشمس أو القمر) على التشبيه، والمشبه لا يقوى قوة المشبه به، ويجعله أقوى من المشبه به في وجه التشبيه وهما النور والإشراق، وهذا لا يعضده نقل مسلم، ولا عقل، ولا حس إذ كل مشرق في هذا العالم لا يفوق إشراقه الحسي الشمس والقمر، أمّا الحس فذلك واضح منه، وأمّا العقل فتابع له، وأمّا النقل فلو كان ما قاله صحيحاً لا يمترى فيه لنقل بالتواتر على أصله لتوفر الدواعي على نقله، ولما تباطأ الراءون لذلك الإشراق الفائق للشمس والقمر عن تصديقه في نبوته، وكيف لا وهذا الإشراق الفائق للشمس يصاحبه منذ ما برز للوجود الدنيوي إلى وفاته

---

(١) انظر: "المصدر السابق" (ص: ٣٨).

(٢) انظر: "الإبريز من كلام سيدي عبدالعزيز" (ص: ١٦٩).

(٣) انظر: "اليمن والإسعاد بمولد خير العباد" (ص: ٤٢-٤٣).

عليه السلام فكيف لا يتعجب من ذلك من رآه من الأقارب وإلا باعد ويتلقى ما يترتب على ذلك من إشراق هدايته بالقبول والإذعان إلا أن يكون لا عقل له يميز به حتى المحسوس من غيره أو جماداً مع أنه لم يوجد التواتر على ذلك نقلاً ولو بعد شدة الرحلة إلى ربه، بل الرواة ممن شاهده عليه السلام لم ينقلوا هذا، وإنما عبر الأقل منهم بعبارة تفيد التشبيه، كحديث أبي هريرة رضي الله عنه حيث يقول فيه: "كالشمس تجري في وجهه"(١)، وحديث البراء بن عازب رضي الله عنه: "رأيت رسول الله في ليلةٍ إِضحِيَانٍ، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر فلهو عندي أحسن من القمر"(٢)، وكحديث هند بن أبي هالة رضي الله عنه: "يَتَلألأُ وجهُهُ تَلأْلُؤَ القمر ليلة البدر"(٣)، ففي حديث أبي هريرة مجرد التشبيه، وفي حديث البراء رضي الله عنه نسب ذلك إلى عنديته لا إلى الواقع في نفس الأمر، وفي حديث هند رضي الله عنه تشبيه تلم بمدق أداته، وها هو الأكثر منهم كما في شمائل الترمذيّ يُعبِّرون بعبارات لا تقتضي ما ذكر، بل تدل على غير ما دلت عليه عبارة الأقل، وإن كان الكل منّا ومنهم يُسَلِّم أنّ رسول الله حسن الوجه، حسن الطلعة، له نور يفوق فيه غيره، ولكن البحث مناف كونه كالشمس تماماً أو أكثر، ولو جاء النقل بذلك لكان على الرأس والعين، ولكن النقل لا يمكن أن يخالف الواقع والحس، وهذا البراء بن عازب رضي الله عنه يقول: "ما رأيت من ذي لـمّة في حلّة حمراء أحسن من رسول الله"(٤)، فاقتصر على الأحسنية من غيره، وهذا علي بن

---

(١) رواه الترمذيّ (ص: ٨٣١/ح٣٦٤٨)، وأحمد (١٤/٥٠٦/ح٨٩٤٣). وضعّفه العلامة الألباني في "السلسلة الضعيفة" (٩/٢٢٦/تحت حديث: ٤٢١٣).

(٢) هذا اللفظ من رواية جابر بن سمرة رضي الله عنه وليس من رواية البراء بن عازب رضي الله عنه كما ذكر المؤلف، وهو حديث "ضعيف"، رواه الترمذي (ص: ٦٢٩/ح٢٨١١) وضعّفه العلامة الألبانيّ. وروى البراء بن عازب رضي الله عنه حديثاً قريباً لفظه من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه، صحيح البخاري (ص: ٥٩٦/ح٣٥٥٢)، ومسلم (ص: ١٠٢٩/ح٢٣٣٧).

(٣) رواه الترمذي في "الشمائل" (ص: ١١/ح٨)، والطبراني في "الكبير" (٢٢/١٥٥/ح٤١٤)، والبيهقي في "الشعب" (٣/٢٤/ح١٣٦٢). وضعّفه العلامة الألبانيّ في "ضعيف الجامع" (ص: ٦٤٧/ ح٤٤٧٠).

(٤) صحيح البخاري (ص: ٥٩٦/ح٣٥٥١)، ومسلم (ص: ١٠٢٩/ح٢٣٣٧).

أبي طالب ﷺ يقول في وصفه: "لم يكن رسول الله بالطويل الـمُمَغَّط ..."[١]، الحديث الطويل عنه في "الشمائل"، ولم يتعرض لإشراق نوره كالشمس والقمر أو أكثر، وهذا أبو الطُّفَيل ﷺ يقول لـمّا قيل له صف لنا رسول الله ﷺ قال: "كان أبيض مليحاً مُقَصَّداً"[٢]، وهذا أبو هريرة ﷺ يقول في صفة رسول الله: "كان أبيض كأنما صيغ من فِضَّة"[٣]، وهذا جابر بن سمرة ﷺ يصف رسول الله: "بأنه ضليع الفم، أشكل العينين، منهوس العقب"[٤]، وهذا أنس بن مالك ﷺ يقول: "لم يكن رسول الله بالطويل البائن، ولا بالقصير، ولا بالأبيض الأمهق، ولا بالآدم"[٥]، وهذا جابر بن عبدالله ﷺ يقول عليه: "ورأيت إبراهيم الطَّيْلا فإذا أقرب من رأيت به شبهاً صاحبكم، يعني نفسه ﷺ"[٦]، وهذا ابن عباس ﷺ يقول: "كان رسول الله أفلج الثنيتين إذا تكلم رُؤِيَ كالنور يخرج من بين ثناياه"[٧]، وهذا ابن عبّاس ﷺ أيضاً يقول ليزيد الفارسيّ[٨] حين قال رأيت رسول الله في المنام: هل تستطيع أن تنعته؟ قال: "أنعت لك رجلاً بين الرجلين بجسمه ولحمه، أسمر إلى البياض، أكحل العينين، حسن الضحك، جميل دوائر الوجه، قد

---

(١) رواه الترمذي (ص: ٨٢٧/ح٣٦٣٨)، و"الشمائل" (ص: ٩-١٠/ح٧). وضعّفه العلامة الألبانيّ.

(٢) صحيح مسلم (ص: ١٠٣٠/ح٢٣٤٠).

(٣) رواه الترمذي في "الشمائل" (ص: ١٢/ح١٢)، والبيهقي في "الدلائل" (١/٢٤١)، وصحّحه العلامة الألبانيّ في "السلسلة الصحيحة" (٥/٨٢/ح٢٠٥٣).

(٤) صحيح مسلم (ص: ١٠٢٩/ح٢٣٣٩).

(٥) صحيح مسلم (ص: ١٠٣٢/ح٢٣٤٧).

(٦) صحيح مسلم (ص: ٨٧/ح١٦٧).

(٧) رواه الترمذي في "الشمائل" (ص: ١٣/ح١٥)، والطبراني في "الأوسط" (١/٢٣٤/ح٧٦٧)، والبيهقي في "الدلائل" (١/٢١٥). وضعّفه الألبانيّ في "السلسلة الضعيفة" (٩/٢٣٢/ح٤٢٢٠).

(٨) هو: يزيد الفارسيّ البصريّ، مقبول، من الرابعة. انظر: تقريب التهذيب (ص: ٦٠٦/ ترجمة: ٧٧٩٦).

ملأت لحيته ما بين هذه وهذه، وملأت نحره، فقال: لو رأيته في اليقظة ما استطعت أن تنعته فوق هذا"[١].

أقول: وهذا قليل من كثير، وعليه أيصح لك أن تحكم على هؤلاء أنهم قصروا في وصف رسول الله؟ حيث اقتصروا على هذه الصفات، وتركوا أعظم صفة وأكبرها في العالم وهي كون نور وجهه أشرق حِسّاً من إشراق الشمس والقمر، مع أن هذه الصفة أوّل ما يراها الراءي له قبل أن يبحث عن غيرها أو يراه، ويلزمكم على هذا أن يكون جعفر ﷺ، والحسن ﷺ، وإبراهيم ﷺ، وغيرهم ممن كان يشبه رسول الله على هذه الصفة، وأنهم شموس فوق الأرض، وقد قال رسول الله لجعفر ﷺ: "أشبهت خَلقِي وخُلُقِي"[٢]، وقال في إبراهيم ﷺ ما تقدّم[٣]، وقال الناس: "الحسن ﷺ أشبه برسول الله ﷺ"[٤].

نعم لولا ما تقدّم للشيخ من أن الإشراق حسّي لعدنا بذلك إلى الهداية فنقول:

أرسل الله رسوله هادياً للخلق في دينه ودنياه، دنياً وأخرى لأن فيها ثمرة الهداية، ولكن هذه الهداية حصلت بالفعل لمن أجابه إليها، وحصلت بالعلم لمن لم يجبه وسمع دعواه، ولم تحصل لمن لم تبلغه دعوة أو لم يرسل إليه كالحيوانات، والنبات والشجر وقس، وهداية الشمس والقمر عامة لمن قابلها من هذا الكون الدنيوي ديناً كمعرفة أوقات الصلوات، وشهور الحج والصيام ومثلها، ودنياً كمعرفة الأصقاع، وتمييز الأشياء الكثيفة واللطيفة من غيرها، ونمو الأشجار والنبات، وبعض المعادن، وتبخير المياه، وإنضاج الخضروات، والاهتداء للسبل، والإشراق المزيل للظلمات التي لا تحصرها الدفاتر ولا يعلمها إلا العليم الخبير سبحانه، وعليه فهدايتهما فيها عموم وخصوص من وجهين، يجتمعان في هداية الخلق إلى الدِّين على تقديرٍ قَدَّره الله لكل منهما، وتنفرد هداية

---

(١) رواه الترمذي في "الشمائل" (ص: ١٩٠/ح٤١٢)، وأحمد (٥/٣٨٨/ح٣٤١٠)، وصحّحه العلامة الألبانيّ في "السلسلة الصحيحة" (٦/٥١٤-٥١٥).

(٢) سبق تخريجه (ص: ٢٢٤).

(٣) سبق تخريجه (ص: ٢٨٢).

(٤) صحيح البخاري (ص: ٥٩٥/ح٣٥٤٢).

رسول الله بثمراتها الأخرويّة، وتنفرد هداية الشمس والقمر بعموم إشراقهما على العالم الدنيويّ إشراقاً لا يساويهما فيه غيرهما، وأعني بهداية الشمس والقمر الهداية الحسيّة لا هداية العلم والحكمة كهداية النبي ﷺ، لأنهما غير حيين فلا تمكن فيهما تلك الهداية.

ثانياً: في قول هؤلاء الغلاة منافاة قياس رسول الله ﷺ على البشر في خلقه إنما زاد عليه في الدليل، وهل من البشر أحد ولو الرسل - عليهم السلام - كانت وجوههم أشرق من الشمس والقمر إشراقاً حِسّياً؟ ولقد بلغ يوسف ﷺ ما بلغ من كمال الحسن، ولم يكن بما ذكر. نعم الغلاة لا محتسب يحاسبهم، ولا زاجر يزجرهم عن أن يقولوا ما شاءوا كقول هذا الشيخ المتقدّم وغيره، كصاحب البغداديّة[١] حيث يقول[٢]:

أصلي صلاة تملأ الأرض والسماء ... على من له وجه من الشمس أضوأ

وقد أخطأ في الوجهين:

الأول: قوله: (من الشمس أضوء) لما ذكرناه قبل.

الثاني: قوله: (تملأ الأرض والسماء) لأنه لا يقدر أن يملأ بها فعلاً، ولا بقعة من الأرض فضلاً عن الأرض والسماء، نعم يملؤها بلسانه الذي يتلفظ بما لا يقدر على وجوده وفعله.

وقد قال أيضاً[٣]:

إلى العرش والكرسي أحمد قد دَنَا ... ونورهما من نُورِهِ يتلألأُ

---

(١) صاحب البغداديّة هو: محمد بن محمد بن أبي بكر بن رشيد، أبو عبدالله مجد الدِّين الوِتريّ البغداديّ الشافعيّ، ويقال له: "صاحب الوتريّة"، من شعراء بغداد، وبها توفي سنة (٦٦٢هـ)، اشتهر بمجموعة من المدائح النبويّة سمّاها "القصائد الوتريّة في مدح خير البريّة"، مطبوعة. انظر: الأعلام، للزركلي (٧/٢٩).

(٢) انظر: "القصيدة الوتريّة" (ص: ٢ ، ٤).

(٣) انظر: "القصيدة الوتريّة" (ص: ٢).

وهذا إن قصد به أن نورهما مشتقان من نوره فقد تقدّم ما فيه، وإن قصد به ما هنا فيقال فيه ما قيل في قبله.

ثالثاً: قوله: (ولم يكن لجسمه الطاهر المنور ظل لا في شمس ولا في قمر).

بحثٌ: يقال عليه: إن صح هذا بدليل صحيح فأين هو؟ وإذا كان موجوداً فلم لا يبردون لهفتنا بذكره، ويواسوننا بعلم قد احتجنا إليه، ويُقَوّوا قولهم به، ويدفعون بحثنا معهم.

كما يقال لهم: هذا خلاف الأصل الثابت لكل كثيف من الأشياء في هذا الكون من مصاحبة له.

كما يقال لهم: هو خلاف ما طبع الله عليه الإنسان من إثبات الظلال له، فعليكم إخراج هذا الفرع من الأصلين المذكورين بالدليل.

كما يقال لهم: لو أتيتم بدليل فلا يُسَلَّم لكم إلا إذا كان متواتر الأصل والفرع، إذ ذاك مما تتوفر الدواعي على نقله لغرابته بين أبناء جنسه.

رابعاً: قوله: (إنه كان نوراً والنور يكشف الظلمة . . .) الخ.

تعقيب: يقال عليه: أجمع الحاضرون ولادته، السامعون لأخبارهم وأخبار غيرهم، بأنّ أمه عليها السلام إنما ولدت صبياً مباركاً منيراً لا نوراً فقط.

خامساً: ما يقال إذا سلّمنا أنه نور كما تقولون، خالف إجماع الدائن له والتابعين لهم على أنه جسم مركب مما تتركب منه الأجسام.

سادساً: إذا سلمنا أنه نور فقد خالف البشر الذي تَكَوّن منه وتفرع منه، إذ هو جسم لا نور صرف.

سابعاً: إذا سلمنا أنه نور كما قلتم، فَلِمَ لم ينقل ذلك بالصفة المتقدّمة، إذ كيف لا، والحالة أنّ نوراً من صغره إلى وفاته نحو الثلاث والستين سنة يتقلب بين يدي أهل بلده وغيرهم من كل من رآه، ولا يتعجب من نورٍ يمشي، ولا يخبر عن ذلك من لم يره.

ثامناً: لو كان نوراً لما كان جسماً مركباً من جوارحه وأعضائه ولحمه ودمه، ولما كلم أحداً بلسانه، ولا أكل ولا شرب، ولا تزوج، ولا ولد، ولا خرج منه دم، إلى غير ذلك من لوازم الأجسام ومما كان ﷺ.

تاسعاً: لو سلمنا نوريَّته تلك لما لزم منها نفي الظل بل قد وقد، ألا ترى إلى الجنة وكلها نور قد ملئت بالظلال، قال الله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[1]، وقال: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾[2]، ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾[3]، وقال: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾[4]، وكذا عرش الرحمن فإنه نوراً وتحيط به الأنوار[5]، ومع ذلك فله ظِلّ، قال رسول الله ﷺ: "سبعة يُظِلُّهم الله في ظِلّ عرشه يوم لا ظِلّ إلا ظِلّه"[6].

عاشراً: قوله: (والنور يكشف الظلمة).

بحثٌ: يقال عليه: يلزم على هذا أن لا تبقى ظلمة فيما كان فيه عليه السلام من دار ولا طريق، ولا نادي ولا مجتمع، ولا يحتاج إلى سراج في مكان يكون فيه، وقد كان يسرج له السرج في بيته وغيره، وكل ما ذكر لم ينقل عن طريق واهٍ فضلاً عن صحيح.

الحادي عشر: قوله: (وما قام قط مع شمس أو سراج إلا غلب ضوءه ضوء الشمس أو ذلك السراج . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: بعد احتياج هذا إلى دليل يثبته يلزم عليه ما لزم على ما لزم ما قبله من أنه وأهله وكل من كان معه لا يحتاج إلى سرج ولا شمس، وفيه ما في ما قبله، ولا ينفع جواب من أجاب بأنّ قصدهم بالنور وجه نوره وبدنه، لأنّا نقول: ينافيه ما

---

(١) سورة الرعد، الآية (٣٥).

(٢) سورة النساء، الآية (٥٧).

(٣) سورة الإنسان، الآية (١٤).

(٤) سورة الواقعة، الآيات (٣٠-٣١).

(٥) هذا أمر غيبي ، وهو مما لا أعلم له دليل من الشرع

(٦) صحيح البخاري (ص: ١٠٧/ح٦٦٠)، ومسلم (ص: ٤١٥/ح١٠٣١).

صرحوا به من هذه الصفات التي لا تكون إلا للنّور الصرف مع أن ما تضمنه الجواب لا يصح، لأن له ظِلاًّ، وقد نفوا الظِلّ مطلقاً.

الثاني عشر: قوله: (وقد كان يرى من خلفه وورائه).

تعقيب: يقال عليه: عبارته هذه تقتضي أنه كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه، بكسر الميم فيهما، وهو غير صحيح، إذ لم يكن رسول الله يرى من مؤخر رأسه، ومن ظهره، ما يرى بعينه لا بعين أو عينين أو أعين خلقت له في مؤخر رأسه وظهره، كما خلقت له في وجهه، وإنما الحديث فيه: "إني لأراكم"[1]، و"أرى" هنا محمولة على العلم عند المحققين، والعلم بذلك يكون من الله، أو بواسطة تمثيل من خلفه له بين يديه، أو حركاتهم وسكناتهم، والقول بالرؤية البصرية ضعيف بالنسبة إلى هذا.

الثالث عشر: قوله: (ويرى في الليل وفي الظلمة الشديدة كما يرى في النهار . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه:

أولاً: هذا خلاف الأصل وهو البشرية وصفاتها من الفرق بين نظرهم الليلي والنهاري.

ثانياً: ما يقال لم يحتاج حينئذ رسول الله إلى إيقاد السراج في الظلمة.

ثالثاً: ما الدليل على مخالفة رسول الله للبشر في هذه الصفة.

الرابع عشر: قوله: (ويبصر ما لا يبصرون . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: هذا إجمال يوهم أن لا تفصيل في المسألة، مع أن رسول الله أبصر ما لا يبصره غيره مما خصّه الله به، كما قال سبحانه: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾[2]، ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾[3]، كما أبصر الجنة والنار إلى غير ذلك، وقد أبصر غيره ما لا يبصره كرؤية جبريل وغيره من الملائكة، ما لم يطلع عليه رسول الله مما في الدنيا والآخرة، وكرؤية غيره

---

(١) صحيح البخاري (ص: ٧٢/ح٤١٨)، ومسلم (ص: ١٨٢/ح٤٢٤).

(٢) سورة النجم، الآية (١٨).

(٣) سورة النجم، الآية (١٣).

من البشر والجن والأصقاع وأهلها، وما فيها مما لم يبصره رسول الله ﷺ ويشترك هو وغيره في مبصرات كثيرة كرؤية الكعبة، ومكة، وبلد العرب وأهلها مما تيسرت له رؤيته، وكذا شجرها ونباتها وحيوانتها، وكإشتراكه في رؤية الملائكة مع إخوانه الأنبياء – عليهم السلام –، وكذلك سمع رسول الله ما لم يسمعه غيره ككلام ربه الذي: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾[١]، وككلام موسى حين أمره بمراجعة ربه في التخفيف على أمته بشأن الصلاة ليلة الإسراء[٢]، وغير ذلك مما اختص بسماعه من الله وملائكته ورسله وإنسه وجنه، كما اختص غيره بسماع كلام بعض الملائكة، وكلام بعضهم بعضاً كأهل الجنة، وأهل الدنيا، وأهل الآخرة من كلام بعضهم لبعض مما لم يتيسر لرسول الله سماعه، ويشترك هو وغيره في سماع الوحي من الله بواسطة وغيرها كالأنبياء – عليهم السلام – وكسماع من علمه أو من يكلم غيره وهو يسمع وغيره يسمع كذلك، كما إنه اختص بعلوم لا يشاركه فيها غيره، واختص غيره بما لا يشاركه فيها غيره، ككثير من الأنبياء، وكل من علم علماً وحكمة في الدنيا والآخرة خصه الله بها، واشترك مع غيره في علوم قد بذلت له ولغيره.

وبالجملة فبين حاله وحال غيره في هذه المسائل عموم وخصوص من وجهين، يجتمعان في طرف وينفرد كل منها في طرف، كما أن الكل لا يشارك الله تعالى في الأكثر من علومه وسماعه ورؤيته، فإنه الذي يبصر كل شيء، ويعلم كل شيء، ويسمع كل شيء دون خلقه كيفما كانوا: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾[٣]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾[٤]، إلى غير ذلك، وهذا عند أهل الحق والشرائع الإلهية دون من سَلَبُوا من الله تصرفه في ملكه وجعلوه في يد أحد من خلقه ككثير من هؤلاء الغلاة.

الخامس عشر: قوله: (ويدرك بالشم ونحوه ما لا يدركون . . .) الخ.

---

(١) سورة فصلت، الآية (٤٢).
(٢) صحيح البخاري (ص: ٦٢/ح٣٤٩)، ومسلم (ص: ٨٢/ح١٦٢).
(٣) سورة الأنعام، الآية (٥٩).
(٤) سورة لقمان، الآية (٣٤).

بحثٌ: يقال عليه: إننا لا نمانع في أن يزيد الله بعض عباده قوة على غيره في حواسه وقوتها وغيرها، ولكن لا يحكم بذلك لأحد إلا بدليل، لو أتى به الشيخ هنا لاتَّضح الأمر وسَلّم الخصم.

السادس عشر: قوله: (وأقدره الله في أعضائه كلها على ما لا يقدرون . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: لا نمانع في ذلك ولكن ليس على إطلاقه بل هناك أمور قَدَّره الله عليها دون غيره، كتلقي الوحي من الملائكة تلقياً صعباً، وكالصبر على الشدائد والمحن، كأولي العزم من الرسل أو بزيادة عليهم وفي هذا تظهر الأقدرية، وهناك أمور لا يقدر عليها، ويقدر عليها غيره بإقدار الله له كجبريل ؈ مع مدائن سدوم، وصيحة ثمود ومثلهما، ولو شاء لله لأقدره كما أقدر جبريل والملائكة، وهناك أمور لم يشترك فيها هو وغيره كالحاجات والضروريات والملاحم ومثلها، وهناك أمور وهي أكثرها لا يقدر عليها إلا الله تعالى، وعليه فبين حاله وحال غيره في هذه الصور، كما بين الصور الأولى من العموم والخصوص، ويدل لبعض ما قلنا: "أنَّ رسول الله ظَاهَرَ يوم أحدٍ بين دِرعَينِ، فلم يستطع أن يصعد على الصخرة حتى أقعد طلحة تحته"[(١)].

ففيه ما يقال: إن كان غيره يقدر أن يصعد عليها بتلك الحالة فهو أقدر من رسول الله على هذا الفعل، وإن كان لا يستطيع أحد ذلك دون واسطة فرسول الله إذاً كغيره في هذه الصورة مساوٍ لهم في الأقدار، وقد سبق عائشة فسبقته[(٢)]، وعليه ففي خصوص هذه الصورة لم يقدر على ما قدرت عليه من السبق، وإن كان في الأخرى قبلها سبقها فلم تقدر على ما قدر عليه فيها. كما إنه لا يقدر على هداية من أحب، ولا أن يكون كل أمر أراده بيده بل هو كغيره في ذلك، قال الله سبحانه: ﴿ إِنَّكَ

(١) رواه أبو داود (ص: ٣٧٤/ح٢٥٩٠)، والترمذي (ص: ٤٠٥/ح١٦٩٢)، وابن ماجه (ص: ٤٠٦/ح٢٨٠٦)، وأحمد (٣/٣٣/ح١٤١٧). وحسّنه العلامة الألبانيّ في "السلسلة الصحيحة" (٢/٦٢٨/ح٩٤٥).

(٢) رواه أبو داود (ص: ٣٧٣/ح٢٥٧٨)، وابن ماجه (ص: ٢٨٣/ح١٩٧٩)، وأحمد (٤٠/١٤٤/ح٢٤١١٨). وصحّحه العلامة الألبانيّ في "السلسلة الصحيحة" (١/٢٥٤/ح١٣١).

﴿ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾[(١)]، وقال: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾[(٢)]، ولو شاء سبحانه أن يقدره على ذلك وغيره لأقدره.

السابع عشر: قوله: (ما تثاءب قط . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: يحتاج إلى دليل يعمه وما بعده فإن وجد فذاك، وإلا فلا يُسَلّم نفي ما لا نقص فيه ظاهراً لا بحجة.

الثامن عشر: قوله: (وفي الإبريز سبابة يديه كانت مساوية لوسطاها . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه:

أولاً: خلاف الأصل الذي خلق الله أصابع بني آدم عليه.

الثاني: هو خلاف ما دل عليه الحديث الصحيح "إنّ بيني وبين الساعة كهاتين"[(٣)]، وجمع بين السبابة والوسطى، الدال على تفاوتهما بما قَدَّرَ به قرب الساعة إليه، وكذا في بعض الأحاديث كقوله: "أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة"[(٤)].

الثالث: ما دليله على ذلك إن كان ما رُوِيَ عن أصحابه، فأين هو؟ ولِمَ اختص بروايته دون غيره؟ وإن كان بالكشف فليس كشفه أشدّ كشفاً من كشف الذين عاشروه رجالاً ونساءً.

كما يقال لكاتبه: لِمَ سَلَّمتَ له هذا؟ ولَم يأت بدليل، ولا عضدت قوله به، على أنه لو أتى به لكان دافعاً لأصحّ وأكثر منه، وهو الأصل والحديثان المتقدمان.

التاسع عشر: قوله: (وقد اشتهر أنه كان إذا مشى في الصخر ربما أثر فيه . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: ليت الشيخ قال في كل من لم يظهر له دليل ما قال هنا، ولكن اقتصر على نفي الدليل هنا دون غيره بيد أنه رجع إلى عادته من تسليم كل ما

---

(١) سورة القصص، الآية (٥٦).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٢٨).

(٣) صحيح البخاري (ص: ٨٨٠/ح٤٩٣٦)، ومسلم (ص: ٣٤٧/ح٨٦٧).

(٤) صحيح البخاري (ص: ٩٤٨/ح٥٣٠٤)، ومسلم (ص: ١٢٩٠/ح٢٩٨٣).

كتبه غالباً الذي من جملته هذه المسألة، حيث قال: (إلا أنّه وجد ما يشهد له من حيث الجملة، وإن لم يعتبر دليلاً من الأدلة . . .) الخ.

العشرون: وهذا يقال عليه وهو العشرون: إذا لم يعتبر دليلاً من الأدلة فما فائدة الاستدلال بالجملة وماذا عسى أن يحصل بها.

الواحد والعشرون: قوله: (وهو وجود أنواع من الآثار في عدة صخور وأحجار . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: لا لزوم بين وجود تلك الآثار صحت لأحد بعينه أو لم تصح، وبين نسبة بعضها إلى رسول الله ﷺ.

الثاني والعشرون: قوله: (وما أوتي نبيٌّ من معجزة من المعجزات إلا أوتي نبينا مثلها . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: هذه الكلية والقاعدة من نص عليها، إن كان القرآن والسنة فأين هما؟ وإن كان غيرهما فلا حجة في كلام أحد دونهما.

الثالث والعشرون: ما يقال معجزة انفلاق البحر لموسى عليه السلام، وإخراج الناقة من الصخرة، وجعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام، ومثلها أين مماثلها في معجزة رسول الله ﷺ، وإن كان لرسول الله معجزات خارقة، وأبين من معجزات الأنبياء كالقرآن الدائم المعجزة المعجز لكل الخلائق، والتأويلات البعيدة ما أحوجنا إليها محوج.

الرابع والعشرون: إن صح نسبة بعض تلك الآثار لبعض الأنبياء - عليهم السلام - فخارج عما يقال بعد، وهو أنّ أكثر الآثار في الحجارة والأماكن الصلدة من صور الأقدام والرجال ومثلها من صنع أهل العصر الحجري، وقد كانوا يصورون ذلك في ذلك ويمثلونه فيه، فإن كان هذا لا يثبت نسبة تلك الآثار لمن لم يصح له، فكيف يثبته لأهل الولايات عندكم.

الخامس والعشرون: ما يقال: قد قيّد الشيخ كون نور وجهه عليه السلام أشرق من نور الشمس والقمر قيّده بمن وفقه الله.

وعليه يقال له: أيّ موفقٍ أشد توفيقاً من الصحابة، وبالخاصة الخلفاء الأربع ولم يروا عنهم بالصراحة ما ذكرت.

السادس والعشرون: ضمّن كلامه المتقدم أن ريقه عليه السلام يعذب به الماء المالح، ويكفي الرضيع عن اللبن، كما إنه إذا جالس قوماً علا جلوسه جلوسهم، وإذا ماشاهم طاولهم، وهذا أن يقال عليهما إن ثبت ذلك بدليل فلا غرابة فيه بل هو مناسب لخرق بعض العوائد الذي منحه الله إياه.

السابع والعشرون: ضمّن ذلك أيضاً أن رسول الله كان لا يحتلم، وذلك يقال فيه: على سبيل الإجمال احتلامه بغير أزواجه وإمائه لا يصح، لأنّه معصوم من فعل ما لا يجوز له من ذلك يقظة ومناماً، وإن كان بأزواجه فقد ذكروا أنّ هذا من العبادة وليس ببعيد منه، ولكن لا يقال به إلا إذا ثبت دليله، وإن كان لغير ما ذكر فبعيد من حاله أيضاً، وسيأتي لنا إن شاء الله بيان مزيد وتفصيل لهذا المعنى عند المقتضى.

الثامن والعشرون: ضمّن ذلك أيضاً أنّ ما يخرج من رسول الله من الفضلات تبتلعه الأرض.

وهذا يقال عليه:

أولاً: هذا يحتاج إلى نقله بالتواتر لأن إنساناً من صغره إلى وفاته لا تبقى له فضلة على الأرض بل تبتلعها يشهد له بذلك أمه، وحاضنته، ومرضعته، وقابلته، وكل من يصاحبهن أو يقاربهن من النسوة، كما يعم ذلك الخبر أهل بلده وأصحابه، ومن سار إليهم خبره، وهذا مما تتوفر الدواعي على نقله فينقل تواتراً.

ثانياً: لو كان ذلك كذلك لما احتاج رسول الله إلى جعل قدح تحت سريره يبول فيه، ولما احتاج إلى أن يتباعد في قضاء حاجته عن أعين الناس قبل أن تتخذ الكنف قريبة من البيوت، إذ يبول ويقضي حاجته في كل مكان يستتر فيه، ولو في بيته، وقرب فراشه وتبتلع الأرض ذلك، كأن لم يكن والحالة هذه لا رائحة كريهة على أنّ فضلة الأنبياء طاهرة عندكم كما هو المناسب لفضلته عليه السلام.

ثالثاً: أمّا البول فإن الأرض الهشة تبتلعه من كل أحد إلا أن تكون مملوءة بالماء فلا تبتلعه عاجلاً كالأرض الصلبة لاسيما إن وقع في حفرة منها، فيحتاج حينئذ إلى استثناء بول رسول الله من هذا الاستثناء.

رابعاً: مَن هذا الذي يَقِلّ حياؤه في الصحابة فيجعل يتتبع حاجة رسول الله هل ابتلعت أم لم تبتلع، إلا أن يكون مصادفة وأين الدال عليها.

خامساً: فضلات الأنبياء - عليهم السلام - لم يدل دليل لا يُرَدّ على طهارتها بل جاء ما يؤيد العكس فقد قال الله لرسوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[١]، وطهارة البدن أولى من طهارة الثياب، وحمل الثياب في الآية على المجاز بمعنى "قلبك" إلى آخره، لو صَحّ فالحقيقة أولى بذلك مع أنه طاهر القلب بتطهير الله له، ولو كان ما قيل لما احتاج رسول الله إلى الاستنجاء بالأحجار والأدوات التي كانت تُحمل له[٢]، غير أنّ المنَى التحقيق طهارته في الكل، ولا يقال أن النبي ﷺ كان يستنجي من تلك الفضلة للاستقذار لا لنجاستها، لأنّا نقول هذا لا يقال إلا إذا ثبتت طهارتها، وأين ثبوتها ومخالفتها للحكم غيرها من غيره.

كما نقول إنّ الشيخ - رحمه الله - ذكر في هذا الفصل جُلَّ الخصال العشرة التي قالوا إن رسول الله خُص بها.

وقد تقدّم له منها: أنّه ولد مختوناً، وترك منها: أنّ الذباب لا يقع عليه[٣].

وهذا يقال فيه: ما قيل في التثاؤب قبله.

---

(١) سورة المدثر، الآية (٤).

(٢) صحيح البخاري (ص:٣١/ح١٥٠)، ومسلم (ص:١٢٧/ح٢٧١)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ولفظه: "كان رسول الله ﷺ يدخل الخلاء، فأحمل أنا وغلام نحوي إداوةً من ماءٍ وعَنَزَةً، فيستنجي بالماء".

(٣) لم أجد دليلاً على ذلك، وكذلك الحال في تثاؤبه وظِلّه ﷺ، وإنما هو من الإفك والكذب، وكلام الخرافِيِّين المبتدعين الغالين بغير وجه حق في جنابه ﷺ من المتصوفيّة ونحوهم، الذين يتعمّدون الكذب على رسول الله ﷺ كما يعتمدون على الأخبار والأحاديث الموضوعات المكذوبات التي ما أنزل الله بها من سلطان. والله أعلم.

كما ترك منها: أنّ الدواب لا تنفر منه حين ما يريدها.

وهذا يقال عليه: إنّ طبيعة الدواب غالباً لا تنفر ممن يريدها لدوام ركوبٍ عليها أو علف ومثل ذلك، ومن القليل نُفُور بعضها لسوء طبعه، ومع ذلك فَنُفُورِها ليس بنقيصة حتى يكون ضده لازما لها في حق الرسول عليه السلام، نعم، إذا ثبت عدم نفورها منه فقط قبل وكان مزية له عليه السلام، وربما يؤيد هذا ما جاء في الصحيح عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أنه قال: كنت على بَكرٍ صَعبٍ، وقال رسول الله لِعُمَرَ: "بِعنِيهِ" فَباعَهُ، فقال: "هو لك يا عبدالله بن عُمَر"[1]، المفيد أن ما مَلَكَهُ رسول الله من البهائم يسهل ولو كان صَعباً، وقد يُقاس عليه ما لم يملكه فيصح عدم نفور الكل منه، والله أعلم.

نعم يبقى الجواب على نُفُورِ البُراق منه لو صَحّ فقد يكون بتوفيق الله أنّ البُراق يعلم أن ركوبه مخصوص بالعِظَام، وحيث لم يعرف رسول الله نفر منه، فبيّن له جبريل عليه السلام: "أنه أكرم الراكبين له، فانقاد إذ ذاك وأطاع"[2]، كما أنّه ستأتي هذه الخصال المذكورة في "شرح بِنِّيس للهمزيّة"، ووقتئذٍ نزيدها ما بقي من البحث.

---

(١) صحيح البخاري (ص: ٣٣٩/ح٢١١٥).

(٢) رواه الترمذي (ص:٧٠٣/ح٣١٣١)، وأحمد (١٠٧/٢٠/ح١٢٦٧٢)، والبيهقي في "الدلائل" (٣٦٢/٢). وصحّحه العلامة الألبانيّ.

فصلٌ

ثم ذكر بعد هذا فصلاً في صفته الباطنية، وبقوته السامية الكامنة، ضَمّنه قوله: (وقد أوتي الخزائن الإلهية ومقاليدها أجمع، وراودته الجبال الشم بأن تكون له ذهباً أو طعاماً أو ما شاء وتسير معه حيثما سار فأعرض عنها وامتنع)(١).

كما ضَمّنه قوله: (وإذا سُئِلَ أن يدعو على أحد مسلم أو كافر خاص أو عام عدل عن الدعاء عليه للدعاء له بالتمام)(٢).

كما ضَمّنه قوله: (وبالجملة فقد تَمَّمَ الله به مكارم الأخلاق، وأوصلها فيه على غاية يستحيل وصولها لغيره بلا شقاق)(٣).

كما ضَمّنه قوله: (وآتاه من السير الفاضلة) إلى قوله: (العلم الأول والآخر، والباطن والظاهر)(٤).

كما قال أيضاً: (وما من كمال في الوجود إلا وهو من كماله، كما أن كل جمال فيه هو من فيض جماله، ولا يشك فاضل ولا عاقل في أن صفاته الشريفة لا تقاس بصفات غيره من خلق أو إنسان، كما أن أخلاقه الكريمة لا تقاس بأخلاق غيره من متخلقي كل زمان، فحياؤه مثلاً لا يقاس بحياء غيره ولو من أهل الحياء التام بل كل حياء في مؤمن ووليّ ونبيّ هو رشح منه ﷺ ورشف من بحره العِظَام، وهو عليه –الصلاة والسلام– الذي أحاط بالحياء كله على التمام، وهكذا يقال في كل وصف من أوصافه، ونعت من نعوت كماله واتصافه، ولذا مدحه المولى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٥)، ويقول ناعته نعتاً مُجملاً عند عجزه عن التفصيل: لم أَرَ ولا يَرَى غيري قبله ولا بعده مثله من كل كامل أو جميل، ولم يُسمع أيضاً من أكابر الصحابة الكرام كالشيخين – رضي الله عنهما – وصفه ﷺ بالوصف التام، هيبةً له وإجلالاً، ولعلمهم بأنّه لا قدرة

---

(١) انظر: "اليمن والاسعاد بمولد خير العباد" (ص: ٤٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص: ٤٧).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص: ٤٧).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص: ٤٧).

(٥) سورة القلم، الآية (٤).

لأحد على الإتيان بما يليق بجنابه الشريف رفعةً وكمالاً، ولم يتعاط فحول الشعراء من المتقدمين البلغاء كأبي تمام، والبحتريّ، وابن الرومي مدحه ﷺ، وكان من أصعب ما يحاولونه، وأعسر شيء يتناولونه، لأن المعاني دون مرتبته، والأوصاف دون وصفه وصفته، وكل غلو في مدحه تقصير فيضيق على البليغ المجال . . .)[١] إلى آخره.

بحثٌ: ونحن نقول عليه:

أولاً: قوله: (في صفاته الباطنية . . .) الخ.

يقال عليه: ما ذكره كله في صفاته هو ظاهر لا باطن، ولو كانت باطنية لما علمت له ولغيره، ولو علمت بعد بطونها لقيل لم تبق إذاً باطنية، وأين هي على هذه الصفة.

ثانياً: قوله: (وقد أوتي الخزان الإلهية ومقاليدها أجمع).

تعقيب: يقال عليه: إنه مخالف للوجود إذ الدليل الحسي والعادي يقتضيان بأن رسول الله لم يكن بيده خزائن الله ولا بعضها يفرقها على الخلائق.

كما أنه مخالف للقرآن حيث يقول: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٢]، الدال على حصر ذلك فيه بتقديم الخبر، وحيث يقول: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾[٣]، ويقول: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٤]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[٥]، إلى غير ذلك من الآيات الصريحة في ذلك، كما هو مخالف لما أخبر به رسول الله وغيره من الأنبياء عن أنفسهم حيث يقول الله في حقهم: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾[٦]، و﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ

---

(١) انظر: "اليمن والاسعاد بمولد خير العباد" (ص: ٤٧-٤٨).

(٢) سورة المنافقون، الآية (٧).

(٣) سورة الحجر، الآية (٢١).

(٤) سورة الشورى، الآية (١٢).

(٥) سورة الأنعام، الآية (٥٩).

(٦) سورة الأنعام، الآية (٥٠).

عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾[(١)]، الأولى فيه الطَّيِّلا، والثانية عن نوح الطَّيِّلا، كما أنه مخالف لقوله: (وراودته الجبال الشم . . .) إلى آخره، إذ من بيده الخزائن كلها لا يصح أن تنتفي عنه مراودة الجبال تلك ولا أن لا يقبلها، إذ لا يجامع ومقاليدها أجمع، وكيف لا وهي من الخزائن الإلهية، كما لا يصح دعوى التخصيص لذلك، وهذه المقالة طامّة قد تقدّم بعض البحث فيها وربما يأتي بعضه.

ثالثاً: قوله: (إذا سُئِلَ أن يدعو على أحد مسلم أو كافر . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: هذا معارض بما في الصحيح من الأحاديث الكثيرة الدالة صراحة على دعائه على الكافرين أفراداً[(٢)] وجماعة[(٣)]، بل وعلى بعض المسلمين كسودة – رضي الله عنها – وقد قال النيسابوريّ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ﴾[(٤)]، يُروى أنه ﷺ دفع إلى سودة بنت زمعة أسيراً فأقبل يئن بالليل، فقالت له: مالك تئن؟ فشكى ألم القيد، فأرخت من كتافه فلما نامت أخرج يده وهرب، فلما أصبح النبي ﷺ دعا به، فأُعلِمَ بشأنه، فقال ﷺ: "اللهم اقطع يديها" فرفعت سودة يديها تتوقع الإجابة، وأن يقطع الله يديها، فقال رسول الله: "إني سألت الله أن يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من أهلي رحمة، لأني بشر أغضب كما يغضب البشر، فلترد سودة يديها"[(٥)]. انتهى.

وفيه أنه كان يدعو على من يستحق ذلك من أهله، فكيف بغيرهم، ودعوى من ادعى النسخ بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾[(٦)]، لا تصح عند المحققين من العلماء، كما أنّ دعاءه بالهداية للكافرين حين سُئِلَ الدعاء عليهم مقيّد بما إذا رجى

---

(١) سورة هود، الآية (٣١).
(٢) انظر: صحيح البخاري (ص: ٤٤/ح٢٤٠)، ومسلم (ص: ٧٩٩/ح١٧٩٤).
(٣) انظر: صحيح البخاري (ص: ١٦١/ح١٠٠٣)، ومسلم (ص: ٢٧٢/ح٦٧٥).
(٤) سورة الإسراء، الآية (١١).
(٥) لم أقف على من أخرجه، وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٢/٢٦٠): (غريب من حديث سودة –رضي الله عنها–).
(٦) سورة آل عمران، الآية (١٢٨).

إسلامهم، كدعائه لدوس[١] لا مطلقاً، وإلا ناقض أكثر دعائه عليهم، كما أن تقييده هنا الدعاء بالسؤال لا دليل عليه.

الرابع: قوله: (فقد تَمَّمَ الله به مكارم الأخلاق، وأوصلها فيه إلى غاية يستحيل وصولها لغيره بلا شقاق).

بحثٌ: يقال عليه: هذا يفيد أن قدرة الله لا تقدر على خلق يساوي رسول الله في مكارم الأخلاق أو يفوقه فيها لو في بعضها، لأن ذلك محال كما قال الشيخ، وهي لا تتعلق بمحلل، وَلَعَمرِي إنّ هذا لشيءٌ عُجَاب، إذ ذاك ممكن في قدرة الله تعالى، بل واقع عند الأكثر من محققي العلماء في الملائكة، وأهل الجنة، وما لا يعلمه إلا الله تعالى، وكون رسول الله له خصائص لا ينافي غير كونه كذلك.

الخامس: قوله: (العلم الأول والآخر، والظاهر والباطن . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: إن أراد بالعلم الأول والآخر علم الكائنات فهذا معارض بوجهين:

الأول: ما يقال الإحاطة بهذا ليست إلا لله.

الثاني: أنّ هناك علوماً تقدمت وتأخرت يَعلَمُها من عَلَّمَه الله إيّاها دون غيره لاسيما علوم الدنيا، وقد وقع بعض ذلك بين يديه ﷺ كواقعة تأبير الثمر، وحفر الخندق، وغير ذلك، فقال رسول الله: "أنتم أعلم بأمور دنياكم"[٢]، كما اختص الله المتأخرين اليوم بعلوم، وخص بعض خلقه ببعضها، وشارك الكل في بعضها وتفصيل هذا يطول، وإن أراد بها علم الله بالأوائل والأواخر فهذا أحرى أن لا يحاط ببعضه فضلاً عن كله إلا عند بعض هؤلاء أو كلهم الزاعمين أنّ من علم رسول الله علم اللوح والقلم، وسيأتي زيادة بيان لهذا عند ذكر قولهم هذا.

السادس: قوله: (والظاهر والباطن).

---

(١) صحيح البخاري (ص: ٤٨٥/ح٢٩٣٧)، ومسلم (ص: ١١٠٧/ح٢٥٢٤)، بلفظ: "اللهمَّ اهدِ دَوْسًا وَأْتِ بهم".

(٢) صحيح مسلم (ص: ١٠٣٩/ح٢٣٦٣).

بحثٌ: يقال عليه: إن كان بالنسبة إلى الشرع فلا باطن في الشرع إلا على مذهب الباطنية والزنادقة، ومن قادته الغفلة إلى تقليدهم في ذلك، وقول من قال إن علوم رسول الله ثلاثة: عِلمٌ أمر بكتمانه، وعِلمٌ خُيِّرَ في إبدائه، وعِلمٌ أمر بتبليغه، باطل لا أصل له، وإلا فالمأمور بكتمانه من أوصله لكم، وهو لا يخالف أمر ربه، والمخَيَّر فيه كيف منعه أحق الناس به منكم وهم أصحابه وبذله لكم، وما العلم الذي جاء به إلا الذي بَيَّنَه للعباد، وأظهره لهم وبلَّغ به رسالة ربه، وإن كان بالنسبة إلى علم الله الذي أظهر بعضه في خليقته واستتر بغيره، فهذا ليس إلا إليه سبحانه إلا على مذهب الزاعمين المتقدمين.

السابع: قوله: (ما من كمال في الوجود إلا وهو من كماله . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: تعميم العبارة يُدخِل كمال الله سبحانه وفيه ما فيه، كما أن هذا التعميم يؤذن بأن كمال الملائكة، وأهل الجنة، وكل الخلائق فرع من كماله، وهذا فيه ما تقدّم من أن كل الأشياء خلقت من نوره، كما أن ما قيل في الكمال هنا يقال في الجمال بعده.

الثامن: قوله: (ولا يشك فاضل ولا عاقل في أن صفاته الشريفة لا تقاس بصفات غيره من خلق أو إنسان).

بحثٌ: يقال عليه:

أولاً: قوله: (خَلق) يُغني عن إنسان، ولكن الشيخ يراعي السجع أكثر من مراعاة المعنى.

ثانياً: تقدّم ما يَرُدّ هذا من أنّ رسول الله قاس نفسه وصفاته بإبراهيم عليه السلام وبجعفر، وبأنهم يقولون: إن الحسن أشبه برسول الله، وقد قاس البوصيريّ منكم بصفة غيره حيث يقول في بردته[1]:

كالشمس تظهر للعينين من بُعُدٍ ... صغيرةً وتُكِلُّ الطَّرف من أَمَمِ

---

(١) انظر: " قصيدة البردة" (ص: ٧).

(.......)[١]

ثالثاً: قوله: (كما أن أخلاقه الكريمة لا تقاس) مكرر في المعنى مع ما قبله.

التاسع: قوله: (فحياؤه مثلاً لا يقاس بحياء غيره . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه:

أولاً: قد تقدم ما فيه من قياس صفاته على صفة غيره، والحياء من صفاته.

ثانياً: القياس غالباً يكون فيه المقيس عليه أقوى من المقيس وقد يكون العكس، وقد جاء هذا في قياس حيائه ﷺ على حياء البكر في خدرها مع أشده من حيائها، كما جاء في الترمذيّ: "كان رسول الله أَشَدّ حياءً من العذراء في خدرها"[٢]، وهذا قياس.

ثالثاً: أول كلامه يفيد أن حياء رسول الله مباين لحياء كل أحد، وآخر كلامه يؤذن بأن جميع الأحياء فرع من حياء رسول الله، حيث قال: (بل كل حياء في مؤمن ووليّ ونبيّ هو رشح منه ﷺ ورشف من بحره العِظَام، وهو عليه – الصلاة والسلام – الذي أحاط بالحياء كله على التمام).

رابعاً: الصفة الشخصية لا تنتقل من موصوفها إلى غيره ولا تتجزأ بينه وبين غيره حتى تكون قدراً مشتركاً بين تلك الأجزاء، وإنما تتعلق بمتعلقها إن كان لها تعلق بتأثير أو كشف أو تخصيص مثلاً كالقدرة والإرادة والعلم، وإن لم يكن لها تعلق كالحياة والحياء والوقار والتواضع وحسن الخلق والخلق مثلاً كانت لازمة لموصوفها، وعليه فكيف يكون حياؤه ﷺ هو نفس كل حياء في الخلق، تأمّل ذلك.

العاشر: قوله: (هو رشح منه ﷺ . . .) الخ.

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) انظر: "الشمائل المحمديّة" (ص:١٦٣/ح٣٥٩). وهو مخرّج في الصحيحين، انظر: صحيح البخاري (ص: ٥٩٨/ح٣٥٦٢)، ومسلم (ص: ١٠٢٤/ح٢٣٢٠).

بحثٌ: يقال عليه: هذا تنقيص لأوصاف الأنبياء – عليهم السلام – كما تقدّم، ويأتي في قول صاحب البردة[١]:

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفاً من البحر أو رشفاً من الدّيم

الحادي عشر: قوله: (وهكذا يقال في كل وصف من أوصافه . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: وهكذا يقال في الاعتراض عليه كما قبله.

الثاني عشر: قوله: (ولذا مدحه المولى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢]...) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: لا يلزم من كون الله عَظَّمَ خُلُقُه أن لا يكون في مُلكِهِ مساوٍ له في ذلك أو فوقه، وقد تقدّم ما يفيد وقوع هذا، وقد سَلَّمَ الله قول العزيز للنسوة: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[٣]، ومع ذلك لم يكن أعظم من كيد شياطين الإنس والجن الذي لو ذُكِرَ لطال، وقد قال الله تعالى في دخول الجنة ومساكنها الطيبة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٤]، ومع ذلك قال لأهلها: "أفلا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا: وما أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا"[٥]، وسَلَّمَ قول الهدهد: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[٦] مع أعظمية عرش سليمان عليه السلام منه، وقال: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٧] مع أنه سبحانه أعظم من عرشه وغيره.

الثالث عشر: قوله: (ويقول ناعته نعتاً مجملاً لم أرى ...) الخ.

---

(١) انظر: " قصيدة البردة" (ص: ٦).

(٢) سورة القلم، الآية (٤).

(٣) سورة يوسف، الآية (٢٨).

(٤) سورة المائدة، الآية (١١٩).

(٥) صحيح البخاري (ص: ١١٣٤/ح٦٥٤٩)، ومسلم (ص: ١٢٢٩/ح٢٨٢٩).

(٦) سورة النمل، الآية (٢٣).

(٧) سورة النمل، الآية (٢٦).

بحثٌ: يقال عليه: ظاهرٌ أنّه قصد بهذا قول سيّدنا عليّ ﷺ: "يقولُ نَاعِتُهُ: لَمْ أَرَ قبله ولا بعده مثله"[(١)]، وهذا لا يفيد عموم القبلية والبعدية للأزمان الغابرة والآتية، لأن الناعت عَلّق نفي المثلية على رؤيته التي قبليتها وبعديتها قريبتان من وجوده وحياته لا ممتدتان إلى كل ماضي وكل مستقبل، وعليه فلا دليل له فيه على إطلاقه.

الرابع عشر: قوله: (ولم يُسمع أيضاً من أكابر الصحابة الكرام كالشيخين ...) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: إذا كان مثل الشيخين - رضي الله عنهما - لا قدرة لهم على وصفه، كيف تكون القدرة لمن دونهم عن واصفيه من الصحابة الذين ليسوا في مرتبتهم كما تقدم ذكرهم، وإذا كان هؤلاء قادرين على ذلك فالخلفاء أقدر منهم، كما يقال لو سلمنا أنهم لم يصفوا رسول الله فتسليمهم وصف الواصفين المتقدمين دليل على اتفاقهم على ذلك، وهو كاف عن التكرار.

كما يقال مَن سَلّم لكم بأنهم لم يصفوا رسول الله، بل هذا علي ﷺ وصفه وصفاً طويلاً جميلاً كما في "شمائل الترمذيّ"[(٢)]، وهذا أبو بكر وصفه في خطبته بعد وفاته: "بأنّه عبدالله ورسوله، وخاتم أنبيائه"[(٣)]، وهذه الأوصاف جامعة لكل وصف، وهذا عمر ﷺ يروي صفة رسول الله التي جامع الصفات والمرجع إليها بقوله عن رسول الله كما في الترمذي: "لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله"[(٤)]، وكيف لا، وهو الذي تروون عنه بزعمكم "يا عمر أتدري من أنا، أنا الذي خلق الله نوري أوّل كل شيء، فسجد لله فبقي في سجوده سبعمائة عام ..."[(٥)] الحديث.

---

(١) رواه الترمذي في "السنن" (ص: ٨٢٧/ح٣٦٣٨)، و"الشمائل" (ص: ٩-١٠/ح٧)، والبيهقي في "الدلائل" (١/٢٦٩-٢٧٠). وضعّفه العلامة الألبانيّ.

(٢) سبق تخريجه (ص: ٢٨٢).

(٣) صحيح البخاري (ص: ١٩٩/ح١٢٤١).

(٤) سبق تخريجه (ص: ١١٠).

(٥) سبق تخريجه (ص:١٣٣).

كما يقال: إذا كانت هذه الأوصاف التي وصفه بها الصحابة كما في "الشمائل" لم تطابق الحقيقة، فأين من طابق الحقيقة عندكم الذي عجز عنه هؤلاء الصحابة، وأي شيء يزاد على وصف الصحابة له بأنّ "وجهه يَتَلألأُ تَلأْلُؤَ القمر ليلة البدر"(١)، وإنه حتى يؤتى على الأوصاف المذكورة لهم فَبَيِّنُوا لنا – رحمكم الله – هذا الذي عجز عنه الصحابة بياناً شافياً، وإلا كنتم مشوشين تشويشاً ضاحياً، ولا أخا لكم، تقولون إلا أنهم لم يصفوه بصفة الرب التي وصفتموه بها، وحينئذ يكون الفراق بيننا وبينكم، كما يقال: إن الخلفاء – رضي الله عنهم – كانوا مشتغلين بما هو أهم من نشر الإسلام لا بالمدح والتمادح الذي نهى عن أكثره رسول الله ﷺ.

الخامس عشر: قوله: (ولم يتعاط فحول الشعراء . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: وهبهم لم يتعاطوه، أفلا يكفيهم وغيرهم تعاطي الصحابة وغيرهم له، على أن شعراءكم كالبوصيريّ وأضرابه تعاطوا ذلك تعاطياً شغل الناس عن مهمات دينهم ودنياهم، وقدّموه على الواجبات، وجعلوه تجارة يعيشون به، فربما كان ترك أولئك الشعراء لذلك أحق من تعاطي هؤلاء له عند الله لا لكونهم عجزوا عن ذلك، وإلا فَلِمَ لَمْ يعجز مثل البغداديّ، والبوصيريّ وغيرهم، وقد سميتم أولئك فحولاً.

السادس عشر: قوله: (وكل غلوّ في مدحه تقصير . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: ولعله حتى وصفه بأوصاف الربوبية تقصير، وعليه فما هو عدم التقصير في حقه إذا كان ذلك الوصف الغالي الذي وصفتموه به تقصيراً إذ ما بقي بعد وصف الربوبية إلا المحال.

---

(١) سبق تخريجه (ص: ٢٨١).

واقعة زلزال

وفي الساعة التاسعة من ليلة السابع عشر من جمادى الثانية عام (١٣٨٠) هجرية، موافق (١٩٦٠) ميلادية، حينما كُنَّا نكتب في آخر هذا الفصل وقعت زلزلة في شواطئ البحر المحيط من المغرب من أَسَفِي[١] إلى طَنَجَة[٢]، وقد خرج سكان تلك المدن من أماكنهم إلى الضواحي والأرياض وبعض البادية، نساءً ورجالاً وأطفالاً، وقد بلغ بهم الضجر منتهاه، وخافوا أن يشاكل زلزالهم زلزال أكادير[٣] الذي وقع والذي خرب دورها، وأقبر أهلها مع ظهور دخان في شدة الظلام قد غير القمر والجو، وكان ذلك آيةً يخوف الله بها عباده ومصداقاً لقوله: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[٤]، ولكنَّ الله بلطفه ورحمته هدّد وسلّم، ولكن ماذا وقع عِوَضَ أن يلتجئ الخلق وقتئذٍ إلى الله بالتوبة والتضرع، استبدل الجُلّ إن لم نقل الكُلّ هذه الحالة بحالة العصيان من السرقة والفسوق كما بَلَغَنا: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[٥].

---

(١) أَسَفِي: بفتحتين، وكسر الفاء: بلدة على شاطئ البحر المحيط بأقصى المغرب. انظر: معجم البلدان (ص: ١٨٠).

(٢) طَنَجَة هي: بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء، وهو من البر الأعظم وبلاد البربر. انظر: معجم البلدان (ص: ٤٣).

(٣) أكادير: ويقال لها "أقادير"وهي: إحدى مُدن تِلِمْسَان، وتِلِمْسَان: بكسرتين، وسكون الميم، وسين مهملة، وبعضهم يقول: "تِنِمسَان" بالنون عوض اللام، بالمغرب، هما مدينتان متجاورتان مسوّرتان، بينهما رمية حجر، إحداهما قديمة والأخرى حديثة. . . واسم القديمة "أقادير" يسكنها الرعيّة، فهما كالفسطاط، والقاهرة من أرض مصر. انظر: معجم البلدان (ص: ٤٤).

(٤) سورة سبأ، الآية (٩).

(٥) سورة البقرة، الآية (٢٥٨).

فصلٌ

ثم ذكر الشيخ ابن جعفر - رحمه الله - فصلاً بعد هذا افتتحه بقوله: (بعد تفضيل النبي عليه السلام على النبيين والمرسلين، بل أفضليته على جميع العالمين، والخلائق أجمعين حتى الملائكة المقربين ونحوهم من المهيمنين، وهذا مما يكاد أن يكون معلوماً من دين الأمة ضرورة، بحيث لا يحتاج إلى سرد دليل عليه من حديث أو سورة، وهو مما يجب على كل مسلم اعتقاده حتماً لقطعيّة دليليه وثبوته جزماً، وما سواه مما للزمخشري أو غيره ينبذها ولا يقبل وإن وجد به ظاهر يجب أن يؤول)[(١)]. انتهى بعض كلامه.

ثم ذكر من الأحاديث ما يؤيد ما قاله فيما زعمه وأدرج فيها حديثاً يخبر فيه رسول الله "أنه سيقف عن يمين العرش يوم القيامة"[(٢)]، وحديث "إن إبراهيم عليه السلام سيسأل منه الشفاعة في ذلك اليوم"[(٣)]، و"أن موسى لو كان حيّا ما وسعه إلا اتّباع رسول الله"[(٤)]، إلى غير ذلك مما هو متقارب المعنى ودالٌّ على فضل رسول الله الذي اختصرنا أكثره، كما ختمه بقوله: (وفي "المواهب اللدنيّة" نقلاً عن بعض علماء هذه الأمة المحمدية قال في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾[(٥)]، أنه ﷺ رأى صورة ذاته المباركة في الملكوت فإذا هو عروس المملكة، أي: سيّدها وقلبها، ومالكها الذي عليه معولها، وهو لبها)[(٦)(٧)]. انتهى.

بحثٌ: ونحن نقول عليه:

---

(١) انظر: "اليمن والاسعاد بمولد خير العباد" (ص: ٤٩).

(٢) رواه الترمذي (ص: ٨٢١/ح٣٦١١). وضعّفه العلامة الألبانيّ.

(٣) صحيح البخاري (ص: ٨١٥/ح٤٧١٢)، ومسلم (ص: ١٠١/ح١٩٣).

(٤) رواه أحمد (٢٢/٤٦٨/ح١٤٦٣١)، وابن أبي شيبة (٨/٥٧٥/ح٢٦٨٢٨)، والبيهقي في "الشعب" (١/٣٤٨/ح١٧٦). وصحّحه العلامة الألبانيّ في "السلسلة الصحيحة" (٧/٦٢٨/ ح٣٢٠٧).

(٥) سورة النجم، الآية (١٨).

(٦) انظر: "المواهب اللدنية" (٢/٣٦٦). ولم أجده في شيءٍ من كتب التفسير ولا غيرها.

(٧) انظر: "اليمن والاسعاد بمولد خير العباد" (ص: ٥٢).

أولاً: قوله: (بل أفضليته على جميع العالمين، والخلائق أجمعين . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: والخلائق أجمعين يُغني عن جميع العالمين، كما أنه يغني عن الملائكة المقربين، كما أن الملائكة يُغني عن المهيمنين إذ هم في جملة الملائكة، هذا إن حملنا العالمين على الثقلين، فإن حملناهم على ما فوق ذلك من الكائنات كان مغنياً عما بعده، وبالجملة فقد كرر الشيخ هاهنا تكراراً كثيراً ليس له فائدة.

ثانياً: قوله: (وهذا مما يكاد أن يكون معلوماً من دين الأمة ضرورة . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: عَبَّرَ ب (يكاد) من أفعال المقاربة، وذكر بعده من القطع بذلك وجعله من ضروريات الدين ما ينافي تعبيره هذا.

ثالثا: قوله: (بحيث لا يحتاج إلى سرد دليل عليه من حديث أو سورة . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: إذا بلغ هذا المعنى هذه الضرورة من الدين كان كل من خالفه كافراً، وقد تقدّم أنّ أكثر علماء الأمة على خلاف ما قاله من عموم هذا التفضيل لكل شيء.

رابعاً: قوله: (وهو مما يجب على كل مسلم اعتقاده . . .) الخ.

تعقيب: يقال عليه: نعم لو قالها غيرك.

خامساً: قوله: (وما للزمخشريّ وغيره ينبذها ولا يقبل . . .) الخ.

تعقيب: يقال عليه: ليس النبذ بأمانيكم ولا أماني غيركم، وإنما هو للدليل وقد تقدّمت المحاورة بين الزمخشريّ وغيره، وبين من رَدّ عليه والمحاكمة بينهما التي يظهر منها تفوق الزمخشريّ وغيره على خصومه، والحق يُعرَف بالدليل لا بالرجال.

سادساً: قوله: (وإن وجد به ظاهر يجب أن يؤول . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: ما الموجب لتأويل ظاهرهم ليرجع به إلى ظاهركم أو غيره دون العكس مع إنه لو تعارض الظاهران نجمع بينهما بما يظهر وجهاً للجمع، ولو تعارض الظاهر مع غيره لرجع غير الظاهر إلى الظاهر أو ترك حين لا يمكنه الرجوع إليه لا أن ما لنا حقاً ولو خالف ظاهراً وغيره.

سابعاً: ما ذكره من الأحاديث لا تدل إلا على أفضلية رسول الله للثقلين لأنهم الناس التي تضاف إليهم سيادة رسول الله حيث قال: "أنا سيّد الناس يوم القيامة . . ."[(١)]، إلى آخر حديث الشفاعة، ولأنهم المحشورون للجزاء على أعمالهم لا الملائكة -عليهم السلام-.

ثامناً: ذكر العالمين في بعض تلك الأحاديث محمول على الثقلين جمعاً بين الأدلة، وإلا تناقضت ولا يتناقض ما جاء عن الله ورسوله، كما أنّ ما أدرجه فيها من حديث وقوف رسول الله عن يمين العرش[(٢)]، لا يدل على تفضيله على الملائكة، لأن الملائكة يحفون العرش من كل جهة، ويقفون بجوانبه قبل أن يخلقه الله، بل "المقسطون يكونون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن"[(٣)]، وهو شامل ليمين العرش لاسيما وقد قال: "وكلتا يديه يمين"[(٤)]، بل أهل السعادة من غيرهم يكونون في ظِلّ العرش يوم القيامة، وظلّ العرش شامل ليمينه وغيره، كما أنّ ما أدرجه فيها أيضاً من سؤال إبراهيم عليه السلام الشفاعة من رسول الله محمول على أن سؤاله بواسطة موسى ثم عيسى حيث قال لسائله الشفاعة: "اذهبوا إلى موسى . . ."[(٥)] إلى آخره، وهذه الشفاعة سألها أهل كل المحشر لا خصوص إبراهيم عليه السلام، ونحن نُسَلِّم فضل رسول الله على جميع الأنبياء، ولكن لا يدل هذا الحديث على أنه أفضل من الملائكة، كما أنّ ما أدرجه فيها من أنّ موسى لو كان في زمانه عليه السلام لما وسعه إلا اتّباعه[(٦)].

يقال عليه: إذا بعث الله نبياً في زمان نبيّ فإن كان لكل منهما أمة كان الأمر واضحاً، وإن كان لأمة واحدة فهما متعاونان عليها كهارون وموسى -عليهما السلام-،

(١) سبق تخريجه (ص: ٦٦).
(٢) سبق تخريجه (ص: ٣٠٥).
(٣) صحيح مسلم (ص: ٨١٩/ح١٨٢٧).
(٤) صحيح البخاري (ص: ١٠٧/ح٦٦٠)، ومسلم (ص: ٤١٥/ح١٠٣١).
(٥) سبق تخريجه (ص: ٣٠٥).
(٦) سبق تخريجه (ص: ٣٠٥).

ولو جاء من كان نبياً في زمان غيره من الأنبياء ولم يُرسل هو معه لما أرسل إليه ولا غيره لم يسعه إلا اتّباعه، ويتصور ذلك في كل نبيّ لا في خصوص موسى ولا محمد – عليهم الصلاة والسلام –، وعليه فلا دلالة لفضل أحدهما على الآخر بهذا الحديث فضلاً عن فضله على الملائكة.

تاسعاً: قوله: (قال في "المواهب اللدنيّة").

تعقيب: يقال عليه: "اللدنيّة" المعروفة نسبتها إلى الله تعالى فصاحب هذه المواهب لم يكن نبيّاً حتى يتلقى مواهبه منها فلم يبق إلا أن تكون مواهبه فكرية أو إلهامية من الله وهماً لا يقطع بهما لعدم عصمة الموصوف بهما، ولأن إلهام قد يكون من غير الله سبحانه.

عاشراً: الدليل على ما قلناه أن هذه الموهبة لم تكن لصاحبها من اللدنيّة، بل من عليم من علماء الأمة.

الحادي عشر: ماذا عسى يفيد قول عليم من علماء الأمة لم يأت عليه بدليل يفحم به علماء الأمة إذا خالفوه وهاهنا خالفوه.

أقول: ولعل هذه الموهبة عند صاحبها كالموهبة اللدنيّة التي حكاها عن العرش حين مر به رسول الله فجعل يخاطبه، وقد كتبناها ورددناها في كتابنا "نظر الأكياس في الرد على جهمية البيضاء وفاس".

الثاني عشر: قوله: (أنه ﷺ رأى صورة ذاته المباركة).

تعقيب: يقال عليه:

أولاً: التفسير مخالف لظاهر الآية ولأقوال المفسرين المتمسكين بالكتاب والسنة.

ثانياً: هذا التفسير يدل على أن رسول الله كان جاهلاً بصورة ذاته إلى الآن.

ثالثاً: قوله: (قلبها) إن كان بمعنى الفؤاد فهو مكرر مع اللّبّ، وإن كان بمعنى الذّات أي: القالَب (بفتح اللام) فهو مكرر مع العروس على أنه إن كان قالَبها (بفتح اللام) فأين هي؟.

أقـول: لا معنى لهذا الكلام إلا تحريف الكلام عن مواضعه، وإلا غلوّاً يتوهم قائله أنه به يزداد محبة ورفعة وأجراً عند الله ورسوله، وهو بخلاف ذلك.

كما يقال في قوله: (ومالكها) فإن كان بمعنى الفاعل فهو لله وحده، وإن كان (بكسر الميم وسكون اللام أو ضمها) فلا معنى لكونه ملكها ولا ملكها إلا الإتيان بالألفاظ الجوفاء تكثيراً لكلمات السطور حين يعتري المعاني الإخلال والقصور، وإذا لم يثبت هذا لم يثبت التفضيل به على الملائكة ولا على الكائنات.

الثالث عشر: ذكر الشيخ دلائل تفضيل رسول الله على غيره من الملائكة وغيرهم، ولم يذكر دلائل تفضيل الملائكة على البشر مطلقاً، وقد ذكرناها قبل مع ترجيحها على غيرها، وليس من الإنصاف أن يذكر الخصم دلائله ويهمل دلائل خصمه لو كانت مرجوحة فضلاً عن أن تكون مساوية لدلائله فكيف بها إذا كانت أرجح منها.

الرابع عشر: قد ذكر الشيخ تلك الدلائل ولم يذكر ما جاء عن رسول الله ﷺ صحيحاً صريحاً من النهي عن مقتضاها من تفضيله على الأنبياء - عليهم السلام - وقد ذكرناها قبل، وكان من حقه أن يذكر حجته ويترك حجة خصمه، وقد قال أهل العلم: إن رسول الله لم يبين فضله على غيره إلا لبيان الواقع لئلا يفاخر بذلك، وقد تقدّم بيان هذا الموضع بأبسط بيان.

ثم ذكر الشيخ فصلاً بعد هذا في محبة رسول الله ﷺ وأهله، وضمّنه بعض الأحاديث وبعض الفوائد تعلم ما فيها - إن شاء الله - ونصه بعد كلام: (وأخرج الطبراني في "الكبير"، والبيهقي في "الشعب" وغيرهما عن عبدالرحمن بن أبي ليلى واسمه: بلال أو بليل الأنصاريّ مرفوعاً: "لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، وأهلي أحب إليه من أهله، وعترتي أحب إليه من عترته، وذاتي أحب إليه من ذاته"[1]، وفي "الحلية" لأبي نعيم أن رجلاً قال لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن

---

(١) رواه الطبراني في "الأوسط" (٥٩/٦/ح٥٧٩٠)، و"الكبير" (٨٦/٧/ح٦٤١٦)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٨٨/٣/ح١٤٢٠). وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٢٦٤/١-
=

وددت أني رأيت رسول الله ﷺ فقال له ابن عمر: فكنت تصنع ماذا؟ فقال: كنت والله أؤمن به، وأقبله بين عينيه، فقال له ابن عمر: ألا أبشرك؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما اختلط حُبِّي بقلب أحد فأحبني إلا حرم الله جسده على النار")[(١)][(٢)]، إلى أن قال: (ولمحبته ﷺ علامات ودلائل وآيات:

منها: اتّباع سنته، والعمل بما جاء به من شريعته أمراً ونهياً، إثباتاً ونفياً.

ومنها: صلة قرابته وأهل بيته ومودتهم، واستعمال كل الوسائل في الدفاع عن ساحتهم الكريمة وخدمتهم، أخرج الديلميّ عن الحسين بن علي مرفوعاً: "من أراد التوسل إليّ وأن تكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة فليصل أهل بيتي وليدخل السرور عليهم"[(٣)]، وأخرج الطبراني في "الأوسط" عن أخيه الحسن بن علي مرفوعاً: "ألزموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا"[(٤)]، وأخرج أبو الشيخ من حديث علي مرفوعاً: "والذي نفسي بيده لا يومن عبد حتى يحبني، ولا يحبني حتى يحب ذريتي"[(٥)]، وأخرج عياض في "كتاب الغنية" له من حديث المقداد بن الأسود مرفوعاً: "معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز على

٢٦٥/ح٢٩٦): (رواه الطبراني في "الأوسط" و"الكبير"، وفيه محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى، وهو سيئ الحفظ لا يحتجُّ به).

(١) انظر: "حلية الأولياء" (٧/٢٥٥). وحكم عليه بـ"الوضع" العلامة الألباني في "السلسلة الضعيفة" (٩/٤٠٨/ح٤٤١٥).

(٢) انظر: "اليمن والاسعاد بمولد خير العباد" (ص: ٥٣-٥٤).

(٣) لم أجده في "الفردوس" للديلمي ولا في غيره من كتب الحديث، ولعله من وضع الرافضة – أخزاهم الله تعالى – ونسبوه لمسند الديلميّ كذباً وزوراً، وتبعهم على ذلك الصوفيّة جهلاً وحمقاً.

(٤) انظر: "المعجم الأوسط" (٢/٣٦٠/ح٢٢٣٠). وحكم عليه بـ"النكارة" العلامة الألبانيّ في "السلسلة الضعيفة" (١٠/٥٧٦/ح٤٩١٦).

(٥) لم أقف عليه في المطبوع من كتب أبي الشيخ، ولا عند غيره، ولعله من وضع الرافضة أيضاً.

الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب"[١]، وأخرج الطبرانيّ، والرافعيّ عن ابن عباس ﷺ مرفوعاً: "من سره أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال علياً بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي فإنهم عترتي خُلِقوا من طينتي، ورُزِقوا فهمي، فويلٌ للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي"[٢].

ومنها: الإكثار من الصلاة والسلام عليه، وامتثال لأمره تعالى بهما، وتشوقا إليه اغتناما لما فيهما من الفوائد العظيمة، والأجور المضاعفة الجسيمة، أخرج ابن وداعة عن ابن عمر ﷺ مرفوعاً: "أكثروا من الصلاة عليّ فإنها نور في القبر، ونور على الصراط، ونور في الجنة"[٣]، وعن أبي بكر الصديق ﷺ قال: "الصلاة على النبي ﷺ أمحق للذنوب من الماء البارد للنار، والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب")[٤][٥].

(وذكر العَزَفيّ[٦] عن الشيخ الصالح أبي الصَّبر أيوب بن عبد الله الفِهريّ[١]، أنه روى بسنده إلى الخضر وإلياس - عليهما السلام - عن النبي ﷺ قال: "إن الصلاة عليّ

(١) انظر: "الغنية" (ص:١٦٠)، "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" (٢/٤٧-٤٨). وحكم عليه بـ"الوضع" العلامة الألبانيّ في "السلسلة الضعيفة" (١٠/٥٧٦/ح٤٩١٧).

(٢) لم أجده عند "الطبراني" كما عزاه هنا، وإنما أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (١/٨٦)، والرافعي في "أخبار قزوين" (٢/٤٨٥). وحكم عليه بـ"الوضع" الألبانيّ في "السلسلة الضعيفة" (٢/٢٩٨/ح٨٩٤).

(٣) لم أجده في كتب الحديث ولا غيرها.

(٤) انظر: "تاريخ بغداد" (٨/٤٠-٤١)، "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" (٢/٧٦-٧٧)، "الفوائد المجموعة" (٢/٤١٥/ح١٠٣٠).

(٥) انظر: "اليمن والاسعاد بمولد خير العباد" (ص: ٥٤-٥٦).

(٦) العَزَفيّ هو: محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين العَزَفيّ أبو القاسم، من نسل ابن أبي عَزَفة اللخميّ، أوّل من ولي الإمارة من بني أبي عَزَفة بالمغرب، مات بسبتة سنة (٦٧٧هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (٥/٣٢٣).

تنضر القلب وتنوره وتطهره من النفاق كما يُطَهَّر الشيء بالماء، وأن من قال: اللهمَّ صلِّ على محمد فقد فتح على نفسه سبعين باباً من الرحمة، وأن من صلى عليه سبع مرات أحبه الله تعالى"(٢).

وقد ورد في الصلاة عليه: أنها تكشف الهموم وتجلي الغموم(٣)، وتدفع العاهات، وتقضي الحاجات، وتكثر الأرزاق، ويحصل بها لصاحبها من الله كمال الإرفاق، وترفع الدرجات، وتكثر الحسنات(٤)، وتكفِّر الخطايا والزلات(٥)، وتزيد في القرب من رب البريات، ومن فوائدها أنها تثمر لمن أكثر منها رؤية النبي ﷺ والاجتماع به في اليقظة أو المنام، وأنها تبلغه درجة القرب منه حتى يصير يشاهده متى شاء، ويسأله ويجيبه عما شاء، وأنها سُلّم ومعراج وسلوك إلى الله إذا لم يلق الطالب شيخاً مرشداً أيرشده إلى الله، وأنها سبب في نزول الرحمات الإلهية، والنفحات القدسية الربانية، وأنها تغني من استغرق فيها وأكثر منها حتى صبغ مزاجه بها، ولم يعرض قطعها عن الطعام والشراب، وتلهيه بلذتها عن كل ملذ مستطاب،

---

(١) أيوب بن عبدالله الفِهريّ هو: أبو الصَّبر أيوب بن عبدالله بن أحمد بن محمد الفِهريّ السَّبتيّ الصوفيّ، توفي سنة (٦٠٩هـ). انظر: تاريخ الإسلام (٤٣/٣٢٦/ترجمة:٤٣٨).

(٢) هذا الحديث لا يخفى على أحد وضعه وكذبه، وقد ذكره الحافظ ابن حجر عند ترجمته لابن الخَيَّام محمد بن عبدالله السمرقندي أبو المظفَّر، وقال فيه: (لا أدري من ذا)، وقال عن نسخة حديث الخضر وإلياس المنسوبة إليه: (هذه نسخة ما أدري من وضعها)، وقال أيضاً: (وفي هذه النسخة عدة أحاديث من هذا الجنس، وعدتها اثنان وعشرون حديثاً). انظر: لسان الميزان (٧/٢٣٦-٢٣٨/ ترجمة: ٦٩٨٥).

(٣) انظر: "سنن الترمذي" (ص:٥٥٣/ح٢٤٥٧)، و"مسند أحمد" (٣٥/١٦٦/ ح٢١٢٤٢). وحسّنه العلامة الألبانيّ.

(٤) انظر: "صحيح مسلم" (ص: ١٦٣/ح٣٨٤).

(٥) انظر: "سنن الترمذي" (ص: ٥٥٣/ح٢٤٥٧)، و"مسند أحمد" (٣٥/١٦٦/ ح٢١٢٤٢). وحسّنه العلامة الألبانيّ.

ولعل: وتغنيه عن الطعام، وفوائدها لا تُحصى، وهي أكثر من أن يحاط بها أو تستقصى)[١]. انتهى.

بحثٌ: ونحن نقول عليه:

أولاً: حديث أبي ليلى أخرجه الطبرانيّ والبيهقيّ، وفيهما مقال قد قدم ذكر ذلك في كتابنا المسمى "بالقول الفائز في التحليل الجائز"[٢]، كما تقدّم بعض المقال المذكور في البيهقي في صدر هذا الكتاب، كما إن الشيخ لم يتبرع بذكر غيرهما، ولا بأسانيدهم إلى ابن أبي ليلى حتى يعلم ما فيها، كما إنه مرسل كما ترى، وعليه فقد أحاط به الضعف من جهات، ولئِن سلمنا ذلك كله فالحديث محمول على المحبة الإيمانية لا الطبيعية، وهذا الحمل ليس مختصاً بهذه المحبة بل كذلك محبة الله وكتابه ورسله وملائكته وكل المومنين من عباده لسريان تلك العلة في الجميع، ولمجيء الدلائل بذلك، وإن كان المحبوب يتفاوت في ذلك.

ثانياً: قوله: (وفي الحلية لأبي نعيم . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: تقدّم وما في أبي نعيم من أنه يروي الموضوعات ولاسيما في حليته على أن الشيخ قطع سنده أنّ الرجل المجهول المحتمل أنه كذلك في الأصل أو مذكور، وإنما اختصره الشيخ على إن المحبة القلبية التي لا يساندها عمل لا تجدي شيئاً كبيراً في تحصيل الشفاعات والأجور، ويأتي ما يدل على ذلك، والتقبيل فقط معها أو مجرداً عنها أحرى في عدم تحصيله ما ذكر لو وجد بالفعل، كيف وهو معلق على شيء مضى، ولو كانت المحبة بمجردها مجدية للفوز بالخيرات، ومحرمة لولوج النار لكان أحق بذلك من كثير أبو طالب إذ محبته لا يمترى فيها.

ثالثاً: قوله: (ولمحبته ﷺ علامات ودلائل وآيات، منها: اتِّباع السنة . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: هذا يؤيد ما قلناه من أن المحبة النافعة لابد أن يساندها عمل مادام يمكن، وقد قالوا: علامة حب الله للمرء أن يكون على سنن كانت عليها

(١) انظر: "اليمن والاسعاد بمولد خير العباد" (٥٦-٥٧).

(٢) الكتاب مخطوط.

الحبايب، وحب الله للمرء لا يكون إلا مع محبة المرء له، وقد قال الله فيما يدل على ذلك: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[(١)].

وأنشدوا[(٢)]:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه	لَعَمرِي هذا في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته	إن المحب لمن يحب مطيع

وقوله: (أمراً ونهياً) يغني عما بعده في المعنى.

رابعاً: قوله: (ومنها: صلة قرابته . . .) الخ.

بحثٌ: يقال عليه: لا مفهوم لصلة قرابته بل صلة كل ما أمر الله به أن يوصل ولا يقطع من قرابته وقرابتهم وغير ذلك، دليل على محبته: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[(٣)]، ومحبة الله محبة رسوله، وهما لا ينالان إلا باتباعه، ولم يخص اتباعه بصلة دون صلة، ولا بمحبة دون محبة مادام فيها اتباعه، وعليه فما قبله يغني عنه إذ من لم يصل ما أمر الله به أن يوصل وبالأحرى قرابة الرسول عليه السلام لم يكن متبعاً له، وإذا لم يكن متبعاً له لم يكن محباً له.

وكذا يقال في قوله: (واستعمال كل الوسائل . . .) الخ.

ثم ذكر الشيخ أحاديث تشبه أن تكون من أحاديث الروافض والشيعة، وإن كان لا يرد منها ومن غيرها إلا ما خالف الحق أو ظهر فيه التعصب.

ونحن نقول خامساً: الديلميّ معروف بالموضوعات، وقد تقدّم لنا بعض القول فيه، وقد ترك سنده إلى الحسين هنا رضي الله عنه وليته ذكره ليعلم ما فيه، ولا يكون غالباً إلا كراويه، وعلى تسليمه فالتوسل إلى شفاعة رسول الله بمجرد ما ذكر لا يسلم، وكم من سرور أدخل أبو طالب على رسول الله، وأهل بيته، وفجّار الأمة، وكثير من زنادقتها على أهل بيت رسول الله في القرون بعده حتى إن غلاة الروافض عبدوهم، واعتقدوا

---

(١) سورة المائدة، الآية (٥٤).

(٢) انظر: "شعب الإيمان"(٢/٤٤-٤٥)، "الشفا" (٢/٩-١٠)، "الآداب الشرعيّة"(١/١٧٩).

(٣) سورة آل عمران، الآية (٣١).

فيهم العصمة، وربما اعتقدوا الألوهية فيهم، وهاهم طائفة الإسماعيليّة[١] يزنون معبودهم تارة بالذهب، وتارة بالحجر الثمين، وبالجملة فقد فاقوا إدخال السرور عليهم، ومع ذلك لا يفيدهم ذلك شيئاً إلا البعد من الله ورسوله، والذي جاء في الشريعة أن من أدخل سروراً على مؤمن وأهله، وبالخاصة إن كان من آل رسول الله كان له بذلك أجر عند الله، يعلم قدره الله إن كان بنية التقرب إليه لا بنية غيره، ولو جوز أن تترتب على ذلك شفاعة رسول الله وحده، لما كان فيها تخصيص لأحد دون أحد إلا أن يصح النص بذلك، وأين صحته هنا؟.

سادساً: قوله: (أخرج الطبراني . . .) الخ.

يقال عليه: تقدّم ما في الطبراني مع إنه لا يقتصر في كل كتبه على الصحيح والحسن، ولو ذكر سنده إلى الحسن لعلم ما فيه، ولكن الإخفاء يستر الفضائح.

سابعاً: قوله: (عن الحسن ﷺ: "ألزموا مودتنا أهل البيت . . .") الخ.

يقال عليه: مودة أهل البيت مطلوبة كغيرهم من المؤمنين، صح هذا الحديث أو لم يصح.

ثامناً: قوله: (فإنه من لقي الله وهو يودنا . . .) الخ.

يقال عليه: صحيح إذا انضم إليه عمل كما تقدم لا بمجرده، وإلا لزم ما تقدم فيما قبله.

تاسعاً: قوله: (والذي نفسي بيده . . .) الخ.

---

(١) الإسماعيليّة هي: من فرق الرافضة الباطنيّة، ويُسَمَّون بالقرامطة والمزدكيّة، يزعمون أن لكل ظاهرٍ باطناً، وأن لكل تنزيل تأويلاً، كما يزعمون أن الخلافة انتقلت بعد جعفر الصادق لابنه إسماعيل ومن ثم لابنه محمد حصراً عليهم، ثم اختلفوا بعد ذلك فمنهم من قال بموته، ومنهم من قال بغيبته خوفاً من بني العبَّاس، وهم نُفاة الصفات حقيقةً، ومعطِّلة الذّات عن جميع الصفات، تعالى الله عمّا يقولون علوّاً كبيراً. انظر: الملل والنحل (١/١٩٦ ، ٢٢٦–٢٣٥).

يقال عليه: حقاً لا يدخل الجنة من لم يعرف لرسول الله ﷺ ولا لأهله حقهم بل من أنكر حق المؤمنين والمؤمنات، والمرسلين والنبيين كذلك.

عاشراً: ما أخرجه عن أبي الشيخ فيه، إن أبا الشيخ يروي غير الصحيح، وقد قطع سنده إلى علي ﷺ وفيه ما تقدم في غيره.

الحادي عشر: قوله: ("لا يؤمن عبد حتى يحبني . . .") الخ.

يقال عليه: هذا مُسَلّم، وقد قال ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[(١)]، وقال: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله تعالى، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"[(٢)]، وذكر من السبعة الذين يُظِلّهم الله في ظِلّ عرشه "رجلين تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه"[(٣)]، وذلك مؤذن بأنه لا خصوصية لما في الحديث المذكور.

الثاني عشر: قوله: (وأخرج عياض في غنيته).

يقال عليه: مثل ما قيل فيما قبله من أن عياضاً يتساهل في شفاه وفي غنيته في رواية غير الصحيح، كما أنه لم يذكره بسنده إلى المقداد، وفيه ما قيل فيما قبله.

الثالث عشر: قوله: ("معرفة آل محمد براءة من النار . . .") الخ.

يقال عليه: ظاهر منه أن مجرد معرفتهم براءة من النار مع إن كثيراً من الكفار والفجار في كل زمان يعرفونهم، فإن أراد بالمعرفة معرفة حقوقهم فقد تقدّم ما فيه، على أن مجرد المعرفة فسرت بما فسرت به لا تكفي في أن تكون براءة، وإلا لم يبق للعمل ولو كان من الأركان فائدة، وفي ذلك ما هو معلوم في محله.

الرابع عشر: قوله: ("وحب آل محمد جواز على الصراط . . .") الخ.

---

(١) صحيح البخاري (ص: ٥/ح١٣)، ومسلم (ص: ٤٠/ح٤٣).

(٢) صحيح البخاري (ص: ٦/ح١٦)، ومسلم (ص: ٤٠/ح٤٣).

(٣) سبق تخريجه (ص: ٢٨٦).

يقال عليه: يحتاج هذا الحكم إلى صحة الحديث كما يبحث بأنه لابد من العمل.

الخامس عشر: قوله: ("وولاية آل محمد أمان من العذاب").

يقال عليه: إن كان هذا العذاب عذاب الآخرة فإنه لا يأمن منه إلا من اتقى الله كان وليّاً أو غيره، كان من أهل البيت أو غيرهم، كما لا يأمن منه من هو في رعيتهم وولايتهم إلا بذلك، وإن كان عذاب الدنيا وفتنتها فأول ولاية لآل بيت رسول الله، وإن كانت في محلها ورئيسها أولى بها، وهو من خلفاء رسول الله، وهو علي رضي الله عنه بدأت بالفتنة وختمت بها، فمن ذبح عثمان خليفة الرسول إلى قتل طلحة، والزبير، والتعرض من الغوغاء لحرم رسول الله إلى اشتعال الحرب ونشوبها بين المسلمين في أيام صفين حتى هلك من أصحاب رسول الله والتابعين لهم زهاء الثمانين ألفاً، ثم على اغتيال علي رضي الله عنه، وخارجة رضي الله عنه، ومعاوية رضي الله عنه وإن سَلِمَ الثالث من الموت، ثم لما انقضت دولة بني أميّة وكان في خاتمتها بداية ولاية أهل البيت، اشتعلت الأرض بنار الحرب حتى هلك على يد داعية أهل البيت أبي مسلم الخراسانيّ[1]، كما قيل: زهاء المليون من المسلمين، ثم ختمت هذه الحروب بالتضحية به حينما تقلد السفاح الكلمة قتل جماعات من المسلمين، وفرش عليهم الفرش، وقعد على جثتهم هو وأتباعه يأكلون ويشربون ويتفكهون، ثم أضف على ذلك ما وقع بين العباسيين والعلويين من سفك الدماء والعذاب في السجون ما ينبئ عنه التاريخ، ثم اشتعلت الحرب في الحجازيين العلويين وبني عمهم الجعفريّ نحو الثلاث سنين، حتى قيل: إن المدينة خلت من أهلها ومن يزورها تلك المدة، ثم بعد ذلك تولى الـمُلك الإسماعيليون منهم لما ضعفت شوكة بني العباس فاضطرب المغرب وإفريقية، واشتعلت نار الحرب بينهم وبين الخوارج، وكل أهل السنة في فتنة لا يعلمها إلا الله، وفي ذلك اتخذ ابن أبي زيد[2] كلاب الحراسة خوفاً على نفسه منهم، وقد آل أمرهم إلى أن غلبوا على غالب إفريقية ومصر ومكة والشام،

---

(١) أبو مسلم الخراسانيّ هو: عبدالرحمن بن مسلم أبو مسلم المروزيّ الخراسانيّ، الأمير، هازم جيوش الدولة الأمويّة، والقائم بإنشاء الدولة العباسيّة، ويُكنى أبا إسحاق، كان فتّاكاً، قتله أبو جعفر المنصور بالمدائن سنة (١٣٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٤٨/٦/ترجمة:١٥).

(٢) لم يتبين لي من قصد به المؤلف هنا، فابن أبي زيد غير واحد.

وأخذ إخوانهم القرامطة الحجر الأسود وذهبوا به إلى بلدهم، وصرّح بنو عبيد ملوك الفاطميين بلعن أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – وكتب في زمن بعضهم على المنارات، وحكى أهل العلم أنهم إباحيّة يحكمون بأن المرأة إذا لم تجد ما تتصدق به فلتتصدق بفرجها، وأخال أني رأيت للشاطبيّ في بعض كتبه أن بعض مؤذنيهم يقول في أذانه: (وأشهد أن المعزّ رسول الله)، وقد جاءت دولة العلويين إلى المغرب فكان في ذلك من الفتن والحوادث والعجائب ما لا يحصيه إلا الله، وينبئ التاريخ عن بعضه، وهذه الدول الثلاث من العباسيين، والعلويين، والإسماعيليين، هم أصول دول أهل البيت، وإن أُريد بالعذاب عذاب الاستيصال فحقاً لم يقع، ولكن لا في خصوص ولايتهم بل حتى في ولاية غيرهم، وبما ذكرناه على سبيل الإجمال تتحقق معنى هذه الأحاديث، وكونها أمان من العذاب.

السادس عشر: قوله: (وأخرج الطبراني والرافعيّ عن ابن عباس ﷺ . . .) الخ.

يقال عليه: تقدّم ما في الطبراني، ولو لم يوجد مقال في الرافعيّ لكفاه هذا الخبر في ذلك إذا صححه أو حسنه.

السابع عشر: قوله: ("فليوال علياً . . .") الخ.

يقال عليه: لا يشك شاك في أن هذا الحديث من وضع الروافض والشيعة، وإلا كان أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية ﷺ، وكل جمهور الصحابة ﷺ كلهم داخلون في هذا الوعيد، ولم يحيوا حياة رسول الله، ولا ماتوا موته، ولا يدخلون جنة عدن لأنهم لم يوالوا علياً ولا وليه بعده، ولا اقتدوا بأهل البيت، وكذا يلزم ذلك كل من اعتقد أنهم على صواب، وذلك قدح في الصحابة وفي الأمة المحمدية.

فإن قيل: إن المراد بالولاية محبتهم ومعرفة قدرهم وإعطاؤهم حقوقهم.

قلنا: هذا لم يخالف فيه أحد من الصحابة والتابعين لهم في حق سيّدنا عليّ ومن تعلّق بهم، وأهل بيت رسول الله ﷺ فلا يكون للحديث موقع كما يكون الروافض أسعد بهذا الحديث، وسكنى جنة عدن من أولئك المذكورين من أصحاب رسول الله والتابعين.

الثامن عشر: قوله: ("خلقوا من طينتي").

يقال عليه: رسول الله إنما خلق من نطفة أبيه الطاهرة لا من طين إذ المخلوق منه جده آدم عليه السلام، ولئِن سلمنا الحديث الدال على أن كل نطفة تتخلق في الرحم يؤتى من ترابٍ من الموضع الذي تُدفن فيه فيذر عليها علقة أو مضغة أو أو[1]، مع أننا لم نُسَلِّمه كما تقدّم، لقلنا إذاً خلق رسول الله من طينة قبره وعترته منها، وقد تقدّم ما يدل على أن الأنبياء والمرسلين خُلقوا من تلك الطينة لوجب أن يُدفن كل مخلوق منها في ذلك القبر، وأين من دفن فيه منهم غير الرسول عليه السلام؟.

التاسع عشر: قوله: ("ورزقوا فهمي . . . ") الخ.

يقال عليه: يلزم عليه إن كل شخص من عترته رزق فهم النبي ﷺ وهذا باطل، فإنه لم يساوه في ذلك الذين عاصروه من أقاربه وأهل بيته، فضلاً عمّن بينه وبينه أمد بعيد.

العشرون: قوله: ("فويل . . . ") الخ.

يقال عليه: الويل كل الويل لمن لم يعرف لأهل الفضل منهم فضلاً، وللقاطعين صلة الرسول ﷺ منهم إذا كان بينهم وبينه صلة.

الواحد والعشرون: قوله: (ومنها: الإكثار من الصلاة . . .) الخ.

يقال عليه: تكثير الأجور، وطمأنينة القلوب، والدلالة على محبته والتشوق إليه مشروطات بأصول ثلاثة:

الأول: أن تتقدمها فرائض الله لا إن تكون مجردة عنها أو عمّا لا يقبل منها، كصلاة الجاهلين المستكبرين منها.

ثانياً: أن تكون على ما علمه الله منها لا بما يشتمل على مكروه أو محرم أو كفر أو بدعة، كما هو شأن الصلوات المحدثات غالباً.

ثالثاً: أن يقصد بها التقرب إلى الله لا غيره، كرياء، وسمعة، وإظهار صلاح، ومحبة، وتجارة بها، كفعل أكثر المشتغلين بها في زمننا وقبله فإنهم يتعيشون بها، ويُدعَون إلى

---

(١) انظر: "التمهيد" (٤٠٠/٢٤)، "اللآلئ المصنوعة" (٢٨٥/١).

الأعراس وغيرها، كما يُدعى المغَنِّيُّون ويسهرون كما يسهرون، ويأخذون أجورهم كما يأخذون، وكما يُدعَون للمأتم والجنائز كذلك.

الثاني والعشرون: قوله: (أخرج ابن وداعة . . .) الخ.

يقال عليه: ابن وداعة هذا ليس مشهوراً برواية الصحيح كأهله مع قطع سنده إلى راويه، ومعه يقال في حديثه هذا: إنه مقيد بالقيود المتقدمة لو صَحّ، وقد خالف الصحيح المتفق عليه، وهو قوله ﷺ: "من صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عليه بها عَشراً"[1]، والمراد بالعشر الحسنات، لأن الدلائل يفسر بعضها بعضاً، وعلى تقدير صحته يكون زائداً على هذا ولكن بالشروط المتقدمة، كما أن تلك الشروط معتبرة في الصلاة المتفق عليها، والأمر في الحديث لو صح بالاستكثار محمول على الندب لأن التحقيق أن الصلاة على النبي ﷺ واجبة مرة في العمر، وعلى كون الاستكثار خالياً من الأغراض الفاسدة ومن أن يقع به الشغل على ما هو أهم منه، وبأن لا يؤدي الاستكثار إلى ما يفيد التعب والملل أو لا يترك للنوافل غيره مجال، وإلا كان غير دال على محبة رسول الله ﷺ لأنه مخالف لمتابعته التي هي المحبة في الحقيقة.

الثالث والعشرون: قوله: (عن أبي بكر ﷺ الصلاة أمحق للذنوب . . .) الخ.

يقال عليه:

أولاً: هذا الحديث لم يذكر له مخرجاً ولا سنداً، وذلك يدل على عدم صحته فضلاً عن اشتهاره.

ثانياً: للذنوب أدواء والأعمال الصالحة لها أدوية، وكل دواء يصلح لمن يصلح له لا لكل داء، فالصلاة على رسول الله وإن كفرت الذنوب فإنما تكفر ما يناسب دواءها وما يشفى به، والحديث عام وليس على عمومه.

ثالثاً: لو صح هذا عن رسول الله لبادر أصحابه إليها وقدموها على غيرها من نوافل الخيرات، ولكنه لم يثبت عنهم الاشتغال بها وحدها أو أكثر من كل النوافل.

رابعاً: قوله: (والسلام عليه . . .) الخ.

---

(١) صحيح مسلم (ص: ١٦٣/ح٣٨٤).

يقال عليه: لو كان الأمر كذلك لكان السلام أفضل من ذكر لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وقد ذكر رسول الله ﷺ "إن مائة منها بعتق عشرة رقاب، وتحصيل مائة حسنة، ومحو مائة سيئة، وإن قائلها يحرز من الشياطين يومه ذلك، ولم يأت أحد بأفضل مِمَّا جاء به إلا أحد ذكر أكثر من ذلك"[١]، مع أن هذا الفضل في العتق في العشرة وفي السلام، وفي الحديث المذكور يشمل المئات، وهذا الحديث يشمل السلام عليه في المولد مع إن المحققين ذكروا أنه بدعة لا ثواب عليه ولا على أصله.

الرابع والعشرون: قوله: (وعن العَزَفيّ أنه روى بسنده إلى الخضر وإلياس . . .) الخ.

يقال عليه: أولاً: ما قيل في ابن وداعة يقال في العَزَفيّ وسنده.

ثانياً: الرواية عن الخضر وإلياس بسند تصح به الرواية إلى هذين الرسولين في تلك الأزمان الغابرة أيجتمع من أهل الإسلام وغيرهم من الإنس والجن أم ينفرد بأحدهما، وعلى كل هذا الإسناد من أغرب الأسانيد على وجه الأرض.

ثالثاً: لو ادّعي أن السند إليهما في الإسلام لكونهما حيين، لقيل عليه: أي دليل يثبت حياتهما: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾[٢].

سَلَّمنَاه، ولكن في أيّ دليل ثبت أن الخضر وإلياس لقيا النبي ﷺ ورويا عنه ذلك؟ مع أنهما لم يثبت حضورهما في مغازي رسول الله، ولا في مجالسه ولا، ولا.

سَلَّمنَاه، لِمَ لَمْ يَروِ الصحابة هذا الحديث؟ وتركه رسول الله؟ وتركوه لخصوص الخضر وإلياس.

سَلَّمنَاه، الخضر وإلياس كانا نبيين – عليهما السلام – فيصح أن يُخبرا بما تضمنه الحديث من غير روايته من رسول الله ﷺ.

سَلَّمنَاه، ولكن ما أحوجنا إلى الرواية عن غير نبيِّنا وديننا؟ أولم يكفنا ما جاء به لقد كفانا والحمد لله.

---

(١) صحيح البخاري (ص: ٥٤٨/ح٣٢٩٣)، ومسلم (ص: ١١٧١/ح٢٦٩١).

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٣٤).

سَلَّمنَاه، ولكن نقول في "أنها تطهر القلوب من النفاق"[١] ذلك ممكن، ولكن مما تقدّم من شروط الصحة والكمال، مع أنها لم تطهر قلوب المنافقين الذين كانوا مع رسول الله، والغالب أنهم صلوا على رسول الله مع الناس.

كما نقول في كونها "تفتح سبعين باباً من الرحمة"[٢]، يحتاج إلى دليل صحيح لا كهذا.

كما أن قوله: "من صَلَّى عليه سبع مرات أحبه الله تعالى"[٣].

يقال عليه: محبة الله تعالى له بمجرد ذلك العدد دون ما تقدم فيه من القيود، وقد رأينا من يصلي أكثر وأكثر من هذا العدد في اليوم، والدلائل تدل على إنه بغيض الله لا حبيب الله التي لا يُمترى فيها.

الخامس والعشرون: قوله: (قد ورد أن الصلاة على النبي ﷺ تكشف الهموم . . .) الخ.

يقال عليه: هذه الفوائد التي ذكرها للصلاة على النبي ﷺ لا يمكن الخلو منها في الدنيا للأفراد والجماعات حتى من رسول الله ﷺ إذ الدنيا دار الهموم والغموم والمصائب كلها، ومن خلا من بعضها لا يخلو من كلها، وأشدّ الناس في البلايا الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل[٤].

كما يقال: إن هذه الفوائد لم تحصل بكليتها لمن زاد على الصلاة ما زاد في الأعمال الصالحات فكيف بها بمجردها.

كما يقال: لقد رأينا كثيراً للمكثرين للصلاة على الرسول ﷺ قد اتصلت بهم الهموم والغموم والعاهات والفقر حتى جعلوا يتعيشون بها كما كانوا بعاداً إلى الله من خلقه بجهلهم وأفعالهم التي تحول بينهم وبين رضاه فضلاً عن أن تقربه منه، هذا وإن كنا

---

(١) سبق تخريجه (ص: ٣١٢).

(٢) سبق تخريجه (ص: ٣١٢).

(٣) سبق تخريجه (ص: ٣١٢).

(٤) انظر: "سنن الترمذي" (ص: ٥٤٠/ح٢٣٩٨)، "سنن ابن ماجه" (ص: ٦٦٥/ ح٤٠٢٤)، "مسند أحمد" (٣/٧٨/ح١٤٨١). وصحّحه العلامة الألبانيّ.

لا ننكر أن بعض ذلك يقع بالالتجاء إلى الله بدعاء أو صلاة أو عمل صالح، ولكن رفع الكل هو موضوع النزاع.

السادس والعشرون: قوله: (ومن فوائدها أنها تثمر لمن أكثر منها رؤية . . .) الخ.

يقال عليه: لا نمانع في كأنها كغيرها من الأعمال الصالحات تثمر الخيرات التي منها رؤية النبي ﷺ في المنام، ولكن إن لم يكن ذلك خالياً من القيود المتقدمة، كما أن رؤية النبي ﷺ يقظة ومشاهدته ويسأله الرائي عما شاء ويجيبه عنه، لا قائل به إلا جاهل أو مخيل له في اليقظة، وجاعل الأوهام كاليقين، وقد تكفلنا برد هذا في كتابنا "الاستفاضة في أن النبي لا يُرى بعد وفاته يقظة".

السابع والعشرون: قوله: (وإنها سلم معراج وسلوك إلى الله إذا لم يلق . . .) الخ.

يقال عليه: إن أريد بالشيخ المرشد شيخ العلم والفقه في الدين فلا يصح أن ينوب عنه عمل من الأعمال، لأنه ليس بحيّ عالم يعلمه ما يحتاج إليه، وإن أريد شيخ التربية فهذا أيضاً كذلك لأن العمل الصالح لا يصح منه أن يذكر التربية ولا أن يفعلها للمريد حتى يسلكها، وإن كان هذا الشيخ ليس بمطلوب شرعاً على التحقيق لما يؤدي إليه طلبه من الانحراف عن سواء السبيل، وقد وقع ذلك في الإسلام من غير ما شك ولا ريب، وغاية ما يقع بالعمل الأجر وتطمين القلوب به.

الثامن والعشرون: قوله: (وإنها سبب في نزول الرحمات . . .) الخ.

يقال عليه: إن توفرت شروطها كانت لا مفهوم لها بل الأعمال الصالحة كذلك.

التاسع والعشرون: قوله: (وإنها تغني من استغرق فيها . . .) الخ.

يقال عليه:

أولاً: أما الاستغراق فيها إلى هذه الحالة منهيٌّ عنه، وقد نهى رسول الله ﷺ أصحابه الذين أرادوا التَّبَتُّل[1]، وعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن الاستغراق في أعمال صالحة[1] ربما كانت أكثر أجراً من الصلاة المذكورة فكيف بها.

---

(١) صحيح البخاري (ص: ٩٠٨/ح٥٠٧٣)، ومسلم (ص: ٥٨٧/ح١٤٠٢).

ثانياً: الاشتغال بها إلى أن يصل إلى الحالة المذكورة قد يضر بعقله وبدنه، ويشغله غالبه عن دينه ومعيشته وأهله، واكتساب أعمال صالحة من نوافله.

ثالثاً: قوله: (تغنيه عن الطعام والشراب . . .) الخ.

يقال عليه:

أولاً: ربما لا يقع هذا الفرد في الدنيا، ولو وقع لكان من أغرب الغرباء.

ثانياً: إذا وصل إلى هذه الحالة ترتب له عنها ما يفوته من الفضائل أحسن من هذه، إذ لنفسه عليه ولأهله ولزوجه ولغيرهم حقوق كذلك فنضيع بهذه الحالة أحسن الأحوال، ولو كانت كذلك لما سبقوا لها الأنبياء والصحابة الكرام، والتابعين لهم بالإحسان.

الثلاثون: قوله: (وفوائدها لا تحصى، وهي أكثر من أن تحاط . . .) الخ.

يقال عليه: كل موجود يحصى ويستقصى، إما لله ولخلقه، وإما لله فقط.

ثم ذكر فصلاً ختم به مولده هذا في الدعاء، وضَمّنه قوله فيه: (وتوسلوا إليه تعالى بهذا النبي الكريم فإن جاهه عند الله عظيم . . .)[٢] الخ.

بحثٌ: يقال عليه: هذه العبارة تشير إلى حديث: "توسّلوا بجاهي، فإنّ جاهي عند الله عظيم"[٣].

وقوله: (واكفنا مؤنة الاكتساب، وارزقنا بغير حساب . . .)[٤] الخ.

يقال عليه: إن كان مقصوده بمؤنة الاكتساب التعب فلا بأس، وإن كان الكون كَلًّا على الناس وعالة عليهم بحيث يكلفون رزقه وهو جالس لا يتحرك للاكتساب

---

(١) صحيح البخاري (ص: ٣١٨/ح١٩٧٨)، ومسلم (ص: ٤٧٢/ح١١٥٩).

(٢) انظر: "اليمن والاسعاد بمولد خير العباد" (ص: ٥٧).

(٣) هذا الحديث باطل لا أصل له في شيء من كتب الحديث البتة. انظر: مجموع الفتاوى (٣١٩/١)، والسلسلة الضعيفة (٧٦/١/ح٢٢).

(٤) انظر: "اليمن والاسعاد بمولد خير العباد" (ص: ٥٨).

تحركاً ما، فهذا مما لا ينبغي سؤاله من الله إلا العاجزين عن الاكتساب أو تعبه، أما المشغول بمصالح الناس العامة فهو في اكتساب.

وقوله: (وأغرقنا في بحار وحدتك، ومُنّ علينا بمشاهدتك، وعَلّق قلوبنا بك حتى لا نشهد إلا إياك، ولا نتعلق بأحد سواك)[1]. انتهى.

بحثٌ: يقال عليه: هذا من الشيخ طلب الفناء وهو على ضربين:

الأول: أن لا يشاهد المشاهدة إلا لمولاه لا سواه، وهذا إن أمكن لا يدوم، وإن دام كان من أغرب ما يوجد على أنه يعارض من وجهين:

الأول: التناقض إذ كونه لا يشاهد سواه مناقض لشهادة نفسه إذ لولاها ما شهده.

الثاني: هذه الحالة يكون فيها صاحبها منسلخاً عن مشاهدة الدين والدنيا، وهي مصيبة لمن تسبب فيها، ولو كانت خيراً لكانت للأنبياء والمرسلين، والصحابة والتابعين، والعلماء والصالحين، ولا دليل مسلم على طلبها من الله ورسوله وأفضليتها.

الثاني من الفناء: أن يشاهد سواه ولكن بمعنى أن كل مشاهد هو الله، وهذا هو مذهب أهل الوحدة الذين يجعلون نفس الكائنات هو الله، وهو الموافق، ولقول ابن مِشِّيش: (وأغرقني في بحر الوحدة)، وهذه الوحدة أخذها من شيخه الحاتميّ رئيس أهل الوحدة في زمانه، وهذه هي المشهورة عندهم وعند أهل العلم ولهذا عارضوهم فيها، وعليه فالشيخ يطلب ما لو تفطن لطلبه لرآه ممنوعاً وكفراً.

وقوله: (ونسألك أن تُعطف علينا قلب صاحب الوقت، وقلوب من معه أو تقدّم عنه أو تأخر من الأقطاب والأولياء، وغيرهم من جميع الأفراد والأصفياء)[2]. انتهى بعض كلامه.

بحثٌ: ونحن نقول عليه:

---

(١) انظر: المصدر السابق (ص: ٥٨).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص: ٥٨).

أولاً: ما أشبه قوله: (أن تُعطف علينا) إلى آخره، قول الدَّهماء: (اللهم عَطِّف علينا فلاناً أو صاحب هذا القبر، عوض أن يقول: اللهم اعطف علينا) وعطف الله[١] أوسع من كل عطف، ولا يحتاج الله إلى غيره في ذلك.

فإن قيل: قد يجوز هذا السؤال في شأن من تحتاج إليه أو إلى دفع شره.

قلنا: نعم، ولكن فرق بين ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يُسأل إلا منه، وبين ما يقدر عليه غيره، فيجوز أن يسأل من الله عطفه عليه، وبين أن يسأل منه، وسؤال القطب ليس فيما بيده كما في يد الناس بل في التصرفات التي زَوَّروا نسبتها إليه، وهي لا تكون إلا من ربنا وربه.

ثانياً: قوله: (صاحب الوقت).

يقال عليه: ما الدليل على وجود القطب، ووصفه بالصفة التي يصفونه بها، ومع إنه بهذه الصفات تتوفر الدواعي على نقل دليله كتاباً، وسنةً، وإجماعاً، وأين ذكره في واحدة منها، وكونه صاحب الوقت مترتباً على وجوده وعلى عقد البيعة له من الله أو من خليقته أو من أولي الأمر من خلفائه على مملكته في ذلك الوقت، وشيء من ذلك لم يوجد، وقد تكلفنا برد هذا والأغواث والأبدال ونحوهم في كتابنا المسمى "تنبيه الرجال في نفي القطب والغوث والأبدال".

ثالثاً: لِمَ لَمْ يكف هذا الشيخ ما منحه الله من الخير الحسيّ والمعنويّ، وسؤاله المرجو منه من الله عن سؤال صاحب الوقت وأصحابه ومن تقدّم عنه وتأخر ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾[٢].

رابعاً: قد كان في وقت هذا الشيخ من يدعي القطبانيّة وينسبها إليه الكثير من أصحابه والمتعلقين به، وهو من فخذ الشيخ وأخاله ابن عمته، فليت شعري هل كان

(١) وصف الله تعالى نفسه العلية بالرحمة كما في سورة الفاتحة وغيرها ، ولم ترد صفة العطف في نصوص الشرع ؛ فالواجب لزوم ما جاء في نصوص الشرع في جميع أخبار الغيب وأسماء الله وصفاته وأفعاله من ذلك الغيب .

(٢) سورة الزمر، الآية (٣٦).

يعتقد أنه صاحب الوقت، وهو الذي لا يظهر في بلده ظهوراً بذلك إلا هو أو كان لا يعتقد ذلك، وإنما يعتقد موجوداً أحط منه رتبة أو لا يعتقد إلا مخيلاً لا موجوداً، والظاهر أنه كان لا يعتقد الأول.

وقوله: (خصوصاً مسدي الأيادي إلينا، وهو من أعظم مِنَنِ الله في هذا القطر المغربيّ علينا، ذو التفريج والتعطيف والتنفيس، سيّدنا ومولانا إدريس، أمدنا الله بمددهم وعطفهم، وأفاض علينا من كرمهم وجودهم ولطفهم . . .)[1] الخ.

نقد: يقال عليه: بينما الشيخ يسأل الله كل خير حسيّ ومعنويّ لنفسه، إذا هو ينتقل لسؤال غيره من صاحب الوقت، ومن منة الله على المغرب المولى إدريس، وهذا مناف لما تقدّم من سؤاله الإغراق في بحر الوحدة حتى لا يسمع، ولا يرى، ولا يحس إلا به.

كما أنه قد يقال: إنّ صاحب الوقت عنده المتقدّم هو مِنّة المغرب، وإن مات بزمان طويل لأن تصرفاته لا تموت كغيره عنده، كما يحتمل ما تقدّم من الاحتمالات، كما أن وصف هذه المنّة بتنفيس الكروب، وتفريج الهموم، والعطف بالنّعم، ودفع النّقم ليس إلا لله، وهذا نظير ما كُنّا نسمعه من أبيات تنسب لبعض أهل العلم والصلاح ممن تبوّء فاساً ثم رحلوا منها إلى بلد آيت يوسي[2] واستقروا بها.

ومنها[3]:

---

(١) انظر: "اليمن والاسعاد بمولد خير العباد" (ص: ٥٨).

(٢) آيت يوسي هي: قبيلة من برابر ملوية قرب فاس بالمغرب الأقصى، وأصلها "يوسفي" نسبة إلى جدهم يوسف، إلا أنهم يسقطون الفاء من يوسف كما هي لغة أهل تلك النواحي. انظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (١٠٨/٧)، الأعلام، للزركلي (٢٢٣/٢).

(٣) لم أقف على قائل هذا البيت، ولا على مصدره، ولعله من قول بعض المتصوفيّة المعاصرين للشيخ – رحمه الله تعالى – وأشعارهم وقصائدهم التي كانوا يرددونها في عصره. والله أعلم.

يا مولانا إدريس[١] يا ابن نبيِّنا ومَلجأ هذا القُطر في العُسر واليُسر

إلى آخر الأبيات، وليس لهذا القطر ملجأٌ إلا خالقه ورازقه ﷻ، فإن صحت نسبتها إليه ففيها ما فيها على أنه أولى بمن هو ملجأ للخلائق أن يكون ملجأ لنفسه، وكيف لا، ولم يرد الموت عن نفسه بحبة عنب كما قيل، ولا رَدّ القتل عن أبيه بقارورة عنها بقارورة السُّم المرسلة إليه من عمه، على أن هذا الوصف في هذه المنّة يفيد أن الله لم يَمُنّ على بلد المغرب قبله ولا بعده بمثله حتى من آبائه وسلفه، والله يعلم ما في ذلك من القول بلا علم.

وقوله: (اللهمَّ وَفِّق الولاة الحكام لما فيه راحة أهل الإسلام، وليّن قلوبهم على رعاياهم، وأمسكها عن كل ما فيه ضرهم أو بلادهم)[٢]. انتهى.

بحثٌ: وهذا يقال عليه:

دعاؤه للولاة في موضعه، لكن الأحرى بدعائه الرعيّة، إذ هي في زمانه أقسى قلوباً، وأشدّ حرباً لله ورسوله، وأوسع فوضى، وأترك للدِّين، وأنبذ لكتاب الله، وأسفك لدماء خلق الله، إلى غير ذلك من أحوالهم التي يعرفها من عاشرهم حتى إن السبيل من قبيل إلى قبيل بل من دوار إلى دوار أو مدشر إلى مدشر لا يكاد يسلك إلا بحامٍ قويّ، وإن كانت الملوك غالبهم على فجور ففجور هؤلاء بحور قد غرقت فيها فجورهم، والله المستعان.

(١) إدريس هو: إدريس الأكبر بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ﷺ بن علي بن أبي طالب ﷺ مؤسس دولة الأدارسة في المغرب الأقصى وإليه نسبتها، وهو أوّل ملوكها، توفي مسموماً في مدينة "وليلي" وتُسَمّى اليوم "قصر فرعون" سنة (١٧٧هـ)، وابنه إدريس الأصغر، ثاني ملوك الأدارسة، توفي أبوه وهو جنين، وبويع له بالخلافة وهو ابن إحدى عشرة سنة، وهو باني مدينة فاس ومؤسسها، وتوفي بها سنة (٢١٣هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (١/٢٧٨-٢٧٩).

(٢) انظر: "اليمن والاسعاد بمولد خير العباد" (ص: ٥٩).

وقوله: (اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنباً إلا غفرته، ولا هماً إلا فرجته، ولا كرباً إلا كشفته، ولا مسجوناً إلا سرحته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا عدواً إلا كفيته، ولا سعراً إلا أرخصته، ولا عيباً إلا أصلحته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا غائباً إلا رددته، ولا خلة إلا سددتها، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضى ولنا في صلاح إلا قضيتها)[1]. انتهى.

بحثٌ: ونحن نقول عليه:

أولاً: أراد الشيخ بدعائه هذا أن تكون الدنيا جنة وهي لا تكون.

ثانياً: أراد بها أن لا يبقى سؤال ولا حساب في الآخرة على من دعا لهم، لأن الذنوب إذا غفرت، والديون إذا قضيت، ونحوها هنا مثلاً لَم يبق ما يتخاصم فيه الناس يوم القيامة، كما أنه أراد بها هضم الحقوق لأربابها إذ المسجونون لديون الناس ينبغي أن لا يسرح حتى يقضي أو يثبت العدم، والمسجون للقصاص كذلك، والمسجون للمدون كذلك حتى تضطر، والمسجون لكونه إذا لم يسجن اشتعلت نار الفتن بسببه في الأرض إذا سرح سرحت الفتن، وهكذا مما لا نطول بذكره، وكذا إذا لم يبق مريض ولا فقير، ولا كانت دنيانا بخلاف دنيا غيرنا كما كانت جنة، كما يذهب أجر وثواب المرض والفقر والبلايا إلى غير ذلك فتأمّله، والله الموفق للصواب بمنّه.

وها هنا انتهى مولد الشيخ ابن جعفر وبحثنا معه، فلنختمهما بما ختم به، وهو قوله: (واختم بخير أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين، آمين، وصلِّ اللهم على سيّدنا محمد خاتم النبيّين، وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، والحمد لله ربِّ العالمين)[2].

تَمّ كتاب "أصفى الموارد في الرّد على غلوّ المطريّين لرسول الله ﷺ وأهل الموالد" في أوائل سنة (١٣٨٠) هجريّة، ويقول ناسخه وفرغ من نسخه عشية يوم الأربعاء خامس

---

(١) انظر: المصدر السابق (ص: ٥٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص: ٥٩).

وعشرين ذي الحجة عام (١٣٨٤) هجريّة، الموافق لثامن وعشرين أبريل سنة (١٩٦٥) ميلاديّة.

يليه كتاب "الزهرة في رَدِّ غلوّ البردة" للمؤلف المذكور الشيخ سيّدنا الحاج عبدالرحمن بن محمد النتيفيّ المتقدّم في أوّل "أصفى الموارد".

الفهارس العلميّة المتنوعة

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة مريم

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة العلق

سورة البينة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

طرف الحديث **الصفحة**

فهرس الآثار

طرف الأثر **الصفحة**

فهرس الأديان والفِرق

الدين، والفرقة **الصفحة**

فهرس الأعلام

العلم **الصفحة**

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس البلدان

البلد | الصفحة

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن العظيم.

٢. الإبريز من كلام سيدي عبدالعزيز الدّبّاغ، تأليف: أحمد بن المبارك السّجلماسيّ المالكيّ، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثالثة — ١٤٢٣هـ.

٣. إحياء علوم الدين، تأليف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، الناشر: دار الشعب–القاهرة.

٤. الآداب الشرعية، تأليف: عبدالله بن محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – وعمر القيام، دار النشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.

٥. الأدب المفرد، تأليف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، بتخريجات وتعليقات: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الدليل الأثرية، الطبعة: الرابعة - ١٤٢٩هـ.

٦. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٩هـ.

٧. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تأليف: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، تحقيق: جعفر الناصري - ومحمد الناصري، الناشر: دار الكتاب - الدار البيضاء — المغرب، الطبعة: ١٤١٨هـ.

٨. أسد الغابة في معرفة الصحابة، تأليف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى- ١٤١٥هـ.

٩. الأسماء والصفات، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبدالله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، الناشر: مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ.

١٠. الإصابة في تمييز الصحابة، تأليف: شهاب الدين ابي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني، الطبعة: الطبعة الهندية، سنة الطبع: ١٨٥٣م.

١١. الاعتصام، تأليف: العلامة أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخميّ الشاطبيّ، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: مكتبة التوحيد.

١٢. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تأليف: أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي، تحقيق: علي سامي النشار، ، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت، ، الطبعة: ١٤٠٢هـ.

١٣. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، تأليف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشرة– أيار/مايو/ ٢٠٠٢ م.

١٤. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تأليف: مغلطاي بن قليج بن عبدالله البكجري المصري الحكري الحنفي، أبو عبدالله، علاء الدين، تحقيق: أبو عبدالرحمن عادل بن محمد – أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر–القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٥. أم القرى في مدح خير الورى (القصيدة الهمزيّة)، تأليف: أبو عبدالله محمد بن سعيد بن حماد البوصيري، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، الطبعة: ١٤٢٨هـ، الناشر: جمعية آل البيت للتراث والعلوم الشرعية — فلسطين.

١٦. إنباء الغمر بأنباء العمر، تأليف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. حسن حبشي، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي– القاهرة، عام النشر: ١٤١٩هـ.

١٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تأليف: ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.

١٨. البداية والنهاية، تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

١٩. بدائع الفوائد، تأليف: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران دار النشر: دار عالم الفوائد.

٢٠. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: محمد حسن حلاّق، الناشر: دار ابن كثير — دمشق، الطبعة: الثانية — ١٤٢٩هـ.

٢١. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تأليف: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الثانية–١٣٩٩هـ.

٢٢. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: مجموعة من المحققين، ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.

٢٣. تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمّد بن محمّد بن عبدالرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: مطبعة حكومة الكويت.

٢٤. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٠هـ.

٢٥. تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، تأليف: حسين بن محمد بن الحسن الدّيار بكري، الناشر: مؤسسة شعبان — بيروت.

٢٦. التاريخ الكبير، تأليف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبدالله، حققه: عبدالرحمن بن يحيى بن علي بن محمد المعلمي العتمي اليماني، الطبعة: دار الكتب العلمية–بيروت.

٢٧. تاريخ بغداد تأليف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي — دار الكتاب العربي–بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٨. تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، تأليف: أبو الحسن على بن عبدالله بن الحسن النُّبَاهي المالقي الأندلسي، دار النشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة: الخامسة – ١٤٠٣هـ.

٢٩. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تأليف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤١٥هـ.

٣٠. تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تأليف: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، المحقق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الناشر: دار ابن خزيمة – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ.

٣١. التدوين في أخبار قزوين، تأليف: عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني، تحقيق: عزيز الله العطاردي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: ١٤٠٨هـ.

٣٢. التسعينية، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد بن إبراهيم العجلان، الناشر: مكتبة المعارف — الرياض، الطبعة: الأولى — ١٤٢٠هـ.

٣٣. تفسير القرآن العظيم، تأليف: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: مؤسسة قرطبة + مكتبة أولاد الشيخ للتراث – القاهرة، الطبعة: الأولى – ١٤٢١هـ.

٣٤. تفسير القرطبي "الجامع لأحكام القرآن والمبيِّن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان"، تأليف: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى – ١٤٢٧هـ.

٣٥. تقريب التهذيب، تأليف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستانيّ، الناشر: دار العاصمة – الرياض.

٣٦. تقريب التهذيب، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد – سوريا – حلب، الطبعة: الثالثة – ١٤١١هـ.

٣٧. تلبيس إبليس، تأليف: جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزيّ، الناشر: دار ابن خلدون – الإسكندرية.

٣٨. تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بـ(الرّد على البكري)، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: أبو عبدالرحمن محمد بن علي عجال، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية.

٣٩. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبدالكبير البكري، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب عام النشر: ١٣٨٧هـ.

٤٠. تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبدالرزاق، تأليف: محمد أحمد عبدالقادر الشنقيطي المدني، الناشر: دار الفتح — الشارقة، الطبعة: الأولى — ١٤١٥هـ.

٤١. تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، تأليف: نور الدين علي بن محمد بن علي بن عبدالرحمن بن عراق الكناني، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف – وعبدالله محمد الصديق، الناشر: دار الكتب العلمية.

٤٢. تهذيب الأسماء واللغات، تأليف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٣. تهذيب التهذيب، تأليف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: إبراهيم الزيبق، وعادل مرشد، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: ١٤١٦هـ.

٤٤. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تأليف: يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف أبو الحجّاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزّي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

٤٥. الثقات، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي، أبو حاتم، الدارمي البُستي، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانيّة، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن– الهند، الطبعة: الأولى.

٤٦. جامع البيان في تأويل القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمليّ، أبو جعفر الطبريّ، تحقيق: محمود محمد شاكر و أحمد محمد شاكر، الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.

٤٧. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تأليف: زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي، تحقيق: د. محمد الأحمدي أبو النور، الناشر: دار السلام – القاهرة، الطبعة: الثانية – ١٤٢٤هـ.

٤٨. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الناشر: دار السلام – بالرياض، الطبعة: الثانية – ١٤١٩هـ.

٤٩. الجامع لشعب الإيمان، تأليف: الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: د. عبد العلي بن عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣هـ.

٥٠. جمع الوسائل في شرح الشمائل، تأليف: نور الدين ملا علي قاري بن سلطان بن محمد الهروي الحنفي، تحقيق: إبراهيم بن حسن الفيومي، الناشر: المطبعة الشرفية – مصر، الطبعة: ١٣١٨هـ.

٥١. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر– عبدالعزيز بن إبراهيم العسكر– حمدان بن محمد الحمدان، الناشر: دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ.

٥٢. حاشية الشيخ محمد الطالب على شرح الشيخ محمد ميَّارة لمنظومة المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، تأليف: أبي عبدالله محمد الطالب بن حمدون بن الحاج، الناشر: مطبعة صالح مراد الهلالي – المغرب، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ.

٥٣. الحاوي للفتاوي (في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون)، تأليف: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مجموعة من طلاب العلم، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: ١٤٠٢هـ.

٥٤. الحُجّة في بيان المحجّة وشرح عقيدة أهل السنة، تأليف: أبو القاسم إسماعيل ابن محمد بن الفضل التيميّ الأصبهانيّ، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي بن عمير المدخلي، الناشر: دار الراية – الرياض، الطبعة: ١٤١٩هـ.

٥٥. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تأليف: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – مصر، الطبعة: الأولى– ١٣٨٧هـ.

٥٦. حكم السنة والكتاب في الزوايا والقباب، تأليف: العلامة عبدالرحمن بن محمد النتيفي الجعفري، حققه: د. حميد بن بوشعيب العقرة المغربي، الناشر: دار الجيل للنشر والتوزيع، الدار البيضاء– المغرب، الطبعة: الأولى – ١٤٣٢هـ.

٥٧. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تأليف: أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى – ١٤٠٩هـ.

٥٨. الخصائص الكبرى، تأليف: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطيّ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٩. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، تأليف: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين الحموي الدمشقي، الناشر: دار صادر – بيروت.

٦٠. درء تعارض العقل والنقل أو (موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول)، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض، الطبعة: الثانية - ١٤١١هـ.

٦١. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تأليف: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة: ١٤١٤هـ.

٦٢. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسرَوجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: د. عبدالمعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى - ١٤٠٨هـ.

٦٣. دلائل النبوة، تأليف: للحافظ الكبير أبي نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، حققه: الدكتور محمد رواس قلعجي- وعبد البر عبّاس، الناشر: دار النفائس- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ.

٦٤. ديوان ابن الفارض، تأليف: شرف الدين أبي حفص عمر بن علي بن مرشد الحموي، الشهير بابن الفارض، الناشر: مكتبة القاهرة - مصر.

٦٥. الرسائل الكبرى "نزهة الناظر المتأمل وقيد السائل المستعجل"، تأليف: أبي عبدالله محمد بن أبي إبراهيم بن عبّاد النفزي الرندي الفاسي، حققه: د. محمد بن عزوز، الناشر: دار ابن حزم، بيروت- لبنان، مركز التراث الثقافي المغربي - الدار البيضاء- المملكة المغربية، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.

٦٦. رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي، تأليف: مجموعة من العلماء، الناشر: دار العاصمة، الطبعة: الأولى — ١٤١٩هـ.

٦٧. الروض الداني إلى المعجم الصغير للطبراني، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، الناشر: المكتب الإسلامي-بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

٦٨. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تأليف: محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: وزارة الأوقاف المصرية - لجنة إحياء التراث الإسلامي — القاهرة، الطبعة: ١٤١٨هـ.

٦٩. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع-الرياض.

٧٠. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، تأليف: أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين الألباني، دار النشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة: الأولى.

٧١. سنن ابن ماجه، تأليف: ابن ماجه أبو عبدالله محمد بن يزيد الربعي القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، اعتنى بها: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى.

٧٢. سنن ابن ماجه، تأليف: ابن ماجة أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، الناشر: دار السلام – الرياض، الطبعة: الأولى – ١٤٢٠هـ.

٧٣. سنن أبي داود، تأليف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجستاني حكم على أحاديثه وأثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع–الرياض اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة: الثانية.

٧٤. سنن الترمذي (جامع الترمذي)، تأليف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي أبو عيسى، بإشراف ومراجعة: الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الثانية – ١٤٢١هـ.

٧٥. سنن الترمذي، تأليف: الإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى بها: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى.

٧٦. سنن النسائي الصغرى (المجتبى)، تأليف: أحمد بن شعيب بن علي النسائي أبو عبدالرحمن، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى بها: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى.

٧٧. سنن الدارقطني، تأليف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.

٧٨. السنن الكبرى، تأليف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية – الهند، ، الطبعة: الأولى – ١٣٤٤هـ.

٧٩. سير أعلام النبلاء، تأليف: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى.

٨٠. السيرة الحلبيّة "إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون"، تأليف: أبو الفرج علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبيّ نور الدين بن برهان الدين، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة: الثانية — ١٤٢٧هـ.

٨١. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف: عبدالحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبدالقادر الأرناؤوط، ، الناشر: دار ابن كثير–دمشق–بيروت، ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

٨٢. شرح العقيدة الطحاوية، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي–بيروت، الطبعة: الخامسة — ١٣٩٩هـ.

٨٣. شرح العقيدة الطحاوية، تأليف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عبدالله بن المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، الإصدار الثاني: ١٤٢٤هـ.

٨٤. شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنيّة بالمنح المحمديّة، تأليف: أبو عبدالله محمد بن عبدالباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي، تحقيق: محمد بن عبدالعزيز الخالدي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى– ١٤١٧هـ.

٨٥. شرح المعلقات السبع، تأليف: أبي عبدالله الحسين بن أحمد الزوزني، ، الناشر: الدار العالمية — بيروت، ، الطبعة: عام ١٤١٣هـ.

٨٦. شرف المصطفى، تأليف: أبو سعد عبدالملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، الناشر: دار البشائر الإسلامية — مكة، الطبعة: الأولى – ١٤٢٤هـ.

٨٧. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تأليف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٨٨. الشمائل المحمدية والخصائل المصطفويَّة، تأليف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، أبو عيسى، ضبطه وصححه: محمد بن عبدالعزيز الخالدي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦هـ.

٨٩. شرح الحكم العطائيّة، تأليف: محمد بن إبراهيم بن عبّاد النفزي الرُّندي الفاسي، أبو عبدالله، تحقيق ودراسة: محمد عبد المقصود هيكل، الناشر: مركز الأهرام للترجمة والنشر – القاهرة، الطبعة: الأولى – ١٤٠٨هـ.

٩٠. الصِّحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تأليف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطّار، الناشر: دار العلم للملايين — بيروت، الطبعة: الرابعة – ١٤١٠هـ.

٩١. صحيح ابن حبان، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعبدالتميمي، أبو حاتم، الدارمي البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ.

٩٢. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة الدليل، الطبعة: الرابعة — ١٤١٨هـ.

٩٣. صحيح الجامع الصغير وزياداته، تأليف: أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثالثة–١٤٠٨هـ.

٩٤. الضعفاء الكبير، تأليف: الحافظ أبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكيّ، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد بن إسماعيل السَّلفي، الناشر: دار الصميعي، الطبعة: الأولى — ١٤٢٠هـ.

٩٥. ضعيف الجامع الصغير وزيادته، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي.

٩٦. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ.

٩٧. طبقات الشافعية الكبرى، تأليف: تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي و د. عبدالفتاح محمد الحلو، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.

٩٨. عرف التعريف بالمولد الشريف، تأليف: الحافظ أبو الخير محمد بن محمد ابن الجزريّ الشافعيّ، تحقيق: محمد أبي الخير الملقي، الناشر: دار الحديث الكتانيّة.

٩٩. العقيدة الوسطى وشرحها، تأليف: أبو عبدالله محمد بن يوسف بن عمر السنوسي التلمساني الحسني، تحقيق: السيد يوسف أحمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

١٠٠. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تأليف: أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي التيمي القرشي، تحقيق: خليل الميس، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٠٣هـ.

١٠١. علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبوريّة والمواسم، تأليف: أبو سفيان مصطفى باحُّو السلاويّ المغربيّ، الناشر: جريدة السبيل - المغرب، الطبعة: الأولى - ١٤٢٨هـ.

١٠٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الحنفي بدر الدين العيني، ضبطه وصححه: عبدالله محمود محمد عمر، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤٢١هـ.

١٠٣. غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى - ١٤٠٠هـ.

١٠٤. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تأليف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦هـ.

١٠٥. الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تأليف: القاضي عياض، المحقق: ماهر زهير جرار، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى ١٤٠٢ هـ.

١٠٦. الفائق في غريب الحديث، تأليف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر- ١٤١٤هـ.

١٠٧. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

١٠٨. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، تأليف: العلامة شرف الدين الحسين بن محمد بن عبدالله الطِّيبيّ، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: جائزة دبي الدوليّة للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى - ١٤٣٤هـ.

١٠٩. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، تأليف: د. غالب بن علي عواجي، الناشر: المكتبة العصرية - جدة، الطبعة: الرابعة - ١٤٢٢هـ.

١١٠. الفصل في الملل والأهواء والنحل، تأليف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق: محمد إبراهيم نصر- وعبدالرحمن عميرة، ، الناشر: دار الجيل-بيروت.

١١١. فضائل الصحابة، تأليف: أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، الناشر: دار ابن الجوزي - الرياض، الطبعة: الثانية - ١٤٢٠هـ.

١١٢. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تأليف: عبدالحي بن عبدالكبير بن محمد الكتانيّ الحسنيّ، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٤٠٢هـ.

١١٣. الفوائد المجموعة في الأحاديث الضعيفة والموضوعة، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: رضوان جامع رضوان، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة.

١١٤. القواعد الكبرى (قواعد الأحكام في إصلاح الأنام)، تأليف: أبو محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، تحقيق: د. نزيه كمال حمّاد – و– د. عثمان جمعة ضميرية، الناشر: دار القلم – دمشق، الطبعة: الأولى – ١٤٢١هـ.

١١٥. القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، تأليف: شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي الشافعي، تحقيق: بشير محمد عيون، الناشر: مكتبة المؤيد – الطائف + مكتبة دار البيان – دمشق.

١١٦. القصيدة الوتريّة في مدح خير البريّة وتخميسها، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن رشيد البغدادي الشافعي، الناشر: المطبعة الميمنيّة – مصر، الطبعة: الأولى – ١٣١١هـ.

١١٧. الكامل في ضعفاء الرجال، تأليف: الإمام الحافظ أبي أحمد بن عدي الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

١١٨. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، تأليف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، تحقيق: عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان، الناشر: دار الرشد للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى– ١٤٠٨هـ.

١١٩. كتاب السنة، تأليف: الإمام عبدالله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي، تحقيق: عني بتصحيحه والإشراف على طبعه، لجنة من المشايخ والعلماء تحت رئاسة، العلامة المحقق فضيلة الشيخ: عبدالله بن حسن بن حسين آل الشيخ، الناشر: المطبعة السلفية ومكتبتها– مكة المكرمة، رقم الطبعة غير متوفر: سنة: ١٣٤٩هـ.

١٢٠. كتاب العين، تأليف: أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

١٢١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود — و–

علي محمد معوض–و–فتحي عبدالرحمن أحمد حجازي، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.

١٢٢. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تأليف: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، الناشر: مكتبة القدسي – القاهرة، عام النشر: ١٣٥١هـ.

١٢٣. الكواكب الدرية في مدح خير البرية (قصيدة البردة)، تأليف: أبو عبدالله محمد بن سعيد بن حماد البوصيري، تحقيق: عبدالرحمن حسن محمود، الناشر: مكتبة الآداب — القاهرة، الطبعة: ١٤١١هـ.

١٢٤. اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، تأليف: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

١٢٥. لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاريّ الرويفعيّ الإفريقيّ، ، تحقيق: عبدالله علي الكبير، و محمد أحمد حسب الله، و هاشم محمد الشاذلي، الناشر: دار المعارف – القاهرة.

١٢٦. لسان الميزان، تأليف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، الناشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى– ١٤٢٣هـ.

١٢٧. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، تأليف: زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَّلاميّ، البغداديّ، ثم الدمشقيّ، الحنبليّ، تحقيق: ياسين محمد السّواس، الناشر: دار ابن كثير – دمشق، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ.

١٢٨. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تأليف: الإمام الحافظ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة: ١٤١٢هـ.

١٢٩. مجلة الفرقان المغربية، إسلامية، وثقافية، العددين (١٥، ١٦)، لسنتي (١٤٠٨، ١٤٠٩هـ) تصدر بالدار البيضاء بالمغرب.

١٣٠. مجموع الفتاوى، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم–وساعده ابنه: محمد. ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٥هـ.

١٣١. المجموع شرح المهذَّب، تأليف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، الناشر: مكتبة الإرشاد — جدة.

١٣٢. مختصر ترجمة شيخ الإسلام أبي زيد الحاج عبدالرحمن النتيفي الجعفري، تأليف ابنه: الفقيه الحاج حسن بن عبدالرحمن النتيفي الجعفري، الناشر: طبع في المغرب ولا يوجد عليه اسم الدار الطابعة له، الطبعة: الأولى- ١٤٠٠هـ.

١٣٣. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: رضوان جامع رضوان، الناشر: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع — القاهرة، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

١٣٤. المدخل إلى السنن الكبرى، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت.

١٣٥. المدخل على عمل المولد، تأليف: أبو عبدالله محمد بن محمد العبدريّ الفاسيّ المالكيّ، الشهير بابن الحاج، الناشر: مكتبة دار التراث - القاهرة.

١٣٦. المستدرك على الصحيحين، تأليف: أبو عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: طبعة متضمنة انتقادات الذهبي رحمه الله، وبذيله تتبع أوهام الحاكم التي سكت عليها الذهبي، لأبي عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله. ، الناشر: دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى: ١٤١٧هـ.

١٣٧. مسند أبي يعلى الموصلي، تأليف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث — دمشق

١٣٨. مسند الإمام أحمد، تأليف: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ، الناشر: مؤسسة الرسالة، ، الطبعة: الأولى.

١٣٩. مسند البزار المشهور باسم (البحر الزخار)، تأليف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: مكتبة العلوم والحكم — دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٣٠هـ.

١٤٠. مسند الشاميين، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٤١. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ، الناشر: دار السلام- الرياض، الطبعة الثانية: ١٤٢١هـ.

١٤٢. مشكاة المصابيح، تأليف: ولي الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي العمري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ.

١٤٣. المصنف في الأحاديث والآثار(مصنف ابن أبي شيبة)، تأليف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، تحقيق: حمد بن عبدالله الجمعة و محمد بن إبراهيم اللحيدان، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.

١٤٤. المصنف، تأليف: أبو بكر عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية- ١٤٠٣هـ.

١٤٥. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تأليف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: (١٧) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبدالعزيز الشثري، الناشر: دار العاصمة- دار الغيث – الرياض، الطبعة: الأولى- ١٤٢٠هـ.

١٤٦. معاني القرآن، تأليف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبدالفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى.

١٤٧. المعجم الأوسط، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، ، الناشر: دار الحرمين — القاهرة، الطبعة: ١٤١٥هـ.

١٤٨. معجم البلدان، تأليف: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الروميّ الحمويّ البغداديّ، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: ١٣٩٧هـ.

١٤٩. المعجم الكبير (المجلدان الثالث عشر والرابع عشر)، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د. سعد بن عبدالله الحميد و د. خالد بن عبدالرحمن الجريسي.

١٥٠. المعجم الكبير، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفيّ.

١٥١. المعجم الوسيط، تأليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة: ١٤٢٥هـ.

١٥٢. معرفة السنن والآثار، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: عبدالمعطي أمين قلعجي، الناشرون: جامعة الدراسات الإسلامية، دار قتيبة، دار الوعي، دار الوفاء، الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ.

١٥٣. معرفة الصحابة، تأليف: أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ.

١٥٤. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، تأليف: أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٠١هـ.

١٥٥. الملل والنحل، تأليف: أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: أمير علي مهنا و علي حسن فاعور، الناشر: دار المعرفة – بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

١٥٦. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تأليف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن حزام النووي، الناشر: المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة: الأولى.

١٥٧. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تأليف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبدالملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، تحقيق: مأمون محيي الدين الجنّان، الناشر: دار الكتب العلمية–بيروت، الطبعة: الأولى–١٤١٦هـ.

١٥٨. الموضوعات من الأحاديث المرفوعات، تأليف: جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: د. نور الدين بن شكري بن علي بويا جيلار، الناشر: مكتبة أضواء السلف– الرياض، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.

١٥٩. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تأليف: شمس الدين أبي المظفّر يوسف بن قزأوغلي بن عبدالله، المعروف بسبط ابن الجوزي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: الرسالة العالمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٣٤هـ.

١٦٠. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض – والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى– ١٤١٦هـ.

١٦١. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تأليف: يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٣هـ.

١٦٢. نزهة المجالس ومنتخب النفائس، تأليف: عبدالرحمن بن عبدالسلام بن عبدالرحمن الصفوري الشافعي، الناشر: المطبعة الكاستلية - مصر، الطبعة: ١٢٨٣هـ.

١٦٣. نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي، تأليف: جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن محمد الزيلعي، تحقيق: محمد عوامة، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى- ١٤١٨هـ.

١٦٤. نظم العقيان في أعيان الأعيان، تأليف: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فيليب حِتِّي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.

١٦٥. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تأليف: شهاب الدين أحمد بن محمد المقَّريّ التلمسانيّ، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر- بيروت، الطبعة: ١٣٨٨هـ.

١٦٦. النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي- طاهر أحمد الزاوي، الناشر: المكتبة الإسلامية، الطبعة: الأولى - ١٣٨٣هـ.

١٦٧. نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، تأليف: محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكانيّ، الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي - مصر.

١٦٨. الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية، تأليف: أبو شكيب محمد تقي الدين بن عبدالقادر الهلاليّ، الناشر: دار الهداية - القاهرة، الطبعة: الثانية.

١٦٩. الوافي بالوفيات، تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرنؤوط- وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ، الطبعة: الأولى.

١٧٠. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تأليف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: د. إحسان عباس، الناشر: دار صادر- بيروت، الطبعة: ١٤١٤هـ.

١٧١. اليمن والإسعاد بمولد خير العباد، تأليف: أبو عبدالله محمد بن جعفر بن إدريس الشريف الكتانيّ الحسني الفاسي، الناشر: المطبعة الأهلية - بالرباط، الطبعة: الأولى - ١٣٤٥هـ.

فهرس المحتويات

الموضوع الصفحة